نصوص عربية تاريخية
عن الزلازل والبراكين في العالم العربي والإسلامي
من بداية التاريخ الإسلامي إلى القرن الثاني عشر الهجري

(من القرن السادس إلى الثامن عشر الميلاديين)

جمعها وحقّقها وعلّق عليها

د. مصطفَى أنـوَر طاهِر



المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة

نصوص عربية تاريخية عن الزلازل والبراكين

في العالم العربي والإسلامي

من بداية التاريخ الإسلامي إلى القرن الثاني عشر الهجري

نصوص عربية تاريخية عن الزلازل والبراكين في العالم العربي والإسلامي

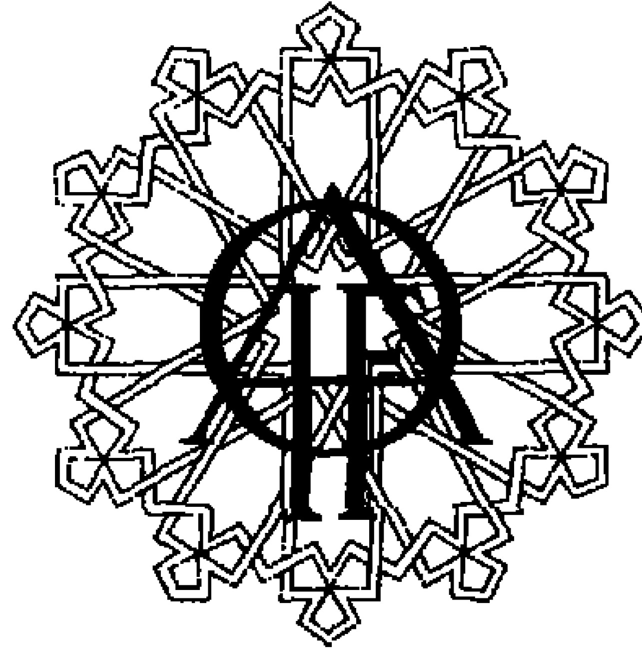
من بداية التاريخ الإسلامي إلى القرن الثاني عشر الهجري

(من القرن السادس إلى الثامن عشر الميلاديين)

جمعها وحقّقها وعلّق عليها

د. مصطفى أنور طاهر

باحث بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة



المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة

نصوص عربية ودراسات إسلامية، المجلد ٤٦، [illegible]

ISBN 978-2-7247-0531-7 ISSN 0257-4136

محتويات الكتاب

تصدير

بدأت دراستي الخاصة بتاريخ علوم الأرض أثناء عملي بمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، ولقد إستحوذ إنتباهي غزارة المادة العلمية الخاصة بالزلازل والبراكين عند المؤرخين والرحالة العرب في الفترة السابقة لإنشاء المراصد الحديثة لتسجيل الهزات الأرضية وغيرها، وبذلك يمكن إعتبار أن ما ذكره المؤرخون والرحالة وما رصدوه عن هذه الظواهر وتواجدها في بعض الأماكن دون الأخرى وآثارها على المكان والسكان، هو المصدر الوحيد الرئيسي لرأب ثقب تسلسلها ولدراسة هذه الظواهر وآثارها الإجتماعية والإقتصادية والعمرانية. ولهذا السبب بدأت جمع هذه المادة العلمية.

وفي هذه الآونة – أي في بداية السبعينيات من القرن العشرين – كانت معرفتي للباحث والمستشرق الفرنسي چان كلود جارسان Jean-Claude Garcin وذلك لقيامي بمعاونته والتيسير له بالإطلاع على المخطوطات وجمع المادة العلمية الخاصة برسالته وكتابه القيم عن مدينة قوص والصعيد المصري . ولقد أبديت له رغبتي بالدراسة في الجامعات الفرنسية وإقترحت عليه موضوع الزلازل والبراكين في التاريخ العربي الإسلامي، فلقى ذلك الإقتراح ترحيبًا منه ، وأعطاني عنوان العلامة الفرنسي كلود كاهين Claude Cahen الأستاذ بجامعة السوربون آنذاك وطلب مني مراسلته بخصوص دراستي تحت إشرافه وقبوله لهذا الموضوع كأطروحة لنيل دكتوراة الدولة من جامعة السوربون والحصول على الشهادة العلمية الخاصة بذلك . فتفضل العلامة كاهين مشكورًا بالموافقة ووعدني بمساعدتي للحصول على منحة دراسية فرنسية خاصة للدراسة بفرنسا ، ولقد صدق فيما وعد ، وشرفت بحضور مجلس علمه وقام بإجازتي لدرجة الدكتوراة بمرتبة الشرف في عام ١٩٧٩ .

وحضر في المناقشة أحد علماء معهد الدراسات الچيوفيزيقية بباريس وهو السيد/ ج. پ. پوارييه، J.-P. Poirier, Institut de physique du globe de Paris، وقدمني لمدير المعهد وهو آنذاك العلّامة المعروف كلود أليجر Claude Allègre واقترح القيام بعمل مشترك وهو نشر موجز لرسالة الدكتوراة بنشرة بيان دراسات هيئة السيزمولوچيا الأمريكية:

Bulletin of the Seismological Society of America, Vol. 70, No. 6, p. 2185-2201 :

« Historical Seismicity in the Near and Middle East, North Africa, and Spain from Arabic Documents (VIIth-XVIIIth Centuries) »,

وذلك بالتعاون مع هيئة علماء المعهد لنشر دراسة بمجلة «الطبيعة» الإنجليزية (Nature)، واقترح كذلك بمعاونتي للقيام برحلات لتركيا وبلاد المغرب وأسبانيا للحصول ولإكمال المادة المعلوماتية الخاصة بالزلازل ، وقمت بهذه الرحلات العلمية وأثمرت بإضافة معلومات هامة لدراستي ، مما استلفت نظر هيئة اليونسكو والتي قمت بالعمل كمستشار بها وقمت كذلك بالعمل كخبير بوكالة الطاقة النووية بڤيينا وذلك لتقديم نتائج دراستي والإستفادة منها لمعالجة ومكافحة الأضرار الناتجة للزلازل وإختيار مواقع بناء المدن ومولّدات الطاقة.

وبالإضافة لمنظومة عملي السابقة قمت بالتعاون مع فريق جامعة إكس آن پروڤانس Aix-en-Provence والباحثين بها:

Iremam (Institut de recherche et d'études sur le monde arabe et musulman)

وذلك بالعمل في مشروع دراسات خاصة بالأوقاف والوثائق بالأرشيف المصري وتعاونت مع فريقها العلمي المتميز ج. كل. جارسان، أ. ريمون ، س. دينواه و م. توشرير، وبفضل هذا العمل شرفت بالحصول على المواطنة الفرنسية وعلى عملي كباحث بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة لعمل كتالوج خاص بالأوقاف ووثائق الأرشيف ومساعدة الباحثين وطلبة الدكتوراة الفرنسيين على قرائة المخطوطات العربية القديمة ، مما يسر لي القيام بنشر المزيد من المقالات وكتابة هذا الكتاب عن الزلازل والبراكين من التاريخ العربي الإسلامي.

ولقد قام أستاذي وصديقي ج. كل. جارسان J.-Cl. Garcin بخبرته وحكمة علمه بمراجعته وتعديل ترتيبه، حتى اكتمل الكتاب بصورته النهائية، فشكري وعرفاني بالجميل لشخصه الكريم.

وإني لأنتهز الفرصة لأتقدم بجزيل شكري لمديرة الدراسات بالمعهد السيدة س. دينواه Sylvie Denoix بما تتمتع به من سجيّة علمية متميزة شجعتني على إتمام هذه الدراسة، بالإضافة لخلقها ومساعداتها الإنسانية.

وكذلك شكري الجزيل لمديرة المعهد ل. پانتالاتشي Laure Pantalacci لتشجيعها وتنبيهي بأن هذا العمل يهم دارسي علم المصريات الفرعونية وذلك بصدد ما أصاب الآثار الفرعونية من أضرار الزلازل، واستخدام أحجار الآثار والمعابد الفرعونية في ترميم وبناء آثار في العهود الإسلامية.

وكذلك شكري وعرفاني للمدير السابق للمعهد برنارد ماتيو Bernard Mathieu لتقديره ولإنصافه لعملي العلمي بالمعهد.

كذلك شكري وإعتزازي للمديرين السابقين والأعضاء العلميين بالمعهد والإداريين على حسن معاملاتهم.

مقدمة

تطور نظرية حدث الأرض والزلازل والحمم البركانية في التاريخ والأدب العربي الوسيط

قال اليعقوبي[1] (كان حيًا ٢٩٢ هـ/ ٩٠٥ م) عند كلامه على ملوك مصر من القبط وغيرهم: فلما قهرتهم الروم وملكتهم بسطوة شديدة وسلطان أبطلوا ما كانوا يقومون به من سعيهم وأعمالهم، وحملوهم في بدء أمورهم على شرائع اليونانيين حتى فسدت لغتهم، ومازج كلامهم كلام الروم ثم تنصرت الروم فحملوهم على التنصر فدرس جميع ما كانوا فيه من أمر دينهم وسنتهم، وقتل الروم كهانهم وعلمائهم، فهلك من كان يفهم ذلك ومنع من بقى منهم تعليمه والنظر فيه، فلذلك ليس يوجد أحد يقرأه منهم ولا غيرهم، وكانت ديانتهم عبادة الكواكب والقول بأنها مدبرة مختارة وهم أصحاب القضايا بالنجوم وأنها تسعد وتنحس، لأنهم زعموا إنها آلهتهم التي تحييهم وتميتهم وترزقهم وتسقيهم.

وكان من قولهم: إن الأرواح قديمة، كانت في الفردوس الأعلى، وإنه في كل ستة وثلاثين ألف سنة يفنى جميع ما في العالم إما من تراب - يريدون الأرض وزلزلتها وخسوفها، أو من نار وإحراق وسموم مهلك، وإما من ريح هواء ردئ فاسد غليظ عام، يسد الأنفاس لغلظه، فيهلك الحيوان ويتلف الحرث والنسل، ثم يحيي الطبيعة من كل جنس من أجناس الحرث والنسل ويرجع العالم بعد فساد.

وورد في البدء والتاريخ[2] عن سبب الزلازل والرأي العلمي والرأي الديني و ما هو يؤيد الرأي العلمي، ويعزي بساطة الرأي الديني إلى التقريب من أفهام الخلق فيقول: وأما الزلازل فعلى وجوه وذلك أن الأرض

[1] هو أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، تاريخ، ج ١/ ١٨٨؛ وفي طبعة النجف ج ١/ ١٥٢، ويعتبر كتابه أقدم كتاب عربي يتضمن التاريخ على العموم.

[2] كتاب منسوب إلى أبي زيد أحمد البلخي، ت. ٣٢٢ هـ/ ٩٣٣-٩٣٤ م، وهو في الحقيقة لطاهر بن مطهر المقدسي، توفى بعد ٣٥٥ هـ/ ٩٦٦ م، ج ٢/ ٣٦.

يابسة الطبيعة فإذا مطرت رطبت فيعمل فيها الشمس ويتولد منها بخار رطب وبخار يابس فالبخار الرطب مادة الأنداء، والبخار اليابس مادة الرياح، ومن طبع البخار الحركة إلى فوق فإذا تحرك وصادف أرضًا صلبة إضطربت الأرض لذلك، وإن صادف أرضًا رخوة خرجت من غير زلزلة فإن كانت الأرض حجارية صلبة وتزعزعت الريح من جوفها ولم يجد منفذًا فربما شقته وصدعته وربما خرجت على إثر الزلزلة في جوف الأرض فإذا إنشقت أصاب مخرجا، وربما قلبت الأرض فيصير أعلاها أسفلها وربما شق عن عيون ومياه فأغرقت كثيرًا من الأرض.

وورد عن السبب الديني[٣]: وللقدماء في علة الزلزلة كلام كثير ومذاهب مختلفة وأما المسلمون فيقولون إنها من فعل اللّٰه إذا أراد أن يرى العباد أنه يستعتبهم، وليس بعجب أن يجعل اللّٰه هذه الآية بتحريك الأرض. وزلزلت الأرض بدمشق فخطب آبوالدرداء فقال إن اللّٰه يستعتبكم فإعتبوا.

أما ما روي من القصص أن لكل أرض عرقًا متصلًا بجبل قاف والملك موكل به فإذا أراد اللّٰه أن يخسف بقوم أومى إليه أن حرك ذلك العرق، فإن صح وما أراه يصح إلا من جهة أهل الكتاب وليسوا بأمناء على ما في أيديهم، فهو تشبيه وتقريب من أفهام الخلق وتعليم بأن ذلك كله من فعل اللّٰه لا من ذات نفسها.

قال الأشعري[٤] (توفى ٣٢٤ هـ/ ٩٣٥-٩٢٦ م): وإختلف الروافض في الطفرة وهم فرقتان، فالفرقة الأولى منهم أصحاب هشام بن الحكم[٥] فيما حكاه زرقان يقولون إن الجسم يكون في مكان ثم يصير إلى المكان الثالث من غير أن يمر بالثاني؛ والفرقة الثانية منهم ينكرون ذلك ويميلون أن يكون الجسم في مكان ثم يصير إلى مكان ثالث من أن يمر بالمكان الثاني. وكان هشام[٦] يقول في الزلازل: إن اللّٰه سبحانه خلق الأرض من طبائع مختلفة يمسك بعضها بعضًا فإذا ضعفت طبيعة منها غلبت الأخرى فكانت الزلزلة وإن ضعفت أشد من ذلك كان الخسف.

ربط إخوان الصفا[٧] (الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) بين الكواكب ذوات الأذناب وبين الحوادث الأرضية فقالوا: وأما الكواكب الأرضية ذوات الأذناب فإنها لا تحدث إلا في كرة الأثير قريبًا من فلك القمر، والدليل على ذلك دورانها مع فلك القمر، تارة بالتقدم على توالي البروج كمسير الكواكب السيارة، وتارة بالتأخر كرجوعها.

وأما مادتها التي تتكون منها فهي دخان وبخار لطيفان يصعدان إلى هناك فينعقدان بقوة زحل وعطارد وتكون شفافة كشفيف البلور، إذا أشرقت عليها الشمس شفت من الجانب الآخر، فلا تزال تدور مع الفلك

٣ البدء والتاريخ، ج ٢/ ٣٧.
٤ هو الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج ١/ ٦١.
٥ من الفرق الشيعية الغالية، انظر الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١/ ٣٩٦-٤٠١.
٦ الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج ١/ ٦٣.
٧ رسائل إخوان الصفا، مج ٢/ ٨٥.

وتطلع وتغيب إلى أن تضمحل وتتلاشى، وكل هذه الحوادث التي ترى في ضوء الهواء إما بشارات من اللّٰه تعالى بالرخص والخصب والسلامة للناس والحيوان والصلاح، وإما إنذارات وتخويفات من الحدثان والجدب والقحط والغلاء والزلازل والوباء والموت والخسوف والحروب والفتن وذلك ليجعل العباد المكلفين يعتبرون بها ويرتدعون عن معصية اللّٰه وينقادون إلى طاعة اللّٰه ويظهرون الدعاء والتضرع والتوبة والندم والتطوع بالصوم والصلاة والصدقة والقرابين في الهياكل والمساجد والبيع.

وربط إخوان الصفا[٨] بين الجبال والزلازل فقالوا: وأما الجبال التي ذكرناها كالمسنيات للبحار والبريدات لها، فهي رأسية في الأرض أصولها شامخة في الجو رؤوسها، شاهق في الهواء ارتفاعها، ممتد على وجه الأرض بأطوال ما بين مائتي فرسخ إلى ألف؛ فمنها ما هو من المشرق إلى المغرب ومنها ما هو من الشمال إلى الجنوب، ومنها ما هو نكباوات (جمع نكبا، وهي المنحرفة) بين هذه الجهات، مذكورة في جغرافيا بعض أوصافها. وإعلم أن الجبال التي ذكرناها منها ما هو صخور صلدة، وحجارة صلبة، وصفوان أملس فلا ينبت عليه النبات إلا شيء يسير مثل جبال تهامة، ومنها ما هي صخور رخوة وطين لين، وتراب ورمل وحصاة مختلفة متلبدة، ساف فوق ساف، متماسك الأجزاء وهي مع ذلك كثيرة الكهوف والمغارات والأودية والأهوية، والعيون والجداول والأنهار والأشجار، كثيرة النباتات والحشائش والأشجار مثل جبال فلسطين، وجبال لكام وطبرستان وغيرها.

وأما الكهوف والمغارات والأهوية التي في جوف الأرض والجبال، إذا لم يكن لها منافذ تخرج منها المياه، بقيت المياه هناك محبوسة زمانًا، فإذا حمي باطن الأرض وجوف تلك الجبال، سخنت تلك المياه ولطفت وتحللت وصارت بخارًا، وإرتفعت وطلبت مكانًا أوسع، فإن كانت الأرض كثيرة التخلخل، تحللت وخرجت تلك البخارات من تلك المنافذ، وإن كان ظاهر الأرض شديد التكاثف حصيفًا (أي مستحكمًا) منعها من الخروج، وبقيت محتبسة تتموج في تلك الأهوية لطلب الخروج وربما إنشقت الأرض في موضع منها وخرجت تلك الرياح مفاجأة، وإنخسف مكانها ويسمع لها دوي وهدة وزلزلة، وإن لم تجد لها مخرجًا، بقيت هناك محتبسة، وتدوم تلك الزلزلة إلى أن يبرد جو تلك المغارات والأهوية ويغلظ؛ ومتى تكاثفت تلك البخارات وإجتمعت أجزاؤها وصارت ماء خرت راجعة إلى قرار تلك الكهوف والمغارات والأهوية، ومكثت زمانًا وكلما طال وقوفها إزدادت صفاء وغلظًا حتى تصير زئبقًا رجراجًا، وتختلط بتربة تلك المعادن، وتتحد بحرارة المعدن دائمًا في إنضاجها وطبخها فتكون منها ضروب من الجواهر المعدنية المختلفة الطبائع.

٨ رسائل، ج ٢/ ٩٦، ٩٧.

وقال المسعودي[٩] (ت ٣٤٥ أو ٣٤٦ هـ/ ٩٥٦ أو ٩٥٧ م) عن رحلته في البلاد المنكوبة بالزلازل: وقد دخلنا في أكثر المواضع المشهورة بكثرة الزلازل وعظمها مثل بلاد سيراف من ساحل فارس – وهي بين جبل وبحر.

وبلاد الصيمرة من مهرجان قذف وماسندان من أرض الجبال وهي في سفح جبل عظيم يقال له كبر.

ومدينة أنطاكية من جند قنسرين والعواصم من أرض الشام وهي في سفح جبل مطل عليها.

وبلاد قومس وهي كثيرة الزلازل جدًا وتغور أعين وتفور في مواضع أخر لعظم ذلك، فالبلد شديد الإختلال، وبين قومس وبين نيسابور جبل عظيم شامخ طويل كثير المياه والأشجار والثمار والأودية، وفيه خلق من العباد يأكلون من تلك الثمار ويأوون إلى كهوف، وغير أن هنالك يقال لهذا الجبل – جبل مورجان، ومورجان قرية بقرب هذا الجبل، والجبل بين هذه القرية وبين قرية من أعمال نيسابور تعرف بهندرة – تفسير ذلك سبعة ابواب – وذلك أول عمل خراسان، لأن قومس عمل مفرد بين الري وخراسان ومدنها: بسطام، وسمنان، والدامغان، ولها جبل آخر عظيم بينها وبين طبرستان يقال لها قارن، ومدينة آمل ويطل عليها الجبل العظيم المعروف بدباوند ويقال إنه أعلى جبال العالم وكثير من مدن طبرستان وغير ذلك من البلاد، فلم أر أعظم أمرًا من هذه الزلزلة ولا أطول مكثًا وذلك إني تبينت تحت الأرض كالشيء العظيم يحاكُّها مارًا تحتها وهازًا ومحركًا لها، كأنه أعظم منها، وكأنها كالنائية عنه، مع دوي عظيم في الجو. وقد كانت السلامة بحمد اللّٰه شاملة للناس، والتهدم قليل.

وقد كان خسف بضياع كثيرة وقرى وعمائر واسعة من بلاد كش، ونسف مما يلي سمرقند من أرض خراسان بزلازل تواترت كان مبدؤها من نحو بلاد الصين إلى أن إتصلت ببلاد فرغانة، وهذه البلاد هلك فيها خلق كثير من الناس فمنها ما صار موضعها آجامًا ومياهًا سودًا منتنة، ومنها ما صار كالرماد لإنقلابها في سفوح جبال شاهقة منيعة، وذلك مشهور ببلاد خراسان وغيرها وقد ذكرنا ما قاله الناس من الشريعيين وغيرهم في الزلازل وحدوثها والهدات والخسوف وكونها فيما تقدم من كتبنا.

٩ التنبيه والإشراف، ص ٤٤، ٤٥ .المسعودي هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، ت. ٣٤٥ أو ٣٤٦ هـ يتصل نسبه إلى عبد اللّٰه بن مسعود الصحابي. قضى زهرة شبابه في بغداد وخرج سنة ٣٠١ هـ، في رحلة إستمرت ثلاثة أعوام في ربوع فارس وكرمان والهند وصيمور وقطن في مدينة بومباي سنة ٣٠٤ هـ، ووصل إلى عمان، ويمكن أن نستنتج أنه ذهب إلى قناطر ماليسيه العجيبة وشارف الصين ولقد تعمق في دراسات الحدود الإسلامية وإستعان بالآلات العلمية. ولقد كان في فلسطين سنة ٣١٤ هـ وفي أنطاكية ويبدو أنه قضى السنوات العشر التي بين رحلته الأولى وإقامته هذه في فلسطين متنقلا بين العراق وسوريا ومصر، ويحدثنا بأنه كان في سنة ٣٣٦ هـ قد أتم كتابه مروج الذهب في فسطاط مصر بوضع النسخة الأولى من «التنبيه والإشراف» وعدل في الكتابين في عام ٣٤٥ هـ، ولقد ألم بالفارسية والهندية واليونانية والرومية والسريانية. انظر مقدمة محقق كتاب مروج الذهب.

وقال المسعودي[١٠] عن عيون النار: ومنها معدن النفط في باكوي على نهر الخرز: وليس في الدنيا - واللّٰه أعلم - نفط أبيض إلا في هذا الموضع وهي على ساحل مملكة شِروان، وفي هذه النفاطة أطمة وهي عين من عيون الباب لا تمر على سائر الأوقات فتضرم الصعداء، ويقابل هذا الساحل في البحر جزائر: منها جزيرة على نحو ثلاثة أيام من الساحل فيها أطمة عظيمة تزفر في أوقات فصول السنة فيظهر منها تذهب في الهواء كأشمخ ما يكون من الجبال العالية تضيئ الأكثر من هذا البحر ويرى ذلك من نحو مائة فرسخ من البر، وهذه الأطمة تشبه أطمة جبل البركان من بلاد صقلية من أرض الإفرنجة ومن بلاد إفريقية من أرض المغرب. وليس في آطام الأرض أشد صوتًا ولا أسود دخانًا ولا أكثر تلهبًا من الأطمة التي في أعمال المهراج وبعدها أطمة وادي برهوت[١١]، وهي نحو بلاد سبأ وحضرموت من بلاد الشحر، وذلك من بلاد اليمن وبلاد عمان وصوتها يسمع كالرعد من أميال كثيرة ثم ينعكس سفلا يهوي إلى قعرها وحولها، والجمر الذي يظهر فيها حجارة وقد إحمرت مما قد أحالها من سواد حرارة النار.

وقال المسعودي[١٢] عن الآطام: وهي عيون نيران تظهر من الأرض وكالأطمة العظيمة التي في مملكة المهراج ملك جزائر الزانج وغيرها في البحر الصيني منها كله، وسربزه والمهراج سمة لكل من ملكها، وهذه الأطمة في جبال في أطراف جزائره فهي بالنهار سوداء لغلبة ضوء الشمس وبالليل حمراء يلحق لهبها بأعنان السماء لعلوها وذهابها في الجو ويظهر منها كأشد ما يكون من أصوات الرعود والصواعق، وربما يظهر منها صوت عجيب مفزع ويسمع على المسافة النائية ينذر بموت بعض ملوكهم وربما يكون أخفض من ذلك فينذر بموت بعض رؤسائهم فقد عرف بما ينذر من ذلك موت الملوك من غيرهم بطول العادات والتجارب على قديم الزمان.

وكتب الشيخ الرئيس ابن سينا[١٣] (ت ٤٢٨ هـ/ ١٠٣٦-١٠٣٧ م) فصلًا كاملًا عن الزلازل عالجه من وجهات نظر مختلفة فأخذ ما قاله علماء الإغريق وطوره وأضاف عليه وسنلاحظ هذا في كتابته التالية: وأما الزلزلة فإنها حركة تعرض لجزء من أجزاء الأرض بسبب ما تحته ولا محالة أن ذلك السبب يعرض له أن يتحرك ثم يحرك ما فوقه. والجسم الذي يمكن أن يتحرك تحت الأرض ويحرك الأرض: إما جسم

[١٠] مروج الذهب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج ١/ ١٥٧، ١٥٨؛ والتنبيه والإشراف، ص ٥٣.

[١١] ورد تعليق على قول المسعودي في مجلة المقتطف ج ٦ مج ٧٢، اكتوبر ١٩٨٢، في مقال للأستاذ أمين المعلوف بعنوان القار في الشرق الأدنى وتعليق لأحد الأهالي من اليمن في عدد نوفمبر ١٩٨٢، بعنوان (خطأ وصف المسعودي) قال فيه إن وادي برهوت بأسفل حضرموت بالشرق الشمالي يسيرا عن بلدة تريم التي هي أشهر مدن حضرموت يبعد عنها نحو ٤٥ ميلا، وبعد وادي برهوت الجبل الذي يقال إن به قبر النبي هود عليه السلام ويدخل إلى بئر برهوت من وادي عدم.

[١٢] سبق الأشارة إلى مراجعه.

[١٣] هو الرئيس أبو علي الحسين بن عبد اللّٰه ابن سينا الشفاء، قسم (٥) الطبيعيات،المعادن والآثار العلوية، ص ١٥-١٩؛ ولخص ابن سينا ء الشفاء في كتابه النجاة فذكر أسباب الزلازل ص ٢٥٣.

بخاري دخاني قوي الإندفاع كالريح كما يشق الخوابي إذا تولد في العصير، وإما جسم مائي سيال، وإما جسم هوائي، وإما جسم ناري، وإما جسم أرضي.

والجسم الناري لا يحدث تحت الأرض، وهو نار صرفة، بل يكون لا محالة في حكم الدخان القوي وفي حكم الريح المشتعلة.

والجسم الأرضي لا تعرض له الحركة أيضًا إلا لسبب مثل السبب الذي عرض لهذا الجسم الأرضي و فيكون السبب الأول الفاعل للزلزلة ذلك.

فأما الجسم الريحي ناريًا كان أو غير ناري فإنه يجب أن يكون هو المنبعث تحت الأرض، الموجب لتمويج الأرض في أكثر الأمر.

وأما الجسم الهوائي فإنه أيضًا وإن عرض له حركة من تلقاء نفسه لم تعرض له إلا أن يكون في حكم الريحي والبخاري والدخاني، وإن تحرك بحركة شيء آخر: مثل ماء يسيل إلى بعض الأغوار دفعة فحرك الهواء بقوة، ومثل إنهدام يقع من نقض أركان هوة ومغارة فيسقط أسفل سقوطًا يقلقل الهواء والأرض المتصلة به، كما يعرض للسطوح إذا سقطت على القرار الذي تحتها كان المبدأ حركة ماء أو أرض ويكون بتوسط هواء أيضًا.

فهذه هي الوجوه التي يمكن أن تعرض معها الزلزلة، إما بخار ريحي أو ناري قوي يتحرك فيحرك الأرض، وهذا هو الوجه الأكثر، إنه لا شيء أقوى على تحريك الأرض الحركة السريعة القوية التي للزلزلة من الريح، وإما مياه تسيل دفعة، وهذا رأي ديمقراطيس، وإما إنهدام بعض أركان القرار.

وربما كانت للزلازل أسباب فوق الأرض[١٤] كجبال يعرض لها أن تسقط قللها أو أجزاء كبيرة منها سقوطًا قويًا فتزلزل الأرض على ما كان يراه رجل يقال له أراكيماس، يرى وحده سبب الزلزلة إن لم تكن من قوة حركة الأرض عن سبب قوة، ما تستحق أن تسمى زلزلة، وكان هذا الرجل يقول إن الزلازل تعرض من ذلك في وقتي كثرة الأمطار وقلتها.

أما كثرة الأمطار فإنها توجب إنتفاع القلل والرعون وترطبها وذلك يؤدي إلى إنفصالها وسقوطها، وأما قلة الأمطار فلأنها توجب اليبس المفتت والتفتت مما يسهل تفرق الإتصال، وليس هذا المذهب بذلك السديد كله، فكثيرا ما تعرض زلازل في بلاد لم تندك في قربها قلل جبال ولا رعونها ولو كان كل زلزلة لذلك، لكان كل زلزلة تصير في آخرها أضعف.

ولما كانت زلزلة في بلد ليس به جبل أقوى كثيرًا منها – في بعض الأوقات – في البلاد الجبلية التي تصاقبه، وربما لم يشاهد في البلاد الجبلية المطيفة بتلك البقعة وشوهدت بتلك البقعة.

[١٤] قال فخر الدين الرازي في كتابه المباحث الشرقية، ج ٢/ ٢١٥ بقول مشابه لما كتب ابن سينا في هذا النص.

وأما انكساغورس فإنه ينسب العلة إلى الهواء، وذلك لأن عنده أن الأرض محمولة على الهواء يدعمها إنبساطًا عليها وأن الجنبة السافلة متخلخلة والتي نحن عليها متكاثفة الأمطار التي تعري وجهها فإذا نفذ الهواء في التخلخل الذي بتلك الجنبة، ثم لم يجد طريقًا إلى الإنفصال والصعود الطبيعي الذي له، وذلك من الجهة التي نحن عليها، زلزل الأرض. وبطلان هذا المذهب يتحقق أولًا: بالخطأ الواقع في هيئة الأرض، وسبب وقوفها. وثانيًا: فلما قال الزلازل إنما تكون في أوقات بعينها من الفصول، وهذه العلة موجودة في سائر الأوقات، وإقتصاره في تعليل كثافة وجه الأرض على الأمطار، عجز.

وقد تعرض مع الزلازل أحوال فربما كانت نافعة وربما كانت ضارة:

أما النافعة: فإن إتفق أن تشتمل تلك الرياح على مواد بخارية وتسوقها إلى جهة من الأرض أو تجذبها إليها مستتبعة، فتعينها على التفجير للأرض فتنفجر عيونًا.

وأما الضارة: فما يعرض من أن تكون المادة الريحية بهذه الصفة بل تكون يابسة مائلة إلى طبيعة النارية، فتشتمل نار عند الحركة القوية، فإن من شأن الحركة القوية أن تحيل الدخان والبخار والهواء نارًا، فكثيرًا ما تشتعل المنافخ والكيزان إذا ألح عليها بالنفخ نارًا؛ فإذا كان سبب الزلزلة قويًا جدًا، خسف الأرض بإندفاعه وخروجه، وربما خلص نارًا مُحرقة، وربما حدثت أصوات هائلة ودوي يدل على شدة الريح؛ فإن وجدت هذه الريح المصوتة منفذًا واسعًا بعد المنفذ الذي تصوت فيه حدث عن إندفاعها صوت ولم تزلزل.

ومن الدليل على أن أكثر أسباب الزلزلة هي الرياح المحتقنة أن البلاد التي تكثر فيها الزلزلة إذا حفرت فيها آبار وقنى كثيرة حتى كثرت مخالص الرياح والأبخرة، قلت الزلازل بها، وأكثر ما تكون الزلازل إنما تكون عند فقدان الرياح، لأن مواد الرياح يعرض لها الإحتباس، وفي مثل هذه الحال كثيرًا ما ترى في الجو سحب مستطيلة، إستطالة توجبها الرياح المختلفة إذا تهابت وغلبت منها واحدًا فإمتد وحبس المغلوب في قعر الأرض، وفي أكثر الأوقات قد يتبع سكون الزلزلة ريح تهب لأن السبب ينفصل ويخرج إلى خارج، وكثيرا ما يكون وقت الزلازل غمامات راكدة في الجو ويكون الجو ضبابيا وذلك لفقدان الريح في ذلك الوقت، وربما حدثت الزلزلة بعد إختلاف رياح متمانعة يمنع بعضها بعضًا عن الهبوب، وتمنع موادها عن التخلص والبروز من الأرض فتحقنها قسرًا في الأرض، وذلك يكون في الأكثر ليلًا لتحصين البرد وجه الأرض، وبالغدوات أيضًا وقد يكون في أنصاف النهار بسبب شدة جذب الحر للبخار مع تخفيف وجه الأرض وإعادة البرد إلى داخلها على سبيل التعاقب.

وأكثر ما تكون الزلزلة في بلاد متخلخلة غور الأرض متكاثفة وجهها، أو مغمورة الوجه بماء يجري، أو ماء غمر كثير لا يقدر الريح على خرقه وخصوصًا إذا كان متحركًا فإن المتحرك أشد ممانعة لأنه يسبق بحركته خرق الخارق إياه، بل أسباب كثرة الزلازل ثلاثة: أحدها هذا، الثاني: عظم الريح، والثالث: كثرة تولدها.

وقلما تكون الزلزلة في الشتاء، لشدة إجماد برده للبخار الدخاني فإن عرض دل على أن رطوبة ذلك الشتاء أشد من برودته، فيولد بيبسه وقلة برده بخارًا كثيرًا.

وقلما تعرض الزلزلة أيضًا في الصيف لشدة تحليله، فإن حدثت في الصيف دلت على أن السنة يابسة فيكسف وجه الإرض الأرض باليبس وتخصف مسامها فتحتبس فيها الرياح ولا تخرج حتى تجتمع لها مادة كثيرة تقوي على الزلازل وأكثر ما يكون، يكون ربيعًا وخريفًا.

والكسوفات ربما كانت سببًا للزلازل لفقدان الحرارة الكائنة عن الشعاع دفعة، ويعقب البرد الحاقن لرياح في تجاويف الأرض بالتخصيف بغتة، والبرد الذي يعرض دفعة يفعل من ذلك مالا يفعله العارض بالتدريج تأمل ذلك في الأبدان وجزئيات تجارب صناعة الطب وغيرها.

وقال ابن سينا[١٥] عن أنواع الزلازل: والزلازل تختلف في قوة أوائلها وأواخرها، فليس يمكن أن تجري على منهاج واحد، وإذا كانت حركات الرياح المحتقنة منها ما يكون على الإستقامة إلى فوق، ومنها مايكون مع ميل جهة لم تكن جهات الزلازل متفقة:

* بل كان من الزلازل رجفية، ما يتخيل معها أن الأرض تقذف إلى فوق
* ومنها ما تكون مائلة إلى القطرين كليهما، ويسمى القطقط
* وما كان منه مع ذهابه في العرض يذهب في الإرتفاع أيضًا، ويسمى سلميًا.

ولولا الموانع، لكانت حركاتها كلها رجفية لأن حركة الريح إلى فوق - والموانع هي فقدان التجاويف والتعاريج إلا في جهة - ولأن المنافذ التي تنفذ فيها الرياح الفاعلة للصوت عند الزلزلة مختلفة، فكذلك الأصوات الحادثة منها تسمع مختلفة، وكما أن البصر يستبق السمع فإنه إذا إتفق أن قرع إنسان من بعد جسمًا على جسم رأيت القرع قبل أن تسمع الصوت، لأن الأبصار ليس في زمان، الإستماع يحتاج فيه إلى أن يتأدى تموج الهواء الكائن إلى السمع وذلك في زمان، كذلك الصوت في الزلازل يسمع قبل الزلزلة وذلك لأن تموج الهواء أسرع من تموج الأرض الكثيفة.

ومن منافع الزلازل تفتيح مسام الأرض للعيون وإشعار قلوب فسقة العامة رعب اللّٰه تعالى.

وقال ابن سينا[١٦] في موضع آخر عن تحجر الحيوانات والنباتات فالسبب فيه: شدة قوة معدنية محجرة تحدث في بعض البقاع الحجرية أو تنفصل دفعة من الأرض في الزلازل والخسوف فتحجر ما تلقاه.

وقال ابن سينا[١٧] عن إنحسار البحار وتغير أماكن العمارة: ونحن نعلم بأقوى حدس أن ناحية الشمال كانت مغمورة بالماء حتى الجبال، والآن فإن البحار جنوبية، فالبحار متنقلة وليس يجب أن تكون إنتقالها

[١٥] الشفاء، ج ٥/ ١٩.
[١٦] الشفاء، ج ٥/ ٥.
[١٧] الشفاء، ج ٥/ ٧٦، ٧٧.

محدودًا، بل يجوز فيه وجوه كثيرة، بعضها يؤذن بإنتقال العمارة، فيشبه أن تكون في العالم قيامات تتوالى في سنين تضبط تواريخها؛ وليس يستنكر أن تفسد الحيوانات والنباتات أو أجناس منها ثم تحدث بالتولد دون التوالد، وذلك لأنه لا برهان ألبتة على إمتناع وجود الأشياء وحدوثها بعد إنقراضها على سبيل التولد دون التوالد.

وقال ابن سينا[١٨] عن التولد: وأنت إذا تأملت الصناعات وجدتها مخترعة عن روية النفس، أو إلهام اللّٰه، إنها لا يكون مبدؤها إلا روية شخص أو إلهام شخص فإن الكلي متوهم لا وجود له، وما مبدؤه جزئي حادث فهو حادث بعد ما لم يكن أصلًا فكل صناعة حادثة ويدل على حدوثها تزايدها كل وقت ويدل حدوثها على أن الناس منشأون بعد انقراض.

قال ابن سينا[١٩] عن الزلازل النافعة: أما النافعة فإن إتفق أن تشتمل تلك الرياح على مواد بخارية وتسوقها إلى جهة من الأرض أوتجذبها إليها مستتبعة، فتعينها على التفجير للأرض فتنفجر عيونًا. وقال[٢٠] أيضًا ومن منافع الزلازل تفتيح مسام الأرض للعيون وإشعار قلوب فسقة العامة رعب اللّٰه تعالى.

قال البيروني[٢١] (توفى ٤٤٠ هـ/ ١٠٤٩-١٠٥٠ م) عن خلق العالم وكيف تطورت المخلوقات: وأقول الآن إنّا وإن توصلنا بالدلائل العقلية أو القياسات المنطقية الصحيحة إلى معرفة حدث العالم، وإن لأجزاء مدته المعدودة الخارجة إلى الفعل والوجود إبتداء من أولها، فإنا لا نعلم بها أو بأمثالها كمية تلك الأجزاء حتى نتمكن بها من معرفة تأريخ خلق، وذلك أن القياس الذي هذا تركيبه وتأليفه: الجسم لا ينفك من حوادث تتعاقب عليه وكل ما لا ينفك من حوادث فهو مثلها؛ فالجسم إذن محدث غير أزلي، قد أنتج في الشكل الأول حدثًا لجسم، فليس يمكن أن يكون تعاقب الحوادث غير متناه لأنه يوجب أزلية الزمان، أعني الأدوار موجودة موعودة قابلة للإزدياد وكل موجود معدود فمبتدئ من الواحد ومنته إلى حد من العدد محدود فالزمان إذن آخذ من مبدأ ومتناه عند آن مفروض.

فأما معرفة أجزائه الخارجة إلى الفعل، أعني السنين والشهور والأيام الماضية وكميتها فلا مساغ للعقول بالقياس إلى إدراكه بوجه من الوجوه، ولقد يمكن أن يتقدم مبدأ الزمان وخلق كل آن من آنات الزمان نفرضه بلحظة، كما يمكن أن يتقدمه بآلاف ألوف سنة بعد أن تكون معدودة محدودة تتعلق بالوجود، والمرجع في هذا إلى السمع الصادق، وأما كتاب اللّٰه عز وجل والآثار الصحيحة فلم تنطق بشيء بذلك البتة.

١٨ الشفاء، ج ٥/ ٧٩.
١٩ الشفاء، (الطبيعيات) القسم الخامس، ص ٦١.
٢٠ المرجع السابق، ص ٩١.
٢١ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن، ص ٣٨-٤٢.

ويتكلم البيروني[٢٢] عن الربط بين النظر والتفكير في خلق السموات والأرض وعلم المسالك والممالك فيقول: وهذا النظر هو الذي إرتضاه اللّٰه تعالى من عقلاء عباده، قال وقوله الحق المنير ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَـٰوَاتِ والْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَـٰطِلًا﴾[٢٣] وهذه الآية الشريفة قد اشتملت على جوامع ما فصلت، وإلى يستعملها الإنسان حق استعماله قد أتى على جل العلوم والمعارف، فأما إذا أخذها تقليدًا وحكاية، وإما أن حققها علمًا ودراية؛ وشتان بين محقق ومقلد و ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُواْ الْأَلْبَابِ﴾[٢٤]. فأما العلوم بعد أن كان الإنسان مطبوعًا على قبولها فقد إضطره إليها كونه في العالم مدة تصرفه فيه على قضايا التكليف، لأنه لكثرة حاجاته وقلة قناعته وتعريه عن آلات الدفاع مع وفور أعدائه لم يجد بدًا من التهدن مع أهل جنسه، قصدًا للترافد، وإشتغال كل واحد منهم بشغل يكفيه ويكفي غيره.

قال البيروني[٢٥]: وقد كان جمعني وأحد أدباء اللغة مجلس جري فيه ذكر كتاب المسالك والممالك فأفرط الأديب المذكور من الوضع عنه، حتى كاد يخرجه من جملة المعارف وإعتمد في كلامه على حديث المنفعة وأن لا طائل للإحاطة بكمية المسافات بين الممالك فتعجبت منه ولا عجب فالشهوات مختلفة والإرادات متباينة، وليس فيها على قيل خصومة إلا أن تقيدها بشخص دون آخر أحسن من إطلاقها.

وقال البيروني[٢٦]: وأقول الآن إنا وإن توصلنا بالدلائل العقلية والقياسات المنطقية الصحيحة، إلى معرفة حدث العالم، وأن لأجزاء مدته المعدودة الخارجة إلى الفعل والوجود إبتداء من أولها، فإنا لا نعلم بها أو بأمثالها كمية تلك الأجزاء، حتى نتمكن بها من معرفة تأريخ خلق العالم.

وقال البيروني[٢٧]: عن نظرية الخلق وتطور الحياة عند رجال الدين، وأما أهل الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم من الصابئين والمجوس فهم متفقون على التأريخ بالإنسان الأول ثم مختلفون في كميته إختلافًا كثيرًا. فأما خلق العالم فلم يتعرضوا له إلا بسبب ما إفتتحت به التوراة مما معناه أن يكون بألفاظه «في البدء خلق اللّٰه ذات السماء وذات الأرض، وكانت الأرض خربة وريح اللّٰه تهب على وجه الماء»[٢٨] فزعموا أن ذلك هو أول يوم من أيام أسبوع خلق العالم وتلك مدة غير مكيلة باليوم والليلة، فإن علتها هي الشمس وطلوعها وغروبها وهي مع القمر مخلوقان يوم أربعاء ذلك الأسبوع، وكيف يتوهم

٢٢ المرجع السابق، ص ٢٤، ٢٥.
٢٣ سورة آل عمران: آية ١٩١.
٢٤ سورة الزمر: آية ٩.
٢٥ المرجع السابق، ص ٣٠.
٢٦ المرجع السابق، ص ٣٨.
٢٧ تحديد نهايات الأماكن، ص ٤٢.
٢٨ سفر التكوين، الأصحاح الأول.

في تلك الأيام أنها كالتي نعدها الآن والتنزيل ينطق بأن ﴿يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[٢٩]، وفي موضع آخر ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٣٠] فقد علم أن تلك المدة غير مقدرة بما نقدرها وأنه لا سبيل إلى تحقيقها من لدن أول الخليقة.والتوراة وإن نطقت بكون الإنسان الأول يوم جمعة ذلك الأسبوع المقصور على الخليقة، فقد حكى اللّٰه تعالى من الملائكة قولهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[٣١].

ولا نعلم من أحوالها إلا ما يشاهد من الآثار التي تحتاج في حصولها إلى مدد طويلة وإن تناهت في الطرفين، كالجبال الشامخة المتركبة من الرضراض الملس، المختلفة الألوان المؤتلفة بالطين والرمل المتحجرين عليها، فإن من تأمل الأمر من جهة وأتاه من بابه علم أن الرضراض والحصى هي حجارة تتكسر من الجبال بالإنصداع والإنصدام، ثم يكسر عليها جري الماء وهبوب الرياح ويدوم احتكاكها فتبلى، ويأخذ البلى فيها من جهة زواياها وحروفها، حتى يذهب بها فيدملكها وإن الفتات التي تتميز عنها هي الرمال ثم التراب؛ وأن ذلك الرضراض لما إجتمع في مسايل الأودية حتى إنكبست بها، وتخللها الرمال والتراب فإنعجنت بها وإندفنت فيها وعلتها السيول، فصارت في القرارالعميق، بعد أن كانت من وجه الأرض فوق، تحجرت بالبرد، لأن تحجر أكثر الجبال في الأعماق بالبرد إنحل بالحر، وما إنعقد بالحر إنحل بالبرد؛ وإذا وجدنا جبلًا متجبلًا من هذه الحجارات الملس وما أكثره فيما بينها علمنا أن تكونه على ما وصفناه، وأنه تردد سافلًا مرة وعليًا وعاليًا أخرى، وكل تلك الأحوال بالضرورة ذوات أزمان مديدة غير مضبوطة الكمية و وتحت تغايير غير معلومة الكيفية، ولها تتناوب العمارة على بقاع الأرض، فإن أجزاءها إذا إنتقلت من موضع إلى آخر إنتقل معها ثقلها، فإختلفت على جوانبها ولم تكن الأرض لتستقر إلا أن يكون مركز ثقلها مركز العالم، فلزمها أن تسوي هذا الإختلاف، ولزم منه أن يكون مركز ثقلها[٣٢] مختلفًا على إختلاف على وضع الأجزاء المنتقلة منها؛ فلم تكن لتثبت أبعاد البقاع عن المركز على مرور الزمان عليها على مقدار واحد فإذا علت أو أفرط تكابس ما حولها نقصت المياه وغارت العيون وعمقت الأودية وتعذرت العمارة، فإنتقل أهلها إلى غيرها ونسب ذلك الخراب إلى الهرم، وعمارة الخراب إلى النشوء والشباب، ولأجله تصرد جروم وتجرم صرود.

[٢٩] سورة الحج: آية ٤٧.

[٣٠] سورة المعارج: آية ٤.

[٣١] سورة البقرة: آية ٣٠.

[٣٢] في الأصل المخطوط تحت هذه الكلمة (يعني يجعلها كرة أو قريبة منها).

وقد ذكر ابوالعباس الإيرانشهري[٣٣] أنه شاهد بقلعة تعرف بالبيضاء، على فرسخ من السيرجان[٣٤] من مدن كرمان أصول نخيل قد كانت بها فصرد الموضع وذهبت نخيله وجفت ولم يكن في ذلك الوقت حوله بعشرين فرسخًا نخيل وزاد الأمر بيانًا أنه لما علا الموضع غار حواليه قني وأنهار كانت تجري من قبل؛ وعلى مثله ينتقل البحر إلى البر والبر إلى البحر في أزمنة إن كانت قبل كون الناس في العالم فغير معلومة، وإن كانت بعده فغير محفوظه لأن الأخبار تنقطع إذا طال عليها الأمد وخاصة في الأشياء الكائنة جزءًا بعد جزء وبحيث لا يفطن لها إلا الخواص.

قال البيروني: ونحن نجد مثل هذه الحجارة التي يتوسطها آذان السمك في المفازة الرملية التي بين جرجان وخوارزم فقد كانت كالبحيرة فيما مضى لأن مجرى جيحون أعني نهربلخ، كان عليها إلى بحر الخزر على بلد معروف ببلخان[٣٥] وهكذا يذكر بطليموس في كتاب جاوغرافيا أنه إلى بحر أرقانيا أي جرجان، وبيننا الآن وبين بطليموس قريب من ثمان مائة سنة، وقد كان جيحون حينئذ يخترق هذا الموضع التي هي الآن مفازة من موضع هو بين زم[٣٦] وبين آمويه[٣٧] فيعمر البلاد والقرى التي بها لدن بلخان وينصب إلى البحر بين جرجان والخزر[٣٨] فإتفق له من الإنسداد ما مال له ماؤه إلى نواحي أرض الغزية[٣٩] وإعترض له جبل يعرف الآن بفم الأسد، وعند أهل خوارزم بسكر الشيطان فإجتمع وطما بحيث آثار تلاطم الأمواج باقية على علاوته، فلما جاوز حد الثقل والإعتماد على تلك الأحجار المتخلخلة خرقها وإخترقها قريبًا من مرحلة، ثم مال يمنة نحو فاراب على مجرى يعرف بالفحمي فعمر الناس على شطيه أكثر من ثلاثمائة مدينة وقرية باقية الأطلال إلى الآن.

فهذه بادية العرب، وقد كانت بحرًا فإنكبس، حق أن آثار ذلك ظاهرة عند حفر الآبار والحياض بها، فإنها تبدي أطباقًا من تراب ورمل ورضراض، ثم يوجد فيها من الخزف والزجاج والعظام ما يمتنع أن يحمل على دفن قاصد إياها هناك، بل يخرج منها أحجار إذا كسرت كانت مشتملة على أصداف وودع وما

٣٣ لم يعثر المحقق على ترجمة لهذا الشخص.

٣٤ السيرجان (الشيرجان) أكبر مدينة في العصور الوسطى بمنطقة كرمان في الجنوب الغربي من إيران.

٣٥ قال المحقق: كان هذا البلد في القرون الوسطى قريبًا من الشاطئ الشرقي لبحر قزوين عند مدينة كراسنوفودسك المعاصرة.

٣٦ هذه المدينة كانت على شاطئ جيحون مكان بلدة كركي المعاصرة.

٣٧ كانت هذه المدينة على شاطئ جيحون مكان مدينة جارجو المعاصرة.

٣٨ الخزر قوم كانوا يسكنون على الشاطئ الشمالي لبحر قزوين في دلتا نهر الفولجا إلى النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي وانتقلوا بعد إلى الشاطئ الغربي الشمالي لهذا البحر وإلى وادي نهر؛ «دون».

٣٩ سكن الأتراك الغزية في القرن العاشر الميلادي على أراضي المناطق الواسعة في كازخستان الغربي وحول بحيرة آرال (بحر خوارزم) ما عدا شاطئه الجنوبي.

يسمى آذان السمك، إما باقية فيها على حالها، وإما بالية قد تلاشت وبقى مكانها خلاء متشكلًا بشكلها كما يوجد مثله بباب الأبواب[٤٠] على ساحل بحر الخزر[٤١] ثم لا يذكر لذلك وقت معلوم ولا تأريخ البتة.

فإن العرب قاطنوه منذ أولهم يقطان[٤٢]، على أنه يمكن أن يكون سكناهم جبال اليمن وقت كون البادية بحرا، فهم العرب العاربة الأقدمون ولهم كانت العمارة بها من شاذوران[٤٣] بين جبلين يرتفع عليه الماء إلي قلتيها، ويعمد جنتين عن يمين وشمال إلى أن غال عليه سيل العرم، فسفل الماء وبطلت العمارة، وأبدلت بالجنتين أخريين ﴿ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ[٤٤] وأَثْلٍ[٤٥] وَشَيْءٍ مِن سِدْرٍ[٤٦] قَلِيلٍ﴾[٤٧]. وعرض لذلك المجرى بعد برهة ما عرض للأول فإنسد ومال الماء ذات اليسار إلى أرض البجانكية[٤٨] في مجرى يعرف بوادي مردبست[٤٩] في المفازة التي بين خوارزم وجرجان فعمر بقايا كثيرة وخرب أيضًا، فإنتقل سكانها إلى ساحل بحر الخزر وهم جنس اللان والآس ولغتهم متركبة من الخوارزمية والبجناكية.

قال البيروني[٥٠]: ونقل ابن العميد[٥١] - في كتابه في بناء المدن - أن زلزلة كانت بالرويان منذ زمان ليس بالكثير وهدث جبلين حتى تصادما ومنعا الأودية التي كانت تسيل بينهما بالإنسداد، فتراجع الماء وصارت بحيرة، وهكذا الماء إذا لم يجد منفذًا، كبحيرة زغر الميتة المجتمع من ماء الأردن (يعني البحر الميت)

قال البيروني[٥٢]: وهذه أرض مصر قد كان النيل ينبسط عليها كما ذكر أرسطوطاليس في كتاب الآثار العلوية فيطبقها كأنها بحر، فلم يزل ينضب عنها وييبس ما علا منها أولًا فأولًا ويُسكن إلى أن إمتلأت بالمدن

٤٠ هذه المدينة على الشاطئ الغربي لبحر قزوين وهي مدينة دربند حاليًا.

٤١ أي بحر قزوين.

٤٢ هو ابن قحطان وقد اعتبره المؤرخون من العرب القدماء أبًا للقبائل اليمنية.

٤٣ كلمة فارسية معناها هنا سد.

٤٤ كل نبات طعمه مر.

٤٥ هو شجر الطرفاء.

٤٦ شجرة النبق.

٤٧ سورة سبأ: آية ١٦.

٤٨ قال محقق التحديد: البجناك، قوم سكنوا الأراضي الواقعة بين الشاطئ الغربي الشمالي لبحيرة آرال ونهر أورال وفي القرن العاشر الميلادي إنتقل اكثرهم نحو الغرب إلى أوكرانيا المعاصرة وبقى جزء منهم بقرب بحيرة آرال واختلط مع الأتراك الغزية.

٤٩ قال محقق التحديد: هو الوادي اليابس المسمى حاليًا أوزبوي.

٥٠ تحديد نهايات الأماكن، ص ٤٩، ٤٨.

٥١ هو أبو الفضل محمد بن العميد الوزير الشهير. انظر ترجمته في،
Biruni, *Picture of the World*, ed. by Ahmed Walidi Toghan, *Archaeological Survey of India Memoirs*, No. 53, New Delhi, 1941.

٥٢ تحديد نهايات الأماكن، ص ٤٩، ٥٠.

والناس، وإن جهلوا الآن مبدأ العمارة وقد كانت أرض مصرتسمى في القديم ثيبا بإسم مدينة من مدائنها العليا التي سكنت أولًا، وهي غير مدينتها العظمى الآن المسماة ممفياس وهي منف، وأميروس الشاعر وهو محدث بالقياس إلى أوائل مصر يسميها في شعره ثيبا. وحين كان أرض مصر بحرًا، حرص ملوك الفرس في بعض إستيلائهم على مصر على أن يحفروا من القلزم إليهما ويرفعوا البرزخ عما بين البحرين، حتى يمكن المركب أن يسير من البحر المحيط في المغرب إليه بالمشرق كل ذلك ارتفاقًا وطلب تعميم المصلحة؛ وكان أولهم سبسطراطس الملك ثم داريوش، وحفروا مسافة مديدة هي باقية الآن يدخلها ماء القلزم بالمد ويخرج بالجزر، فلما قاسوا مقدار إرتفاع ماء القلزم أمسكوا عما راموه خوفًا من أن يُفسد القلزم نهر مصر لإشرافه عليه ثم تممه بطليموس على يد أرشميدس بحيث حصل الغرض بلا ضرر، وطمه بعد ذلك أحد ملوك الروم منعا للفرس من ورود مصر.

وقال البيروني[٥٣]: وهذه المفازة المعروفة بكركس كوه[٥٤] بين فارس[٥٥] وسجستان[٥٦] وخراسان[٥٧] مليئة من أطلال العمارات المندرسة ويسميها بطليموس قرمانيا الخربة أي كرمان الخربة؛ ويذكر الفرس أنها كانت أعمر البلاد بماء يجتمع إليها من قريب ألف عين عظام نابعة من حوالي سجستان وأن فراسياب التركي غورها، فإنقطع الماء عن تلك البلاد وخربت وسالت بقية تلك المياه إلى بحيرة زره ولم تكن قبل ذلك.

وتعاين ببقاع الشام وغير ذلك من البراري العديمة الماء والنبات والحيوان آثار عادية تنطق ضرورة بأنها كانت آهلة وأن ذلك غير ممكن إلا بماء كان لها ثم إنقطع عنها كما ترى آثار العمارات في بطائح البصرة، وقد كانت دجلة تجري على غير البطائح، ثم إنبثقت إلى هذه المواضع فغرقتها.

وذكر ابوالعباس الإيرانشهري أنه حفر برستاق بُشْت من حدود نيسابور قناة، فوجد على نيف وخمسين ذراعًا أصول ثلاثة أشجار من سرو قد نشرت بالمنشار؛ ومعلوم أن الزمان بين كون مقطعها على وجه الأرض وبين إنكباس ما فوقه بالمقدار المذكور غير مضبوط لطوله على النقل؛ ثم لا يتعجب من بقاء الخشب فيه فإنه إذا أبعد عن الوضع الذي يكثر قبوله للحر والبرد الدائرين في السنة كان أطول بقاء.

وهذه خشبة جرجان وهي تخرج كل سنة من منبع ماء خروجًا يثبت بها أصلها، ويدورعلى حافة العين رأسها؛ ولأهل جرجان فيها خرافات وتعظيم لأمرها وليست إلا شجرة سرو، قد زلزلت أرضها فإنشقت ووقعت الشجرة في الشق، ثم إنضمت الأرض عليها وصار الشق منبع الماء لا يستقل برفع الشجرة وقد عفنت أغصانها وسقطت، فإذا إزدادت المواد في الربيع إستقل الماء حينئذ برفعها فبرزت، وقد بقى من

٥٣ تحديد نهايات الأماكن، ص ٥١.

٥٤ اسمها في معجم البلدان كركسكوه، وهي المفازة التي تتاخم الري وقم وكاشان، ياقوت، ج ٤/ ٢٩٢.

٥٥ منطقة في إيران على الشاطئ الغربي لخليج فارس.

٥٦ منطقة في شرق إيران وغرب أفغانستان.

٥٧ كانت هذه المنطقة في القرون الوسطى تشمل الشمال الشرقي من إيران وشمال أفغانستان وجنوب تركمانية.

عروقها ما يحول بينها وبين البروز من أصل المنبع كلها، وهو على ما ذكر من غاص فيه ولمسه كرأس تنور، فيبقى أيام المد وإذا عاد الماء إلى مقداره رجعت الخشبة إلى قراره وليس في أهل تلك البقاع من يحصل لحديثها على أول. فقد علم أن العمارة متنقلة بسبب إنتقال الماء لأنها تابعة إياه.

ومن فوائد الزلازل: ظهورطبقات حاملة للمعادن فقال البيروني[٥٨] في باب البذخش: ومعادنه على مسيرة ثلاثة أيام من بذخشان، وليس ببذخشان منه بشيء، ولكنه ينسب إليه لأن ممر حامله عليه وفيه يجلى ويسوى فبذخشان له باب ينتشر منه في البلاد، وذكروا أول ظهور هذا الجوهر بأن الجبل هناك إنشق وتقطع بزلزلة أرجفت الأرض حتى تساقطت الصخور العظام وإنقلب الموضع عاليه سافلًا وظهر اللعل منه ورأته النساء وظنته صابغًا للثياب، وسحقته فلم تلون منه شيئًا، وأرينه رجالهن وإنتشر الحديث به، وشعر أصحاب المعادن بأمره فإستنبطوه بالحفر.

وقال الشهرستاني[٥٩] (توفى ٥٤٨ هـ/ ١١٥٣ ١١٥٤ م) ولقد قاربت الصابئة في قولهم من قدماء المصريين فقالوا: الروحانيات لهم قوة تصريف الأجسام وتقليب الأجرام والقوة التي لهم ليست من جنس القوى المزاجية حتى يكون لها كلال ولغوب فتخسر، ولكن القوى الروحانية بالخواص الجسمانية أشبه، وإنك لترى الخامة اللطيفة من النبات في بدء نموها تفتق الحجر وتشق الصخر، وما ذاك لقوة مزاجية لما بلغت إلى هذا المنتهى، فالروحنيات هي التي تتصرف في الأجسام تقليبًا وتصريفًا، لا يثقلهم حمل الثقيل ولا يستخفهم تحريك الخفيف، فالرياح تهب بتحريكها والسحاب يعرض ويزول بتصريفها، وكذلك الزلازل تقع في الجبال بسبب من جهتها. وكل هذه وإن إستندت إلى أسباب جزئية، فإنها تستند في الآخرة إلى أسباب من جهتها ومثل هذه القوة عديم الوجود في الجسمانيات.

وورد قول السهروردي[٦٠] (توفى ٥٨٧ هـ/ ١١٩١-١١٩٢ م) عن الزلازل في كلامه عن النبوة: وإعلم أن الشرط الأول في النبوة أن يكون مأمورًا من السماء بإصلاح النوع وستعرف كيفية هذا الأمر ومما يتعلق برتبتهم حصول العلوم أكثرها من غيرتعلم بشري، وقد عرفت مراتب الحدس وإمكانه وشدة الإتصال بالعقل الفعال، وأيضًا طاعة هيولي العالم لهم بما أرادوا من الزلازل والخسف والتحريكات والتسكينات.

وقال السهروردي[٦١] في سبب أفعال خارقة للعادة: إنه قد يشاهد من الأنبياء والمجردين إلى ربهم أعمال خارقة للعادة كحصول طوفانات باستدعائهم وزلازل واستنزال عقوبات واستهلاك أمّة فَجَرَت ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾[٦٢] واستشفاء المرضى واستسقاء العطشى وغيره وخضوع عجم الحيوانات لهم.

٥٨ الجماهر، ص ٨٢، ٨٣.

٥٩ هو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، القسم الثاني، ص ٧٠٣، ٧٠٤.

٦٠ هو شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي، مجموعة في الحكمة الإلهية، ص ٦٥.

٦١ المرجع السابق، ص ٦٧.

٦٢ سورة الطلاق: آية ٨.

فاعلم أن النفس غير منطبقة في البدن وقد خضعها البدن وعلمت تأثير الأوهام حتى أن الماشي على عالي حائط شديد الإرتفاع قليل العرض لا يزال وهمه يواعده بالسقوط حتى أنه ربما يتزلزل من تخويفه وإنفعاله عن تصوره فينحدر ساقطًا، والأمزجة تتأثر عن الأوهام إما بأوهام عامية أو بأوهام شديدة التأثير في بدأ الفطرة، أو مدرجة بالتعويد والرياضات على ذلك. وإذا كان كذا فلا عجب أن يكون لبعض النفوس قوة إلهية تكون بقوتها كأنها نفس العالم، يطيعها العنصر طاعة بدنها لها ولاسيما وقد علمت أن جميع العنصريات وجميع الأجرام مطيعة للمجردات.

فإذا النفس في التجريد والتشبيه بالمبادئ ازدادت قوة وإذا كان لها التأثير بكثير من الغرائب، وعلمت أنه ليس من شرط كل مسخن أن يكون حارًا وكذا نحوه، وأيضًا قد يحركون أجسامًا يعجز عن تحريكها النوع، ونعلم أنّا إذا كنا على طرب وهزة نعمل ما نتقاصر عن عُشره حين زالت عنّا، فما ظنّك بنفس طربت بإستهزاز علوي، واستضاءت بنور ربّها، فحركت ما عجز عنه النوع، وقد اتصلت ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾[٦٣] ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[٦٤].

وربط السهروردي[٦٥] بين الأحوال الفلكية والنفوس الأرضية فقال: فإذا علمت تأثير النفوس الإلهية والأوهام أيضًا فمن جملتها العين، والمبدأ فيه هيئة نفسانية معجبة تؤثر في فساد المتعجب عنه بخاصية، والسحر أيضًا من تأثير النفوس والأوهام إلا أنها شريرة تستعمل في الشر، ومن موجبات خوارق العادات النيرنجات وهي الخواص كجذب المغناطيس للحديد، والطلسمات وهي أمزجة أرضية مخصوصة بهيئات وضعية أو قوى نفوس أرضية مخصوصة بأحوال فلكية أو إنفعالية بينها وبين قوى سماوية مناسبة توجب آثارًا غريبة، ويقرب من هذه الأشياء التباخير المقوية للنفس المطربة. وأجابت الحنفاء[٦٦] وقالوا: ومنا يقتبس تفصيل القوى وتجنيسها فإن القوى تنقسم إلى قوى معدنية، وقوى نباتية، وقوى حيوانية، وقوى انسانية، وقوى فلكية، وقوى روحانية، وقوى نبوية ربانية فالإنسان مجمع للقوى بجملتها، والإنسانية النبوية تفضلها بقوى ربانية ومعاني إلهية.

٦٣ سورة التكوير: آية ٢٣.

٦٤ سورة التكوير: آية ٢٠، ٢١.

٦٥ المرجع السابق، ص ٦٩.

٦٦ السهروردي، المرجع السابق، ٧٠٤، ٧٠٥.

وقال ابن رشد[٦٧] (توفى ٥٩٥ هـ/ ١١٩٨-١١٩٩ م): في كتابه تلخيص كتب أرسطاطاليس في الحكمة[٦٨] وهو يذكر المقالة الثانية لأرسطاطاليس: هذه المقالة يفحص فيها عن البحر ماذا هو، ويعطي السبب في ملوحته وبين أنه أزلي بالنوع وكائن فاسد بالحر، ثم يبحث فيها عن الرياح وعن الأجزاء المعمورة من الأرض أي ما هي، وعن الزلازل والبروق والرعود والصواعق ويؤتي أسباب جميع هذا وعلله.

يقول ابن رشد[٦٩] عن تطور الأرض والحوادث والفساد الذي يطرأ عليها: فأما السبب في أن كانت بعض أجزاء الأرض تصير بحرًا بعد أن كانت برًا، وبرًا بعد أن كانت بحرًا فنحن نوفي سبب ذلك فنقول: إنه من اللازم عن القول إن ها هنا مواضع صارت برًا بعد أن كانت بحرًا، وبحرًا بعد كانت برًا، إذ كان قد تبين فساد الإسطقسات بالأجزاء فإنه ليس يمكن أن يكون فيها جزء غير فاسد وأيضًا فقد يظهر ذلك بالحس مما يوجد في قيعان الأرض والغيطان من الصدف وغير ذلك من الأشياء التي لا توجد إلا في البحار كما يقال إن ذلك موجود كثيرًا في أرض مصر.

وأما السبب في أن لا يؤرخ مثل هذه في الحوادث حتى يصل إلينا فهو كما يقول أرسطو طول الدهر والأعصار، وإن مثل هذه الحوادث لا تظهر إلا في آلاف من السنين، فيعرض لذلك أن تختلف الألسنة والخطوط فيدرس ما يكتب من ذلك وإن بقى فليس يوجد من يقرأه كالخط الذي يوجد اليوم في هرمي مصر، وأيضًا فقد هلك جميع القوم الذين عاينوا ذلك واتصل بهم ذلك الحادث، وذلك إما من الطوفانات التي تحدث في العالم أو من الهواء الوبائي أو من الحروب وبالجملة مما يرد من خارج.

ويستطرد ابن رشد[٧٠] لاحقًا: فلنقل فيما بقى علينا من هذه المقالة وهو القول في الزلازل والرعود والبروق والصواعق فنقول: أما سبب الزلازل فهو ظاهر مما تقدم وذلك إنه قد بُين أن البخار المتولد في الأرض صنفان أحدهما الرطب، والآخر اليابس الدخاني، أما الرطب: فيكون منه إذا علا فوق الأرض الأمطار وسائر ما عددناه، وأما الدخاني: فإنه أيضًا إذا علا فوق الأرض كانت منه الرياح وسائر الآثار التي عددناها، وأما إذا بطن مثلًا هذا البخار الذي منه الرياح في جوف الأرض وتحرك هناك فبإضطرار لا يكون سبب الزلزلة شيئًا سواه كما أنه ليس سبب إختلاج أبدان الحيوان شيئًا غير البخار المتحرك فيها. ويشبه أن يكون من المعلومات الأول ضرورة نسبة هذا السبب إلى هذا الوجود في هذا وفي كثير من هذه الأشياء والآثار.

٦٧ تلخيص كتب أرسطاطاليس في الحكمة (مخطوط بدار الكتب المصرية)، ورقة ١٤١ ظ، ١٤٢ و، ١٤٣و، ومخطوط المكتبة الوطنية بمدريد .B.N ورقة ٥٧ و، صدر كتاب الآثار العلوية، تحقيق د. سهير أبو وافية ود. سعاد عبد الرازق، مجموعة المكتبة العربية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٤ م، ص ٩٢، ص ١٣.

٦٨ مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٥ حكمة وفلسفة، ورقة ١٣٠ و، المصدر السابق الآثار العلوية، مجموعة المكتبة العربية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٤، ص ٩٢، ص ١٣.

٦٩ المرجع السابق، ورقة ١٣١.

٧٠ المصدر الآثار العلوية المحقق، القاهرة ١٩٩٤، ص ٣٤، ٤٤.

و قد يمكن أن يوقف على ذلك بدلائل:

منها أن مثل هذه الحركة الشديدة المزعجة إنما توجد للريح إذا كانت هي التي تصيِّر تلك واحد من الإسطقسات إلى الحركة السريعة كالغليان والإلتهاب في النار والتموج في الماء، وفي قياس هذه الأرض.

ومنها أنها توجد على الأكثر في الأوقات التي تتولد فيها الرياح وذلك في زمان الخريف والربيع وتعدم في الأوقات التي تعدم فيها الرياح وذلك في زمان الحر الشديد والبرد الشديد، وهذا كله يدل على أن السبب الفاعل لها وللرياح واحد.

ومنها أيضًا أن الدوي يُسمع كثيرًا مما يتقدم الزلزلة وقد حكى أرسطو إنه قد عرض في بعض البلاد الجزائر أن ربوة تلك الجزائر لم تزل تعلو حتى تصدعت وخرج منها ريح شديدة وأخرجت معها رمادًا كثيرًا وذلك إنه عر لتلك الأرض أنها احترقت.

ومنها أيضًا أن الدوي يسمع كثيرا مما يتقدم الزلزلة وقد حكى أرسطو إنه عرض في بعض البلاد الجزائر أن ربوة من تلك الجزائر لم تزل تعلو حتى تصدعت وخرج منها ريح شديدة وأخرجت معها رمادًا كثيرًا وذلك أنه عرض لتلك الأرض أنها إحترقت.

وقال ابن رشد تعليقًا على ما حكاه أرسطو في الزلازل وما يسبقها من دوي: ومن شاهد الزلزلة الحادثة بقرطبة وجهاتها عام ست وستين وخمسمائة للهجرة وقع له اليقين بذلك لكثرة ما عرض هنالك من الأصوات والدوي ولم أكن حاضرا حينئذ بقرطبة ولكني وصلت إليها بعد، فسمعت أصواتًا تتقدم حدوث الزلازل وشعر الناس أن ذلك الصوت يأتي من جهة المغرب. ورأيت الزلزلة تتولد عند نشوء الرياح الغربية كثيرًا، وتمادت هذه الزلازل بقرطبة نحو العام شدادًا ولم تنقطع إلا بعد ثلاثة أعوام أو نحوها وقتلت الزلزلة الأولى ناسًا كثيرًا بالهدم وزعموا أن الأرض إنشقت بقرب قرطبة بموضع يعرف بأندوجرة فخرج منها شبه رماد أو رمل ومن شاهدها وقع له اليقين بها وكانت شرقًا من قرطبة أشد مما كانت بقرطبة وكانت غربًا من قرطبة أخف مما كانت بقرطبة.

وقد يدل أيضًا على ذلك ما نرى في الهواء من الآثار المنذرة بحدوثها كالضباب والسحابة التي ذكروا أنها تظهر مستطيلة في الجو وهي بالجملة يكثر تولدها بجهتين إحداهما بذاتها والأخرى بالعَرَض، أما التي بذاتها: فعندما تكثر المادة المتولدة عنها وتوافي الأسباب الفاعلة لذلك، وأما التي بالعرض: فعندما يعرض للمسام التي بوجه الأرض أن تنسد وذلك إما من يبس أو رطوبة ولذلك يكثر عند توالي الأمطار.

وقال ابن رشد عن أصناف الزلازل: وأما أصنافها فتابع لأصناف حركة الريح وذلك أن فيها ما يمتد طولا فيكون تحريكها بحسب ذلك، ومنها ما يمتد طولًا وعرضًا وربما بلغ من شدة هذه الريح أن تقلب الأرض ويفيض ماء البحر كما حكى ذلك أرسطو.

والأرضون تختلف في كثرة الزلازل فيها وقلتها بحسب إستعدادها لأن يتولد فيها مثل هذا البخار، وبحسب أيضًا إنسداد مسامها، ولذلك أي أرض إجتمع لها الأمران جميعًا كانت في الزلازل دائمة، كالجزائر التي يتفق لها مع استعدادها لتولد هذا البخار الريحي أن يكون بقرب البحر حتى يمنع ماء البحر تلك الرياح من الخروج كما يقال في الموضع الذي يعرف في الأندلس بكنيسة الغراب فإنه يسمع منها دائما شبه الدوي الذي يتقدم الزلزلة فقد قلنا ما هي الزلازل ووفينا سببها.

وقال ابن رشد في رسائله الطبية[٧١]: قلت أبقراط يرى في الكتاب الذي يُسمى بكتاب النفخ أو غيره، أن لم يكن له أن النافض إنما يكون خاصة للهواء من بين الأسطقسات، وأنه الذي يحرك بشدة حركته الأرض من الماء في الزلازل والخسوف والطوفانات والرعود والبروق، وأن الذي يعرض في العالم الصغير هو شبيه بما يعرض في العالم الكبير.

وقال عبد اللطيف البغدادي[٧٢] (توفى ٥٢٩ هـ/ ١٢٣٧ م) عن منجمي مصر وأحكام النجوم: وذلك إنهم شاهدوا حوادث أرضية تقترن بنصبات فلكية وحركات علوية ورصدوا فألفوه يتكرر فنسبوا تلك الحوادث إلي تلك الهيئات والنصبات فصاروا متى عثروا في تسييرهم لحركات الأشخاص العلوية على تلك النصبة والهيئة حكموا بوقوع مثل تلك الحوادث.

وقال القزويني[٧٣] (توفي ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢ م) ونقل عنه ابن أيبك الدواداري[٧٤] (توفي بعد ٧٣٦ هـ/ ١٣٣٥ م): في ذكر ما جاء من القول في حدوث الزلزلة: قيل إنما يعرض للأرض من الزلزلة والخسف ما ذكروه المتفلسلفين من ذلك، فزعموا أن الأبخرة والأدخنة الكثيرة إذا اجتمعت وإحتبست تحت الأرض ولا يقاومها برودة حتى تصير ماءً، وتكون مادتها كثيرة لا تقبل التحليل بأدنى حرارة، ويكون وجه الأرض صلبًا لا يكون فيه منفذ للبخار، فإذا قصدت الصعود لا تجد لها منفسًا، فعند هيجانها تهتز منها الأرض التي إحتبس تحتها، وتجتمع تلك الأبخرة، فتضطرب الأرض، وترعد كما يرعد بدن المحموم عند شدة الحمى بسبب رطوبات عفنة احتبست في خلَل البدن، فتشتعل فيها الحرارة الغريزية، فتذيبها وتحللها وتصيرها بخارًا ودخانًا، فتخرج من مسام جلد البدن، فيهتز من ذلك البدن ويرعد، ولا يزال كذلك إلى أن تخرج تلك المواد فإذا خرجت سكن، وعلى هذا القياس حركات بقاع الأرض بالزلازل. وربما ينشق ظاهر الأرض ويخرج من ذلك الشق تلك المواد المحتبسة، واللّه عز وجلّ أعلم بحقائق الأمور.

٧١ تحقيق د. چورچ شحاته قنواتي وسعيد زايد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧، ص ٩٥٣.

٧٢ هو عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ت. ٦٢٩ هـ، مختصر أخبار مصر، ص ٢٠٤، ص ٢٠٦.

٧٣ هو أبو عبد اللّه زكريا بن محمد بن محمود القاضي وورد ما بالمتن من كتابه «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» تحقيق ڤستنفيلد، جوتنجن ١٨٤٩ م وطبعة أخرى بمطبعة المعاهد ١٩٦٨ م.

٧٤ هو أبو بكر بن عبد اللّه مؤلف «كنز الدرر وجامع الغرر»، انظر «الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر» تحقيق Hans Robert Roemer هانس روبرت رويمر، القاهرة ١٩٦٠ م، مصادر التاريخ الإسلامية ج ١/ ٩، من ص ١٠٤ : ص ١٠٦.

ومن كلامهم أيضًا في صيرورة السهل جبلًا والجبل سهلًا والبر بحرًا والبحر برًا ذكرت أصحاب هذا العلم: أن إذا إمترج الماء بالطين وكان في الطين لزوجة، وأثر فيه حرارة الشمس مدة طويلة صار حجرًا، كما أن النار تؤثر في الآجر وقد كان لبنًا فعاد بحرارة النار آجرًا نوعا من الحجر إلا أنه رخو؛ وكلما كان تأثير النار فيه أكثر كان أصلب وأشبه بالحجر، ثم زعموا أن تولد الجبال من اجتماع الماء والطين وتأثير الشمس؛ وأما سبب إرتفاعها وشموخها فجاز أن يكون بسبب الرياح: تنقل الرياح التراب من مكان إلى مكان، فتصير تلالًا ووهادًا، ثم تتحجر بالمثال المذكور أولًا.

وذكر صاحب علم المجسطي: أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة تنتقل أوجات الكواكب وتدور في البروج الإثنى عشر دورة واحدة، فإذا إنقلبت من الشمال إلى الجنوب تختلف مسامتات الكواكب ومطارح شعاعها على بقاع الأرض، فيختلف بها الليل والنهار والفصول الأربعة وتتغير الأرض، فيصير الخراب من الأرض عمرانًا، ويصير العمران منها خرابًا، والبراري بحارًا والبحار براري، والسهول جبالًا والجبال سهولًا. وأما صيرورة الجبال سهولًا: فإن الجبال من شدة إشراق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها بطول الأزمنة تنشف رطوبتها، وتزداد يبسًا وجفافًا، وتتكسر خاصة عند الصواعق فتصير صخورًا وحجارة ورمالًا؛ ثم إن السيول تحملها إلى بطون الآنهار والأودية المنخفضة وإلى البحار المجاورة.

وقد يكون لربط القدماء بين الرياح والـزلازل أثرًا في إعتقاد شيخ الربوة الدمشقي[٧٥] (توفى ٧٢٧ هـ/ ١٣٢٧ م) في قوة حمل الرياح للأشياء، فقال عن توليد الجبال والهضاب والرمال والكلام على كيفية تكوين ذلك: وقد يكون باستيلاء الرياح العاصفة على بعض أجزاء الأرض بالكشف والحفر إلى أن يصير ما غلبت عليه غورًا ومن صحة ذلك أنه في سنة تسع عشر وسبع مائة كان على الجبل الأقرع شجر زيتون كثير نيف على ثلاث مائة فحمله الريح إلى أرض بعيدة بترابه وكأنه لم يكن مخلوقًا إلا من تلك الأرض وكأنه لم يكن على الجبل شجر مزروع قط وفي تلك السنة أيضًا حملت الريح ديرًا يقال له دير سمعان قريب من تلك الأرض بحجارته ورهبانه وما كان في الدير من قمحهم وخزينهم وبقرهم ودوابهم وعددهم حتى كأنهم لم يكونوا ولم يعلم لهم خبر ولم يطلع لهم على أثر، وسطر بذلك محضر شرعي وطلعوا به إلى السلطان محمد بن قلاوون خلد اللّه سلطانه ورحم ملوك المسلمين أجمعين.

وقال شيخ الربوة الدمشقي[٧٦] عن أسباب الزلازل والبراكين: وأصحاب الكلام في الطبائع والمولدات يجعلون الماء أصل الزئبق والكبريت كما تقدم القول به ويزعمون في علة تكوين هذين المعدنين أن الأرض بجملتها كثيرة التخلخل والأهوية والمغارات والكهوف فكل هذه مملوءة من البخارات الكائنة عن تأثير الشمس في أعماق الأرض كتأثير القمر على مد البحر وجزره وتحليلها لأجزاء رطوبتها فإن كان البخار

٧٥ هو شمس الدين أبو عبد اللّه بن أبو طالب الأنصاري ت. ٧٢٧ هـ/ ١٣٢٧ م، نخبة الدهر، ص ٨٤.

٧٦ نخبة الدهر، ص ٥٧.

متغلغلًا في أعماقها وكان كثير التموج يكون الرجف والزلزلة؛ وأكثر ما تكون الزلازل بالبلاد الجبلية وتعظم وتشتد حتى أنها تصدع الجبال وتغور الأنهار وتهدم الحصون وتخرب الأسوار وتأتي بالهلاك على البشر فلا تبقي ولا تذر فإن كانت الأرض صماء لا منفس فيها، إضطرب ذلك البخار فيها طلبًا للخروج فيتفق في أعماقها فتوقا فإن كان مقاربا لسطحها صدعها وفتحها وذلك في الخسوف إن كان كثيفًا بقى يقلي في الأرض فإن كان جوهر تلك الأرض كبريتًا إستحال كل واحد منها إلى صاحبه نارًا فألهبها وظهر منها النار التي ترمي بالشرر ليلًا ونهارًا ويسمى بالبركان وهو موضع كثير من الأرض.

وقال شيخ الربوة[٧٧] في تكوين الجبال والهضاب والرمال: قال العلماء بذلك إن الجبال الصغار والتلال قد تكون من الزلازل الكائنة من الرياح المحقونة في الأرض المتموجة تحتها حيث ترفع بعضها وتخفض بعضًا. ومن صحة ذلك أنه في سنة ثلاثة وعشرين وسبع مائة كان المطر في الشام قليلا وقصرت ينابيع العيون أرسل اللّٰه عز وجل زلزلة في أيام الصيف فخرجت العيون وزادت الأنهار زيادة بقدر ما كانت ثلاث مرار وأربع مرار وهذا صحيح.

وقال العمري[٧٨] (توفى ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٩ م) في وصف الأرض: إعلم أن الأرض جسم بسيط قام البرهان على أن طبعها بارد يابس كما زعموا أنها متحركة إلى الوسط وزعموا أن شكل الأرض قريب من الكرة والقدر الخارج محدب وقال بعض المتكلمين إنها واقفة على الوسط على مقدار واحد من كل جانب والفلك يجذبها من كل وجه فلذلك لا تميل إلى ناحية من الفلك دون أخرى لأن قوة الأجزاء مكافئة مثال ذلك حجر المغناطيس وجذب الحديد فإن الفلك بالطبع مغناطيسيًا للأرض فهو يجذبها، فإذا كان كذلك فهي واقفة في الوسط كقنديل النصارى.

وقال عن الزلازل[٧٩]: فقد زعموا أن الأبخرة والأدخنة الكثيرة لا تجد المسام والمنافذ فتهتز منها بقاع الأرض وتضطرب كما يرتعد بدن المحموم من شدة الحمى بسبب رطوبات عتيقة إحتبست خلال أجزاء البدن فتشتعل بها الحرارة الغريزية فتذيبها وتحللها وتصيرها دخانًا وبخارًا فتخرج من مسام جلد الإنسان فيهتز من ذلك البدن ويرتعد ولا يزال كذلك إلى أن تخرج المواد كلها فإذا خرجت سكن البدن ويرجع إلى حال الصحة فهكذا حال حركات بقاع الأرض بالزلازل فربما ينشق وجه الأرض فيخرج من ذلك الشق المواد المختنقة المختبئة دفعة واحدة، وقد يكون خروجها ببلدة فتخسفها وذلك أن تكون تحت الأرض تجاويف فعند إنشقاق الأرض ينزل فيها الجبال والبلاد الظاهرة على وجه الأرض.

٧٧ نخبة الدهر، ص ٨٤.

٧٨ هو شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل اللّٰه، مسالك الأبصار - مخطوط برقم ٥٥٩ معارف عامة، دار الكتب المصرية من وقف الملك مؤيد شيخ ومصور من مكتبة كوبريلي زاده، ج ١٤ / ١/ ١٦١، ١٦٣.

٧٩ المرجع السابق، ص ١٦٥، ص ١٦٦.

وقال السبكي[٨٠] (توفى ١٧٧ هـ/ ١٣٧٠ م) برأي متعصب في حكماء الإسلام ورفض الأخذ بالأدلة العقلية متمسكًا برأي الدين دون الإستشهاد حتى بآية قرآنية واحدة فقال: ومنهم طائفة تبعت طريقة أبي نصر الفارابي (توفى ٩٣٣ هـ) وأبي علي ابن سينا وغيرهما من الفلاسفة الذين نشئوا في هذه الأمة واشتغلوا بأباطيلهم وجهالاتهم وسموها الحكمة الإسلامية ولقبوا أنفسهم حكماء الإسلام وهم أحق بأن يسموا سفهاء جهلاء من أن يسموا حكماء إذ هم أعداء أنبياء اللّه تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام والمحرفون بكلم الشريعة عن مواضعه، وعكفوا على دراسة ترهات هؤلاء الأقوام وسموها الحكمة وإستجهلوا عن عرى عنها، ولا تكاد تلقى أحد منهم يحفظ قرآنًا ولا حديثًا عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ولعمر اللّه إن هؤلاء لأضر على عوام المسلمين من اليهود والنصارى لأنهم يلبسون لباس المسلمين ويدعون أنهم من علمائهم فيقتدي العامي بهم وهم لا يعتقدون شيئًا من دين الإسلام بل يهدمون قواعده وينقضون عراه عروة عروة.

وقال السبكي[٨١] في كلامه عن الصوفية: وأما قصة الزلزلة وهي أن الأرض زلزلت في زمن عمر رضي اللّه تعالى عنه فضربها بالدرة وقال ويحك قِري ألم أعدل عليك، وكانت ترتجف فإستقرت من وقتها.

قال السيوطي[٨٢] (توفي ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م) بعنوان فائدتان:

فائدة ١ : رأيت في بعض التواريخ أن قفط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح بنى منارًا عاليا على جبل مدينة قفط[٨٣] يرى منها البحر المالح الشرقي، فسقط بزلزلة عظيمة.

فائدة ٢ : قال صاحب (مباهج الفكرومناهج العبر)[٨٤]: أكثر ما تكون الزلازل في البلاد الجبلية، وتعظم وتشتد حتى أنها تصدع الجبال وتغور الأنهار وتهدم الحصون وتخرب الأسوار. قال: ويقال في خصائص البلاد: شتاء أرمينية، وصيف عمان، وصواعق تهامة، وزلازل دبيل.

٨٠ هو الحافظ عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، ص ٧٧. هذا القول يتفق مع قول ابن تيمية أنظر تعليق رشدي راشد على قول ابن تيمية،

. *Maïmonide philosophe et savant 1138-1204*, Études réunies par Tony Lévy et Roshdi Rashed, Peeters 2004, préface, p. x.

٨١ المرجع السابق، ص ١٢٣.

٨٢ كشف الصلصلة، ص ٦٠.

٨٣ ذكر ياقوت أنها بالصعيد الأعلى إلى أسوان، معجم البلدان ج ٤ ص ٣٨٣.

٨٤ محمد بن إبراهيم بن يحيى الكتبي المعروف بالوطواط (٦٣٢ هـ-٧١٨ هـ)، والكتاب أربع مجلدات، مخطوط مصور، برقم ٣٥٩ طبيعة، دار الكتب المصرية. نشر الجزء الخاص بجغرافية مصر د. عبد العال عبد المنعم الشامي، الكويت ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.

قال السيوطي[85] في ذكر الزلزلة التي تقع عند خروج الدجال: أخرج البغوي في معجم الصحابة والحاكم[86] في المستدرك وصححه عن محجن بن الأدرع أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم خطب الناس، فقال: يوم الخلاص وما يوم الخلاص - ثلاث مرات - فقيل يا رسول اللّٰه، ما يوم الخلاص قال: يوم يجيء الدجّال فيصعد أُحدًا، فيطلع فينظر إلى المدينة، فيقول لأصحابه: ألا ترون إلى هذا القصر الأبيض، هذا مسجد أحمد، ثم يأتي المدينة فيجد بكل نقب من نقابها ملكًا مصليًا، فيأتي سبخة الجرف فيضرب رواقه، ثم ترتجف المدينة ثلاث رجفات، فلا يبقى منها منافق، ولا منافقة، ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه، فتخلص المدينة وذلك يوم الخلاص. وهذا آخر كتابه.

أمثلة لأثر الزلازل والبراكين على العقلية والتفكير الإسلامي في عهد الدولة العثمانية والمقارنة مع العهود الإسلامية المتقدمة

كتب النويري السكندري المتوفى بعد ٧٧٥هـ/ ١٣٧٢م، فصلًا عن الزلازل والطاعون والأهوية والفيضان والغلاء وذلك بمناسبة زلزال ٧٠٢ هـ فقال: إن قال قائل ما سبب هذه الزلازل؟ قيل إن أصلها جبل قاف له عروق تجري منها المياه في البحور من البياض والسواد والحمرة والصفرة والكدر والعذب والمالح والمر والزعاق، فإذا أراد اللّٰه أن يزلزل بقرية أوحى اللّٰه إلى ذلك الجبل أن حرك منك عرق كذا وكذا؛ فإذا حرك خسف اللّٰه بالقرية مع ما يرسل إليه من الملائكة -إنتهى. وهذا مثال من أيام المماليك البحرية.

وفي أيام الدولة العثمانية سنتخذ مثالًا بما قاله ابن الجزار[87]: فلما كانت ليلة الإثنين التي أسفر صباحها عن ثاني يوم من أيام العام الجديد وهو اليوم الثاني من شهر اللّٰه تبارك وتعالى المحرم الحرام السعيد، المفتتح به شهور عام أربع وثمانين وتسعمائة حصلت زلزلة جليّة بالأقاليم القاهرية مسبوقة بثلاثة أخر. وبسبب ذلك حصل في مصر الغلط واللغط والضرر، بحيث أصبح أهلها ما بين متفق في اللفظ ومفترق ومؤتلف ومختلف في المعنى حسبما يتفق. رفع إلينا يومئذ سؤال صورته بعد الصدر المناسب لمقام العوالي في جماعة يتحدثون بأمر الزلزلة كثر منهم القال والقيل وكبر فيهم هول القلقلة.

فمنهم قائل يقول: إن هذا العناء لما يحصل بأرض مصر من العناء والفناء.

[85] كشف الصلصلة، ص ٦١.

[86] هو الحاكم النيسابوري، أبو عبد اللّٰه محمد بن عبد اللّٰه بن محمد (ت. ٤٠٥ هـ)، المستدرك ط. الهند، ج ٤، ص ٥٤٣.

[87] تحصين المنازل من هول الزلازل رسالة بمناسبة وقوع زلزلة بمصر سنة ٩٨٤ هـ، نشر بمجلة الفرنسي، القاهرة: *Annales islamologiques* XII, 142-156 ١٩٧٤ بتحقيق مصطفى طاهر.

ومنهم قائـل: إن الثـور الحامل للدنيا حولها من قرن إلى القرن الثاني كما هو مشهور على لسان القاصي والداني.

ومنهم قائـل: إنما هو من أبخرة تثيرها حرارة المحموم البطنة حمى ظاهرة بجسده في الطول والعرض.

ومنهم قائـل: إن سببهـا كثرة ذنـوب بني آدم وإسـاءة جمهـور العالم.

ومنهم قائـل: إن ذلك إن تمادى أو عـاد ربمـا يفضي إلى المسخ والهلكـة، وربمـا يمحق بتلك الذنوب البركة.

ومنهم قائـل: هلموا إلى الصلاة.

ومنهم قائـل: عليكم بالفرار إلى الفضاء والفلاة.

ومنهم قائـل: هل لذلك الظمأ من رواء؟ وهل لذلك الداء من دواء؟ أفتونا مأجورين أثابكم اللّه تبارك وتعالى الجنة بمنه ويمنه آمين.

فأجبنا بما صورته: الحمد لله اللّهم هداية وإلهامًا لإصابة الصواب.

أما القائـل بأن سبب الزلزلة أبخرة فهو من الحباط الخباط الذي لا يجوز أن يُنسب إلى تحرير من أهل التحري والإنضباط، ولا يصح أن يُعزى إلى حبيب من الأحباء لأنه قول باطل فاسد موافق لرأي الحكماء والأطباء، فهو مردود إن شاء اللّه تبارك وتعالى على القائل به، وقد أبعد النجعة عن معرفة حكم الحقيقة وحقيقة الحكم وسببه.

وأما القائل بأن الزلزلة إشارة ظاهرة على ما سيحصل من الفناء؛ فهو قول مشرف على الحقيقة إن إستر الحال في كثرة اللواط والزنا، لأن اللّه تبارك وتعالى إذا أراد بأن يحقق في قوم أذنبوا مراده، خوف سبحانه بالزلزلة والرجفة عباده؛ فقد روينا في عوالينا كما هو عند الحافظ الطبراني في كتاب «السنة» بسنده إلى إمام الناس ترجمان القرآن الإمام عبد اللّه بن عباس رضي اللّه تبارك وتعالى عنهما قال: «إذا أراد اللّه تبارك وتعالى أن يخوف عباده أبدى عن بعضه للأرض، فعند ذلك تزلزلت وإذا أراد سبحانه أن يدمدم على قوم تجلى لها» وكما هو في مسند «الفردوس» للحافظ الديلمي بسنده إلى عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «إذا أراد اللّه تبارك وتعالى أن يخوّف خلقه أظهر للأرض منه شيئًا فارتعدت، وإذا أراد أن يُهلك خلقه تبدّى لها». ولأجل ذلك ذكر المفسرون وعلماء الأنام أن قابيل لما قتل أخاه هابيل رجفت الأرض سبعة أيام.

ومن الدليل الظاهر الباهر على أن كثرة الذنوب سبب لذلك لأنها تجلب جميع الكروب، ما هو في مشيخاتنا ومجاميعنا كما هو عند الحافظ أبي الشيخ ابن حبان في «تفسيره» وعند قوله تبارك وتعالى ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِن فَوْقِكُمْ﴾[88] قال الصيحة والحجارة والريح ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال الرجفة والخسف وهما عذاب أهل التكذيب. وهو من عوالينا كما عند الحافظين ابن أبي

[88] سورة الأنعام: آية ٦٥.

الدنيا والحاكم وصحّحه عند أنس رضي اللَّه تبارك وتعالى عنه قال: «دخلت على عائشة رضي اللَّه تعالى عنها فقال رجل: يا أم المؤمنين حدّثينا عن الزلزلة، فقالت: إن خلعت ثيابها في غير بيت زوجها هتكت ما بينها وبين اللَّه تعالي من حجاب، وإن تطيبت لغير زوجها كان عليها نارًا وشرارًا، فإن إستحلوا الزنا وشربوا الخمور وضربوا المعازف، غار اللَّه تبارك وتعالى في سمائه فقال: تزلزلي بهم، فإن تابوا ونزعوا وإلا هدمها عليهم». فقال: عقوبة لهم؟ قالت: «رحمة وبركة وموعظة للمؤمنين، ونكالًا وسخطة وعذابًا على الكافرين».

وما أثبتناه في مسانيدنا كما عند الحافظ الترمذي عن أبي هريرة قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «إذا اتخذ الفيئ دولًا، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وتعلم لغير الدين، وأطاع الرجل إمرأته وعق أمه، وأدنى صديقه وأقصى أباه، وظهرت الأسباب في المساجد، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور، ولعنت آخر هذه أولها؛ فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء وزلزلة وخسفًا».

وفي مجاميعنا كما هو عند الحافظ أبي نعيم في «الحلية» عن عطاء الخراساني قال: «إذا كان خمس كان خمس؛ إذا أكل الربا كان الخسف والزلزلة، وإذا جار الحكام قحط المطر، وإذا ظهر الزنا كثر الموت، وإذا منعت الزكاة كانت الدُولَة».

وفي عوالينا ومسانيدنا كما هو عند الحافظين ابن عدي والديلمي في «مسند الفردوس» عن ابن عمر قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «إذا ظهرت الفاحشة كانت الرجفة، وإذا جار الحكام قل المطر، وإذا غدر بأهل الذمة ظهر العدو».

وفي مسانيدنا وعوالينا كما عند الحافظ الإمام البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، ويكثر الزلزال، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل».

وفي عوالينا كما هو عند الحافظين أبي داود والحاكم وصححه عن أبي موسى قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «جعل اللَّه عذاب أمّتي في الدنيا والزلازل والفتن».

وفي مشيخاتنا كما هو كما عند الحاكم عن عبد اللَّه بن عمرو عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال: «لتميلن بكم الأرض ميلة يهلك منها من هلك ويبقى من بقى حتى تعتق الرقاب، ثم تهدأ بكم الأرض بعد ذلك حتى يندم المعتقون، ثم تميل بكم ميلة أخرى يهلك فيها من هلك ويبقى من بقى، ولَيَبتلِين آخر هذه الأمة بالرجف فإن تابوا تاب اللَّه عليهم، وإن عادوا سلّط اللَّه عليهم الرجف والقذف والخذف والمسخ والصواعق».

وفي مجاميعنا كما هو عند الحافظ ابن أبي الدنيا في كتابه «ذم الملاهي» بسنده إلى ابن العطاء عن أبيه أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال: «سيكون في أمتي خسف ورجف وقردة وخنازير».

وفي مجاميعنا ومشيخاتنا كما هو الحافظ ابن عساكر من طريق عبد ربه ابن صالح عن عروة بن رؤيم عن الأنصاري عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم أنه قال: يكون في أمتي رجفة يهلك فيها عشرة آلاف عشرون ألفًا ثلاثون ألفًا يجعلها اللَّه موعظة للمتقين ورحمة للمؤمنين وعذابًا على الكافرين».

وفي مجاميعنا كما هو عند الحافظ الديلمي في «مسند الفردوس» عن حذيفة مرفوع: «خراب مصر من جفاف النيل، وخراب الحبشة من الرجفة». وفي مجاميعنا أيضًا كما هو عند الحافظ الديلمي أيضًا عن كعب قال: «إنما نزل الأرض إذا عمل فيها بالمعاصي فترعد فرقًا من الرب تبارك وتعالى وعز وجل سبحانه أن يطلع عليها».

قلت في هذه الأحاديث الشريفة وآثار المنيفة تدل صراحًا على إن فسقة هذه الأمة لا تأمن مكر اللَّه تعالى من رجف أو خسف أو مسخ، وبذلك يصدق القائل في السؤال بنحوه، لأن الخطية تهلك المطيَّة؛ بل إنها تسلب العلماء علمهم، وتمنح أهل النعم نعمهم، قال اللَّه تبارك وتعالى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[89] وقال الإمام الأعظم الشافعي رضي اللَّه تبارك وتعالى عنه وأرضاه، وجعل الجنة متقلبه ومنقلبه ومثواه:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور اللَّه لا يهدى لعاصي

ولهذا قالوا:

إذا كنت في نعمة فإرعها ... فإن المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإله ... فإن الإله سريع النقم

ومن أدل دليل على أن بعض الصور الآدمية المستورة بالنشوة المحمديَّة، بدا فيها مبادئ المح بحيث صار كالعلامة والداغ، وانشق لحم الوجوه منها والأصداغ، وهي التي إنقلبت منها الأحوال إلى الأهوال، وصارت غير خفية لملازمتها لاستعمال البرش والكيفية ولأجل ذلك قلنا من نظمنا البديع وبديع نظمنا:

البرش مزق قومًا لا عداد لهم ... بحيث صاروا محازينا مجانينا
هم المجاذيب لكن الهوان بهم ... ويرحم اللَّه عبدًا قال أمينا

[89] سورة البقرة: آية ٢٨٢.

ومن أراد بسط المفاد فعليه بمراجعة كتابنا الذي سميناه «قمع الواشين في ذم البراشين» والله تبارك وتعالى أعلم.

وأما القائل بتحويل الثور إلى آخره فالذي أثبتناه في مجاميعنا ومشيخاتنا ما هو عند الإمام ابن المقدر في «تفسيره» بسنده إلى ابن ثور عن ابن جريج في قوله تعالى ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[٩٠] قال بلغني أن عرض كل أرض مسيرة خمسمائة سنة، والأرض السابعة فوق الثرى وإسمها «تخوم» وأن أرواح الكفار فيها، ولها حنين، فإذا كان يوم القيامة ألقتهم إلى «برهوت»، وإجتمع أنفس المسلمين بالجابية، والثرى فوق الصخرة، والصخرة خضراء مدلهمة، والصخرة على الثور، والثور له قرنان وله ثلاث قوائم يبتلع ماء الأرض كلها يوم القيامة، والثور على الحوت، وذنب الحوت عند رأسه مستدير عند الأرض السفلى، وطرفه منعقدان تحت العرش. وأُخبرت أن عبد الله ابن سلام سأل النبي صلى الله عليه وسلم، على ما الحوت؟ قال ما اسْود وما أخذ منه الإكماء أخذ حوت من حيتانكم من هذه البحار. وحُدثت أن إبليس تغلغل إلى الحوت فعظم له نفسه، وقال ليس خُلق بأعظم منك عناء ولا أقوى، فوَجَد الحوت في نفسه فتحرك، فمنه تكون الزلزلة إذا تحرك فبعث الله تبارك وتعالى، حوتًا صغيرًا فأسكنه في أذنه، فإذا يتحرك تحرك الذي في أذنه فسكن.

وفي مشيخاتنا ومجاميعنا كما هو عند أبي الشيخ ابن حبان في كتاب «العظمة» وعند ابن أبي الدنيا في كتاب «العقوبات» عن الإمام عبد الله ابن عباس، رضي الله تبارك وتعالى عنهما، قال: خلق الله تبارك وتعالى، جبلًا يقال له قاف محيط بالعالم محيط بالعالم وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فإذا أراد الله تبارك وتعالى، أن قرية أمر ذلك الجبل، يحرك العرق الذي يلي تلك القرية فيزلزلها ويحركها، فمن ثم تحرك القرية دون القرية.

وفي مشيخاتنا ومجاميعنا كما هو عند الحافظين الخطيب البغدادي وابن عساكر في كتاب «الزلازل» عن ابن عباس قال: قال قاف محيط بالدنيا، وقد أنبت الله تبارك وتعالى منه الجبال فتشبك بعضها ببعض بعروقه كالشجر في الأوتاد، فإذا أراد الله تبارك وتعالى أن يزلزل أرضًا أوحى إلى قاف فحرك ذلك العرق، فإن عند رجل من أهل العلم في ثبت صحيح وسماع رجيح، ما يدل على أن ذلك الثور الذي أشرنا إليه في مفادنا حامل لتلك الحملة بالتفصيل والجملة، على أحد قرنيه دون الآخر وأنه يحولها للقرن الثاني فالله تبارك وتعالى أعلم، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ لأن العلم كثير، أكثر وأكبر من الدر النثير، ولم يبق منه إلا هذه المعلومات التي رواها الخلف عن السلف، ومن عاش عن من مات. قال العلامة ابن الوردي في بهجته:

والعمر عن تحصيل كل علم ... يقصر فابدأ منه بالأهم

[٩٠] سورة الطلاق: آية ١٢.

وأما القائل: هلموا إلى الصلاة، هو القائل: عليكم بالفرار إلى الفضاء والفلاة. فالذي أراه أن الأوْلى في حق كامل اليقين أن يلزم بيته تمسكًا بصبر الأنبياء والمرسلين، إذ لا ملجأ من اللّه تعالى ولا منجى منه عز وجل إلا سبحانه تبارك وتعالى علوّا كبيرًا وما أبلغ قول من قال:

وإذا فــررْت مــن الــقَــدَر حــاذرًا   فــاعــلــم بــأنــك نــحــوه تَــتــوَجَّــهُ

وقول القائل: أين المفر من القضاء أين المفر.

وقول القائل:

إذا عـقـد الـقـضـا عـلـيـك أمــرا   فـلـيـس يـحـلـه إلا الـقـضـــا

وأما الصلاة لها فسبيلها أن تكون فرادى لا جماعة، وعلى ذلك يحمل ما ورد في الآثار من ذلك المعنى؛ قال الإمام الأعظم الشافعي[٩١] في كتابيه «الأم» و«المختصر»: ولا أمر بصلاة جماعة من زلزلة ولا ظلمة ولا لصواعق ولا غير ذلك من الآيات، وأمر بالصلاة منفردين. هذا نصه – في الدارين والبرزخ – ومراده سوى الكسوفين والإستسقاء فقد نص في بابه على الصلاة جماعة لذلك، ولهذا لا يخطب لما سوى ذلك؛ لكن ورد أن الإمام عمر بن الخطاب رضي اللّه تبارك وتعالى عنه، خطب لها، فإن حمل ذلك على ما ورد من شبهة على إختصاصه بالإمام الأعظم، كان حملًا حسنًا وتفوت الصلاة لها بزوالها، كما تفوت صلاة الكسوفين بالإنجلاء، وتمسك القائلون بأن الصلاة ذوات السبب تقضي بأن الإمام ابن العباس قضى الصلاة المزلزلة من الغد بعد حصولها وزوالها ليلًا وإذا صلى لها مصل وأطال القراءة في ركعاتها ويُسَر بها نهارًا ويجهر بها ليلًا؛ وينبغي للمصلي أن يقدم بين يدي صلاته صدقة وأفضلها العتق تمسكًا وتنسكًا بقوله عز وجل من قائل ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾[٩٢] ومن المعلوم عند جميع الأحباب ما نص عليه القاضي عياض في كتابه «الشفا» من أن الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم، أفضل من عتق الرقاب فيلزم أن تكون تالية للعتق كما يتعين أُمًا وإمامًا له، وأن تكون ركعات الصلاة وسجداتها على ما هو مرشد إليه في مشيخاتنا ومجاميعنا وعوالينا كما هو عند الحافظ الإمام أبي بكر ابن أبي شيبة عن عبد اللّه بن الحارث أن الإمام ابن أبي العباس صلى بهم في زلزلة، كانت أربع سجدات أن ركع فيها ستًا؛ وكما هو عند الإمام الحافظ سعيد بن منصور في سننه عن عبد اللّه بن الحارث أيضًا قال: زلزلت الأرض ليلًا فقال الإمام ابن العباس: لا أدري هل وجدتم ما وجدت؟ قالوا نعم قد وجدنا. فإنطلق من الغد فصلى بهم، فكبر وقرأ وركع ثم رفع رأسه فقرأ، ثم ركع ثم رفع رأسه فقرأ وركع، فكانت ست ركعات في أربع

٩١ الأم وعلى هامشه المختصر، ط. بولاق ١٣٢٠ هـ، ج ٢١٨/١.

٩٢ سورة الأعلى: آية ١٤.

سجدات. وفي عوالينا كما عند ابن أبي شيبة بسند صحيح عن عائشة قالت صلاة الآيات ست ركعات في أربع سجدات.

وأما قول القائل: هل لهذا الظمأ من رواء؟ وهل لهذا الداء من دواء؟ فجوابه إن شاء اللّٰه تبارك وتعالى نعم وبلى، وبلى ونعم سبيل الدواء إنقاء الحاصل، وقطع الواصل. فأما النقاء فكما ذكر الأطباء أن سبيله الإستفراغ بنحو الفصد والمخرج؛ فسبيل هذا عوضًا عن الفصد وهو العزم الصحيح علـى أن لا يعود إلى ما صدر منه، والندم الصادق، ورد المظلمة إلى أهلها حسب الإمكان إن تعلقت بآدمي، وإحتياج إستغفارنا إلى إستغفار لا يوجب تركه، فإننا نشرع في تحصيل المحصول، واللّٰه تعالى يبلغ المأمول، وينعم على عبده العاجز بالقبول؛ وكذلك عجزنا عن أداء حقوق الحمد والشكر لا يوجب هجره، فإن توفيق اللّٰه تعالى لعبده الشاكر نعمه تستلزم أن يُشكر الحق تبارك وتعالى عليها، وهكذا لم يبق إلا الشروع في المقصود على سبيل ضعفنا وضعف سبيلنا ببذل الطاقة والمجهود.

وأما المخرج فمن المعلوم أن لكل ذكر وأنثى مخرجان، وهو السبيلان وكل سبيل أوصل إلى الجوف، فلا بد من تحصين كل مدخل ومخرج من نحو فم أو فرْج بتقوى اللّٰه تبارك وتعالى، وإمساك الحواس الخمس الظاهرة، والحواس الخمس الباطنة عن كل محرم شرعًا، وبذلك يحصل ويحسن قطع الواصل فإن قطعه طبًا بالحمية أيضًا عن كل ما أوجب ذلك المرض، وما أفضى إلى ذلك العرض و الذي كاد أن يفضي بالعبد شيخًا كان أو مريدًا إلى فوات جميع العِرَض، ولا يتم تحقيق دواء الداء إلا بعد الإحاطة بالسبب والعلامة والعلاج.

فسبب الزلزلة والوباء التجاهر بالمعاصي على تفاوت رتبها، وبقدر السبب يكون المسبب. وعلامة وجوده إن كان وباء فبطعن الجان بحيث تعد الأموات المُصلَّى عليها في الجامع الأزهر بالعشرة كالباذنجان، وبالزلزلة الرجفة وإضراب الأرض وتحرك الإيوان والصُفة.

وعلاجه بالمبادرة إلى الدواء، وإستعمال الدواء لازم بعد النقاء، وهو التسبيح لأنه يدفع العذاب كما ورد به كل كتاب؛ وإتفق أن الإمام عمر بن الخطاب رضي اللّٰه تبارك وتعالى عنه أمر بضرب رجل، فلما رُمي إلى الأرض قال سبحان اللّٰه، فقال الإمام عمر: دعوه، فقيل له في ذلك، فقال لأَنّ سبحان اللّٰه تدفع العذاب.

ولا بأس بالتكبير عند ذلك كما يفعل من رأي الحريق، ولا بد من الصلاة على النبي صلى اللّٰه عليه وسلم لا يكاد يلحق بشرفها ولا في التشبه بها رتبة آدمية شريفة فضلًا عن النباتات والمعادن الكثيفة واللطيفة.

وفي مشيخاتنا ومجاميعنا كما رواه الإمام أبو القاسم الرافعي[٩٣] في تاريخ قزوين بسنده عن الإمام علي بن سيدنا ومولانا الإمام الحسين؛ أن الإمام الأكبر علي بن أبي طالب رضي اللّٰه تعالى عنه وكرم وجهه

[٩٣] هو أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي، ت. سنة ٦٢٣ هـ و كتابه «التدوين في ذكر أخبار قزوين» في أربع مجلدات الموجود بدار الكتب نسخة مصورة ٧١٠٠ ح عن نسخة بلدية الإسكندرية برقم ٦١٥٤ تاريخ.

ورضى عن الصحابة أجمعين، قال: واللّه ما يرهب للآيتين ولا يفزع منهما - يعني الزلزلة والكسوف - إلا من كان منّا ومن شيعتنا أهل البيت، فإن رأيتم كسوفًا أو زلزلة فافزعوا إلى اللّه وارجعوا وصلوا لها صلاة الكسوف، وإذا كانت زلزلة فقوله على إثر صلاة الكسوف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[٩٤] يا من يمسك السماء أن تقع علي الأرض إلا بإذنه. أمسك عنا السوء، وإذا كثرت الزلازل فصوموا كل يوم إثنين وخميس حتى تسكن، وتوبوا إلى ربكم مما جنت أيديكم وأؤمروا إخوانكم بذلك، فإنها تسكن إن شاء اللّه تعالى.

قلت وبالجملة وبالتفصيل والتفريع والتأصيل فقد قال اللّه تبارك تعالى وقوله سبحانه يزيد تاليه تشريفًا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾[٩٥]؛ وقال اللّه تبارك وتعالى وقوله سبحانه يزيد قارئه توقيرًا ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾[٩٦] فقد دل النص الشريف القرآني على أن الزلزلة ونحوها ترد موارد التخويف لأصحاب الظلم والطغيان والمطل والتسويف، فمن خاف سلم، ومن جهل ندم، ومن تكبر زل وذل، ومن إستكثر بنفسه فل وقل، ومن تجنب مواطن الندامة وورد موارد السلامة، هذا وقد كثر في ديار مصر ما قد يلزم بعض أهلها الحلول في مواطن الإصر، منها كثرة الحوانيت التي يباع فيها المعجون الخبيث المعروف بالبرش والأفيون وما هو أخبث منهما من الخمور، ومن شهود الزور، ومن إرتكاب المحذور والمحظور كاتباع الشهوات وكثرة بيوت القهوات وإتمامها بما يضاف إليها من الخبث الداني كالآلات والمغاني، وكون الساقي أمردًا، فهذا كله ليس من طريق الهدى فإن غالب الأحوال لا يوجد فيها رجل داخلًا بيت قهوة رغبة في قهونه، إنما هو يطمع فيه في ذلك الأمرد الساقي لقضاء شهوته، ولو لم يكن إلا لتمتعه بنظره إلى وسطه وفوطته، أو لذلك ولسماع المغنى على آلته، فيجب على ولي الأمر، أيّد اللّه تعالَى به الدين وقمع بِهمَّته العليَّة جميع المفسدين، أن يشهر النداء بإبطال جميع ما أحدثه العدا.

الصراع بين العقلانية والمراجع الدينية المُتشددة

نلاحظ أهمية رسالة «تحصين المنازل من هول الزلازل» والمدونة سنة ٩٨٤ هـ/ ١٥٧٦ م - أي في عصر السيطرة العثمانية، لكونها تحوي رصيدًا لما تناقله الناس عن أسباب الزلزلة بالرجوع إلى الأساطير والأسباب الدينية والأخلاقية والإجتماعية والتي تثير مقت اللّه وغضبه فيحرك بذلك الزلازل. ولقد تدهورت النظرية العلمية والعقلية لتعليل الزلازل فيقول المؤلف: «أما القائل بأن سبب الزلزلة أبخرة فهو من الحباط الخباط الذي لا يجوز أن ينسب إلى نحرير من أهل التحري». فإذا قارن القارئ ذلك بما

[٩٤] سورة فاطر: آية ٤١.

[٩٥] سورة الإسراء: آية ٥٩.

[٩٦] سورة الإسراء: آية ٦٠.

كتبه ابن سينا (ت. ٤٢٧ هـ) في كتابه «الشفاء»[٩٧] ومختصره «النجاة»[٩٨] عن أسباب الزلازل وأنواعها وما كتبه البيروني[٩٩] (ت. ٤٤٠ هـ) في كتابه «تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن» عن نشأة الأرض وحركتها وتأثير الزلازل فيها؛ وما ورد في كتاب «البدء والتاريخ»[١٠٠] كتعليق على السبب الأسطوري والديني للزلازل بأن: «ما روي من القصص أن لكل أرض عرقًا متصلاً بجبل قاف والملك موكل به، فإذا أراد اللّٰه أن يخسف بقوم أوْمى إليه أن حرك ذلك العرق، فإن صح وما أراه يصح إلا من جهة أهل الكتاب – وليسوا بأمناء على ما في أيديهم – فهو تشبيه وتقريب من أفهام الخلق وتعليم بأن ذلك كله من فعل اللّٰه من ذات نفسها». فالمؤلف في النص السابق يعلن صراحة أن القصة إنما كانت لتقريب صورة الزلزلة من أفهام الخلق.

وإذا قارن القارئ ما كتبه المؤلف عن تحصين المنازل من هول الزلازل وكيف يكون ذلك بالحوقلة والصلاة والتوبة عن الذنوب والمعاصي وذلك في نهج ديني يؤنب فيه المؤلف الخلق على ما إرتكبوه من المعاصي ويورد آيات قرآنية وأحاديث تدل على ذلك وتؤكد مفهومه الذي يختلف عن مفهوم القدماء بإختيار أماكن البناء وتشييد المدن ودور الكتب بعيدةً عن مراكزالزلازل والخسوف كما قال ابن النديم[١٠١] والأصفهاني[١٠٢]، بل إن الكندي[١٠٣] (توفى في حدود ٢٥٥ هـ) له «كتاب رسالته في حدوث الرياح في باطن الأرض المحدثة كثيرة الزلازل والخسوف»؛ وتكلم ابن العميد في كتابه «بناء المدن» عن أثر الزلازل في المدن. ويستطيع القارئ أن يستنتج من مقارنته الآتي: تدرج وصعود المفهوم العقلي والأخذ بالأسباب العلمية ودقة الملاحظة والترجمة لكتب الفلسفة اليونانية والعلماء الإغريق في العصور الإسلامية الأولى، ثم التدهور الكبير للمفهوم العلمي والعقلي لنظرية الزلازل في العصور الإسلامية المتأخرة وخاصة في عهد السيطرة العثمانية.

ويلاحظ القارئ أيضًا أن الزلازل قد عولجت في الأدب الإسلامي بشئ من التحفظ والسرية فقد قال المؤلف ابن الجزار[١٠٤]: ثم إستطرد الجلال السيوطي، رحمه اللّٰه تبارك وتعالى عليه ورضوانه، إلى ذكر

[٩٧] الشفاء، ج/ ٥/ ١٥، ١٩.
[٩٨] ص ٢٥٣-٢٥٦.
[٩٩] تحديد نهايات الأماكن، ص ٣٩-٥١.
[١٠٠] المقدسي، ج ٢، ص ٣٧.
[١٠١] الفهرست، ص ٢٤٠.
[١٠٢] تأريخ سني الأرض، ص ١٩٨.
[١٠٣] انظر ابن النديم، الفهرست، ص ٢٦١.
[١٠٤] تحصين المنازل من هوْل الزلازل رسالة بمناسبة وقوع زلزلة بمصر سنة ٤٨٩ هـ نشر بمجلة المعهد الفرنسي، القاهرة: *Annales islamologiques* XII, 142-156 ،١٩٧٤، تحقيق مصطفى طاهر.

زلازل وقعت بمصر والقاهرة ومدينة المصطفى صلى اللّٰه عليه وسلم والبيت الحرام بحيث تهدم فيها من الركن اليماني وغيره ما يحسن الإعراض عن ذكره إذ فيما ذكرناه تلويح فيه ترويح، والتصريح بذكر الشدائد خصوصًا بإستيعابها فردًا فردًا ليس من عوائد الجميل ولا جميل العوائد، كيف وقد قال بعض أهل المعرفة: «التاريخ عبارة عن نبش الأموات وذكر ما فات». وقد شاع من طاب بهم الرمْس أنه لا يقال لأحد كيف حالك أمس؛ وحيث كان المقصود الأعظم التسلي بذكر ما تقدم، والتشفي بما لبعض الأمم، ففي بعض التذكر إيقاظ تام لمن عَلِمْ وفي الإشارات ما يغني عن الكلم»، وقد أدي ذلك إلى تضارب بين المؤرخين وكمثل إعتد القطب القسطلاني[١٠٥] بالواقع وإبتعد عن سيطرة الأساطير والعقلية الدينية المتشددة وأن النار أو الحمم البركانية لا تستثني المقدسات وذلك عند تأريخه للبركان الذي ضرب المدينة عام ٦٥٤ هـ، وخالفه الجمال المطري[١٠٦] لإعتداده برأي العامة والمراجع الدينية المتشددة لنفي البديهي والواقع؛ ويتضح ذلك من النص التالي فإنه قال: أخبرني علم الدين سنجر العزي من عتقاء الأمير عز الدّين منيف بن شيحة صاحب المدينة قال أرسلني مولاي عز الدّين بعد ظهور النار بأيام ومعي شخص من العرب يسمى حطيب بن سنان وقال لنا ونحن فارسان: أقربا من هذه النار، وأنظرا هل يقدر أحد على القرب منها، فإن الناس يهابونها لعظمها، فخرجت أنا وصاحبي إلى أن قربنا منها فلم نجد لها حرًا، فنزلت من فرسي وسرت إلى أن وصلت إليها، وهي تأكل الصخر والحجر، فأخذت سهمًا من كنانتي ومددت به يدي إلى أن وصل النصل إليها فلم أجد لذلك ألمًا ولا حرًا، فحرق النصل ولم يحترق العود فأدرت السهم وأدخلت فيها الريش فإحترق الريش ولم تؤثر في العود.

وذكر المطري قبل ذلك أنها كانت تأكل كل ما مرت عليه من جبل وحجر ولا تأكل الشجر، قال: وظهر لي في معنى ذلك إنه لتحريم النبي (ص) شجر المدينة، فمنعت من أكل شجرها لوجوب طاعته (ص) على كل مخلوق.

قلت [السمهودي]: وذكر القسطلاني أن هذه النار لم تزل مارة على سبيلها حتى إتصلت بالحرة ووادي الشظاة وهي تسحق ما والاها، وتذيب ما لاقاها من الشجر الأخضر والحصى من قوة اللظى، وأن طرفها الشرقي أخذ بين الجبال فحالت دونه ثم وقفت، وأن طرفه - وهو الذي يلي الحرم - إتصل بجبل يقال له

---

[١٠٥] هو قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن علي المصري ثم المكي صنف في النار والحريق سنة ٤٥٦ هـ كتابا سماه «عروة التوثيق في النار والحريق»، وسبق التعريف له.

[١٠٦] المطري (٦٧١-٧٤١ هـ/ ١٢٧٢-١٣٤٠ م): الحافظ جمال الدين محمد بن أحمد بن خالد بن عيسى بن عامر بن يوسف بن بدر بن علي بن عمر الأنصاري السعدي المطري المدني، مؤرخ، ناب في الحكم وفي الخطابة، وكان أحد الرؤساء المؤذنين بالمسجد النبوي، وتوفى بالمدينة في ١٧ ربيع الآخر وله «التعريف بما أنست به الهجرة من معالم دار الهجرة»، مخطوط رقم ٥٦٤، تاريخ، دار الكتب المصرية.

وعيرة على قرب شرقي أحد، ومضت في الشظاة الذي في طرفه وادي حمزة رضي اللّه عنه، ثم إستمرت حتي إستقرت تجاه النبي (ص) فطفئت، قال: وأخبرني شخص أعتمد عليه إنه عاين حجرًا ضخمًا من حجارة الحرة كان بعضها خارجًا عن حد الحرم فعلقت بما خرج منه، فلما وصلت إلى ما دخل في الحرم طفئت وخمدت.إنتهى.

وهذا أولى بالإعتماد من كلام المطري لأن المطري لم يدرك هذه النار وإن أدرك من أدركها، بخلاف القطب فإنه أدركها وإعتنى بجمع أخبارها، وأفردها بالتصنيف ولم يقف عليه المطري، وهذا أبلغ في الإعجاز حيث لم تدخل هذه النار حرمه الشريف، إذ هي للإنذار والتخويف وهو نبي الرحمة (ص). وقد يكون للتحفظ والسرية أثر كبير في ضياع كثير من تراث أدب علم الزلازل والبراكين.

الباب الأول

الظواهر البركانية والزلازل
في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام

١. الظواهر البركانية في جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام

ارتبطت البراكين في الروايات الأسطورية في جنوب الجزيرة العربية ببئر برهوت[1] فقال عنه القزويني[2]:إنه بالقرب من حضرموت، وهي التي قال عنها النبي صلى اللّٰه وسلم:إن فيها ارواح الكفار والمنافقين. وهي بئر عادية في فلاة واد مظلم، وعن عليّ - رضي اللّٰه عنه - أنه قال: أبغض البقاع إلى اللّٰه تعالى وادي برهوت فيه بئر أسود منتن تأوي إليه أرواح الكفار، وحكي الأصمعي عن رجل من حضرموت أنه قال: نجد من ناحية برهوت رائحة منتة جدًا فيأتينا بعد ذلك خبر موت عظيم من عظماء الكفار، وذكر أبان بن تغلب أن رجلًا بات في وادي برهوت قال كنت أسمع طول الليل يا دومة! يا دومة! فذكر ذلك لرجل من أهل العلم فقال إن المَلَك الذي على أرواح الكفار إسمه دومة. وحكى أبو المنذر عن رجل من حضرموت أنه قال: مررت بوادي برهوت ومعي إمرأة حبلَى وقت طلوع الشمس فما بقى صوت شيء إلا سمعناه فألقت المرأة ما في بطنها.

[1] ورد تعليق على قول المسعودي في مجلة المقتطف، ج ٦ م ٢٧ في اكتوبر ١٩٢٨م في مقال للاستاذ أمين المعلوف بعنوان القار في الشرق الأدنى وتعليق لأحد الأهالي من اليمن في عدد نوفمبر ١٩٢٨م بعنوان (خطأ وصف المسعودي) قال فيه إن وادي برهوت بأسفل حضرموت بالشرق الشمالي يسيرا عن بلدة تريم التي هي أشهر مدن حضرموت يبعد عنها نحو ٤٥ ميلا، وبعد وادي برهوت الجبل الذي يقال إن به قبر النبي هود عليه السلام ويدخل إلى بئر برهوت من وادي عدن.

[2] عجائب المخلوقات، ط.Wüstenfeld، ص ١٩٨.

قال أبومخرمة[٣] عن قوله تعالى ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾[٤] قيل إن البئر الرسُّ وكانت بِعَدَن لأمّة من بقايا ثمود، وقال عن قوله صلّى اللّه عليه وسلم في أشراط الساعة: وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم، وفي رواية: نار تخرج من قُعْرة عَدَن رواها الإمام مسلم[٥] بن الحجاج في صحيحه قال النووي في شرحه هكذا هو في الأصول قُعرة عَدَن بالهاء والقاف مضمومة معناه من أقصى أرض عدن وعدن مدينة معروفة باليمن قال المازري سميت عدنًا من العدون وهو الإقامة لأن تُبَّعًا كان يحبس فيها أصحاب الجرائم وهذه النار الخارجة من قعر عدن واليمن هي الحاشرة للناس كما صرح به في الحديث. ويقال إن هذه النار تخرج من البئر التي في جبل صيرة وإنها موجودة الآن وكامنة فيه وإن بعضهم في زمن قريب من عصرنا أدلى فيها حبلًا فخرج طرفه محترقًا.

وقال أبو مخرمة[٦] عن جبل صيرة: إنه جبل شامخ في البحر مقابل البلد ويقابل لجبل «المنظر» أيضًا ويقال إنه قطعة من جبل صيرة، وفي رأس جبل صيرة حصن قديم به رقبة وفيه بئر يقال إن النار التي ورد في الحديث الصحيح أنها تخرج من قعر عدن تخرج من هذه البئر. وقال ابن المجاور: والدليل على ذلك قلب بالجبل بئر يسمى «انبار» ويسمى عند حكماء الهند «في بر» يخرج طول الدهر منه دخان ويسمى الآن بئر الهرامسة ليس يمكن لأحد النظر فيه من وهجه وكربه وقتامته، ويوجد حول البئر حجارة مكسرات وأفاع نائمات وحيات قائمات. قال الهنود إن «هنومت» أي العفريت المقدم ذكره حفر هذه البئر وليس هي بئر وإنما هي سَرَب ينفذ حفره تحت البحر إلى مدينة أوجين بكرمي وهي سرير ملك مالوي من الهند.

قال أبومخرمة: زعم بعض الجهلة أن ذلك يدل علي مذمة عدن وحط مقدارها وليس كما زعم فليس كل ما ورد من أشراط الساعة أن يكون ذلك نقصًا في حق من يوجد فيه ذلك الشرط فقد ورد من أشراط الساعة أن تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى.

٢. الظواهر البركانية في الحجاز قبل الإسلام وتصويرها في القرآن الكريم

ورد في الآيات القرآنية ما يصور الحمم البركانية: ﴿انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ * انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ * إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَـٰلَاتٌ صُفْرٌ﴾[٧].

[٣] تاريخ ثغر عدن، ج ١/ ٢، ٣.
[٤] سورة الحج، آية ٤٤.
[٥] الجامع الصحيح، ج ٨/ ١٨٠ وعلى هامشه شروح النووي.
[٦] تاريخ ثغر عدن، القسم الاول وفيه وصف البلد ج ١/ ١٧.
[٧] سورة المرسلات، آية ٣٢:٢٨.

ولقد ارتبطت النار التي تنبثق من الأرض بنبوة خالد بن سنان العبسي، فقال المسعودي[٨] في فصل خصصه لأنبياء الفترة التي بين المسيح ومحمد: ذكره النبي صلى اللّٰه عليه وسلم فقال: (ذلك نبي أضاعه قومه) وذلك أن نارًا ظهرت في العرب فافتتنوا بها، وكانت تنتقل، وكادت العرب تتمجس وتغلب عليها المجوسية، فأخذ خالد بن سنان هراوة وشد عليها وهو يقول: بدأ كل دين يرد إلى اللّٰه الأعلى، لأدخلنها وهي تتلظى ولأخرجن منها وما بي سدَى، فأطفأها، فلما حضرت خالد بن سنان الوفاة قال لإخوته: إذا أنا دُفنت فإنه سيجيء عانة من حمير وحشي يقدمها عير أبتر[٩] فتضرب قبري بحافرها، فإذا رأيتم ذلك فانبشوا عني فإني سأخرج اليكم، فأخبركم بجميع ما هو كائن، فلما مات دفنوه، رأوا ما قال، فأرادوا أن يخرجوه فكره ذلك بعضهم وقال: نخاف أن تنسبنا العرب إلى نبشنا عن ميت لنا، وأتت إبنته إلى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه فسمعته يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللّٰه أَحَدٌ﴾[١٠] فقالت[١١]: كان أبي يقول هذا.

وقال الجاحظ[١٢] عن نار الحرتين[١٣]: هي نار خالد بن سنان أحد بني مخزوم من بني قُطَيعَة بن عبس، ولم يكن في بني إسماعيل نبي قبله، وهو الذي أطفأ اللّٰه به نار الحرتين، وكانت ببلاد عبس فإذا كان الليل فهي نار تسطع في السماء، وكانت طئ تنفش بها إبلها من مسيرة ثلاث[١٤]، وربما ندرت[١٥] منها العنق فتأتي على كل شيء فتحرقه، وإذا كان النهار فإنما هي دخان يفور، فبعث اللّٰه خالد بن سنان، فاحتفر لها بئرًا ثم أدخلها فيها والناس ينظرون، ثم اقتحم حتى غيبها وسمع بعض القوم وهويقول: هلك الرجل فقال خالد بن سنان: كذب ابن راعية المعز، لأخرجن منها وجبيني يندى!. فلما حضرته الوفاة قال لقومه:إذا أنا مت ثم دفنتموني، فإحضروني بعد ثلاث؛ فإنكم ترون عيرًا أبترًا يطوف بقبري فإذا رأيتم ذلك فإنبشوني، فإني أخبركم بما هو كائن إلى يوم القيامة. فاجتمعوا لذلك في اليوم الثالث فلمّا رأَوْا العير وذهبوا ينبشونه، اختلفوا فصاروا فرقتين، وإبنه عبد اللّٰه في الفرقة التي أبت أن تنبشه، وهو يقول: لا أفعل، إني إذًا أُدعى إبن المنبوش! فتركوه.

٨ مروج الذهب، تحقيق محمد محي الدين، ج ١/ ٥٥٥٤؛ وأوردها أيضًا الجاحظ، الحيوان تحقيق عبد السلام هارون، ج ٤/ ٤٧٧.

٩ العانة: الجماعة من حمير الوحش، والعَير ـ بفتح العين ـ الحمار.

١٠ سورة الإخلاص، آية ١١٢.

١١ نستنتج من ذلك ان الفرق الزمني بين خالد بن سنان والنبي محمد هو عمر جيل.

١٢ الحيوان تحقيق عبد السلام هارون، ج ٤/ ٤٧٦، ٤٧٧.

١٣ الحرة: أرض ذات حجارة سود نخرة واكثر الحرار حوالي المدينة الى الشام، والحرتان هما حرة ليلى لبني مرة وهي من وراء وادى القرى من جهة المدينة وحرة النار لغطفان وهي قريبة من حرة ليلى قرب المدينة. انظر ياقوت معجم البلدان، ج ٢/ ٢٤٧ وتعليق عبد السلام هارون محقق كتاب الحيوان.

١٤ أنفش الراعي إبله أي جعلها ترعى ليلًا دون أن يراقبها، ومن مسيرة ثلاث أي ثلاث ليال.

١٥ أي ظهرت وبدت.

وقال الجاحظ عن نبوة خالد بن سنان: والمتكلمون لا يؤمنون بهذا، ويزعمون أن خالدًا هذا كان أعرابيًا وبريًا من أهل شرج وناظرة[١٦] ولم يبعث اللّه نبيًا قط من الأعراب ولا من الفدادين أهل الوبر[١٧] وإنما يبعثهم من أهل القرى وسكان المدن. وقال خليد بن عينين[١٨]:

وأي نبي كان في غير قَوْمِه وهل كان حكم اللّه إلا مع النَّخْلِ[١٩]

وانشدوا:

كَنَارِ الحَرَّتَين لها زفيرٌ يُصمُّ مسامع الرجل السميعِ

وأورد ياقوت[٢٠] عن حرة القوس قول عرعرة النميري:

بحرة القوس وحبتي محفل بين ذراه كالحريق المشعل

وأورد أيضًا عن حرة لُبْن قول الشاعر:

بحرة لُبْن يبرق جانباها ركود ما تُهَد من الصياح

وقال النويري[٢١]وهو يذكر أنواع النيران: وكانت للعرب نار عظمى تسمى نار الحرتين، وهي التي اطفأها اللّه تعالى بخالد بن سنان العبسي وكانت حرة ببلاد عبس تسمى حرة الحدثان. فروى عن ابن الكلبي أنه قال: كان يخرج منها عنق فيسيح مسافة ثلاثة أو أربعة أيام، لا تمر بشيء إلا أحرقته وأن خالد بن سنان أخذ من كل بطن من بني عبس رجلًا فخرج بهم نحوها ومعه درة حتى انتهى إلى طرفها وقد خرج منها عنق كأنه عنق بعير فأحاط بهم فقالوا: هَلَكَت واللّه أشياخ بني عبس آخر الدهر! فقال خالد: كلا! وجعل يضرب ذلك العنق بالدّرة ويقول: بدًا بدًا، كل هدي اللّه يؤدى، أنا عبد اللّه خالد بن سنان، فما زال يضربه حتى رجع، وهو يتبعه والقوم معه، كأنه ثعبان يتملك حجارة الحرة حتى انتهى إلى قليب، فانساب فيه وتقدم عليه، فمكث طويلًا، فقال ابن عم لخالد يقال له عروة بن شب: لا أرى خالدًا يخرج إليكم أبدًا، فخرج ينطف عرقًا وهو يقول: زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج، فقيل لهم بنو راعية المعزى إلى الآن.

[١٦] ماءان لعبس وقد وردت حرة شرج عند ياقوت، معجم البلدان، ج ٢/ ٢٤٩.

[١٧] أي الذين يعيشون في بيوت من وبر الابل وهم اهل البادية، انظر الجاحظ، الحيوان، ج ٤/ ٤٧٨.

[١٨] عينين قرية بالبحرين نسب إليها خليد، انظر تعليق عبد السلام هارون محقق كتاب الحيوان.

[١٩] يقوله لجرير في قصيدة يهجوه بها ويرد عليه، انظر تعليق محقق الحيوان.

[٢٠] معجم البلدان، ج ٢/ ٢٤٩ وانفعال الشاعر بهذه الظاهرة وصدق التعبير عنها دليل على ورؤيتها والتأثر بها.

[٢١] نهاية الارب، ج ١/ ١١٣.

وقال السمهودي[٢٢]: وأقرب من ذلك في مناسبة هذه النار ما ذكره ابن شبة[٢٣] في أخبار المدينة – عند ذكر خالد بن سنان العبسي – الذي قال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم لما جاءته بنته: هذه إبنة نبي ضيعه قومه. فروى ابن شبة في خبره من طرق ما ملخصه أنه كان بأرض الحجاز نار يقال لها نار الحدثان (حرة بأرض بني عبس) تعشى[٢٤] الإبل بضوئها من مسيرة ثماني ليال، وربما خرج منها العنق فذهب في الأرض فلا يبقي شيئًا إلا أكله، ثم يرجع حتى يعود إلى مكانه، وأن اللّٰه تعالى أرسل إليها خالد بن سنان فقال لقومه: إن اللّٰه أمرني أن أُطفئ هذه النار التي أضرت بكم فليقم معي من كل بطن رجل، فخرج بهم حتى إنتهى إلى النار فخطّ عليهم خطًا ثم قال إياكم أن يخرج أحد منكم من هذا الخط فيحترق، ولا يفوهن بإسمي فأهلك، وجعل يضرب النار ويقول: بدًّا بدًّا[٢٥] كل هدي لله مُؤدًّ، حتى عادت من حيث جاءت، وخرج يتبعها حتى ألجأها في بئر في وسط الحرة منها تخرج النار فانحدر فيها خالد.

وفي درة الغواص: فإذا هو بكلاب تحتها فَرَضَّهُنَّ بالحجارة، وضرب النار حتى أطفأها اللّٰه على يده، وكان معهم ابن عم له، فجعل يقول: هلك خالد، فخرج وعليه بردان ينطفان[٢٦] من العرق وهو يقول: كذب إبن راعية المعزى لأخرجن منها وثيابي تندى، فسموا بني ذلك الرجل (بني راعية المعزى) إلى اليوم.

وفي رواية: أن قومه سالت عليهم نار من حرة النار في ناحية خيبر[٢٧] والناس في وسطها، وهي تأتي من ناحيتين جميعًا، فخافها الناس خوفًا شديدًا.

وفي رواية: وهي تخرج من شق جبل من حرة يقال لها حرة أشجع[٢٨] فقال لهم خالد بن سنان: ابعثوا معي إنسانًا حتى أطفئها من أصلها، فخرج معه راعي غنم، وهو إبن راعية، حتى جاء غارًا تخرج منه النار، وفي رواية: إنها كانت تخرج من بئر، ثم قال خالد للراعي: إمسك ثوبي ثم دخل في الغار.

وفي رواية: إنه انطلق في ناس من قومه حتى أتوها، وقال لهم:إن أبطأت عنكم فلا تدعوني بإسمي، فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضًا، فإستقبلها خالد فجعل يضربها بعصاه ويقول هديًا هديًا كل لهب مودى، زعم ابن راعية المعز إني لا أخرج منها وثيابي تندى، حتى دخل معها الشعب[٢٩]، فأبطأ عليهم،

[٢٢] وفاء الوفا، تحقيق محمد محيي الدين، ص ١٥٢-١٥٤.

[٢٣] كان عمر بن شبة بصريا مولى لبني نمَير شاعرًا إخباريًا فقيهًا صادق اللهجة غير مدخول الرواية ومات بسر من رأى لست بقين من جمادى الآخرة سنة ٢٦٢ هـ وبلغ من العمر تسعين عاما. انظر ابن النديم الفهرست، ص ١٢٢.

[٢٤] مضارع من العشا وهو ضعف البصر.

[٢٥] أي تبددي وتفرقي.

[٢٦] يسيلان.

[٢٧] يتفق مع ياقوت، معجم البلدان، ج ٢/ ٢٥٠.

[٢٨] أوردها السمهودي مع حرة النار، وفاء ت. محمد محيي الدين، ص ١١٨٧.

[٢٩] طريق في الجبل.

فقال بعضهم: لو كان حيا لخرج إليكم، فقالوا إنه قد نهانا أن ندعوه بإسمه، قال: إدعوه بإسمه فوَاللّه لو كان حيًا لخرج إليكم بعد، فدعوه بإسمه فخرج وهو آخذ برأسه، فقال: ألم أنهَكم أن تدعوني بإسمي؟ قد وَاللّه قتلتموني، احملوني وادفنوني، فإذا مرت بكم حمر معها حمار أبتر، وفي رواية إذا دفنتموني وأتى علَيّ ثلاثة أيام فأْتوا قبري، فإذا عرضت لكم عانة من حمر وحش وبين يديها عير فانبشوني فإني أقوم فأخبركم ما هو كائن إلى يوم القيامة، فأتوا القبر بعد ثلاث وسنحت لهم الحمر، فأرادوا نبشه، فمنعهم قوم من أهل بيته وقالوا: لا ندعكم تنبشون صاحبنا فنعير بذلك، وفي رواية يكون سبة علينا، فتركوه.

وفي رواية لإبن القعقاع بن خليد العبسي عن أبيه عن جده قال: بعث اللّه خالد بن سنان نبيًا إلى بني عبس، فدعاهم فكذبوه، فقال قيس بن زهير: إن دعوت فأَسيل علينا هذه الحرة نارًا إتبعناك فإنك إنما تخوفنا بالنار، وإن لم تسل نارًا كذبناك، قال: فذلك بيني وبينكم؟ قالوا: نعم، قال فتوضأ ثم قال: اللّهم إن قومي كذبوني ولم يؤمنوا برسالتي إلا أن تُسيل عليهم هذه الحرة نارًا، فأسالها عليهم نارًا، قال: فطلع مثل رأس الحريش[٣٠]، ثم عظمت حتى عرضت أكثر من ميل، فسالت عليهم، فقالوا: يا خالدارددها فإنا مؤمنون بك، فتناول عصا ثم استقبلها بعد ثلاث ليال فدخل فيها فضربها بالعصا فلم يزل يضربها حتى رجعت، قال فرأيتنا نعشي الإبل على ضوء نارها ضلعا[٣١] الربذة[٣٢]، وبين ذلك ثلاث ليال. وروى له إبن شبة أخبارًا أخرى مع قومه.

٣. الهزات الارضية قبل الاسلام

قال السيوطي[٣٣]: حكى المفسرون أن قابيل لما قتل هابيل رجفت الأرض سبعة أيام.

قال السيوطي[٣٤]: قال الزبير بن بكار في الموفقيات: حدثني علي بن صالح عن عامر بن صالح بن عبد اللّه بن عروة بن الزبير عن الحسن بن أبي الحسن البصري عن أبي أمامة الباهلي عن كعب الأحبار قال: لما أوثق إبراهيم إسحاق[٣٥] ابنه عليه السلام وألقاه على الصخرة ليذبحه تغير لون السماء وتصدعت الأرض وتزلزلت الجبال. فلما أخذ الشفرة ووضعها على حلقه اهتز عرش الرحمن.

٣٠ دويبة قر الصبع بأرجل كثيرة، وهي التي يسميها العامة «أم أربعة وأربعين».

٣١ ضلعا: ضلع بني الشيصبان وضلع بني مالك جيلان بحمى ضَرِيّة قرية عامرة قديمة من أعمال المدينة على طريق البصرة وهي إلى مكة أقرب على نحو سبع مراحل من المدينة. السمهودي، وفاء، ط. المؤيد ج ٢/ ٣٣٩

٣٢ حمى الربذة: قرية بنجد من عمل المدينة على ثلاثة أيام. السمهودي، وفاء، ط. المؤيد، ج ٢/ ٢٢٧.

٣٣ كشف الصلصلة، ص ٣.

٣٤ كشف الصلصلة، ص ١٧.

٣٥ يقول د. عبد اللطيف السعداني محقق كتاب كشف الصلصلة، ص ١٧: (إسحاق) كذا في جميع النسخ، والصواب كما هو المشهور (إسماعيل).

قال السيوطي في ذكر هلاك قوم شعيب عليه السلام بها قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾[٣٦] أخرج إسحاق بن بشر في كتاب المبتدأ وابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ» قال:إن جبريل عليه السلام نزل فوقف عليهم فصاح صيحة رجفت منها الأرض والجبال فخرجت أرواحهم من أبدانهم فذلك قوله تعالى «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ» وذلك أنهم حين سمعوا الصيحة، قاموا قيامًا وفزعوا لها فرجفت بهم الأرض فرمتهم ميتين.

قال السيوطي[٣٧] في ذكر زلزلتها بالسبعين الذين اختارهم موسى عليه السلام: قال تعالى: ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَـٰتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ [٣٨] الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قصة المقتول قال: لما عبد بنو اسرائيل العجل واستيقنوا بالفتنة سألوا باب التوبة فاختار موسى من قومه سبعين رجلا لذلك، فانطلق يسأل ربه لقومه التوبة فرجفت بهم الأرض وكان فيهم من قد اطَّلع اللَّه منه على ما أشرب قلبه من حب العجل والإيمان به، فلذلك رجفت بهم الأرض.

قال السيوطي[٣٩] في ذكر الزلازل التي وقعت بالشام بعد عيسى عليه السلام: أخرج البيهقي في دلائل النبوة[٤٠] من طريق مروان ابن الحكم عن معاوية بن أبي سفيان قال: حدثني أبوسفيان بن حرب قال خرجت أنا وأمية بن أبي الصلت إلى الشام فلقينا راهبًا فأخبرنا أن نبيًا مبعوث، وقال: آية ذلك أن الشام قد رجفت بعد عيسى بن مريم (عليه السلام) ثمانين رجفة يدخل على الشام منها شر ومصيبة. فلما صرنا قريبًا من ثنية إذا راكب قال من أين؟ قال من الشام، قلنا هل كان من حَدَث؟ قال نعم، رجفت الشام رجفة دخل على الشام منها شر ومصيبة.

قال السيوطي[٤١] في ذكر زلزلة الأرض لما قدم أصحاب الفيل مكة: أخرج ابن منذر في تفسيره من طريق طلحة بن كريز عن مولى الهذيل قال: مررت وأنا أقود مولاي وقد ذهب بصره، فمررت بعثمان بن عفان وهو جالس في أصحابه، فقالوا: يا أمير المؤمنين هذا أكبر العرب، فدعا به، فجئت به أقوده حتى جلس بين يدي عثمان، فقال عثمان: أخبرني عن يوم الفيل؛ فقال موْلاي لعثمان: بعثت يوم الفيل طليعة على فرس أبي فكنت واقفًا على الجبل أنظر إليهم، فهاجت ريح وظلمة، وزلزلت الأرض حتى قعد بي فرسي ومرت بهم طير بيض من قبل البحر في منقار كل طائر منها حجر وفي رجل كل طائر حجر، فمسحتهم مسحة كَلَفْتِك ورائك. وانجلت الظلمة وسكنت الريح، فنظرت فإذا القوم خامدون.

٣٦ سورة الأعراف، آية ٩١.
٣٧ كشف الصلصلة، ص ١٨، ١٩.
٣٨ سورة الأعراف، آية ١٥٥.
٣٩ كشف الصلصلة، ص ١٩، ٢٠.
٤٠ دلائل النبوة، ج ٣، ص ١١٦-١١٧.
٤١ كشف الصلصلة، ص ٢٠.

قال السيوطي[٤٢] في ذكر زلزلة البيت ليلة ولد النبي صلى اللّه عليه وسلم: أخرج أبونعيم في «الدلائل» عن عمرو بن قتيبة عن أبيه قال: لما حضرت ولادة آمنة نكست الأصنام كلها، وأما البيت فأيامًا سمعوا من جوفه صوتًا وهو يقول: الآن يرد عليّ نوري، الآن يجيئني زوّاري، الآن أطهُر من أنجاس الجاهلية، أيتها العزَّى هلكت؛ ولم تسكن زلزلة البيت ثلاثة أيام ولياليهن. وهذه أوّل علامة رأت قريش من مولد رسول اللّه صلَّى اللّه عليه وسلم.

قال السيوطي[٤٣] في زلزلة إيوان كسرى: أخرج البيهقي وأبونعيم كلاهما في الدلائل عن هانئ المخزومي قال لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربعة عشر شرافة.

قال البيروني[٤٤]: ونقل ابن العميد[٤٥] أيضًا من تواريخ السريانيين أن في سنة مائة وثمان وثلاثين للإسكندر، وهي الثانية من ملك يوسطنيانس[٤٦] قيصر، كانت زلزلة بأنطاكية وخسف وأن جبلا فوق قلوذية انشقّ ووقع في الفرات، فانسدّ وارتفع ماؤه حتى غرق وخرب ثم تراجع الماء إلى ورائه حتى فتح لنفسه طريقًا وعاد إلى جرْيه.

ارتبط زلزال بمولد الرسول محمد فينقل اليعقوبي وغيره من المؤرخين[٤٧] عن الخوارزمي[٤٨]: لما ولد رسول اللّه[٤٩] رُجمت الشياطين وانقضت الكواكب فلما رأت ذلك قريش أنكرت انقضاض الكواكب وقالوا: ما هذا إلا لقيام الساعة، وأصاب الناس زلزلة عمت جميع الدنيا حتى تهدمت الكنائس والبيَع، وزلّ كل شيء يُعبد دون اللّه عز وجل عن موضعه وعميت على السحرة والكهان أمورهم وحبست شياطينهم، وطلعت نجوم لم تُر قبل ذلك فأنكرتها كهان اليهود وزُلزل إيوان كسرى فسقطت منه ثلاثة عشر شرافة، وخمدت نار فارس ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام.

[٤٢] كشف الصلصلة، ص ٢١.

[٤٣] كشف الصلصلة، ص ٢١.

[٤٤] تحديد نهايات الأماكن، ص ٤٨، ٤٩. انظر أيضًا ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، الجزء القسم الثاني، تحقيق آن ماري إدّه،
Anne-Marie Eddé: « La description de la Syrie du Nord »: *Bulletin d'études orientales* XXXII-XXXIII, Damas, 1982, p. 319.

[٤٥] هو أبوالفضل محمد بن العميد الوزير الشهير. انظر ترجمته في،
Biruni, *Picture of the World*, ed. by Ahmed Walidi Toghan, *Archaeological Survey of India Memoirs*, No. 53, New Delhi, 1941.

[٤٦] القيصر الرومي Justinien (٥٢٧–٥٦٥ م) والزلزلة بذلك ٥٢٨ م، Voir V. Grümel, *La Chronologie*, p. 478.

[٤٧] اليعقوبي، تاريخ، ج ١/ ٨، ٧؛ ابن كثير البداية، ج ٢/ ٢٦٨؛ أبوالفدا، المختصر، ج ١/ ١١٠؛ السيوطي، كشف الصلصلة، ص ٢٠، ٢١.

[٤٨] هو محمد بن موسى الخوارزمي وأصله من خوارزم وكان منقطعًا إلى خزانة الحكمة للمأمون وهو من أصحاب علوم الهيئة وله كتاب في التاريخ. انظر ابن النديم، الفهرست، ص ٢٧٤.

[٤٩] يقول الواقدي، الطبقات، ٣/ ١/ ٣: توفي الرسول عن ثلاثة وستين سنة في يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة احدى عشر من الهجرة وولد عام الفيل «فيكون مولده في عام ٥٧٠ ميلادية».

الباب الثاني

الزلازل والظواهر البركانية
بين القرنين الأول والخامس الهجري

٥ هـ/ ٦٢٦ م

قال البيروني[١]: إن الناس على عهد الرسول صلى اللّه عليه وسلم سمّوا كل سنة مما بين الهجرة والوفاة باسم مخصوص بها مشتق مما اتفق فيها له عليه السلام فسمّوا السنة الخامسة سنة الزلزال[٢].

وقال ابن الاثير[٣]: زلزلت المدينة فقال رسول اللّه: إن اللّه عزّ وجلّ يستعتبكم فاعتبوه.

ونزلت سورة الزلزلة بالمدينة: بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٤].

٦ هـ/ ٦٢٧ م

قال ابن القاسم[٥]: وفيها [السنة السادسة] تزلزلت المدينة المشرّفة فقال صلّى اللّه عليه وسلم: «ربكم يستعتبكم فاعتبوه». العتب في اللغة الغضب وقوله يستعتبكم أي يطلب منكم طاعته. وفيها كسفت الشمس.

١ الآثار الباقية، ص ١٣.
٢ مما يجدر ملاحظته أن سورة الزلزلة (مدنيّة) رغم أن أغلب قصار السور كانت (مكية) وقد تكون مناسبة لعام الزلزال.
٣ أسد الغابة، ج ١/ ٢٢.
٤ سورة الزلزلة: آية ٩٩.
٥ غاية الأماني، ج ١/ ٨٧.

٧ هـ/ ٦٢٨ م

قال السيوطي[٦] [السنة السابعة]: أخرج عن أبي هريرة قال: رجفت الأرض على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم فقال: يا أيها الناس إن ربّكم قد عتب عليكم فاعتبوه. (أبوهريرة أسلم عام خيبر أواخر سني الهجرة). وأخرج البُخاري عن أنسٍ قال: صعد النبيّ صلّى اللّه عليه وسلم أُحُدًا أو حِراء ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه النبي صلى اللّه عليه وسلم برجله وقال: «اثبت عليك نبي وصديق وشهيدان».

١٣-١٥ هـ/ ٦٣٤-٦٣٦ م

قال المكين ابن العميد[٧]: وفي السنة الثالثة عشر للهجرة عرضت رجفة شديدة بأرض فلسطين ثلاثين يومًا وزلزلت الأرض وعرض فيها وباء شديد.

قال ابن شداد[٨]: ولما فتح أبوعبيدة مدينة حلب[٩] كانت قلعتها مُرمّمة الأسوار بسبب زلزلة كانت أصابتها قبل الفتوح فأخربت أسوار البلد وقلعتها، ولم يكن ترميمها محكمًا فنقض بعد ذلك وبناه.

١٩ هـ/ ٦٤٠ م

قال الطبري[١٠]: في هذه السنة سالت حرة ليلى ـ وهي قريب المدينة ـ نارًا. فيما زعم الواقدي فأراد عمر الخروج اليها بالرجال، ثم أمرهم عمر بالصدقة، فتصدق الناس فانطفأت.

٦ كشف الصلصلة، ص ٢١، ٢٢.

٧ تاريخ ابن العميد، ص ١٩.

Théophane signale un tremblement de terre en Palestine en 632 ; voir V. Grümel, *La chronologie*, p. 479.

٨ الأعلاق الخطيرة، ج ١/ ١/ ٢٣.

٩ كان فتح حلب سنة خمس عشرة هجرية.

١٠ تاريخ الطبري، ج ١/ ٥/ ٢٥٧٩.

وقال النويري[١١] في كلامه عن الفأل والطِيْرة: حُكي أن عمر رضي اللَّه عنه خرج إلى حرة واقم[١٢] فلقى رجلا من جهينة فقال له: ما اسمك؟ قال شهاب، قال: ابن من؟ قال: ابن جَمْرة، قال وممّن أنت؟ قال: من الحُرقَة. قال: ثم مِمَّن؟ قال من بني ضرام! قال: وأين منزلك؟ قال بحرة ليلى[١٣]! قال: وأين تريد؟: قال لظى[١٤]- وهو موضع - فقال عمر: أدرك أهلك، فما أراك تدركهم إلا وقد احترقوا؛ قال: فأدركتهم وقد أحاطت بهم النار.

قال المقريزي[١٥]: في كتابه عن تميم الداري[١٦]: وروى سعيد الجُرَيري، عن أبي العلاء بن الشِّخِّير، عن معاوية ابن حرمل أن تميمًا الداري أضافه، وأن نارًا خرجت بالحرة، فجاء عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه إلى تميم رضي اللَّه عنه فقال له: قم إلى هذه النار، فقال: يا أمير المؤمنين[١٧] ومن أنا؟ وما أنا؟ قال: فلم يزل به حتى قام معه، فتبعتُهما فانطلقا إلى النار معا، فجعل يحوشها بيده، حتى دخلت الشعب[١٨] فدخل خلفها، فجعل عمر رضي اللَّه عنه يقول: ليس من رأى كمن لم يرَ.

٢٠ هـ/ ٦٤٠ م

قال ابن الجوزي[١٩]: زلزلت الأرض على عهد عمر رضي اللَّه في سنة عشرين.

قال السيوطي[٢٠]: وأخرج ابن أبي شيبة ونعيم بن حماد في الفتن والخطيب البغدادي عن صفية بنت أبي عبيد قال زلزلت الأرض على عهد عمر فقال عمر: أيها الناس ما هذا؟ ما أسرع ما أحدثتم، لئن عادت لا أُساكنكم فيها أبدا.

١١ نهاية الأرب، ج ٣/ ١٤٤.

١٢ قال ياقوت: إنها إحدى حرتي المدينة وهي الشرقية وسميت باسم رجل من العماليق اسمه واقم. وأورد ياقوت لقاء عمر مع هذا الرجل في كلامه عن حرة النار؛ ولقد جرى تصويب ما جاء في نهاية الأرب بما يتفق ومعجم البلدان، ج ٢، ص ٢٥٠.

١٣ وردت بمعجم البلدان «حرة النار».

١٤ وردت بمعجم البلدان «بذات الظى».

١٥ ضوء الساري، ص ١٠٣، ١٠٤.

١٦ أورد هذا الخبر الذهبي، سير أعلام النبلاء ج ٢/ ٣١٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦/ ١٦٣.

١٧ الأضافة من السمهودي، وفاء الوفا، ج ١/ ١٥٤، ١٥٥.

١٨ الطريق في الجبل.

١٩ المدهش (مخطوط)، ٢٩ ظ.

٢٠ كشف الصلصلة، ص ٢٢.

قال صاحب «مرآة الزمان»[٢١]: وذكر جدي في كتاب يقال له «معاني المعاني» فضربها عمر بالدرة فسكنت.

قال هشام: وهي أول زلزلة كانت في الإسلام وكانت بالمدينة وأخربت الدور في سنة عشرين.

٢٢ هـ/ ٦٤٣ م

قال ابن القاسم[٢٢]: فيها كانت الزلازل العظيمة في أكثر البلاد. وقال ابن مطهر المقدسي[٢٣]: زلزلت الأرض بدمشق فخطب أبو الدرداء: «إن اللّٰه يستعتبكم فاعتبوا».

٣٥ هـ-٤٠ هـ/ ٦٥٦ م-٦٦١ م

زلازل في عهد علي بن أبي طالب والصحابة:

قال السيوطي[٢٤]: وقال الرافعي[٢٥] في كتابه «التدوين في أخبار قزوين»: رأيت بخط أبي الحسين بن ميمون: أنبأنا العرجي عن علي بن عبد الحميد القزويني حدثنا محمد بن سليمان النخعي حدثنا عمر بن أسامة الرهاوي عن فضل بن الزبير قال: بينما عليّ كرّم اللّٰه وجهه جالس في الرحبة[٢٦] زلزلت الأرض فضربها عليّ بيده ثم قال: قري. وقد تقدم أنها زلزلت في عهد ابن عباس ولم أقف على تعيين سنتها. وأخرج ابن أبي الدنيا عن أشعث بن سوار قال: حدثني رجل من أهل مسجد الكوفة وكان أبوه مِمّن شهد بدرًا قال: مررت على قرية تزلزل، فوقفْت أنظر فخرج عليّ رجل فقلت ما وراءك؟ قال تركتُها تزلزل، وإن الحيطين ليصطكان ويرمي بعضهما على بعض، فقلت: ماكانوا يعملون؟ قال: كانوا يأكلون الربا.

٢١ سبط ابن الجوزي وهذا الجزء من الكتاب مخطوط.

٢٢ غاية الأماني، ج ١/ ٨٧.

٢٣ البدء والتاريخ، ج ٢/ ٦٣.

٢٤ كشف الصلصلة، ص ٢٢، ٢٣.

Théophane signale un tremblement de terre en Palestine et Syrie en juin 659, voir V. Grümel. *La chronologie*, p. 479.

٢٥ هو أبو القاسم عبد الكريم الرافعي القزويني المتوفي سنة ٦٢٣ هـ، وكتابه المذكور أعلاه في أربع مجلدات موجود منها بدار الكتب المصرية نسخة مصورة عن نسخة ببلدية الإسكندرية برقم ٦١٥٤ تاريخ.

٢٦ قرية تقع بالقرب من القادسية وعلى مرحلة من الكوفة انظر ياقوت، معجم البلدان، ج ٤/ ٢٣٤، رحلة ابن جبير، ص ٢٤٠٠.

قال الدارمي[٢٧]: أخبرنا عبد اللّٰه بن موسى عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد اللّٰه [بن مسعود][٢٨] بخسفٍ فقال كنا أصحاب محمدٍ نُعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفًا.

قال السيوطي[٢٩]: أخرج الشافعي في الأم [٣٠] والبيْهقي في سُننه عن عليّ بن أبي طالب أنه صلّى في زلزلة ست ركعات في أربع سجدات، وخمس ركعات وسجدتين في ركعة، وركعة وسجدتين في ركعة. قال الشافعي: لو ثبت هذا الحديث عندنا عن عليّ لقُلْنا به، قال البيْهقي: هو ثابت عن ابن عباس.

٩٤ هـ/ ٧١٢ م

قال الأصفهاني[٣١]: ذكر محمد بن موسى الخوارزمي في كتابه في التاريخ أن في سنة أربع وتسعين من الهجرة لعشر خلون من آذار بدأت الزلازل في الدنيا فدامت أربعين يومًا وشمل الهدم الأبنية الشاهقة وتهدمت دورأنطاكية.

وقال ابن الأثير[٣٢]: وفيها كانت الزلازل بالشام ودامت أربعين يومًا فخربت البلاد وكان عظم ذلك بأنطاكية.

وقال الإربلي [٣٣] في خلافة الوليد بن عبد الملك: إن في أيامه كان الطاعون الجارف بالبصرة وكانت في أيامه زلازل كثيرة.

٩٨ هـ/ ٦١٧ م

قال الأصفهاني[٣٤]: فيها كانت الزلازل في الدنيا كثيرة ودامت ستة اشهر.

[٢٧] سنن، ج ١، ص ١٤، ١٥.

[٢٨] الإضافة من عند جار اللّٰه الزمخشري، ربيع الأبرار (مخطوط)، ورقة ٢٥ ظ.

[٢٩] كشف الصلصلة، ص ١٢.

[٣٠] ط. بولاق وعلى هامشه المختصر ١٣٣٠هـ، ج ١/ ٢١٨، ولم يرد هذا الحديث.

[٣١] تاريخ، ص ١٨٧.
Théophane date un tremblement de terre de fevrier 713, voir V. Grümel, *La chronologie*, p. 479.

[٣٢] الكامل، ج ٤/ ٥٨٢.

[٣٣] الذهب المسبوك، ص ١.

[٣٤] تاريخ، ١٨٧؛ انظر أيضًا ابن الأثير، الكامل، ج ٤/ ٥٨٢.

وورد في مخطوط «الحواضر ونزهة الخواطر»[٣٥] إنه في أيام سليمان بن عبد الملك ورد كتاب ابن هبيرة[٣٦] أن ببخارَى وقت السحر سمع قعقعة عظيمة من السماء ودويّ كالرعد القاصف سقطت منه الحوامل فنظروا فإذا قد انفرج من السماء فرجة عظيمة ونزل أشخاص عظماء رؤوسهم في السماء وأرجلهم في الأرض وقائل يقول: يا أهل الأرض اعتبروا بأهل السماء هذا صفوائيل المَلَك عصى ربَّه فعُذّب، فلما طلع النهار جاء الناس إلى ذلك الموضع فوجدوا خسفًا عظيمًا لا يدرك له قرار يصعد منه دخان أسود كل ذلك مثبوت على قاضي بخارى بأربعين عدلًا.

٩٩ أو ١٠٠ هـ/ ٧١٧ أو ٧١٨ م

قال السيوطي[٣٧]: قال ابن أبي شيبة[٣٨] في «المصنف» حدثنا وكيع عن جعفر بن برقان: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز في زلزلة بالشام أن أخرجوا يوم الإثنين من شهر كذا وكذا ومن استطاع منكم أن يُخرج صدقة فليفعل فإن اللّه قال: ﴿قَدْ أَفلَحَ مَنْ تَزَكَّى، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[٣٩].

١٣٠ هـ/ ٧٤٧ م

قال الذهبي[٤٠]: وفيها كانت الزلزلة العظيمة بالشام؛ قال ابن جوصا حدثنا محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عمرو بن محمد بن شدّاد بن أوس الأنصاري حدثنا أبي عن أبيه فذكر حديثًا طويلًا منه: لمَّا كانت الرجفة التي بالشام سنة ثلاثين ومائة كان أكثرها ببيت المقدس فهلك أكثر من كان فيها من الأنصار وغيرهم ووقع منزل شداد بن أوْس على من كان معه، وسلم محمد بن شـدّاد وذهب متاعه تحت الردم وكانت النعل[٤١] الشريفة زوجًا خلفها شدّاد بن أوْس عند ولده فصارت إلى إبنه محمد، فلما رأت أخته ما نزل به

[٣٥] منسوب لأبي شامة، ورقة ١٠٥؛ النويري، نهاية الأرب، مخطوط؛ العيني عقد الجمان. مخطوط ج ١١/ ٣/ ٤٢١.

[٣٦] هو عمر بن هبيرة عامل لسليمان بن عبد الملك.

[٣٧] كشف الصلصلة، ص ١٣.

Les sources chrétiennes syriennes signalent un tremblement de terre en Syrie en janvier 718 ; les secousses durent six mois ; voir V. Grümel, *La chronologie* , p. 479.

[٣٨] هو عثمان بن أبي شيبة توفى سنة ٢٣٧ هـ وهو من المحدثين المصنفين. انظر ابن النديم، الفهرست، ص ٢٢٩.

[٣٩] سورة الأعلى، آية ١٤،١٥.

[٤٠] تاريخ الإسلام، ج ٥/ ٣٩، ٤٠.

[٤١] ذكر الواقدي نعل الرسول عند شداد بن أوس الانصارى، الطبقات، ١/ ١٦٦.

وبأهله جاءت وأخذت فرد النعلين وقالت يا أخي ليس لك نسل وقد رزقت ولدًا وهذه مكرمة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم أحب أن يشركك فيها ولدي فأخذتا منه وكان ذلك في وقت الرجفة فمكثت عندها حتى كبر أولادها فلما قدم (الخليفة) المهدي إلى بيت المقدس أتوه بها وعرفوه نسبها من شدّاد بن أوْس فعرف ذلك وقبلها وأجاز كل واحد منها وقربه، ثم بعث إلى محمد فأتى به محمولًا لزمانته، فسأله عن خبر النعل فصدق مقالة الأخوين، فقال ائتني بالأخرى فبكى وناشده اللّه فرقّ له وأقرّها عنده.

وقال العليمي[٤٢] في فصل عن فضل الصخرة ليلة الرجفة وذلك في القدس: روى أبوعمير عن جندب عن رستم الفارسي قال: أتت الرجفة فقيل لي: قم فأَذِّنْ، فاستهنت بذلك[٤٣]، ثم أتت الثانية فقيل لي قم فأذّن، فإستهنت بذلك ثم أتت الثالثة، فانتهزت انتهازة شديدة وقيل لي: قم فأذِّن فأتيت المسجد فإذا الدور قد تهدّمت؛ قال: فخرج لي بعض حراس الصخرة فقال لي: اذهب فآتني بخبر أهلي وتعال فأخبرك بالعجب، قال فأتيت منزله فإذا هو قد هدم، فرجعت فأعلنته فقال لي: لما كان من الأمر ما كان أُتِيَ إليها فحُمِلَت حتى نظرنا إلى السماء والنجوم ثم أعيدت فسمعناهم يقولون: ساووها عدلوها حتى أعيدت على حالها.

ورواه عبيد اللّه بن محمد القرماني عن ضمرة عن رستم بنحوه وفيه أن الذي خرج إليه رجل من حرس الصخرة الشريفة، وكان على كل باب عشرة - وفيه لما أخبره عن أهله قال: لم نعلم في أول الليل إلا وقد قلعت القبة من موضعها حتى بدت لنا الكواكب، فلما كان قبل مجيئك سمعنا حفيفا وحبكة ثم سمعنا قائلًا يقول ساووها عدلوها، ثلاث مرات فأعيدت على حالها.

وروى الوليد بن حماد عن عبد الرحمن بن محمد بن منصور بن ثابت قال: حدثني أبي عن أبيه عن جده أن أبا عثمان الأنصاري كان يُحيي الليل بعد انصرافه من القيام في شهر رمضان على البلاطة السوداء، قال فبينما هو قائم في الصلاة حتى سمع صوت الهدة في المدينة وصراخ الناس واستغاثتهم وكانت ليلة باردة مظلمة كثيرة الرياح والأمطار قال سمعت قائلا يقول - أسمع الصوت ولا أرى الشخص - ارفعوها رويدا بِاسم اللّه فقلعت القبة حتى تبدى لنا بياض السماء والنجوم فأصاب وجهه من رش المطر حتى أذَّن رستم الفارسي فسمع قائلًا يقول: ردوها رويدًا بسم اللّه ساوُوها، وكانت هذه الرجفة في شهر رمضان سنة ثلاثين ومائة واللّه سبحانه وتعالى أعلم.

٤٢ الأنس الجليل، ج ١/ ٢٣٧، ٢٣٨.

٤٣ وهي التي من داخل الباب الشامي من أبواب الصخرة ويعرف هذا الباب بباب الجنة ويقال إن قبر سليمان عليه السلام بهذا الباب، العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ ٢٣٦.

١٣١ هـ/ ٧٤٨ م

قال ابن تغري بردي[٤٤]: وفيها كانت زلازل شديدة بالشام أخربت بيت المقدس وأهلكت أولاد شداد بن أوْس وخرج أهل الشام إلى البرية وأقاموا أربعين يومًا على ذلك وقيل كان ذلك سنة ١٣١ هـ

١٤٠ هـ - ١٥٨ هـ/ ٧٥٧ م - ٧٧٤ م

قال العليمي[٤٥] في ذكر صفة المسجد الأقصى: إن الأبواب كانت مُلبّسة بصفائح الذهب والفضة في خلافة عبد الملك بن مروان، فلما قدم أبو جعفر المنصور العباسي وكان شرقي المسجد وغربيه قد وقعا فقيل له: يا أمير المؤمنين قد وقع شرقي المسجد وغربيه من الرجفة في سنة ثلاثين ومائة؛ ولو أمرت ببناء هذا المسجد وعمارته؟ فقال: ما عندي شيء من المال ثم أمر بقلع الصفائح الذهب والفضة التي كانت على الأبواب فقلعت وضربت دنانير ودراهم وأنفقت عليه؛ ثم كانت الرجفة الثانية[٤٦] فوقع البناء الذي كان أمر به أبو جعفر ثم قدم المهدي من بعده وهو خَرِب فرفع ذلك فأمر ببنائه، وقال: رث هذا المسجد وطال وخلا من الرجال انقصوا من طوله وزيدوا في عرضه. فتم البناء في خلافته وهو أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه المنصور الملقّب بالمهدي بويع بالخلافة لست خلون من ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ

وقال المقدسي[٤٧]: وأما المسجد الأقصى فهو على قرنة البلد الشرقي نحو القبلة أساسه من عمل داود طول الحجرة عشرة أذرع وأقل، منقوشة موجهة مؤلفة صلبة، وقد بنى عليه عبد الملك بحجارة صغار حسان وشرفوه، وكان أحسن من جامع دمشق لكن جاءت زلزلة في دولة بني العباس فطرحت المغطى إلا ما حول المحراب فلما بلغ الخليفة خبره قيل له: لا يفي بردِّه إلى ما كان بيت مال المسلمين فكتب إلى أمراء الأطراف وسائر القواد أن يبني كل واحد منهم رواقًا فبنوه أوثق وأغلظ صناعة مما كان وبقيت تلك القطعة شامة فيه.

٤٤ النجوم الزاهرة، ج ١/ ٣١١.

Élie de Nisibe signale le tremblement de terre de 131 H. en Syrie, voir V. Grümel, *La chronologie*, p. 479.

٤٥ الأنس الجليل، ج ١/ ٢٨٢.

Théophane signale un tremblement de terre en Palestine et Syrie en mars 756, voir V. Grümel, *La chronologie*, p. 479.

٤٦ المرجع السابق، الأنس الجليل، ج ١/ ٢٨٣.

٤٧ أحسن التقاسيم، ص ١٨٦.

١٤٠ هـ/ ٧٥٧ م

قال ابن الأثير[٤٨]: وفيها أمر المنصور بعمارة مدينة المصيصة على يد جبرائيل بن يحيى وكان سورها قد تشعث من الزلازل وأهلها قليل فبنى السور وسماها المعمورة وبنى بها مسجدًا جامعًا وفرض فيها لألف رجل وأسكنها كثيرًا من أهلها.

قال ابن شداد[٤٩] عن المصيصة عند ذكر الثغور وتحديد بقاعها: ثم لمَّا ولي المنصور الخلافة ثم أمر بعمران مدينة المصيصة، وكان حائطها متشعثًا من الزلازل سنة أربعين ومائة وسمّاها المعمورة.

١٨٠ هـ/ ٧٩٦ م

قال الطبري[٥٠]: فيها كانت زلزلة شديدة فسقط منها رأس منارة الإسكندرية.

١٨٧ هـ/ ٨٠٢ م

قال ابن الأثير[٥١]: وفيها زلزلت المصيصة فإنهدم سورها، ونضب ماؤها ساعة من الليل.

٢٠٣ هـ/ ٨١٨ م

قال ابن الأثير[٥٢]: في هذه السنة كانت بخراسان زلازل عظيمة دامت مقدار سبعين يومًا وكان معظمها ببلخ، والجوزجان، والفارياب، والطالقان وما وراء النهر فخربت البلاد وتهدّمت الدور وهلك فيها خلق كثير.

[٤٨] الكامل، ج ٥/ ٥٠٠.

[٤٩] الأعلاق الخطيرة، الجزء الأول، القسم الثاني، تحقيق آن ماري إدّه، دمشق ١٩٨٢، BEO ٣٧٠.

[٥٠] تاريخ الطبري، ج ٣/ ١١/ ٦٤٥.

En avril 796 , Théophane signale un tremblement de terre en Crète , cf V. Grümel, *La chronologie*, p. 479.

[٥١] الكامل، ج ٦/ ١٨٩.

[٥٢] الكامل، ج ٦/ ٣٥٦.

وقال ابن خرداذبة[٥٣]: فلما كانت الزلزلة بخراسان في نواحي مرو وطخارستان وهي سنة ثلاث ومائتين تفجرت من الزلزلة عيْن السدرة، وصارت عينًا كبيرة وجرى ماؤها في البرية وهي مفازة تتصل بمرو وآمل والغالب عليها الرمل والقصباء وصار موضع الشجرة قرية فيها زروع كثيرة وأشجار.

وقال السيوطي[٥٤]: سقط جامع بلخ ونحو ربع المدينة.

٢١٢ هـ/ ٨٢٧ م

قال ابن القاسم[٥٥]: فيها كانت الزلزلة العظيمة بصنعاء وكان أشدها بعدن فتهدمت المنازل وخربت قرى هلك فيها خلقٌ كثير من الزلازل.

٢١٩ هـ/ ٨٣٤ م

قال السيوطي[٥٦]: قال صاحب المرآة [سبط ابن الجوزي] كانت ظلمة شديدة بين الظهر والعصر وزلازل هائلة وقال: أبو بكر النحاس في الوقت الذي ضرب فيه أحمد بن حنبل أظلمت الدنيا وزلزلت.

٢٢٠ هـ/ ٨٣٥ م

قال السيوطي[٥٧]: زلزلت الأرض ودامت أربعين يومًا وتهدمت أنطاكية.

[٥٣] كتاب المسالك والممالك، ط. ليدن ١٣٠٦ هـ، ص ٢١٠، ٢١١.
[٥٤] كشف الصلصلة، ص٤٢.
[٥٥] انباء الزمن (مخطوط) ج ١/ ٦٠.
[٥٦] كشف الصلصلة، ص ٢٤.
[٥٧] كشف الصلصلة، ص ٢٥.

٢٢٤ هـ/ ٨٣٨ م

قال النويري السكندري[٥٨]: وأما الزلازل فقال ابن الجوزي في كتاب «العقود في تاريخ العهود» إن في سنة أربع وعشرين ومائتين للهجرة زلزلت فرغانة فمات بها أكثر من خمسة عشر ألفًا.

قال ابن أيبك الدواداري[٥٩]:وفيها زلزلت مدينة فرغانة زلزلة عظيمة مات من أهلها تحت الردم خمسة عشر ألف نفس، وخرب منها قريب الثلث وكانت زلزلة ما عهدوا قبلها مثلها.

قال السيوطي[٦٠]: فيها زلزلت مدينة فرغانة فمات فيها [أكثر] من خمسة عشر ألفا.

٢٢٥ هـ/ ٨٣٩ م

قال الأصفهاني[٦١]: أصابت الأهواز رجفة دامت أربعة أيام بلياليها فصدعت الجبل المطل عليها وهرب أهل البلد إلى البحر وإلى السفن وسقطت فيها دور كثيرة. وأضاف ابن الدواداري[٦٢]: وسقط نصف المسجد الجامع.

وقال السيوطي[٦٣]: رجفت الأهواز وتصدعت الجبال ودامت ستة عشر يومًا.

٢٢٦ هـ/ ٨٤٠ م

قال ابن الأثير[٦٤]: زلزلت الأهواز زلزلة شديدة خمسة أيام وكان مع الزلزلة ريح شديدة فخرج الناس عن منازلهم وخرب كثير منها.

٥٨ الإلمام بالإعلام، ج ٤/ ١٢٩.

٥٩ كنز الدرر (مخطوط) ج ٥/ ٢/ لوحة ١٨٥. والمطبوع تحقيق دوروتيا كراُفولسكي/ ج ٥ «الدرة السنيّة في أخبار الدولة العباسية» ، ص ٢١٩.

٦٠ كشف الصلصلة، ص ٢٥.

٦١ تاريخ سني ملوك الأرض، ص ١٨٧، ١٨٨؛ انظر أيضًا النويري السكندري، الإلمام، ج ٤/ ١٢٩، ١٣٠.

٦٢ كنز الدرر، مشار اليه أعلاه، ص ٢٢٠.

٦٣ كشف الصلصلة، ص ٢٥.

٦٤ الكامل، ج ٦/ ٥٢١.

٢٣٠ هـ/ ٨٤٤ م

قال السيوطي[٦٥]: كانت زلزلة مهولة بدمشق سقطت منها دور كثيرة وهلك تحتها خلق وامتدت إلى أنطاكية فهدمتها وإلى الجزيرة فأخربتها وإلى الموصل فيقال هلك من أهلها خمسون ألف كذا في تاريخ الذهبي.

٢٣٢ هـ/ ٨٤٦ م

ورد عند السيوطي[٦٦]: كثرت الزلازل في الدنيا وخصوصًا المغرب والشام، وانهدمت حيطان دمشق وحِمص وكان أشدها بأنطاكية والعواصم وأخربت بلاد الجزيرة ودامت أيامًا.

٢٣٣ هـ/ ٨٤٦ م

قال الذهبي[٦٧]: رجفت دمشق رجفة شديدة من ارتفاع الضحى - أي إلى ثلاث ساعات، فانتفضت منها البيوت وزالت الحجارة العظيمة وسقطت عدة طاقات من الأسواق على من فيها فقتلت خلقًا كثيرًا وسقط بعض شرافات الجامع وانقطع ربع منارته وانكفأت قرية من عمل الغوطة على أهلها فلم ينج منها إلا رجل واحد، واشتدت الزلازل على أنطاكية والموصل ووقع أكثر من ألفي دار على أهلها فقتلتهم ومات من أهلها عشرون ألفًا وفقد من بستان أكثر من مائتي نخلة من أصولها فلم يبق لها أثر.

وقال السيوطي[٦٨]: كانت زلزلة عظيمة ذكرها الحافظ ابن عساكر في كتاب الزلازل[٦٩]: زلزلت دمشق يوم الخميس ضحى لإحدى عشرة خلت من ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين ومائتين فقطعت ربعًا من الجامع وتزايلت الحجارة العظام ووقعت المنارة وسقطت القناطر والمنازل وامتدت في الغوطة فأتت على داريا والمزة وبيت لَهْيَا وغيرها وخرج الناس إلى المصلى يتضرعون إلى قريب نصف النهار فسكنت الدنيا.

[٦٥] وردت في كشف الصلصلة، ص٢٥، سنة ٢٣٣ هـ ووردت في احدى نسخ كشف الصلصلة عام ٢٣٠ هـ وبذلك يتفق مع ما ورد عند ابن الجزار، تحصين المنازل،
M. Taher, *Annales islamologiques* XII, 1974, p. 153.

[٦٦] كشف الصلصلة، ص ٢٥. وينقل السيوطي عن سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان.

[٦٧] العبر، ج ١/ ٤١٣؛ انظر أيضا النويري السكندري، الإلمام، ج ٤/ ١٣٠؛ وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٢/ ٥٦.

[٦٨] كشف الصلصلة، ص ٢٥، ٢٦.

[٦٩] ذكره ياقوت، معجم الأدباء، ج ١٣/ ٧٩؛ بعنوان «الإنذار بحدوث الزلازل» ثلاثة أجزاء والكتاب مفقود.

٢٣٤ هـ/ ٨٤٨ م

قال ابن الجوزي[٧٠]: هبت ريح شديدة لم يعهد مثلها فاتصلت نيفًا وخمسين يومًا وشملت بغداد والبصرة والكوفة وواسط وعبدان والأهواز ثم همذان فأحرقت الزرع ثم ذهبت إلى الموصل فمنعت الناس من الإنتشار وعطلت الأسواق، وزلزلت هراة حتى سقطت الدور.

وقال ابن أيبك الدواداري[٧١]: فيها كانت الزلزلة العظيمة بأذربيجان أقامت سبعة أيام تعاودهم ليلًا ونهارًا حتى دكت المدينة وقتل تحت الردم عالم عظيم والذين سلموا عدموا أموالهم وأمتعتهم تحت الهدم، ثم أنشئت مدينة غيرها على ميل من المدينة القديمة وسكنها ولم تزل حتى أخربها التتار عند خروجهم.

٢٣٨ هـ/ ٨٥٢ م

قال ابن الجوزي[٧٢]: وجه طاهر بن عبد اللّٰه إلى المتوكل حجرًا سقط بناحية طبرستان وزنه ثمانمائة وأربعون درهمًا فيه صدع، وذكروا أنه سُمع لسقوطه هدة أربع فراسخ في مثلها وأنه ساخ في الارض خمسة أذرع.

٢٣٩ هـ/ ٨٥٣ م

قال النويري السكندري[٧٣] ابن العماد الحنبلي[٧٤]: فيها رجفت طبرية في الليل حتى مادت الأرض واصطكت الجبال ثم انقطع من الجبل المطل عليها قطعة ثمانين ذراعًا طولًا في خمسين ذراعًا عرضًا، فمات منها خلق كثير.

٧٠ المدهش، (مخطوط)، ورقة ٣٠.
٧١ كنز الدرر (مخطوط) ج ٥/ ٢/ ١٩٤.
٧٢ المدهش (مخطوط) المشار اليه سابقًا.
٧٣ الإلمام بالإعلام، ج ٤/ ١٣١.
٧٤ شذرات، ج ٢/ ٩١.

٢٤٠ هـ/ ٨٥٤ م

قال ابن الجوزي[٧٥]: جاءت الكتب من التجار - تجار المغرب - إن ثلاثة عشر قرية من القيروان خسف بها فلم ينج من أهلها إلا اثنان وأربعون رجلًا سود الوجوه فأتوا القيروان فأخرجهم أهلها فقالوا: أنتم مسخوط عليكم، فبنى لهم العامل حظيرة خارج المدينة فنزلوها والناس يهرعون إليهم من كل فج عميق. ونقل النويري السكندري[٧٦] عن ابن الجوزي في كتابه العقود في تاريخ العهود: وسمع أهل خلاط صيحة من السماء فمات فيها خلق كثير.

٢٤١ هـ/ ٨٥٥ م

قال الأصفهاني[٧٧]: في هذه السنة التي هي إحدى وأربعين ومائتين، أصاب أهل قُومس رجفة وخسف أتيا على عامة مدينة الإمارة ثم أصابتهم نارًا انحطت من الهوى فأحرقت خلقًا كثيرًا، ووزد الخبر بسير جبل يقال له السقرا.

وقال ابن الجوزي [٧٨]: ماجت النجوم في السماء وجعلت تتطاير شرقًا وغربًا كالجراد من قبل غروب الشمس إلى الفجر ولم يكن مثل هذا إلا عند ظهور النبي.

وقال ابن الأثير[٧٩]: وفيها كانت بالرِي زلزلة شديدة هدمت المساكن ومات تحتها خلق كثير لا يحصون وبقيت تتردد فيها أربعين يومًا.

٢٤٢ هـ/ ٨٥٦ م

وقال اليعقوبي[٨٠]: وكان انقضاض الكواكب ليلة الخميس مستهل جمادى الآخرة سنة ١٤٢هـ، ولم تزل تنقض من أول الليل إلى طلوع الفجر. وكانت الزلازل بقومس ونيسابور وما والاها سنة ٢٤٢هـ حتى مات

[٧٥] المدهش (مخطوط)، ورقة ٣٠ و.
[٧٦] الإلمام، ج ٤/ ١٣١.
[٧٧] تاريخ سني ملوك الأرض، ١٨٩؛ ينقل عن تاريخ محمد بن جرير الطبري ولم يرد الحدث في التاريخ المطبوع وربما اطلع الأصفهاني على نسخة أخرى أكمل.
[٧٨] المدهش (مخطوط)، ورقة ٣٠ ظ.
[٧٩] الكامل، ج ٧/ ٨٠.
[٨٠] تاريخ اليعقوبي، ج ٢/ ٤٩١.

بقومس خلق كثير، ونالتهم رجفة يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان فمات فيها زهاء مائتي ألف، وخُسف بعدة مدن بخراسان ونال أهل فارس في هذا الشهر شعاع ساطع من ناحية القلزوم ووهج أخذ بأكظام الناس، فمات الناس والبهائم واحترقت الأشجار، ونال أهل مصر زلزلة عمت حتى اضطربت سواري المساجد وتهدمت البيوت والمساجد وذلك في ذي الحجة من هذه السنة.

قال الطبري[٨١]: فمما كان فيها من ذلك الزلازل الهائلة التي كانت بقومس[٨٢] ورساتيقها في شعبان فتهدمت فيها الدور ومات من الناس مما سقط عليهم من الحيطان وغيرها بشر كثير[٨٣] ذكر أنه بلغ عدتهم خمسة وأربعين ألفًا وستة وتسعين نفسًا وكان عظم ذلك بالدامغان وذكر أنه كان بفارس وخراسان والشام في هذه السنة زلازل وأصوات منكرة وكان باليمن مثل ذلك مع خسف بها.

وقال ابن أيبك الدواداري[٨٤]: وذكر صاحب تاريخ أصبَّهان أن في هذه السنة زلزلت دامغان على أهلها فسقط أكثر من نصفها عليهم، فقتلهم وزلزلت الري، وجرجان، ونيسابور، وأصبهان، وقم، وقاشان، الجميع في وقت واحد. وذكر أيضًا أن قرية يقال لها أجدابا مما يلي قومس كان بها زلازل متداركة فخرج الناس عنها فسمعوا من نحو السماء صوتًا عاليًا يقول الَّله أجل أعوذ بعباده وذكر هذه الواقعة أيضًا ابن الجوزي في تاريخه، وذكر ابن ابي الوضاح صاحب تاريخ حلب أن طائرًا دون الرخمة وفوق الغراب أبيض اللون وقع على موضع بحلب لسبع بقين من رمضان من هذه السنة فصاح معاشرالناس اتقوا الَّله الَّله الَّله حتى صاح أربعين صوتًا ثم حلق طائرًا ثم عاد من الغد فصاح أربعين صوتًا وكتب بذلك صاحب البريد وأشهد جماعة من الناس ممن سمعه، وذكر صاحب تاريخ القيروان أن في هذه السنة نزلت من السماء أحجار فوقع حجر على خيمة أعرابي فوُزن فكان زنته عشرة أرطال فحمل إلى الفسطاط حجرًا وآخر إلى تنيس.

٨١ تاريخ الطبري، ج ٣/ ٢١/ ١٤٣٣، ١٤٣٤.

٨٢ قال ابن رسته، الأعلاق النفيسة ط. ليدن ١٩٦٧، ص ١٧٠: من قومس إلى الحدادة ٧ فراسخ الطريق في سوادها حتى تنتهي إلى رباط وخرابات وذكروا أنها كانت بيوتا تهدمت بالزلزلة وقومس عمل مفرد بين الري وخراسان ومدنها بسطام وسمنان والدامغان ولها جبل عظيم بينها وبين طبرستان يقال له قارن.

٨٣ ورد عند ابن الأثير: وهلك تحت الهدم بشر كثير، انظر الكامل، ج ٧/ ٨١.

٨٤ كنز الدرر(مخطوط)، ج ٥/ ٢/ ١٩٩. قالت المحققة دروتيا كراڤولسكي، الجزء الخامس «الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية»، نشر في بيروت ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م، أن المقصود سبط ابن الجوزي في المرآة وليس ابن الجوزي في المنتظم والخبر في النجوم الزاهرة، ج ٢/ ٣٠٧، بدون ذكر المصدر، والخبر في تاريخ حلب لابن العديم، ج ١/ ٧٢،٧٣، وقال في المنتظم لابن الجوزي، ج ١١/ ٢٩٥.

وقال ابن العديم[٨٥]: وقع على دُلبة[٨٦] بحلب طائر أبيض دون الرخمة[٨٧] في رمضان فصاح يا معشر الناس اتقوا اللّه اللّه اللّه فصاح أربعين صوتًا ثم طار وجاء من الغد ففعل كذلك، وكتب البريد بذلك وأشهد خمسمائة إنسان سمعوه. وقال ابن العديم: ولا يبعد عندي أن تكون الدلبة التي ينسب إليها رأس الدلبة. وسُمع في هذه السنة أصوات هائلة من السماء وزلزلت نيسابور وتقلعت الجبال من أصولها ونبع الماء من تحتها، ووصلت الزلزلة إلى الشام والثغور.

وقال السيوطي[٨٨]: في شعبان زلزلت الارض بقومس[٨٩] فتهدّمت بها دور كثيرة ومات من أهلها نحو خمسة وأربعين ألفًا وكانت أيضًا باليمن، وخراسان، وفارس، والشام، وبسطام، وقم، وقاشان، والري، وجرجان، ونيسابور، والدامغان، وطبرستان، وأصبهان زلازل منكرة وتقطعت جبال وتشققت الأرض بقدر ما يدخل الرجل الشق، ورُجمت قرية السوداء بناحية مصر من السماء بخمسة أحجار ووقع حجر منها على خيمة أعرابي فاحترقت ووزن حجر منها فكان عشرة أرطال وسار جبل باليمن عليه مزارع لأهله حتى أتى مزارع آخرين.

٢٤٥ هـ/ ٨٥٩ م

قال الطبري[٩٠]: وزلزلت في هذه السنة بلاد المغرب حتى تهدمت الحصون والمنازل والقناطر فأمر المتوكل[٩١]بتفرقة ثلاثة آلاف ألف درهم في الذين أصيبوا بمنازلهم؛ وزلزل عسكر المهدي ببغداد في هذه السنة، وزلزلت المدائن. وذكر أنه في هذه السنة بأنطاكية زلزلة ورجفة في شوال قتلت خلقًا كثيرًا وسقط منها ألف وخمسمائة دار وسقط من سورها نيف وتسعون برجًا وسمعوا أصواتًا هائلة لا يحسنون وصفها من كوى المنازل، وهرب أهلها إلى الصحارى، وتقطع جبلها الأقرع وسقط في

٨٥ انظر زبدة الحلب، ج/ ١/ ٢٧، وتعليق سامي الدهان محقق الزبدة، ج ١/ ٧٦.

٨٦ الدلب: على وزن قفل – شجر عظيم عريض الورق لا زهر ولا ثمر، والواحدة دلبة، انظر الشهابي، معجم الألفاظ الزراعية، ص ٥٠٥.

٨٧ طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة انظر الدميري، حياة الحيوان، ج ١/ ٤٥٧.

٨٨ كشف الصلصلة، ص ٢٦، ٢٧.

٨٩ وردت تونس في النص والصحيح قومس، انظر حاشية رقم ١٩٧، والحوادث تكرار لما حدث في عام ٢٤١ هـ.

٩٠ تاريخ الطبري، ج ٣/ ١٢/ ١٤٣٩، ١٤٤٠.

٩١ والغريب أن الخليفة المتوكل عزم على الإنتقال إلى دمشق وترك عاصمة الخلافة سامراء إلا أنه لم يطب له البقاء بدمشق، انظر الطبري، تاريخ، ج ٣/ ١٢/ ١٤٣٦؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢/ ٤٩١.

البحر فهاج البحر في ذلك اليوم وارتفع منه دخان أسود مظلم منتن[٩٢] وغار منها نهر على فرسخ لا يدري أين ذهب. وسمع فيها - فيما قيل - أهل تنيس في مصر ضجة دائمة هائلة فمات منها خلق كثير.

وفيها غارت مشاش[٩٣] عين مكة حتى بلغ ثمن القربة بمكة ثمانين درهمًا فبعثت أم المتوكل فأُنْفِق عليها. وقال اليعقوبي[٩٤]: واتّصل ذلك شهورًا من سنة ٢٤٥ هـ.

وقال ابن القاسم[٩٥]: وفيها حصلت زلازل عظيمة هائلة في الغرب الجوان واليمن والشام وهلك فيها مدن وأمم لا تحصى وغارت عيون كثيرة ومنها عين مشاش بمكة المشرفة فبلغ ثمن القربة بالموسم [ثمانين] درهما فبعث المتوكل مالا وأمر بإصلاحها.

وقال الهمداني في اكليله[٩٦]: وكان غيل[٩٧] وادي ضهر قريب مدينة صنعاء ضعف ما هو عليه الآن وكان يسقي إلى عَلَمَان فنقص بسبب الزلازل وأصل هذا الغيل من ريعان والمساجد وبني شهاب وهو متصل بغيل لؤلؤة. وأضاف الهمداني[٩٨]: وضهر بالضاد من مآثر اليمن وهو موضع فيه واد وقلعة ومصنعًا ومنسوب كل ذلك إلى ضهر بن سعد وهو على ساعتين من صنعاء أو أقل وفي هذا الوادي نهر عظيم يسقي جنتي الوادي وهو أطيب بلاد اليمن فاكهة، وكان هذا الغيل في الجاهلية على ضعف ما هو عليه اليوم حتى وقعت في اليمن زلازل قطعت ماءاته بقول بعض أهله.

وقال ابن العبري[٩٩]: وفي سنة الزلازل[١٠٠] أخرج المتوكل أحمد بن حنبل من الحبس ووصله، وصرفه إلى بغداد وأمر بترك الجدل في القرآن، وأن الذمة برية ممن يقول بخلق أو بغير خلق.

٢٤٦ هـ/ ٨٦٠ م

قال النويري الإسكندراني[١٠١]: زلزلت مدينة دبيل بالليل، فأصبحوا ولم يبق من المدينة إلا اليسير، فأُخرج من تحت الردم خمسون ومائة ألف نفسًا.

[٩٢] تعني ظاهرة بركانية بحرية.
[٩٣] وردت (مسنيات)، عند ابن الأثير، الكامل.
[٩٤] تاريخ اليعقوبي، ج ٢/ ٤٩١.
[٩٥] أنباء الزمن، ج ١/ ٦٤.
[٩٦] تحقيق الأب انستاس الكرملي، ج ٨/ ٧٤.
[٩٧] الغيل بالفتح الماء الجاري على وجه الأرض وكل واد فيه عيون تسيل وكل موضع فيه ماء.
[٩٨] المرجع السابق، ص ٧٦، ٧٧.
[٩٩] تاريخ مختصر الدول، ص ٢٦٢.
[١٠٠] ارتبطت الزلازل بضرب الإمام أحمد بن حنبل، انظر حوادث ٢١٩ هـ.
[١٠١] الإلمام بالأعلام (مخطوط)، ج ٤/ ١٣٥، ١٣٦.

٢٤٩ هـ/ ٨٦٣ م

قال الطبري[١٠٢]: وفيها أصاب أهل الري في ذي الحجة زلزلة شديدة ورجفة تهدمت منها الدور ومات منها خلق من أهلها وهرب الباقون من أهلها من المدينة فنزلوا خارجها.

٢٥٨ هـ/ ٨٧١ م

قال الطبري[١٠٣]: ولعشر خلون من شعبان كانت هدَّة صعبة هائلة بالصيْمرة[١٠٤] ثم سمع من غد ذلك اليوم - وذلك اليوم الأحد - هدَّة هي أعظم من التي كانت في اليوم الأول فتهدم من ذلك أكثر المدينة وتساقطت الحيطان وهلك من أهلها فيما قيل زهاء عشرين ألفا.

وقال السيوطي[١٠٥]: وقعت بواسط زلزلة شديدة وهدَّة عظيمة تهدمت بسببها دور كثيرة ومات نحو عشرين ألفًا.

٢٥٩ هـ/ ٨٧٢ م

قال اليعقوبي[١٠٦]: وحج بالناس الفضل بن العباس ونال أهل البادية زلازل ورياح وظلمة...[١٠٧] ممن كان حول المدينة من بني سليم وبني هلال وغيرهم من بطون قيس وسائر أهل البلد فهربوا إلى المدينة وإلى مكة يستجيرون بقبر رسول اللَّه وبالكعبة، وذكروا أنه هلك منهم خلق عظيم بالبادية.

١٠٢ تاريخ الطبري، ج ٣/ ١٢/ ١٥١٥، ابن الأثير، الكامل، ج ٧/ ١٢٤.

١٠٣ تاريخ الطبري، ج ٣/ ٢١/ ١٨٧٢؛ الأصفهاني، تأريخ سني ملوك الأرض، ص ١٩٠.

١٠٤ وردت (البصرة) عند ابن الجوزي، المنتظم، ج ٥/ ٨.

١٠٥ كشف الصلصلة، ص ٢٨.

١٠٦ تاريخ اليعقوبي، ج ٢/ ٥١١.

١٠٧ فراغ بالأصل.

وقال الطبري[١٠٨]: في حوادث عام ٢٦٠ هـ.: وفي هذه السنة اشتد الغلاء في عامة بلاد الإسلام فانجلى[١٠٩] فيما ذكر عن مكة من شدة الغلاء من كان بها مجاورًا إلى المدينة وغيرها من البلدان ورحل عنها العامل الذي كان مقيمًا بها.

٢٦٧ هـ/ ٨٨٠ م

قال ابن الأثير[١١٠]: وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام ومصر وبلاد الجزيرة وإفريقية والأندلس وكان قبلها هدَّة عظيمة قوية.

وقال ابن أبي زرع [١١١]: وفي سنة سبع وستين ومائتين في يوم الخميس الثاني والعشرين من شوال منها كانت زلزلة، ما سمع الناس بمثلها قبلها، تهدمت منها القصور وانحطت منها الصخور والجبال، هرب الناس من المدن إلى البريّة من شدة اضطراب الأرض وتساقط السقوف والحيطان والدور، وفرت الطيور عن أوكارها وفراخها وماجت في الهواء زمانًا حتى سكنت الزلزلة. وعمت هذه الزلزلة بلاد العدوة من طنجة إلى تلمسان وجميع بلاد الأندلس سهلها وجبالها من البحر الشامي إلى أقصى المغرب إلا أنها لم يمت فيها أحد لطفًا من الّله تعالى بخلقه.

٢٦٨ هـ/ ٨٨١ م

قال الطبري[١١٢]: وفي شهر ربيع الأول منها زلزلت بغداد لثمان خلون منه وكان بعد ذلك ثلاثة أيام مطر شديد ووقعت بها أربعة صواعق.

قال ابن الأثير[١١٣]: في ربيع الأول زلزلت بغداد زلزلة هائلة، وجاء بعدها مطر شديد وصواعق، فخاف الناس.

١٠٨ تاريخ الطبري، ج ٣/ ١٢/ ١٨٨٥.

١٠٩ يلاحظ أن الظواهر الطبيعية أسهمت في قلقلة الدولة العباسية منذ أيام الخليفة المتوكل وأسهمت في خروج القبائل العربية من الجزيرة العربية.

١١٠ الكامل، ٧/ ٣٦١.

١١١ الأنيس المطرب، ج ١/ ١٤٦، ١٤٧؛ انظر أيضًا السلاوي، الإستقصا، ج ١/ ١٦٤ نقلا عن أبي زرع.

١١٢ تاريخ الطبري، ج ٤/ ٣/ ١٩٣١.

١١٣ الكامل، ج ٧ / ٣٨١.

٢٧٢ هـ/ ٨٨٥ م

قال الطبري[١١٤]: فيها زلزلت مصر في جمادى الآخرة زلزلة شديدة أخربت الدور والمسجد الجامع وأحصى بها في يوم واحد ألف جنازة.

٢٨٠ هـ/ ٨٩٣ م

قال الطبري[١١٥]: وفيها فيما ذكر في ذي الحجة ورد كتاب من دبيل بانكساف القمر في شهر شوال لأربع عشرة خلت منه ثم تجلى في آخر الليل فأصبحوا صبيحة تلك الليلة والدنيا مظلمة ودامت الظلمة عليهم فلما كان عند العصر هبّت ريح سوداء شديدة فدامت إلى ثلث الليل فلما كان ثلث الليل زلزلوا فأصبحوا وقد ذهبت المدينة فلم ينج من منازلها إلا اليسير قدر مائة دار وأنهم دفنوا إلى حين كتب الكتاب ثلاثين ألف نفس يخرجون من تحت الهدم ويدفنون، وأنهم زلزلوا بعد الهدم خمس مرات، وذكروا عن بعضهم أن جملة من أُخرج من تحت الهدم خمسون ومائة ألف.

٢٨٩ هـ/ ٩٠١ م

قال ابن الجوزي[١١٦]: في تلك السنة هبّت ريح عاصف بالبصرة فقلعت كثيرًا[١١٧] من نخلها؛ وخسف بموضع منها هلك فيه ستة آلاف نفس، وزلزلت بغداد في رجب عدة مرات فتضرع أهلها في الجامع فكشف عنهم. وفي رمضان تساقطت من السماء وقت السحر نجوم كثيرة ولم يزَل الأمر على ذلك إلى أن طلعت الشمس، وفي يوم عرفة صلّى الناس العصر وكان صيفًا فهبت ريح باردة جدًا حتى احتاجوا إلى الإصطلاء بالنار ولبسوا الفراء والمحشوات وجمد الماء كفصل الشتاء وكان ذلك ببغداد.

[١١٤] تاريخ الطبري، ج ٤/ ١٣/ ٢١١٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٧/ ٤١٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٥/ ٨٥.
Voir aussi Élie de Nisibe qui signale le tremblement de terre de 885 en Égypte, V. Grümel, *La chronologie*, p. 479.

[١١٥] تاريخ الطبري، ج ٤/ ٣١/ ٢١٣٩؛ الأصفهاني، تاريخ، ص ١٩١. لاحظ ابن كثير والسيوطي في كشف الصلصلة، ص ٢٨، ان ابن الجوزي في كتابه المنتظم، ج ٥/ ١٤٣ يذكر الزلزال ويكرره عام ٢٨٨ هـ، ج ٦/ ٢٧
Voir aussi Élie de Nisibe qui signale le tremblement de terre en décembre 893 à Dabel, V. Grümel, *La chronologie*, p. 479.

[١١٦] المنتظم، ج ٦/ ٢٧؛ أوردها ابن الأثير، الكامل، ج ٧/ ٥٢٢.

[١١٧] وردت عند السيوطي (فقلعت عامة نخلها)، كشف الصلصلة، ص ٢٨.

٢٩٩ هـ/ ٩١١ م

قال ابن الأثير[١١٨]: كان فيها زلازل بالقيروان لم ير مثلها شدة وعظمة، وثار أهل القيروان فقتلوا من كتامة نحو ألف رجل.

وقال ابن عذاري[١١٩]: فيها كانت زلازل وهدَّات وخسف بقرية في الساحل تعرف بالباس[١٢٠].

٣٠٠ هـ/ ٩١٢ م

قال السيوطي[١٢١]: إنحسر جبل بالدينور فخرج من تحته ماء عظيم غَرَّق عدة من القرى.

٣٢١ هـ/ ٩٣٣ م

قال ابن أيبك الـدواداري[١٢٢]: وفيها كان بمصر زلزلة عظيمة هدمت دورًا كثيرة وتساقطت فيها الكواكب.

٣٢٣ هـ/ ٩٣٤ م

قال سعيد بن بطريق[١٢٣]: وكان في مصر زلزلة عظيمة ثالث ذي القعدة من هذه السنة واضطربت الشهب اضطرابًا شديدًا؛ وهرب محمد بن طغج وجماعة من القواد إلى برقة.

وقال ابن العميد[١٢٤]: والذي ورد في تواريخ النصارى من الحوادث في أيام الراضي إنه حدث في مصر زلزلة عظيمة لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة وفي هذا اليوم اضطربت الكواكب التي تسمَّى الشهب اضطرابًا شديدًا من نصف الليل إلى الصباح.

[١١٨] الكامل، ج ٨/ ٦٦؛ في هذه السنة سارعبيْد اللَّه المهدي الفاطمي إلى المهدية، وكتامة قبيلة بربرية ناصرة للدعوة الفاطمية.

[١١٩] البيان المغرب، ج ١/ ١٦٦؛ وورد الخبر عند مؤرخ مجهول، عيون وحدائق، ج ٤/ ١/ ١٦١.

[١٢٠] قريبة في النطق من «قابس».

[١٢١] كشف الصلصلة، ص ٢٩.

[١٢٢] كنز الدرر (مخطوط)، ج ٥/ ٣/ ٣٠١.

[١٢٣] تاريخ ابن بطريق، ص ٨٦.

[١٢٤] تاريخ ابن العميد، ص ٢٠٨. نلاحظ سلسة من الزلازل بمصر في فترة صراع السلطة في الدولة الإخشيدية وتمهيد الدولة الفاطمية بها.

٣٣١ هـ/ ٩٤٢ م

قال ابن الأثير[١٢٥]: وفيها كانت الزلزلة المشهورة بناحية نَسَا من خراسان فخربت قرى كثيرة، ومات تحت الهدم عالم عظيم وكانت عظيمة جدًا.

٣٣٢ هـ/ ٩٤٣ م

قال ابن عذاري[١٢٦]: وفيها كانت زلزلة عظيمة بقرطبة ليلة الإثنين لتسع خلون من ذي القعدة فلم يُرَ مثلها ولا سمع من قوتها، ووقعت بعد العشاء الآخرة فدامت ساعة ففزع أهل قرطبة لها فزعا شديدًا ولجئوا إلى المساجد فيها، وضجّوا بالدعاء إلى اللّه تعالى في كشفها حتى أغاثهم وصرفها عنهم، وفي صبح ليلة الزلزلة هبّ ريح عاصف ردفتها أخرى، فاقتلعا كثيرًا من شجر الزيتون والتين وغيرهما من الأشجار والنخيل وأطار كثيرًا من قرمد السقف ونزل إثر ذلك مطر وابل طبق الأرض، وبرد غليظ فقتل كثير من الوحش والطير والمواشي، وأتلف ما أصاب من الزرع وأساء التأثير.

٣٣٨ هـ/ ٩٤٩ م

قال ابن أيبك الدواداري[١٢٧]: فيها كانت زلزلة عظيمة بمصر وخرج الناس على وجوههم هاربين إلى الصحارى هذا ما ذكره صاحب البرق الشامي[١٢٨] وأما غيره من جماعة أرباب التواريخ المصرية مثل القاضي القضاعي وابن عساكر وغيرهم فذكروا أن الزلزلة العظيمة كانت بمصر في سنة أربعين وثلثمائة حسبما يأتي من ذلك.

١٢٥ الكامل، ج ٨/ ٤٠٤؛ انظر أيضًا ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١/ ٢٠٥.

١٢٦ البيان المغرب، ج ٢/ ٢١١؛ وقال عن خلافة أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد الناصر ٣٠٠-٣٥٠ هـ: وولي الأندلس جمرة تحتدم ونار تضطرم شقاقًا ونفاقًا فأخمد نيرانها وسكن زلازلها.

١٢٧ كنز الدرر (مخطوط)، ج ٥/ ٣/ ٣٢٣.

١٢٨ هو العماد الأصفهاني.

٣٣٩ هـ/ ٩٥٠ م

قال النويري[١٢٩]: وفي سنة ٣٣٩ هـ، لست خلون من صفر زلزلت مصر وتتابعت الزلازل بها فتهدم أكثر دورها وسقط من الجامع العتيق بمصر قطعة.

٣٤٠ هـ/ ٩٥١ م

حدثت الزلازل بمصر:

قال يحيى بن الأنطاكي[١٣٠]: وحدث بمصر زلزلة في الليلة التي صباحها الإثنين لعشر خلون من ربيع الآخر وتساقطت منها عدة دور ومات منها خلق الناس وانفجرت عيون ماء في غير موضع وانشقت منها منارة الإسكندرية.

قال النويري[١٣١]:توالت الزلازل في سنة أربعين أيضًا ثلاثة أيام متوالية وخسف ببعض القرى وهلك من كان بها. وفي أيام كافور الإخشيدي كثرت الزلازل بمصر فأقامت ستة أشهر فأنشد محمد بن القاسم بن العاصم قصيدة منها:

ما زلزلت مصر من سوء يراد بها　　لكنها رقصت من عدله فرحا

وأورد الخبر ابن أبي حجلة[١٣٢] وقال إن كافور أجازه ألف دينار وهذه الجائزة هي التي حثّت المتنبي على الحضور إلى كافور يقف بين يديه ويمدحه. وقال السيوطي[١٣٣]: كذا رأيت في نسخة عتيقة من كتاب مهذب الطالبين تاريخ كتابتها بعد الستمائة ثم رأيت ما يخالف ذلك كما سنذكره.

وقال ابن أيبك الدواداري[١٣٤]: كانت الزلزلة بمصر في شهر صفر ثم عادت في ربيع الأول حتى هجر الناس منازلهم وأدرهم وسكنوا الصحارى وانشقت عدة أماكن من الأرض ظهر فيها ماء منتن وأقامت الزلزلة تعاود ستة أشهر.

[١٢٩] نهاية الأرب (مخطوط)، ج ٦٢/ ١٨؛ مؤرخ مجهول، العيون والحدائق، ٤/ ٢/ ٤٦٤.

[١٣٠] تاريخ الأنطاكي، ص ١١٣. هو يحيى بن سعيد الأنطاكي ت. ٨٥٤ هـ/ ١٠٦٦ م، ينتهي بخلافة الظاهر لإعزاز دين اللّٰه ونشره لويس شيخ، بيروت ١٩٠٩ م.

[١٣١] نهاية الأرب (مخطوط)، ج ١/ ٢/ ٤٦٤.

[١٣٢] تاريخ ابن أبي حجلة، ط. على هامش المخلاة للعاملي، ص ٢٠٣.

[١٣٣] حسن المحاضرة، ج ٢/ ٢٨٠؛ كشف الصلصلة، ص٣٠. يقصد جائزة قصيدة المدح وحضور المتنبي.

[١٣٤] كنز الدرر(مخطوط)، ج ٥/ ٣/ ٣٢٤.

وقال ابن إياس[١٣٥]: إنه وقعت زلزلة عظيمة في عصره (كافور) فخاف الناس من ذلك وهربوا إلى الجبال.

وحدثت الزلازل بالشام والثغور:

قال ياقوت[١٣٦] عن رَعْبَان: وهي مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات معدودة في العواصم وهي قلعة تحت جبل خربتها الزلزلة في سنة ٣٤٠ هـ، فأنفذ إليها سيف الدولة أبا فراس بن حمدان في قطعة من الجيش فأعاد عمارتها في سبعة وثلاثين يومًا.

وقال ابن تغري بردي[١٣٧]: وفيها كثرت الزلازل بحلب والعواصم ودامت أربعين يومًا، وهلك خلق كثير تحت الردم وتهدم حصن رعبان ودُلُوك وتل حامد وسقط من سور دلوك ثلاثة أبرجة.

٣٤٤ هـ/ ٩٥٥ م

قال المسعودي[١٣٨] عن منار الإسكندرية: وتهدّم في شهر رمضان سنة ٣٤٤ هـ نحو ثلاثين ذراعًا من أعاليها بالزلزلة التي كانت ببلاد مصر وكثير من بلاد الشام والمغرب في ساعة واحدة على ما وردت علينا الأخبار المتواترة ونحن بفسطاط مصر وكانت عظيمة جدًا مهولة فظيعة أقامت نحو نصف ساعة زمانية وذلك في النصف من يوم السبت لثاني عشرة ليلة خلت من هذا الشهر، وهو اليوم الخامس من كانون الآخر من شهور السريانيين واليوم التاسع من ديماه من شهور الفرس والتاسع أيضًا من طوبة من شهور القبط.

وتكلم المسعودي[١٣٩] عن رحلته في البلاد المنكوبة بالزلازل وقد دخل في أكثر المواضع المشهورة بكثرة الزلازل وعظمها. وأوردنا ذلك سابقًا بالمقدمة.

وقال الذهبي[١٤٠]: وفيها زلزلت مصر زلزلة عظيمة هدمت البيوت ودامت مقدار ثلاث ساعات زمنية وفزع الناس إلى اللّه بالدعاء. وفيها نقص البحر ثمانين ذراعًا وظهر فيه جبال وأموال وأشياء لم تعهد، وكان العام قليل المطر جدًا.

١٣٥ بدائع الزهور، ج ١/ ٤٤.

١٣٦ معجم البلدان، ج ٢/ ٧٩١.

١٣٧ النجوم الزاهرة، ج ٣/ ٣٠٥.

١٣٨ التنبيه والاشراف، ص ٤٣، ٤٤.

١٣٩ المصدر السابق، ص ٤٤، ٤٥.

١٤٠ تاريخ الإسلام (مخطوط بدار الكتب المصرية) وهو تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، ط. دار الكتاب العربي ١٩٩٤ م، ص ٢٢٠؛ انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣/ ٣١٣.

وكان بالري ونواحيها زلازل عظيمة وخسف ببلاد الطالقان في ذي الحجة ولم يفلت من أهلها إلا نحو ثلاثين رجلًا... وخسف بخمسين ومائة قرية من قرَى الري، واتصل الأمر إلى حلوان فخسف بأكثرها، وقذفت الأرض بأعظام الموتى، وتفجّرت منها المياه وتقطع بالري جبل، وعلقت قرية بين السماء والارض بمن فيها نصف النهار ثم خسف بها، وانخرقت الأرض خروقًا عظيمة وخرج منها مياه منتنة ودخان عظيم هذا نقل ابن الجوزي[١٤١] واللّه أعلم.

قال ابن عذاري[١٤٢]: ولسبع خلون من جمادى الأولى كانت بقرطبة زلزلة عظيمة ظاهرة الهزة وعادت زلزلة أخرى مثلها يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت منها عند الظهر.

٣٤٥ هـ/ ٩٥٦ م

قال ابن الأثير[١٤٣]: وفيها كانت الزلزلة بهمذان وأستراباذ ونواحيها وكانت عظيمة أهلكت تحت الهدم خلقا كثيرا، وانشق حيطان قصر شيرين من صاعقة بقرب قرميسين بين حلوان وهمذان وهو قصر كان من أعاجيب الدنيا التي يعجز القلم عن وصفها بناه كسرى ابرويز لخطيبته شيرين أجمل النساء وقتها لما طلب منها ذلك.

٣٤٦ هـ/ ٩٥٧ م

قال ابن الأثير[١٤٤]: فيها كانت بالعراق وبلاد الجبال وقم ونواحيها زلازل كثيرة متتابعة دامت نحو أربعين يومًا تسكن وتعود، فتهدمت الأبنية وغارت المياه، وهلك تحت الهدم من الأمم الكثير وكذلك كان بالري ونواحيها زلازل عظيمة خارجة عن الحد مستهل ذي الحجة وأخربت كثير من البلد وهلك من أهلها الكثير.

١٤١ هذا الزلزال أورده ابن الجوزي في عام ٣٤٦ هـ، المنتظم ج ٨/ ٤٨٣، ولعلها سلسلة من الزلازل المتشابهة.

١٤٢ البيان المغرب، ج ٢/ ٢٢٠.

١٤٣ الكامل، ج ٨/ ٥١٨؛ انظر أيضًا ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١/ ٢٣٠.

١٤٤ الكامل، ج ٨/ ٥٢١.
Cf. aussi Élie de Nisibe, V. Grümel, *La chronologie*, p. 479.

وقال ابن الجوزي[١٤٥]: وفيها أيضًا كانت الزلزلة بالطاقان ونواحيها فخسف بها في ذي الحجة فلم يفلت من أهلها إلا نحو ثلاثين رجلًا وخسف بمائة وخمسين قرية من قرَى الري واتصل الخسف إلى حلوان فخسف بأكثرها، وقذفت الأرض عظام الموتـي وتفجرت منها المياه وتقطع بالري جبل، وعلقت قرية بين السماء والأرض بمن فيها نصف نهار ثم خسف بها، وانخرقت الأرض خروقًا عظيمة وخرج منها مياه نتنة ودخان عظيم، وفيها نقص البحر[١٤٦] ثمانين ذراعًا وظهر فيه جبال وجزائر.

٣٤٧ هـ/ ٩٥٨ م

قال ابن الجوزي[١٤٧]: كانت زلزلة ببغداد في نيسان وكانت زلازل عظيمة في حلوان، وبلدان الجبل، وقم، وقاشان فقتلت خلقًا كثيرًا وأخربت وخربت دورًا كثيرة.

وقال مؤلف العيون والحدائق [١٤٨]: وفيها حدث بالمشرق، بالري وطالقان وخولان خسوف وزلازل وأهوال وتتابعت ووقعت ببغداد زلزلة عظيمة، تهدمت منها المنازل وكان معها ظلمة وريح حارة وبرق عظيم حتى قدر الناس أنها الواقعة حتى روحي عنهم وذكروا أنه لم ينج من خسف طالقان إلا نحو ثلاثين رجلًا وصارت كلها رمادًا فعاد القوم ينظرون ما فعل ببلدهم فخسف بهم وبعضهم ينظر إلي بعض. وورد خبر أن زلازل وقعت بالري فتهدمت بها ستة آلاف دار وحانوت ومات من أهلها ثلاثون ألفًا وخسف بنحو مائة وخمسين قرية من قراها؛ ثم اتصل الأمر إلى بلد حلوان فخسف بأكثره وخرج من بقى من أهله هاربين عنه؛ وخسف بموقع يقال له قصر شيرين، وموضع يعرف بمرج القلعة وتقطع جبل بحلوان قطعة قطعة، وقذفت الأرض ما في بطنها حتى ألقت عظام الموتى وتفجرت منها المياه وصار ما بقى من الجبال في غير موضعه حتى قيل: كان في هذا الموضع جبل وكان في الموضع مدينة مسكونة.

وعلقت قرية بين السماء والأرض من غدوة إلى الظهر ثم خسف بها وبأهلها فلم ير لهم أثر وانخرقت الأرض خرقًا إلتمس أن يدرك بحبال ربط بعضها إلى بعض حتى بلغت اكثر من ثلاثمائة ذراع فلم يدرك؛ وانبعثت من الأرض ماء منتنًا متغير اللون.

[١٤٥] المنتظم، ج ٨/ ٣٨٤؛ انظر أيضًا ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١/ ٢٣٢.
[١٤٦] قال ابن تغري بردي «لعله البحر المالح واللّه أعلم»، النجوم الزاهرة، ج ٣/ ٣١٧.
[١٤٧] المنتظم، ج ٨/ ٣٨٧؛ انظر أيضًا ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١/ ٢٣٢.
[١٤٨] مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ج ٤/ ٢/ ٤٩٣، ٤٩٤.

وقال ابن أيبك الدواداري[١٤٩]: عاودت[١٥٠] الزلازل بحلوان وقم وقاشان وأتلفت خلقًا كثيرًا وهدمت الحصون والقلاع والأبنية الماكنة.

٣٥٢ هـ/ ٩٦٣ م

قال يحيى الأنطاكي في تاريخه[١٥١]: وحدثت بمصر زلزلة ودوي عظيم ليلة أربعة عشر من ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة وأصبحت الشمس محمرة وبعده إلى السواد فابتهل الناس إلى اللّه.

٣٥٨ هـ/ ٩٦٨ م

قال يحيى الأنطاكي[١٥٢]: وأصبح الناس يوم الإثنين (ثاني عشر شعبان) من الفزع والوجل وكثرت الرجفات ونهبت البلد وقتل فيه ناس كثير.

٣٦٠ هـ/ ٩٧٠ م

قال يحيى الأنطاكي[١٥٣]: حدثت بأنطاكية زلزلة فسقط قطعة كبيرة من سورها وأنفذ الملك يانيس ابن الشمشيق[١٥٤] ميخائيل البرجي في اثنى عشر آلاف بَنّاء وفاعل وبنى ما سقط السور وردّه إلى مثل ما كان عليه.

[١٤٩] كنز الدرر، ج ٥/ ٣/ ٣٢٩ (مخطوط)،والمطبوع، ج ٥، «الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية»، ص ٤٠٤.
[١٥٠] يبدو من قول ابن الدواداري إنها سلسلة متتابعة من الزلازل منذ عام ٣٤٥ هـ/ ٩٥٦ م.
[١٥١] تاريخ الأنطاكي، ص ١٢١.
[١٥٢] تاريخ الأنطاكي، ص ١٢٣، وقال الأنطاكي: في هذه السنة في ١٧ شعبان تسلّم جوهر القائد مصر ونزل فيما هو موضع القاهرة.
[١٥٣] تاريخ الأنطاكي، ص ١٣٩، وافق الزلازل في سوريا صراع بين الفاطميين والقرامطة فلقد وافى الأعشم القرمطي إلى دمشق والتقاه جعفر بن فلاح ووقع القتا ل بينهم وانهزم ابن فلاح واستولى عليها القرمطي ثم سار الى مصر وخرجت إليه العساكر وانهزمت المغاربة، ولكن هزم في المعركة التالية وسار إلى الرملة؛ هذا بالإضافة إلى الصراع مع الدولة البيزنطية.
[١٥٤] الإمبراطور البيزنطي Iohannes Tzimiskès (Jean 1er Tzimiskès, 969-976) أرسل ميخائيل البرجي لإعادة ما بناه من السور.

٣٦٢ هـ/ ٩٧٢ م

قال المقريزي[١٥٥]: وزلزلت دمشق وأعمالها زلزلة عظيمة وقتًا من الزمان وانهدم من أنطاكية عدّة أبرجة.

٣٦٣ هـ/ ٩٧٣ م

قال ابن الأثير[١٥٦]: كانت زلزلة شديدة بواسط.

٣٦٧ هـ/ ٩٧٧ م

قال ابن الأثير[١٥٧]: فيها ظهر بإفريقية في السماء حمرة بين المشرق والشمال مثل لهب النار فخرج الناس يدعون اللّٰه تعالى ويتضرعون إليه وكان بالمهدية زلازل وأهوال أقامت أربعين يومًا حتى فارق أهلها منازلهم وأسلموا أمتعتهم.

وقال ابن الجوزي[١٥٨]: وفي يوم الأحد سابع ذي القعدة كانت بسيراف زلزلة هدمت المنازل وأتت على ما فيها من الأموال وهلك أكثر من مائتي إنسان.

وقال ابن كثير[١٥٩]: وزلزلت بغداد مرارًا في هذه السنة وزادت دجلة زيادة كثيرة غرق بسببها خلق كثير.

٣٦٨ هـ/ ٩٧٨ م

قال ابن الأثير[١٦٠]: في هذه السنة كانت زلازل شديدة كثيرة وكان أشدها بالعراق.

١٥٥ اتعاظ الحنفا، ج ١/ ١٣٢.
١٥٦ الكامل، ج ٨/ ٦٤٧؛ انظر ايضا ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١/ ٢٧٧.
١٥٧ الكامل، ج ٨/ ٦٩٣، ٦٩٤.
١٥٨ المنتظم، ج ٧/ ٨٧.
١٥٩ البداية والنهاية، ج ١١/ ٢٨٩.
١٦٠ الكامل، ج ٨/ ٦٩٨.

٣٧١ هـ/ ٩٨١ م

قال ابن عذاري[١٦١]: في جمادى الأولى من هذه السنة كان بالمهدية زلازل دامت الشهر كله، وعشرة أيام بعده تزلزل في كل يوم مرات حتى هرب أكثر أهلها وأسلموا ديارهم وما فيها.

٣٧٣ هـ/ ٩٨٣ م

قال ابن شداد[١٦٢] عندما ذكر مدينة عَزَاز: وفي سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة كانت زلزلة بأرض قِنَّسرين فأخربت حصنها فعمره سعد الدولة.

٣٧٦ هـ/ ٩٨٦ م

قال ابن الجوزي[١٦٣]: في رجب ورد الخبر بزلزلة كانت بالموصل هدمت كثيرًا من المنازل وأهلكت خلقًا كثيرًا من الناس.

٣٨١ هـ/ ٩٩١ م

قال يحيى الأنطاكي[١٦٤]: وحدث بدمشق زلزلة عظيمة يوم السبت سابع عشر المحرم سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وسقط منها زهاء ألف دار ومات تحت الردم خلق عظيم وخسف في تلك الليلة بقرية من قرى بعلبك، وكانت الزلازل بدمشق وأعمالها وبعلبك، وخرج الناس من دورهم إلى الصحراء والخيم وقامت الزلازل متتابعة إلى يوم الجمعة السابع عشر من صفر من السنة.

١٦١ البيان المغرب، ج ١/ ٢٣٨. أورد ابن الأثير ما يشبه من حوادث هذا الزلزال في عام ٣٦٧ هـ انتقلت الخلافة الفاطمية من المهدية إلى القاهرة في في رمضان ٣٦٢ هـ/ يونية ٩٧٣ م، وربما تكون سلسلة من الزلازل قد صاحبت الهجرة إلى مصر من المهدية.

١٦٢ الأعلاق الخطيرة، االجزء الأول، القسم الثاني، تحقيق آن ماري إدّه،

Anne-Marie Eddé: « La description de la Syrie du Nord », *Bulletin d'études orientales* XXXII-XXXIII, Damas, 1982, p. 385.

١٦٣ المنتظم، ج ٧/ ١٣٢؛ انظر أيضا ابن الأثير، الكامل ج ٩/ ١٥.

١٦٤ تاريخ الأنطاكي، ص ١٧٣؛ انظر أيضًا المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٢/ ٢٧٣؛ القلقشندي، مآثر الإنافة، ج ١/ ٣٢١.

٣٨٥ هـ/ ٩٩٥ م

قال ابن تغري بردي[١٦٥]: وفيها زلزلت الدنيا زلزلة عظيمة مات فيها تحت الهدم خلق كثير.

٣٨٧ هـ/ ٩٩٧ م

قال المقريزي[١٦٦]: وورد الخبر من مدينة قوص بأن شدة نزلت بهم من برق ورعد ومطر وحجارة نزلت من السماء منها ما لم يسمع بمثله، وأنهم زلزلوا زلزلة شديدة قصفت النخل والجميز، واقتلعت خمسمائة نخلة من أصولها؛ وانبثق بقوص وأعمالها زرقة خضراء على ظهر الأرض، غرقت عدة مراكب مشحونة بغلال تساوي أموالًا كثيرة.

٣٩٣ هـ/ ١٠٠٢ م

قال ابن تغري بردي[١٦٧]: وفيها زلزل الشام والعواصم والثغور فمات تحت الهدم خلائق كثيرة.

٣٩٨ هـ/ ١٠٠٧ م

قال ابن الجوزي[١٦٨]:وفي ليلة الأحد السادس عشر من شعبان حدثت زلزلة عظيمة بالدينور وورد الخبر بأنها هدمت المنازل وهلك فيها أكثرمن ستة عشر ألف انسان غير من ساخت به الأرض وخرج السالمون إلى الصحراء فأقاموا في أكواخ عملوها وذهب من الأثاث والمتاع فيها ما لا يحصى. وورد الخبر في السادس عشر من رمضان بهبوب عاصف من ريح سوداء بدقوقي[١٦٩] وتكريت وشيراز فأتلف كثيرًا من المنازل والنخيل والزيتون وقتلت خلقًا كثيرًا وسقط بعض شيراز، ووقعت رجفة بسيراف والسيف غرق فيها عدة مراكب وأهلكت كثير من الناس.

[١٦٥] النجوم الزاهرة، ج ٤/ ١٦٩.
[١٦٦] إتعاظ الحنفا، ج ٢/ ١٦
[١٦٧] المرجع السابق، ج ٤/ ٢٠٧.
[١٦٨] المنتظم، ج ٧/ ٢٣٨، انظر أيضًا ابن الأثير، الكامل، ج ٩/ ٢٠٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١/ ٢٣٩.
[١٦٩] وردت دقوقا عند سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان مخطوط مصور، دار الكتب المصرية، رقم ٥٥١ تاريخ.

٤٠٧ هـ/ ١٠١٦-١٠١٧ م

قال ابن الجوزي[١٧٠]: حدثت حوادث من أغرب الإتفاقات إنه سنة سبع وأربعمائة في ربيع الأول احترق مشهد الحسين بن علي رضي الّله عنه بشرارة وقعت من بعض الشعّالين من حيث لم يشعر، وورد الخبر بتشعيث الركن اليماني من المسجد الحرام وسقوط جدار بين يدي[١٧١] النبيّ صلّى الّله عليه وسلم، وإنه سقطت القبة الكبيرة التي على صخرة بيت المقدس وهذا من أغرب الإتفاقات وأعجبها.

وقال العليمي[١٧٢]: ولم أطلع على حقيقة الحال في سقوط القبة التي على الصخرة ولا على إعادتها، والظاهر أن السقوط كان في بعضها لا في كلّها و الّله أعلم.

وقال ابن شاكر الكتبي[١٧٣]: وفي هذا الشهر أيضًا احترقت دار القطن ببغداد وأماكن كثيرة بباب البصرة واحترق جامع سامرّاء.

وقال ابن سعيد المغربي[١٧٤] عن صناجة الدوح وهو محمد ابن القاسم بن عاصم: أخبر صاحب الجنان إنه شاعر خليفتهم الحاكم[١٧٥] أنشد له في زلزلة حدثت بمصر:

بالحاكم العدل أضحى الدين معتليًا ... نجل العلى[١٧٦] وسليل السادة الصلحا
ما زلزلت مصر من كيد يراد بها ... وإنما رقصت من عدله فرحا

قال ياقوت[١٧٧]: وقد رأيت هذا البيت منسوبًا إلا إنه قيل في كافور الإخشيدي.

٤١٥ هـ/ ١٠٢٤ م

قال ابن أبي زرع[١٧٨]: كانت الزلزلة العظيمة ببلاد الأندلس التي هدمت الجبال واضطربت بها الأرض وهدمت الديار من شدتها.

[١٧٠] المنتظم، ج ٧/ ٢٨٣؛ انظر أيضًا ابن الأثير، الكامل، ج ٩/ ٢٩٥؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢/ ٥.
[١٧١] يقصد قبره بالمسجد النبوي.
[١٧٢] الأنس الجليل، ج ١/ ٣٠٤.
[١٧٣] عيون التواريخ، (مخطوط بدار الكتب المصرية).
[١٧٤] النجوم الزاهرة، تحقيق د. حسين نصار، ص ٣٢٨، ٣٢٩.
[١٧٥] قال السيوطي: وكانت أيام الحاكم من سنة ست وثمانين وثلاثمائة الى سنة إحدى عشرة واربعمائة (٩٩٦-١٠١٧م).
[١٧٦] وردت الهدى عند ابن العمري، مسالك الأبصار (مخطوط) ج ١٠/ ٣، لوحة ١٢؛ وأيضًا عند السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١/ ٥٦٢.
[١٧٧] معجم البلدان، ج ١/ ٥٧٤ مادة (برقة).
[١٧٨] الأنيس المطرب، ج ١/ ١٨٤، ١٨٥.

٤١٦ هـ/ ١٠٢٥ م

قال يحيى الأنطاكي[١٧٩]: وانقض كوكب عظيم بحلب ليلة الخميس... بقين من شهر ربيع الآخر وسمع في إثره صوت دويّ كرعد قوي.

٤١٧ هـ/ ١٠٢٦ م

قال يحيى الأنطاكي[١٨٠]: في السنة الثانية من مُلك قسطنطين حدثت بمدينة القسطنطينية زلزلة مهولة في اليوم الرابع من كانون الأول الموافق لسنة سبع عشرة وأربعمائة وسقط منها أبنية كثيرة.

٤٢٥ هـ/ ١٠٣٣ م

وقال يحيى الأنطاكي[١٨١]: وشرع الظاهر (لإعزاز دين اللّه الخليفة الفاطمي) في هذه السنة في بناء سور مدينة القدس الشريف بعد بناء الرملة، وخرب المتولون لعمله كنائس كثيرة في ظاهر المدينة وأُخذت حجارتها وعولوا على نقض كنيسة صهيون وكنائس غيرها أيضًا ليحملوا حجارتها إلى السور، فحدث في البلد زلزلة مهولة لم تشاهد ولا سمع بمثلها آخر نهار الخميس لعشر خلون من صفر سنة ٥٢٤ هـ، وسقط منها أبنية الرملة وعدة مواضع من سورها وهلك من الناس فيها ما يعظم مقداره، وانقلبت مدينة أريحا على أهلها وكذلك نابلس وقرى قريبة منها، وسقطت قطعة من جامع بيت المقدس ودياره وكنائس في عملها وسقط أيضًا أبنية في مدينة عكا ومات فيها جماعة وغاب ماء البحر في مينائها ساعة ثم رجع إلى حاله.

وورد في إحدى المخطوطات العبرية القديمة[١٨٢]: رسالة من الرملة منها: خرج الناس من البيوت إلى الشوارع عندما رأوا الجدران تتداعى والسقوف تنخر من أعالي الحيطان والأبنية المتينة تتساقط، والبيوت

[١٧٩] تاريخ الأنطاكي، ج ٢/ ٢٤٧.

[١٨٠] تاريخ الأنطاكي، ج ٢/ ٢٥٠، في عهد Constantin VIII (1025-1028).

[١٨١] تاريخ الأنطاكي، ج ٢/ ٢٧٢.

[١٨٢] ترجمها عزرا حداد في هامش رحلة بنيامين التطيلي، ص ٨٨، ٨٩ حاشية رقم (٣)؛ وذلك بمناسبة زلزال حدث قبل مرور بنيامين ابن يونه التطيلي البناري الأندلسي بهذه المنطقة أثناء رحلته (٥٦١-٥٦٩) وقد اشتهرت بكثرة الزلازل.
Cedrenus et Michel Glycas signalent des tremblements de terre à Jérusalem entre avril et septembre 1034, V. Grümel, *La chronologie*, p. 480.

الجديدة تنهار والناس يموتون تحت الأنقاض لأنهم لم يجدوا مناصا لهم هنا وهناك؛ خرج الناس من بيوتهم لا يلومون إلى شيء تاركين وراءهم ما ملكوه من حطام آملين بالنجاة بأنفسهم، وحيثما توجهوا كانوا يشهدون آيات اللّه فالحيطان تتناطح ثم تتناثر وما بقي منها واقفًا ظل مسقفًا مائلًا.... وخرجت العقول من الرؤوس لهوْل ما رأته العيون وسمعته الآذان.... كان ذلك عند مغرب الشمس وعلى حين غرة في الرملة وفي كل فلسطين تساوت فيها كل القلاع والأرياف من البحر إلى بانياس من الجنوب والجبل حتى أورشليم وما جاورها إلى نابلس وقراها وطبرية ونواحيها. رأينا الجبال ترتعش وتتراقص كالحملان، صخورها تنفجر وآكامها تفور وأشجارها تنطوي ومياه الآبار تغيض؛ إن اللسان يقصر عن التبيان.

وقال ابن الجوزي[١٨٣]: ورد كتاب من الموصل ذكر فيه أن ريحًا سوداءًا هبت بنصيبين فقلعت من بساتينها أكثر من مائتي أصل توتًا وعنابًا وجوزًا ودحت بها الأرض خطوات، وإنه كان في بعض البساتين قصرًا مبنيًا بآجر وحجارة وكلس فرمته من أصله. ومطر البلد بعد ذلك مطرًا ووقع معه برد كبار في أشكال الأكف والزنود والأصابع وورد الخبر بأن البحر في تلك السواحل جزر نحو ثلاثة فراسخ وخرج الناس إلى ما ظهر من الأرض يبتغون السمك والصدف فجاء الماء فأخذ قومًا منهم.

وكان بالرملة[١٨٤] زلازل خرج الناس منها بأولادهم وحريمهم وعبيدهم إلى ظاهر البلد فأقاموا ثمانية أيام، وهدمت تلك الزلزلة ثلث البلد تقديرًا وقطعت المسجد الجامع تقطيعًا وأهلكت من الناس قومًا وتعدت نابلس فسقط نصف بنيانها وتلف ثلاثمائة نفس من سكانها؛ وقلبت قرية بإزائها فساحت بأهلها وغنمها وخسف بقرى أُخر، وسقط بعض حائط بيت المقدس، ووقع من محراب داود عليه السلام قطعة كبيرة، ومن مسجد إبراهيم عليه السلام قطعة إلا أن الحجر سلمت، وسقطت منارة المسجد الجامع بعسقلان، ورأس منارة غزة؛ واتفق في هذا الوقت كثرة الموتان ببغداد.

قال ابن الأثير[١٨٥]: وفيها كثرت الزلازل بمصر والشام وكان أكثرها بالرملة، فإن أهلها فارقوا منازلهم عدة أيام وانهدم منها نحو ثلثها وهلك تحت الهدم خلق كثير.

[١٨٣] المنتظم، ج ٨/ ٧٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨/ ٤٣؛ ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ (مخطوط)، ج ١٣/ ورقة ١١٣ أ، العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ ٣٠٤، ابن كثير؛ البداية والنهاية، ج ١٢/ ٣٦.

[١٨٤] قال الوطواط: مدينة الرملة بناها سليمان ابن عبد الملك وسكنها ثم توالت عليها الزلازل إلى ان خربت وانتقل أهلها إلى بيت المقدس وصارت بعد أن كانت مصرًا قرية وبهذا الجند من البلاد لُد، وسبسطية وهي مدينة عين جالوت ونابلس، مباهج الفكر (مخطوط مصور بدار الكتب)، مج ٣/ ٤٢٥.

[١٨٥] الكامل، ط. المكتبة التجارية، مطبعة الإستقامة، ج ٨/ ٧.
Cedrenus signale un tremblement de terre le 17 février en Syrie, V. Grümel, *La chronologie*, p. 480.

٤٣٤ هـ/ ١٠٤٢ م

قال ابن الأثير[١٨٦]: في هذه السنة كانت زلزلة عظيمة بمدينة تبريز هدمت قلعتها وسورها ودورها (وحمامتها) وأسواقها وأكثر دار الإمارة، وسلم الأمير لأنه كان في بعض البساتين وسلم جنده لأنه كان قد أنفذهم إلى أخيه، وأنه أحصي من هلك تحت الهدم فكانوا نحوًا من خمسين ألف ولبس الأمير السواد وجلس على المسوح لعظم هذا المصاب وإنه على الصعود إلى بعض حصونه خوفًا من توجه الغزّ إليه؛ والغزّ هم الأتراك.

وقال السيوطي[١٨٧]: وزلزلت تدْمر وبعلبك ومات تحت الهدم معظم أهل تدمر.

٤٣٨ هـ/ ١٠٤٦ م

قال ابن تغري بردي[١٨٨]: وفيها زلزلت أخلاط وديار بكر زلازل هدمت القلاع والحصون وقتلت خلقًا كثيرًا.

٤٣٩ هـ/ ١٠٤٧ م

قال الفارقي[١٨٩]: في هذه السنة خربت الرملة بالزلزلة وتفرق أهلها بالبلاد.

[١٨٦] الكامل، ج ٩/ ٥١٣. أورد حادث هذا الزلزال ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨/ ١١٤، والذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق د. عمر عبد السلام التدمري، نشر دار الكتاب العربي ١٤١٤ هـ، ١٩٩٢ م، ص ٣٢٥، ٣٢٦؛ والعبر، ج ٣/ ١٨٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢/ ٥٠.

[١٨٧] كشف الصلصلة، ص ٣٢.

[١٨٨] النجوم الزاهرة، ج ٥/ ٤١؛ وردت عند السيوطي، كشف الصلصلة، ص ٣٢.

[١٨٩] تاريخ ميافارقين، ص ١٦١.

٤٤٠ هـ/ ١٠٤٨ م

قال ابن الدلائي[١٩٠]: خبر الزلازل بناحية مدينة مرسية[١٩١] وأوريُوله، وذلك أن الزلازل ترادفت في حَوْمة تَدمير بمدينة أوريُولة وبمدينة مرسية وما فيها وذلك بعد الأربعين وأربعمائة من الهجرة وتمادَى ذلك بهم نحو عام كل يوم مرارًا كثيرة لا تخطئ من ذلك يومًا ولا ليلة إلى أن تهدّمت الدور ووقعت الصوامع وكل بنيان عال وانهدم جامع أوريوله مع صومعته وانشقت الأرض في كل ناحية من الحومة وغارت أعين كثيرة وحدث في بعضها ما له رائحة منتنة.

٤٤٢ هـ/ ١٠٥٠ م

قال ياقوت الحموي[١٩٢]: زلزلت بلاد الروم زلزلة عنيفة وصفها ابن بطلان[١٩٣] في رسالة كتبها إلى بغداد إلى أبي الحسين هلال ابن المحسن الصابي في سنة ألف وأربعين وأربعمائة ليَصف له خروجه من حلب إلى أنطاكية، وحال أنطاكية في حكم القسطنطينية، ويصف صاعقة أصابت الكنيسة في آخر سنة ١٣٦٢ للإسكندر الواقع في سنة ٤٤٢ هـ فقال: وشاهد غير واحد في أنطاكية وخارجها في ليلة الإثنين الخامس من شهر آب من السنة المقدم ذكرها في السماء شبه كوه ينور فيها نور ساطع لامع ثم انطفأ وأصبح الناس يتحدثون بذلك وتوالت الأخبار بعد ذلك بأنه كان في أول نهار يوم الإثنين في مدينة غُنْجرة[١٩٤] وهي داخل بلاد الروم على تسعة عشر يومًا من أنطاكية زلزلة مهولة تتابعت في ذلك اليوم وسقط منها أبنية كثيرة وخسف موضع في ظاهرها وكان هناك كنيسة كبيرة وحصن لطيف غابا حتى لم يبق لها أثر ونبع من ذلك الخسف ماء حار شديد الحرارة كثير المنبع المتدفق وغرق منه سبعون ضيعة وتهارب خلق كثير من تلك

[١٩٠] أحمد بن عمر بن أنس العُذري (٣٩٣-٤٧٨ هـ، عن ٨٥ عاما)، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، ط. معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٣٣ م، ص ٨.

[١٩١] مدينة محدثة إسلامية بنيت في أيام الأمويين الأندلسيين في شرق الأندلس، انظر تقويم البلدان للملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن الملك نور الدين علي بن محمود بن عمر ابن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة المعروف بأبي الفدا المتوفى ٧٣٢ هـ، ط. باريس ١٨٣٠ م بعناية البارون ماك كوكين ديسلان، ص ٤٧٨.

[١٩٢] معجم البلدان، ج ١/ ٣٨٢ (مادة أنطاكية).

[١٩٣] هو أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون ت. سنة ٤٤٤ هـ، انظر القفطي، طبقات الحكماء، ص ٢٩٤؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج ١/ ٢٤١.

[١٩٤] قال القزويني: ومنها خسف بناحية من الأرض وخروج ماء أسود منها وقد شوهد ذلك في كثير من النواحي منها مدينة غنجرة بأرض الروم، عجائب المخلوقات، ط. الحلوجي، ص ١٢.

الضياع إلى رؤوس الجبال والمواضع المرتفعة العالية فسلموا وبقى ذلك الماء على وجه الأرض سبعة أيام وانبسط حول هذه المدينة مسافة يومين ثم نضب وصار موضعه وحلًا.

وحضر جماعة ممن شاهد هذا الحال فحدثوا بها أهل أنطاكية على ما سطرته، وحكوا أن الناس كانوا يصعدون أمتعتهم إلى رأس الجبل فيضطرب من عظم الزلزلة فيتدحرج المتاع إلى الأرض، وفي ظاهر البلد نهر يعرف بالمقلوب يـأخذ من الجنوب إلى الشمال وهو مثل نهر عيسى وعليْه رحى ويسقي البساتين والأراضي. وهذا آخر ما كتبناه من كتاب ابن بطلان.

٤٤٤ هـ/ ١٠٥٢ م

قال ابن الأثير[١٩٥]: وفيها زلزلت خوزستان وأَرَّجان وإِيذَج[١٩٦] وغيرها من البلاد زلازل كثيرة، وكان معظمها بأرجان، فخرب كثير من بلادها وديارها وانفرج جبل كبير قريب من أرجان وانصدع فظهر في وسطه درجة مبنية بالآجر والجص قد خفيت في الجبل فتعجّب الناس من ذلك، وكان بخراسان أيضًا زلزلة عظيمة خربت كثيرًا وهلك بسببها كثير، وكان أشدها بمدينة بَيْهق فأتى الخراب عليها وخرب سورها ومساجدها، ولم يزل سورها خرابًا إلى سنة أربع وستين وأربعمائة فأمر نظام الملك ببنائه فبني.

وقال ابن الجوزي[١٩٧]: وفي هذه السنة كانت بأَرَّجان والأهواز وتلك النواحي زلازل عظيمة ارتجت منها الأرض وانقلعت منها الحيطان ووقعت شرافات القصور وحكى بعض مَن يعتمد على قوله إنه كان قاعدا في إيوان داره فانفرج حتى رأى السماء من وسطه ثم رجع إلى حاله لم يتغير.

٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨ م

قال ابن الأثير[١٩٨]: فيها في شوال كانت زلزلة عظيمة بالعراق والموصل ووصلت إلى همذان ولبثت ساعة فخربت كثيرا وهلك فيها الجم الغفير.

[١٩٥] الكامل، ج ٩/ ٥٩١.

[١٩٦] قال ياقوت عن إِيذَج إنها كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان وهي أجل مدن هذه الكورة وهي وسط الجبال ويقع بها ثلج وهي كثيرة الزلازل، معجم البلدان، ج/ ٤١٦.

[١٩٧] المنتظم، ج ٨/ ٤٥١؛ ويتفق معه ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢/ ٦٣.

[١٩٨] الكامل، ج ٩/ ٦٥١.

وقال ابن الجوزي[١٩٩]: في ثامن عشر شوال بين المغرب والعشاء كانت زلزلة عظيمة لبثت ساعة عظيمة ولحق الناس منها خوفًا شديدًا، وتهدمت دور كثيرة ثم وردت الأخبار أنها اتصلت من بغداد إلى همذان وواسط وعانة وتكريت وذكر أن الطواحين وقفت من شدتها، وبعد هذه الزلزلة بشهر أخرج الخليفة القائم بأمر اللّه (العباسي) من داره وجرت محن عظيمة.

٤٥٥ هـ/ ١٠٦٣ م

قال ابن الجوزي[٢٠٠]: وفي شهر شعبان كانت زلزلة بأنطاكية واللاذقية وقطعة من بلاد الروم وطرابلس وصور وأماكن من الشام ووقع سور طرابلس.

وقال ابن الأثير[٢٠١]: كان بالشام زلزلة عظيمة.

وقال ابن كثير[٢٠٢]: كان بواسط وأرض الشام زلزلة.

٤٥٨ هـ/ ١٠٦٥ م

قال ابن الجوزي[٢٠٣]: في جمادى الآخرة كانت بخراسان والجبال زلزلة عظيمة بقيت تتردد أيامًا، تصدعت منها الجبال، وأهلكت خلقًا كثيرًا وانخسفت منها عدة قرى، وفيها خرج الناس إلى الصحراء فأقاموا هناك؛ وورد كتاب من هناك إلى بغداد فيه شرح الحال نصه: «كتابي أطال اللّه بقاء الشيخ عن نفس زاهقة وأحشاء راجفة وعقل ذاهب وقلب ذاهل وعين ممطرة ودموع منسكبة وغموم في الصدر مقيمة وهموم على الفؤاد مخيمة مما دهينا به خصوصًا، وأهل هذه البلدة عموما من زلزلة شديدة وهدة عظيمة تصدعت منها الجبال وتشققت منها التلال، وإنقلبت منها القرى بأهلها واستؤصلت من أصلها ولم يسلم من ساكنيها إلا القليل، وهذا لعمري الخطب الجليل وخرب أكثر بنيان البلد وهلك خلق لا يأتي عليهم العدد، وقامت القيامة قبل أوانها وبدت آثار الساعة قبل إبانها وكثر الويل والعويل ولم ينج من الناس إلا القليل، والناس حيارى على المزايل سكارى من الهول الهائل، والأرض تمرع وتميد وليس عما قضاه اللّه محيد».

١٩٩ المنتظم، ج ٨/ ١٩٠؛ ويتفق معه ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢/ ٩٧.

٢٠٠ المنتظم، ج ٨/ ٢٣١.
Cf. également par Skylitzès en Thrace, Cyzique, Nicée, V. Grümel, *La chronologie*, p. 480.

٢٠١ الكامل، ج ١٠/ ٣٠.

٢٠٢ البداية والنهاية، ج ١٢/ ٨٩.

٢٠٣ المنتظم، ج ٨/ ٢٤١؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٠/ ٥٢؛ السيوطي، كشف الصلصلة، ص ٣٤.

٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧ م

قال أبو يعلى ابن القلانسي[٢٠٤]: في يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الأولى من السنة جاءت زلزلة عظيمة بفلسطين هدمت أكثر الرملة وسورها وتضعضع جامعها ومات أكثر أهلها تحت الردم، وحكي أن معلمًا كان في مكتبه تقدير مائتى صبي وقع المكتب عليهم فما سأل أحد عنهم لهلاك أهليهم[٢٠٥]، وأن الماء طلع من أفواه الآبار[٢٠٦] لعظم الزلزلة وهلك في بانياس تحت الردم نحو مائة نفس وكذلك في بيت المقدس؛ وسمع في آيار من هذه السنة رعدةً هائلةً ما سُمع بأعظم منها ولا بأهول من صوتها فغشى على جماعة من الرجال والنسوان والصبيان، وطلع في إثرها سحاب هائل، ووقع برد شديد الوقع أهلك كثيرًا من الشجر وجاء معه سيل عظيم في بلد الشام قلع ما مر به من الشجر والصخر.

وقال ابن الأثير[٢٠٧]: في جمادى الأولى كانت بفلسطين ومصر زلزلة شديدة خربت الرملة وطلع الماء من رؤوس الآبار وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألف نسمة، وانشقت الصخرة بالبيت المقدس وعادت بإذن اللّه تعالى، وعاد البحر من الساحل مسيرة يوم فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون منه فرجع الماء عليهم فأهلك منهم خلقًا كثيرًا.

قال ابن الجوزي[٢٠٨]: في جمادى الأولى كانت زلزلة بأرض فلسطين أهلكت بلد الرملة ورمت شرافتين من مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم ولحقت وادي الصفراء وخيبر وانشقت الأرض عن كنوز المال وبلغ حسها إلى الرحبة والكوفة؛ وجاء كتاب بعض التجار في هذه الزلزلة ويقول إنها خسفت الرملة جميعها حتى لم يسلم منها إلا دربان فقط، وهلك فيها خمسة عشر ألف نسمة.

٢٠٤ ذيل، ص ٩٤.

٢٠٥ كرر ابن الأثير هلاك الصبيان وأهليهم في زلزلة عام ٥٥٢ هـ، للتعبير عن كثر الضحايا.

٢٠٦ ورد حادث الزلزال بعنوان «غرائب اتفاق» أعجوبة عند القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١/ ٤٥٧.

٢٠٧ الكامل، ج ١/ ٥٧؛ انظر أيضًا القلقشندي، مآثر الإنافة، ج ١/ ٣٢١.

٢٠٨ المنتظم، ٨/ ٢٤٨؛ ويتفق معه العليمي، الأنس الجليل، ج ١/ ٣٠٤؛ أرخها ابن تغري بردي في عام ٤٥٩ هـ، ونقل عن ابن الصابئ: حدثني علوي كان بالحجاز ان الزلزلة كانت عندهم في الوقت المذكور وهو يوم الثلاثاء حادي عشر جمادى الأولى فرمت شرافتين من مسجد النبيّ صلّى اللّه عليْه وسَلّم.

٤٦٢ هـ/ ١٠٦٩ م

قال ابن الجوزي[٢٠٩]: فمن الحوادث فيها إنه بعد ثلاث ساعات من يوم الثلاثاء الحادي عشر من جمادى الأولى وهو الثامن عشر من آذار زلزلة عظيمة بالرملة وأعمالها فذهب أكثر أهلها وانهدم سورها وعمّ ذلك بيت المقدس وتنيس وانخسفت أيلة كلها وانجفل البحر في وقت الزلزلة حتى انكشفت أرضه ومشى الناس فيه ثم عاد إلى حاله. وتغيّرت إحدى زوايا الجامع بمصر وتبع هذه الزلزلة في ساعتها زلزلتان أخريتان.

٤٦٤ هـ/ ١٠٧١ م

قال ابن الجوزي[٢١٠]: وفي ليلة الجمعة لأربع بقين من ربيع الآخر وقت طلوع الفجر حدثت زلزلة ارتجت لها الأرض ست مرات.

وقال ابن الأثير[٢١١]: إن جميع الآبار التي بالقلعة (قلعة فضلون ببلاد فارس) غارت مياهها في ليلة واحدة.

٤٧٢ هـ/ ١٠٧٩ م

قال ابن أبي زرع[٢١٢]: وفي ربيع الآخر منها كانت الزلزلة العظيمة التي لم ير الناس بالمغرب مثلها، هدّت البنيان ومات فيها خلق كثير تحت الردم ووقعت الصوامع والمنارات، ولم تزل الزلزلة تتعاقب وتتكرر في كل يوم وليلة من أول يوم ربيع الآخر إلى آخر يوم من جمادى الآخرة من السنة المذكورة.

وبمناسبة الزلزلة أقام الأمير المعتمد بن عبَّاد لوحة من المرمر بمناسبة ترميم منارة المسجد الجامع بإشبيلية ومضمونها: «بسملة.... وصلَّى اللّه على محمَّد خاتم أنبيائه وخيرة أصفيائه وعلى أهله الطيبين الأبرار وسلَّم تسليمًا أمر المعتمد على اللّه المؤيَّد بنصر اللّه أبو القاسم محمَّد بن عبَّاد أدام اللّه تأييد أمره

٢٠٩ المنتظم، ج ٨/ ٢٥٦؛ انظر أيضًا ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢١/ ٩٩ وصاحب الزلزلة الوباء والفناء بمصر واشتهرت في التاريخ بالشدة المستنصرية.

٢١٠ المنتظم، ج ٨/ ٢٧٢ وهو شاهد عيان ببغداد والعراق؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢/ ١٠٥؛ والسيوطي، كشف الصلصلة، ص ٣٥.

٢١١ الكامل، ج ١٠/ ٧٢.

٢١٢ الأنيس المطرب، ج ٢/ ٩٦.

ووصّل إعزاز نصره ببنيان أعلى هذا المنار لا زال غزيرا بدعوة الإسلام عند انهدامة لكثير الزلازل الكائنة ليلة الأحد مستهل ربيع الأول من سنة اثنتين وسبعين وأربع مائة فتمّ بحوْل اللّه وتأييده في عقب الشهر المؤرَّخ قبل اللّه فيه كريم مشغلته وبنى له بكلّ حجر بنى فيه قصرا من جنانه بمنّه ولطفه؛ وكتب على المستوى الأدنى: عمل إبرهيم (ابن أفلح: أعلى) الرخّام على يَدَيْ الأمين صاحب الأحباس القيم أبي عمر أحمد بن طيّب وفّقه اللّه»[٢١٣].

٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م

قال ابن الجوزي[٢١٤]: فمن الحوادث فيها إنه وصل الخبر في المحرم بأَرَّجان زلزلة وما تاخمها من النواحي وهلك خلق وسقطت منارة الجامع وهلك تحت الردم أمم من الآدميين والمواشي.

وقال ابن الأثير[٢١٥]: وفيها كانت زلزلة شديدة بخوزستان وفارس وكان أشدها بأرجان فسقطت الدور وهلك تحتها خلق كثير.

[٢١٣] Séville. - H. Dalle, texte commératif de la restauration par Al-Muʿtamid Ibn ʿAbad, 472, d'un minaret de marbre blanc , avec champ épigraphique inscrit dans un encadrement; dimensions : 1 m 03 x 0 m 51. Encastrée primitivement dans la tour, et maintenant dans le mur du vestibule de l'église de San Salvador, « l'ancienne mosquée des émirs ʿabbadides ». Moulage à Madrid, au Musée archéologique national, nº 441 de l'inventaire. Douze lignes en coufique; élégants caractères avec hampes très hautes; *lâm - alifs* torsadés. Au dessous de la dernière ligne, l'encadrement porte en caractères coufiques incisés la signature du lapicide. Publiée; voir P. de Gayangos , dans *Memorial historico español*, t. II, p. 396; Amador de los Rios, *Inscr. àr. de Sivilla*, p. 103-105 (traduction reproduite dans J.G. Estoso y Perez, *Sevilla monumental y artistica* ; p. 63-64); voir *Inscriptions arabes d'Espagne*, province de Séville, p. 38, 39.

[٢١٤] المنتظم، ج ٩/ ١٤؛ وينقل عنه ابن كثير في البداية والنهاية، ج ١٢/ ١٢٧.

[٢١٥] الكامل، ج ١٠/ ١٤٥.

٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦ م

قال ابن الأثير[٢١٦]: فيها كانت زلازل بالعراق والجزيرة والشام وكثير من البلاد، فخربت كثير من البلاد وفارق الناس مساكنهم إلى الصحراء فلما سكنت عادوا.

٤٨٤ هـ/ ١٠٩١ م

قال أبو يعلى ابن القلانسي[٢١٧]: في ليلة الثلاثاء التاسع من شعبان من السنة حدث بالشام زلزلة عظيمة هائلة لم يسمع بمثلها ووافق هذا اليوم كونه من تشرين الأول وخرج الناس من دورهم خوفا من عودها؛ وحكي أن دورا كثيرة خربت بأنطاكية واضطربت كنيسة السيدة فيها وهلك خلق كثير بالردم، وانهدم تقدير سبعين برجا من سورها وبقيت على حالها إلى أن أمر السلطان ملك شاه بعمارتها ولَمَّ ما تشعث منها.

٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م

قال أبو يعلى ابن القلانسي[٢١٨]: في الوقت [جمادى الأولى بالتقريب] حدثت زلازل وفي يوم وليلة دفعات لم يسمع بمثلها في كل زلزلة منها تقيم وتطول بخلاف ما جرت بمثله العادة.

وقال ابن الأثير[٢١٩]: وفي هذا الشهر[٢٢٠] كانت بالشام زلازل كثيرة متتابعة يطول مكثها إلا أنه لم يكن الهدم كثيرًا.

وقال ابن الجوزي[٢٢١]: قال شيخنا أبو الفضل بن ناصر كانت ببغداد زلزلة في محرم سنة سبع وثمانين بين العشائين فحدث بعدها موت المقتدى وخروج تتش وقتله ومجيئ ابن آبق إلى بغداد وغير ذلك من الفتن والحروب.

٢١٦ الكامل، ج ١٠/ ١٥٨؛ وينقل عنه ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢/ ١٣١.

٢١٧ ذيل، ص ١٢٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٠/ ٢٠٠؛ وابن كثير، البداية والنهاية،ج ١٢/ ١٣٨.
Voir également pour Antioche, Nisibe, Sempad; V. Grümel, *La chronologie*, p. 480.

٢١٨ ذيل، ص ١٢٧.

٢١٩ الكامل، ج ١/ ٢٣٨.

٢٢٠ جمادى الأولى بالتقريب

٢٢١ المنتظم، ج ٩/ ٨١.

٤٨٩ هـ/ ١٠٩٥ م

قال ابن الجوزي[٢٢٢]: في هذه السنة حكم المنجمون بطوفان يكون في الناس يقارب طوفان نوح وكثر الحديث فيه، فتقدم المستظهر باللّه بإحضار عيشون المنجم فقال إن طوفان نوح اجتمع في برج الحوت الطوالع السبعة والآن فقد اجتمع في برج الحوت من الطوالع الستة وزحل لم يجتمع معهم فلو كان معهم كان طوفان نوح ولكن أقول إن مدينة أو بقعة يجتمع فيها عالم من بلاد كثيرة فيغرقون ويكون من كل بلد الواحد والجماعة، فقيل ما يجتمع في بلد ما يجتمع في بغداد وربما غرقت، فتقدم بإحكام المسنات والمواقع التي يخشى منها الإنفجار وكان الناس ينتظرون الغرق؛ فوصل الخبر بأن الحاج حصلوا في وادي المناقب بعد نخله، فأتاه سيل عظيم فنجا منهم من تعلق برؤوس الجمال وأذهب الماء الرحال والرجال، فخلع على المنجم وأجرى له جراية.

٢٢٢ المنتظم، ج ٩/ ٩٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١/ ٢٥٩؛ وأورد أبو يعلى القلانسي هذه السنة مختصرة ويذكر اجتماع النجوم في سنة ٤٩٠ هـ.

الباب الثالث

زلازل القرن السادس الهجري

٥٠٣ هـ- ٥١٥ هـ/ ١١٠٩ م-١١٢١ م

ورد عند القلقشندي[١] فصل عن المكاتبات عند حدوث الآيات السماوية فأورد مكاتبة لابن أبي الخصال[٢] المعروف بذي الوزارتين الكاتب وذلك للإخبار عن زلزلة عظيمة وقعت بمدينة قرطبة من الأندلس.

٥٠٤ هـ- ٥٠٥ هـ/ ١١١٠ م-١١١١ م

ورد في تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية[٣]: في الأحد السابع عشر من شوال سنة أربع وخمس مائة الهلالية وهو الخامس من بشنس سنة خمس مائة الخراجية ثارت ريح عظيمة سوداء وغبار في الساعة التاسعة من

[١] صبح الأعشى، ج/ ٩ ص ٢٢٢، ٢٢٣.

[٢] هو ذو الوزارتين الكاتب أبوعبد اللّٰه بن أبي الخصال ورد عنه أنه كتب إلى أمير المسلمين عندما وصل إلى أشبيلية سنة ٥٠٣ هـ وكتب إلى الوزير أبي بكر بن إبراهيم يهنئه بولاية خطة الإشراف سنة ٥١٥ هـ، انظر الفتح بن خاقان، قلائد العقيان، مطبعة بولاق ١٢٨٣ هـ، ص ١٧٥، ١٧٦، ١٨٠، والفتح بن خاقان هو أبوالنصر الفتح بن محمد بن عبد اللّٰه خاقان القيسي يقال توفي قتيلا خمس وثلاثين وقيل تسع وعشرين وخمسمائة بمدينة مراكش في الفندق يقال إن الذي أشار بقتله أمير المسلمين أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين أخو أبي اسحق إبراهيم الذي ألّف له أبوالنصر كتاب قلائد العقيان انظر خطبة الكتاب.

[٣] تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المنسوب لساويرس بن المقفع وآخرين، ج ٣/ ١/ ٦٠٤.
Den Heijer J., « Coptic Historiography in Fatimid , Ayyubid and Early Mamluk Periods», *Mawhub b. Mansur b. Muffarig et l'historiographie copto-arabe, Medieval Encounters*, 2/1, 1996, p. 67-98 ; Louvain 1989.

يوم الأحد المذكور وصار في الجو حُمرة عظيمة منتشرة على الأرض مثل النار ثم صارت ظُلمة عظيمة شديدة حتى لم يبصرأحد من الناس الآخر واعتقد جميع الناس أن القيامة قد حضرت فخرجوا من دورهم ومساكنهم وخلّوا أبوابها مفتوحة معتقدين هلكًا لا رجوع لهم إليها وصاروا هائمين على وجوههم في الجوامع والكنائس والأزقّة، والباعة تركوا حوانيتهم وما فيها من ذهب وفضة وقطاني وتجارة وبز ومتاع وغيره، وساحوا في الظلمة حائرين يطلبوا المواضع المنفسحة المكشوفة خوفا أن تسقط عليهم السقوف أو الحيطان وكانت ساعة مهولة لم يُر مثلها، وذكر جماعة من الشيوخ أنهم لم يروا مثله ولا سمعوا به من أيام موسى النبيّ وبعد ساعة جاءت المطرة وانقشعت الغبرة وسكنت الرياح وزالت وظهر النور فعاد الناس إلى بيوتهم وإلى حوانيتهم، وشكروا اللّه تعالى ومجّدوه.

وفي يوم الجمعة الثالث من توت سنة إحدى وخمس مائة الخراجية الموافقة لسنة ثمان مائة وثمانية عشر[٤] للشهداء الأبرار في الساعة الثالثة من النهار كانت زلزلة عظيمة فلما كان الليل هدمت كنيسة ميكاييل المختارة بجزيرة مصر وقيل إنها سقطت من الزلزلة، وكان السبب في ذلك ما حكاه جميل بن يحنس الصعيدي في الكنيسة المذكورة، ومعاني الأحول قيمها أن يوسف المستحب المسلماني بن مرقورة النهراني البنا، صار مقيمًا في الجزيرة أكثر وقته لعمارة المواضع المستزهات المستجدة بجوار هذه الكنيسة وهي البساتين والأدر المسماة بالروضة التي أمره السيد الأجل الأفضل بإنشائها هناك فلما كملت دار عليها كلها حصن فانتهى إلى طاحون الكنيسة وهي قبالة بابها، فذكروا أن يوسف المستحب قال لهم: أعطوني حتى أوارب الحصن عن الطاحون وإلا هدمتها وأجزته في وسطها، وأنهم أوعدوه بدنانير ثم رجع يذلهم ولم يعطوه شيء، وقالوا له: إن انتهيت عن أذيتنا وإلا استغثنا فيك للسلطان وعرَّفناه ما عَرَفناه من ذميم طريقتك في خدمته التي لم نرضاها وقد نزه اللّه أيامه عما تفعله فيها ونحن قوم ضعفاء تريد تقطع مصانعتنا وتزيد منّا ما لا نقدر عليه، وجرت بينهم خصائم كثيرة. فلما حدثت الزلزلة في اليوم المقدّم ذكره بات هو والفعلة في الروضة في العمارة كما جرت العادة فلما جنّ الليل أمر الفعلة بهدمها، فما أصبح الصبح إلا وهي مهدومة وأوصى الفعلة بكتمان ذلك فلم يجسر أحد منهم ينطق به لخوفهم منه، فلما كان بالغداة، أذاع هو والفعلة أن الزلزلة التي كانت بالنهار شققت حيطانها فلما جنّ الليل وقويت عليها الرياح سقطت لأنها من حيطان قديمة وأن هذا بتواني أهلها وقيمها، وأنهم لو كانوا حضروا في ذلك اليوم حتى يبادروا بإدعامها ما أصابها شيء، وأذاع ذلك عند كل الناس فنال النصارى من ذلك غمٌّ عظيمٌ وحزنوا عليها حزنًا عظيمًا، وبلغ الأب البطرك هذا الخبر فحزن حزنًا كثيرًا وقال إنما هذا في أيامي لكثرة ذنوبي، ولما وصل بعد ذلك إلى مصر تقدم إلى وكيل أحباس الكنائس المغلقة وغيرها أن يمضي إلى كنيسة ميكاييل المختارة ويحمل أخشابها وآلاتها إلى حيث أمره وبقيت مهدومة إلى حيث نظمت هذه السيرة.

[٤] وردت ٨٢٣ قبطية في كتاب التوفيقات الإلهامية، ط. بولاق ١٣١١ هـ، محمد مختار باشا.

٥٠٨ هـ/ ١١١٤ م

قال أبو يعلى ابن القلانسي[٥]: في هذه السنة حدثت بالشام زلزلة عظيمة ارتجت لها الأرض وأشفق الناس وسكنت فسكنت لها النفوس بعد الوجيب والقلق وقرت القلوب بعد الإنزعاج والفرق.

وقال ابن الجوزي[٦]: رأيت بخط شيخنا أبي بكر بن عبد الباقي البزاز قال: ورد إلى بغداد في يوم الخميس سابع عشر رجب من سنة ثمان وخمسمائة كتاب ذكر فيه إنه كان في ليلة الأحد ثامن عشر جمادى الآخرة من هذه السنة زلزلة حدثت فوقع منها في مدينة الرها من سورها ثلاثة عشر برجًا ووقع بعض سور حران ووقعت دور كثيرة على عالم فهلكوا، وإنه خسف بسميساط، وخسف بموضع وتساقط في بالس نحو مائة دار، وقلب بنصف القلعة وسلم نصفها.

ووصفها ابن الأثير[٧] بأنها: زلزلة شديدة أصابت الشام والجزيرة وهلك خلق كثير تحت الهدم.

وأضاف ابن كثير[٨]: أنها هدمت بعض دور خراسان ودورًا كثيرة في بلاد شتى فهلك من أهلها نحو مائة ألف، وإنه خسف بنصف قلعة حران وسلم نصفها وخسف بمدينة سميساط وهلك تحت الردم خلق كثير.

٥١١ هـ/ ١١١٧ م

قال ابن الجوزي[٩]: فمن الحوادث فيها إنه زلزلت الأرض ببغداد يوم عرفة وكانت الستور والحيطان تمر وتجيء ووقعت دور ودكاكين في الجانب الغربي فلما كان بعد أيام وصل الخبر بموت السلطان محمد بن ملك شاه، قال شيخنا أبو الفضل بن ناصر كانت هذه الزلزلة وقت الضحى وكنت في المسجد الذى على باب درب الدواب قاعدًا في السطح مستندًا إلى سترة تلي الطريق فتحركت السترة خرجت من الحائط مرتين، قال وبلغني إن دكاكين وقعت بالجانب الغربي في القرية ثم كان عقيبها موت السلطان محمد ثم موت المستظهر ثم ما جرى من الحروب والفتن للمسترشد باللَّه ثم مع دبيس بن يزيد وغلا السعر حتى بلغ الكر ثلثمائة دينار ولم يوجد ومات الناس جوعا وأكلوا الكلاب والسنانير.

٥ ذيل تاريخ دمشق، ص ١٩١. Cf. également V. Grümel, *La chronologie*, p. 480.

٦ المنتظم، ج ٩/ ١٨٠، ١٨١.

٧ الكامل، ج ١٠/ ٥٠٨.

٨ البداية والنهاية، ج ١٢/ ١٧٨.

٩ المنتظم، ج ٩/ ١٩٣.

وقال ابن الأثير[١٠]: كانت زلزلة بالعراق والجزيرة وكثير من البلاد[١١].

وقال سبط ابن الجوزي[١٢]: كانت زلزلة عظيمة ارتجت لها الدنيا فكانت الحيطان تذهب وتجيء ووقعت الدور على أهلها فمات خلق كثير. وقال ابن قاضي شهبة[١٣]: زلزلت أربيل وبغداد وغيرها من البلاد المجاورة.

٥١٣ هـ/ ١١١٩ م

قال الإمام أبو القاسم الرافعي[١٤]: ورأيت محضرا كتب في آخر صفر سنة ٥١٤ هـ، وفيه خطوط جماعة من الأئمة المعروفين من البلدين وغيرهم، مقصوده إنه لما وقعت الزلزلة العظيمة بقزوين ليلة الخامس من رمضان سنة ٥١٣ هـ، [وكانت تعود إلى مدة سنة كاملة]، وحدث بسببها خراب كثير، خربت مقصورة الجامع لأصحاب أبي حنيفة، وانكسرت القبة واحتيج إلى إعادتها فالتمس من الأمير الزاهد خمارتاش العمادي لرغبته في الخير أن يعيد عمارتها فلما أمر بالعمارة، نقضت المقصورة فوجد تحت المحراب المنصوب في الجدار لوح منقور عليه «بسْم اللّٰه الرحمٰن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلاته على محمد وآله أجمعين أمر الملك العادل المظفر المنصور عضد الدين علاء الدولة وفخر الأمة وتاج الملة أبو جعفر بن رشمن زيار، حسام أمير المؤمنين أطال اللّٰه بقاءه بتخليد هذا اللوح ذكر ما رآه وأباحه من ماء وادي درج وأترك لخاصة أهل قزوين ليشربوه، وليسيحوه إلى مزارعهم وكرومهم في القصبة على النصفة، وتحريم أخذ ثمن له وإلزام مؤنة عليه على التأبيد، فمن غير ذلك أو نقضه أو خالف مرسومه فقد باء بغضب من اللّٰه وإستحق اللعنة وإستوجب العقاب الأليم ﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾»[١٥] وكتب في شهر رمضان ٤٢٢ هـ.

[١٠] الكامل، ج ١٠/ ٥٣٢.

[١١] Le séisme est également noté en Italie; cf. V. Grümel, *La chronologie*, p. 480.

[١٢] مرآة الزمان، ج ٨/ ٤٢، ٤٣.

[١٣] الدر الثمين في سيرة نور الدين مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ح ٩٤٨٢ ورقة ٨٩، ٩٠؛ وذكر ابن قاضي شهبة أن نور الدين ولد في هذه السنة ثم ذكر ما جرى في زمانه من الأمور الغريبة منذ ولادته إلى وفاته وأنه حدث في حياته كثير من الزلازل.

[١٤] التدوين في أخبار قزوين (مخطوط) ورقة ٣٧، ٣٨؛ نسخة مصورة بدار الكتب المصرية برقم ٤٢٧٦ تاريخ وهي مصورة عن مكتبة بلدية الاسكندرية برقم ٦١٥٤.

[١٥] سورة البقرة، آية ١٨١.

وقال أبو يعلى ابن القلانسي[١٦]: في هذه السنة حكى من ورد من بيت المقدس ظهورقبور الخليل وولديْه إسحق ويعقوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم مجتمعون في مغارة بأرض بيت المقدس وكأنهم كالأحياء لم يبل لهم جسد ولا رم عظم وعليهم في المغارة قناذيل معلقة من الذهب والفضة وأعيدت القبور إلى حالها التي كانت عليه.

وقال ياقوت الحموي[١٧]: قال الهروي: دخلت القدس في سنة ٥٦٧ هـ، واجتمعت فيه في مدينة الخليل بمشايخ حدثوني أن في سنة ٥١٣ هـ في أيام الملك بردويل انخسف موضع في مغارة الخليل فدخل إليهاجماعة من الفرنج بإذن الملك فوجدوا فيها إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام وقد بليت أكفانهم وهم مستندون إلى حائط وعلى رؤوسهم قناديل ورؤوسهم مكشوفة فجدد الملك أكفانهم ثم سد الموضع؛ وقرأت على السلفي أن رجلًا يقال له الأرمني قصد زيارة الخليل وأهدى لقيْم الموضع هدايا جمّة وسأله أن يمكنه من النزول إلى جثة إبراهيم عليه السلام فقال له: أما الآن فلا يمكن، لكن إذا أقمت إلى أن ينقطع الجثْل وينقطع الزوار فعلت، فلما انقطعوا قلع بلاطة هناك وأخذ معه مصباحًا ونزلا سبعين درجة إلى مغارة واسعة الهواء يجري فيها، وبها دكة عليها إبراهيم عليه السلام ملقى وعليه ثوب أخضر والهواء يلعب بشيبته وإلى جانبه إسحق ويعقوب، ثم أتى به إلى حائط المغارة فقال له إن سارة خلف هذا الحائط فهمّ أن ينظر إلى ما وراء الحائط فإذا بصوت يقول إياك والحريم قال: فعدوْت من حيث نزلت.

٥١٥ هـ/ ١١٢١ م

قال ابن قاضي شهبة[١٨]: فيها انقض كوكب عظيم رُؤي من ضوئه أعمدة عند انقضاضه، وسُمع عند ذلك صوت هدير كالزلزلة وفيها هبت بمصر ريح سوداء ثلاثة أيام فهلكت خلقًا كثيرًا من الناس والدواب والأنعام.

وقال ابن كثير[١٩]: وفيها كانت زلزلة عظيمة بالحجاز تضعضع بسببها الركن اليماني زاده اللّه شرفًا وتهدم شيء من حرم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم.

[١٦] ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٠٢.
[١٧] معجم البلدان، ج ٢/ ٤٦٨.
[١٨] الدر الثمين (مخطوط)، ورقة ٩٦، ٩٧.
[١٩] البداية والنهاية، ج ١٢/ ١٨٨.

٥١٦ هـ/ ١١٢٢ م

قال السيوطي[٢٠]: فيها زلزلت جنزة[٢١] وانخسف طرف منها وانهدم سورها.

٥٢٤ هـ/ ١١٢٩ م

قال ابن الجوزي[٢٢]: قال شيخنا أبو الفضل بن ناصر: وكانت زلزلة عظيمة هائلة في ليلة الجمعة السادس عشر من ربيع الأول سنة أربع وعشرين، وكان ذلك في آخر شباط وكنت في المسجد بين العشائين فماجت الأرض مرارًا كثيرة من اليمين عن القبلة إلى الشمال فلو دامت هلك الناس ووقعت دور كثيرة ومساكن في الجانب الشرقي والغربي ثم حدث موت السلطان محمود وفتن وحروب.

وقال ابن الأثير[٢٣]: كانت زلزلة عظيمة في ربيع الأول بالعراق، وبلد الجبل، والموصل، والجزيرة.

٥٢٩ هـ/ ١١٣٤ م

قال ابن الجوزي[٢٤]: وقعت زلزلة شديدة ثلاث مرات ببغداد في جمادى الآخرة وقت الضحى حتى تحركت الجدران. وأضاف[٢٥]في نفس السنة: زلزلت بغداد مرارًا لا أحصيها وكان مبتدأ الزلازل يوم الخميس حادي عشر شوال فزلزلت يومئذٍ ست مرات إلى ليلة الجمعة سابع عشرين شوال ثم ارتجت يوم الثلاثاء النصف من الليل حتى تفرقعت السقوف وانتثرت الحيطان وكنت ذلك الزمان صبيًا وكان نومي ثقيلًا لا أنتبه إلا بعد الإنتباه الكثير فارتج السقف تحتي وكنت نائمًا في السطح، رجة شديدة حتى انتبهت منزعجًا ولم تزل الأرض تميد من نصف الليل إلى الفجر والناس يستغيثون، وانقطع خبر العسكر الذي كان خرج من بغداد وفيها قتل المسترشد ودبيس وشمس الملوك صاحب دمشق ومات السلطان طغريل.

٢٠ كشف الصلصلة، ص ٣٧.

٢١ جنزة تقع بين شيروان وأذربيجان ورد ذلك بهامش كشف الصلصلة للسيوطي حاشية رقم ١، ص ٣٨.

٢٢ المنتظم، ج ١٠/ ١٤؛ وورد الزلزال عند سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨/ ٨١.

٢٣ الكامل، ج ١٠/ ٦٦٦.

٢٤ المنتظم، ج ١٠/ ٤٤؛ ووردت الزلزلة عند سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨/ ٩٢، ٩٣.

٢٥ المنتظم، ج ١٠/ ٤٦، ٤٧.

وقال ابن الجوزي[٢٦]: لما كان يوم الثلاثاء مُستهل ذي القعدة وصل خمسمائة وعشرون ركابيًا معهم خط أمير المؤمنين إلى ولي العهد بوصول رسول سنجر إلى مسعود يقول فيه: ساعة وقوف الولد العزيز غياث الدنيا والدين مسعود على هذا المكتوب يدخل على أمير المؤمنين أعز اللّٰه أنصاره ويقبل الأرض بين يديه ويقف ويسأله العفو عنه والصفح عن جرمه وإقدامه وينصل غاية التنصل فإنه قد ظهرت عندنا من الآثار السمائية والأرضية ما لا طاقة لنا بسماع مثله دون المشاهدة من الرياح والعواصف والبروق و«تزلزل الأرض»[٢٧] ودوام ذلك عشرين يومًا وتشويش العساكر وانقلاب البلدان ولقد خفت على نفسي من جانب اللّٰه تعالى وظهور آياته وجانب المخلوقين والعساكروتغيرهم عليّ وامتناع الناس من الصلاة في الجوامع وكسر المنابر ومنع الخطباء، ما لا طاقة لي بحملها فاللّٰه اللّٰه تلاقى أمرك وتحقن دم المسلمين وتعيد أمير المؤمنين إلى مستقر عزّه وتسلم إليه دبيسًا ليرى فيه رأيه فإنّه هو الذي أحوج أمير المؤمنين إلى مثل هذا وأحوجنا أيضًا نحن إلى مثل هذا وعجل ولا تتأخر وتعمل له البرك وتنصب له السرادق وتضرب له التخت وتحمل له الغاشية بين يديه أنت وجميع الأمراء كما جرت عادتنا وعادة آبائنا في خدمة هذا البيت. فلما وقف على هذا المكتوب نفذ بالوزير شرف الدين أنوشران ومعه نظر فاستأذن، فأذن له فدخل وقبل الأرض بين يديه ووقف معتذرًا متنصلًا يسأل العفو والصفح عن جرمه وأمير المؤمنين مطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال قد عفي عن ذنبك.

وفي هذه السنة[٢٨] هجمت الباطنية على أمير المؤمنين [المسترشد باللّٰه] فضربوه بالسكاكين إلى أن قتلوه.

وقال ابن الأثير[٢٩]: في هذه السنة في شوال زلزلت الأرض بالعراق والموصل وبلاد الجبل وغيرها وكانت الزلزلة شديدة وهلك فيها كثير من الناس.

٥٣٢ هـ/ ١١٣٧ م

قال أبو يعلى ابن القلانسي[٣٠]: ورد الخبر في صفر بأن زلزلة عظيمة جاءت بالجزيرة وأعمال الموصل وقيل إنها أهلكت عدة مواضع من الأرض وهلك فيها خلق وافر من أهلها.

[٢٦] المنتظم، ج ١٠/ ٤٧، ٤٨.
[٢٧] وردت الزلازل عند ابن قاضي شهبة، الدر الثمين (مخطوط بدار الكتب المصرية) ورقة ١١٥ وبقية النص في ١١٦، ١١٧.
[٢٨] ابن الجوزي المنتظم، ج ١٠/ ٤٩.
[٢٩] الكامل، طبعة الكاتب العربي، لبنان، ج ٨/ ٣٥١.
[٣٠] ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٦٣.

وقال ابن الأثير[٣١]: كانت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة وديار بكر والموصل والعراق وغيرها من البلاد.

٥٣٣ هـ/ ١١٣٨ م

قال أبو يعلى ابن القلانسي[٣٢]: وفي يوم الثلاثاء الرابع من صفر جاءت في دمشق زلزلة هائلة بعد الظهر إهتزت بها الأرض ثلاث مرات، وتلاها في ليلة الجمعة وقت عشاء الآخرة ثانية، اهتزت بها الأرض عدة مرات.

وفي ليلة الاثنين التاسع عشر من صفر عادت الزلزلة في الثلث منها ثلاث مرات، فتبارك رب هذه القدرة الباهرة والآية الظاهرة. وعادت في ليلة الأربعاء يتلوها في الربع الأخير من الجمعة.

وتناصرت الأخبار من الثقات السفار والواردين من ناحية الشمال بصفة هذه الرجفات المذكورات وأنها كانت في حلب وما والاها من البلاد والمعاقل والأعمال أشد ما يكون بحيث انهدم في حلب الكثير من الدور وتشعث السور وإضطربت جدران القلعة وظهر أهل حلب من دورهم إلى ظاهره من خوفهم على نفوسهم ويقول المكثر من الحاكي إن الزلزلة جاءت تقدير مائة مرة، وقوم يحققون إنها ثمانون مرة واللّٰه أعلم بالغيب والصواب تبارك اللّٰه رب العالمين القادر على كل شيء.

وفي يوم السبت السابع عشر من شعبان الموافق للتاسع من نيسان جاء رعد هائل مختلف من عدة جهات وبرق زائد وجلبات هائلة قبل الظهر، ثم جاء مع ذلك مطر شديد الوقع، وبرد هائل حكى بعض الثقات إنه وزن واحدة من كبار البرد فكان وزنها في ناحية الغوطة والمرج ثمانية دراهم، وكان آخرون وزنوا واحدة فكانت سبعة عشر درهمًا، وقتل كثير من الطير وأتلف كثير من الزرع والثمار.

وعلى مضي ساعات من نهار الأربعاء الحادي والعشرين من شوال جاءت رجفة هائلة ارتاعت لها القلوب ورجفت بها الصدور.

وقال ابن القلانسي[٣٣]: وقد كان الخبر قد ورد قبل ذلك بافتتاح عماد الدين أتابك قلعة الأثارب في يوم الجمعة أول صفر من السنة المقدم ذكرها ووردت الأخبار بأن رجفة عظيمة حدثت في الشام بعدما تقدم ذكره في ليلة الجمعة الثامن من صفر منها.

[٣١] الكامل، ج ١١/ ٦٦.

[٣٢] ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٦٨. Cf. V. Grümel, *La chronologie*, p. 480.

[٣٣] ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٧٠. Cf. V. Grümel, *La chronologie*, p. 480.

وقال ابن العديم[٣٤]: في يوم الخميس ثالث عشر من صفر حدثت زلزلة شديدة ثم أتبعتها أخرى وتواصلت الزلازل فهرب الناس من حلب إلى ظاهر البلد وخرجت الأحجار من الحيطان إلى الطريق وسمع الناس دويًا عظيمًا، وإنقلبت الأثارب[٣٥] فهلك فيها ستمائة من المسلمين، وسلم الوالي ومعه نفر يسير وهلك أكثر البلاد من شيح، وتل عمار، وتل خالد، وَزرّدنا وشوهدت الأرض تموج والأحجار عليها تضطرب كالحنطة في الغربال. وانهدم من حلب دور كثيرة وتشعث السور واضطربت جدران القلعة وسار أتابك [عماد الدين زنكي] مشرقًا فنزل القلعة فأخذها وسار منها إلى القلعة [هكذا] ثم سار إلى الموصل. وتواترت الزلازل إلى شوال وقيل إن عدتها كانت ثمانين زلزلة.

وقال ابن العديم: وكان في سنة اثنتين قد عول أتابك [هكذا] على قبض أملاك الحلبيين التي استحدثوها من أيام رضوان إلى آخر أيام إيلغازي ثم قرر عليهم عشرة آلاف دينار فأدّوا من ذلك ألف دينار وجاءت هذه الزلازل، فهرب أتابك من القلعة إلى ميدانها حافيا وأطلق القطيعة.

وقال ابن الأثير[٣٦]: كانت زلازل كثيرة هائلة بالشام والجزيرة وكثير من البلاد وكان أشدها بالشام وكانت متوالية عدة ليال وكان معها صوت وشدة وهزة شديدة.

وقال ابن الجوزي[٣٧]: وفيها زلزلت جنزة[٣٨] عشرة فراسخ في مثلها فأهلكت مائتي ألف إنسان وخسفت بجنزة وبقى مكان البلاد ماء أسود، وسمعت من شيخنا ابن ناصر يقول إنه جاء الخبر أنه خسف بجنزة وصار مكان البلد ماء أسود وقدم التجار من أهلها فلزموا المقابر يبكون على أهاليهم وإن كان ابن الجوزي يقول في كتابه المدهش[٣٩]: كانت زلزلة بجنزة أتت على مائتي ألف وثلاثين ألف فأهلكتهم وكانت في مقدار عشر فراسخ في مثلها وفي السنة التي تليها خسف بجنزة وصار مكان البلد ماء أسود، وزلزلت حلوان.

٣٤ زبدة الحلب، ج ٢/ ٢٧٠، ٢٧١؛ انظر أيضًا الطباخ، أعلام النبلاء، ج ١/ ٤٩٤، ٤٩٥.

٣٥ قال محقق زبدة الحلب، ج ٢/ حاشية ٢، ص ٢٧٠ في تاريخ العظيمي، بالورقة ٢١٣ ظ: «وانقلبت قلعة الأثارب بكل ما فيها، ودامت الزلازل، وكان يحدث دوي عظيم قبلها ثم يأتي بعده كذلك أربعة أشهر». والغريب أن العظيمي لم يسجل خراب حلب وهو فيها وابن القلانسي الدمشقي نقل إلينا خبر ذلك في تفصيل أمين.

٣٦ الكامل، ج ١١/ ٧١.

٣٧ المنتظم، ج ١٠/ ٧٨؛ ينقل عنه ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٤/ ١٠٢.

٣٨ جنزة تقع بين شيروان وأذربيجان وورد ذلك بهامش كشف الصلصلة للسيوطي حاشية ١، ص ٣٨.

٣٩ المدهش في المحاضرات، (مخطوط بدار الكتب المصرية)، رقم ب ٢٣٠٥٤.

٥٣٤ هـ/ ١١٣٩ م

قال ابن الأثير[٤٠]: فيها زلزلت كنجة[٤١] وغيرها من أعمال أذربيجان وأرّان إلا أن أشدها كان بكنجة فخرب منها الكثير وهلك عالم لا يحصون كثرة. قيل كان الهلكى مائتي ألف وثلاثين ألفًا وكان من جملة الهلكى إبنان لقرا سنقر صاحب البلاد وتهدّمت قلعة هناك لمجاهد الدين بهروز، وذهب له فيه من الذخائر والأموال شيء عظيم. وفي هذه السنة شرع مجاهد الدين بهروز في عمل النهروانات سكر سكرًا عظيمًا يرد الماء إلى مجراه الأول.

٥٣٨ هـ/ ١١٤٣ م

قال السيوطي[٤٢]: في ذي القعدة ليلة الثلاثاء رابع عشريه زلزلت الأرض زلزلة عظيمة، كذا ذكره صاحب المرآة وابن كثير مقتصرين عليه.

٥٤٤ هـ/ ١١٤٩ م

قال ابن الجوزي[٤٣]: في يوم السبت غرة ذي الحجة وقت الضحى زلزلت الأرض زلزلة عظيمة فبقيت تموج نحوًا من عشر مرات وكانت زلزلة بحلوان تقطع الجبل وساخ في الأرض وانهدم الرباط البهروزي وهلك عالم من التركمان.

٥٤٦ هـ/ ١١٥١ م

قال أبو يعلى القلانسي[٤٤]: وردت الحكايات بحدوث زلزلة وافت في الليلة الثالثة عشر من جمادى الآخرة سنة ٥٤٦ هـ اهتزت الأرض لها ثلاث رجفات في أعمال بصرى وحوران وسكنت وما وَالاها في

٤٠ الكامل، ج ١١/ ٧٧. وفي ط. المكتبة التجارية ج ٨/ ٣٩٨.
٤١ هي جنزة التي وردت عند ابن الجوزي في خبر الزلزلة السابقة.
٤٢ كشف الصلصلة، ص ٣٨.
٤٣ المنتظم، ج ١٠/ ١٣٨؛ ينقل عنه سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨/ ١٢١؛ وأورد الخبر بذاته ابن الأثير، الكامل، ج ١١/ ١٤٦؛ ويقول السيوطي إن الأرض زلزلت ببغداد ومصدره ابن الجوزي.
٤٤ ذيل تاريخ دمشق، ص ٣١٧.

سائر الجهات وهدمت عدة وافرة من حيطان المنازل ببصرى وغيرها وسكنت بقدرة من حركها وسكنها سبحانه وتعالى إنه على كل شيء قدير.

وفي يوم السبت الثاني والعشرين من شوال من السنة وهو اليوم الثالث من شباط وافت قبل الظهر زلزلة اهتزت لها الأرض ثلاث هزات هائلة وتحركت الدور والجدران ثم سكنت بقدرة اللّه تعالى ذكره.

٥٤٨ هـ/ ١١٥٣ م

قال النويري السكندري[٤٥] بمناسبة الزلازل: وقعت حيطان منبج بعضها على بعض فهلكت أهلها ولم يسلم من أهلها غير سبعة عشر نفرًا كانوا خارجين عنها.

٥٤٩ هـ/ ١١٥٤ م

قال الجَعْدِي[٤٦] في ترجمة الداعي محمد بن سبأ: وكانت الزلزلة ليلة الأحد في رجب سنة تسع وأربعين وخمسمائة والداعي في الصريحين[٤٧] وانهدم بتلك الزلزلة حصون كثيرة وخسف بمنزل مشهور بذي حوال في الثجَّة[٤٨].

ورد عند الديبع[٤٩]: في هذه السنة كانت قصة أهل المغلف[٥٠] قرية بين الكدري دوالمهجم جاءتهم سحابة سوداء من قبل اليمن فيها رجف شديد وبرق وشعل نار تلتهب فزالت عقولهم فزعًا بعضهم إلى المساجد فغشيهم العذاب وحملت الريح أكثر القرية من تحت الثرى بمساكنهم ومن فيها من الناس والدواب والأطفال والنساء فألقتهم على خمسة أميال صرعى ولبعضهم أنين وهم صمّ بكمّ عميّ حتى ماتوا، نسأل اللّه التوفيق.

[٤٥] الإلمام بالإعلام، ج ٤/ ١٤٣، خصص النويري فصلًا عن الزلازل والطاعون والأهوية والفيضان والغلاء بمناسبة زلزال ٧٠٢ هـ ج ٤، ص ١٢٤ـ ١٤٤.

[٤٦] عمر بن علي بن سَمُرة الجعدي، ومدح الداعي أبوسبأ بأشعار كثيرة وقصائد مشهورة، انظر طبقات فقهاء اليمن (ألفه سنة ٥٨٦ هـ) تحقيق فؤاد سيد ط. القاهرة ١٩٥٧ م، مجموعة المكتبة اليمنية.

[٤٧] دار النزهة للملوك وأرباب النعم في ذي جبلة.

[٤٨] قال ياقوت الرومي: بلدة قديمة خاربة ومحلها في ناحية إب وجبلة وكانت بسفح جبل التعكر من الشرق الجنوبي انظرمعجم البلدان مادة «ثجة».

[٤٩] الإمام أبو الضيا عبد الرحمن بن علي، قرة العيون، حوادث ٥٤٩ هـ، ص ٣٦٢-٣٦٣.

[٥٠] قال المحقق: هي التي تسمى اليوم المغلاف الواقعة على شط نهر سردد على طريق المسافرين من الجبال الشمالية وتبعد عن ثغر الحديدة بيوم كامل في الشمال الشرقي منها.

قال أبو الحسن الخزرجي[٥١]: وفي سنة ٥٤٩ المذكورة سقطت من السماء حجر فوقع في الصلاحفة[٥٢] موضع قريب من ذي جبلة ووقعت رجفة شديدة تزلزلت منها الأرض بأهلها وذلك بيوم الجمعة سادس شهر ربيع الأول من السنة المذكورة وانشقت السماء وسط النهار وظهر نجم وبعده دخان في المخلاف الأخضر وحصلت بعده زلزلة شديدة في اليمن من صنعاء إلى عدن هلك فيها عدد كثير من الناس وانهدم كثير من الحصون والمساكن على أهلها من ذلك حصن حب انهدم بعضه وهلك فيه ثمانية أنفس وانهدم من حصن عزان بعضه وانهدمت أكمة الحدة وأكمة سمارة[٥٣] وحصن الخضراء باحطة وهلك فيه خمسة وسبعون وزلزلت مدينة ذي جبلة وأماكن كثيرة تركنا ذكرها لكثرتها وهلك أكثرها ججمع من الناس.

قال ابن القاسم[٥٤]: وفيها كانت قصة أهل المَعْلَق وهي قرية من قرى تهامة ما بين الكَوْراء والمَهجم، وهي أن اللّٰه تعالى أرسل عليهم سحابة سوداء مظلمة أتتهم من جهة اليمن، فيها رجف شديد وبرق ونار ملتهب فلما رأوا ذلك زالت عقولهم والتجأ بعضهم إلى المساجد فغشيهم الأمر، واحتملت الريح[٥٥] أكثر من قرية من أصلها بمن فيها من الناس والدواب حتى ألقتهم في محل نازح عن القرية بنحو خمسة أميال فوجدوا حيث ألقتهم الريح صرعى ولبعضهم أنين ولم يلبثوا أن هلكوا وهم عميّ صمّ خرسّ حتى ماتوا وقيل حملتهم الريح وألقتهم في البحر.

وفي رواية أخرى قال ابن القاسم: وفي كتاب المستنصر قال: هما قريتان من أعمال الجثة تسمى إحداهما المَعْلق وتسمى الأخرى السحلة قال فبينما القوم في مصالح أمورهم، الرجال تحرث والنساء تغزل والحمير تتناهق والكلاب تتعاوى، إذ ارتفعوا عن الأرض بكلابهم ورجالهم ونسائهم فغابوا عن أعين الخلق فلم يدْر أحد ما فعل اللّٰه بهم وما كان من أمرهم. قال: وكان ذلك في سنة أربع وستين وخمسمائة واللّٰه أعلم تحقيق ذلك ولعل الأول أقرب.

٥١ علي بن الحسن المتوفي ٨١٢ هـ، وله العسجد المسبوك.

٥٢ قال المحقق: لا تزال معروفة إلى يوم الناس هذا وتقع في الشرق الجنوبي من مدينة ذي جبلة بمسافة ثلث ساعة وهي مزرعة خصبة والصخرة ضخمة ينبثق من تحتها عين ثرة غزيرة تسمى الحروث والمزارع هناك ولعل قرية كانت هناك تمل هذا الإسم.

٥٣ أكمة الحدة تقع تحت قرية معرية من عزلة روس بني محرم من مخلاف الشوافي الصاقبة لجبل الخضراء التي تبعد عن إب في الشمال الغربي نحوا من خمس ساعات وأكمة سمارة هي التي تسمى قلعة سمارة وهي في القمة عليها سور وبها دار أشبه بأن تكون حامية تسيطر على النقيل للصاعد والنازل وسمارة هي الممر الجبلي في جوف هذا الجبل المعروف بنقيل سمارة وبنقيل صيد.

٥٤ أنباء الزمن، مخطوط بدار الكتب المصرية، ج ١/ ٣٠٨؛ غاية الأماني، تحقيق د. سعيد عاشور، ج ٢/ ٢١٣.

٥٥ لم يفرق القدماء بين الريح والزلازل فيقول ابن سينا عن اليونان: إن أكثر الزلازل هي من الرياح المختنقة في باطن الأرض، انظر الشفاء ق. ٥ المعادن والآثار العلوية، ص ١٥-١٩، وبرغم أن الحالات هنا مختلفة، نلاحظ ربط القدماء الزلازل بالظواهر الطبيعية الأخرى.

وقال ابن القاسم[٥٦]: في هذه السنة المذكورة سنة تسع وأربعين وخمسمائة سقطت من السماء حجر فوقعت في الصلاجقة وهو موضع قريب من مدينة ذي جبلة ووقعت بعدها رجفة شديدة تزلزلت منها تلك الجهة بأهلها. وذلك يوم الجمعة السادس عشر من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة وأشعت السماء وسط النهار وظهره بجمر وبعده دخان في المحلاق الأخضر، وحصلت بعد ذلك في يوم الأحد تاسع شهر رجب زلزلة شديدة في اليمن من صنعاء إلى عدن هلك فيها عدد كبير من الناس وانهدم كثير من القرى والحصون والمساكن حتى كان قدر الذي هلك في صنعاء ثلثمائة نفس وأما سائر القرى والحصون والمساكن فكثير.

وقد حققه العرشاني[٥٧] في كتابه «المواعظ والعبر» وبين قدر ما راح من كل قرية وحصن واللّه أعلم.

وقال السيوطي[٥٨]: وفي سنة تسع وأربعين هاجت ريح شديدة بعد العشاء فيها نار، فخاف الناس أن تكون الساعة وزلزلت الأرض وتغير ماء دجلة إلى الحمرة وظهر بأرض واسط من الأرض دم لا يعرف سببه.

٥٥٠ هـ/ ١١٥٦ م

قال ابن الأثير[٥٩]: وفيها كان بالعراق وما جاوره من البلاد زلزلة كبيرة في ذي الحجة.

وقال السيوطي[٦٠]: زلزلت بغداد.

٥٥١ هـ/ ١١٥٦ م

قال أبو يعلى ابن القلانسي[٦١]: شرح الزلازل في السنة المباركة[٦٢]:

٥٦ انباء الزمن مخطوط بدار الكتب المصرية، ج ٣/ ٣١٣؛ وغاية الأماني، ج ١/ ٣٠٨.

٥٧ هو ابو الحسن علي بن أبي بكر بن حمير بن تبع بن يوسف بن فضل الفضلي ولد في سنة ٤٩٤ هـ، وتوفى عام ٥٥٧ هـ، وصنف كتاب الزلازل والأشراط؛ انظر أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج ٢/ ١٣٦. وأضاف الجعدي في طبقات فقهاء اليمن، ص ١٧٢: الهمداني العرشاني وأن له تصنيف يعرف بكتاب الزلازل والأشراط.

٥٨ كشف الصلصلة، ص ٣٨.

٥٩ الكامل، ج ١١/ ٢٠٢.

٦٠ كشف الصلصلة، ص ٣٨.

٦١ ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٣٤-٣٣٦؛ وينقل عنه أبوشامة، الروضتين، ج ١/ ١٠٣، ١٠٤.
Cf. V. Grümel, *La chronologie*, p. 480.

٦٢ أثبتها المحقق «الهائلة» ولكن المباركة تتفق وروح العصر من اعتبار الزلازل لعظة الناس وتذكيرهم بقدرة اللّه.

في ليلة الخميس التاسع من شعبان سنة ٥٥١ هـ، الموافق ليوم السابع والعشرين من أيلول في الساعة الثانية منها وافت زلزلة عظيمة رجفت بها الأرض ثلاث أو أربع مرات ثم سكنت بقدرة من حركها وسكنها سبحانه وتعالى من مليك قادر قاهر.

ثم وافى بعد ذلك ليلة الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان المذكور زلزلة وجاءت قبلها وبعدها مثلها في النهار وفي الليل ثم جاء بعد ذلك ثلاث دونهن بحيث أحصين ست مرات.

وفي ليلة السبت الخامس وعشرين من الشهر المذكور جاءت زلزلة ارتاع منها الناس منها في أول النهار وآخره ثم سكنت بقدرة مُحرّكها سبحانه وتعالى.

وتواصلت الأخبار من ناحية حلب وحماة بانهدام مواضع كثيرة وانهدام برج من أبراج أفامية بهذه الزلازل المباركة وذكر أن الذي أحصي عدده منها تقدير الأربعين على ما حكي واللّه تعالى أعلم وما عرف مثل ذلك في السنين الماضية.

وفي الأربعاء التاسع وعشرين من الشهر بعينه (شعبان) وافت زلزلة تتلو ما تقدم ذكره آخر النهار وجاءت في الليل ثانية في آخره.

ثم وافى في [يوم الخميس[٦٣]] أول شهر رمضان من السنة زلزلة مروعة للقلوب وعاودت ثانية وثالثة.

ثم وافى بعد ذلك في يوم الثلاثاء سادسهِ ثلاث زلازل، إحداهن في أوله هائلة والثانية والثالثة دون الأولى وآخرى في وقت الظهر مشاكلة لهن ووافى بعد ذلك أخرى هائلة أيقظت النيام وروّعت القلوب انتصاف الليل فسبحان القادر على ذلك.

ثم وافى بعد ذلك في الساعة التاسعة من ليلة الجمعة النصف من شهر رمضان من السنة زلزلة عظيمة هائلة أعظم مما سبق. ولمّا كان عند الصباح من الليلة المذكورة وافت أخرى دونها وتلا ما تقدم في ليلة السبت أولها وجاءت أخرى آخرها.

ثم تلا ذلك في يوم الإثنين زلزلة هائلة.

وتلا ذلك في ليلة الجمعة الثالث والعشرين من شهر رمضان في الثلث الأول منها زلزلة عظيمة مزعجة.

وفي غداة يوم الأحد ثاني شوال من السنة تالي ما تقدم ذكره وافت زلزلة أعظم مما تقدم روعت الناس وأزعجتهم.

وفي يوم الخميس سابع[٦٤] شوال المذكور وافت زلزلة في وقت صلاة الغداة.

[٦٣] يوم الخميس هو أول رمضان لهذا العام ويتفق مع التاريخ سابقه والمثبت بالنص الإثنين ويتفق والعام التالي؛ أثبتها أبو شامة من غير ذكر اليوم، الروضتين، ج ١، ص ١٠٣، ١٠٤.

[٦٤] صحتها «سادس» لكي تتفق وتسلسل الأيام، انظر ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٣٥.

وفي يوم الأحد السادس عشر[٦٥] منه وافت زلزلة هائلة في وقت صلاة الغداة.

وفي يوم الإثنين تلوه وافت زلزلة أخرى مثلها ثم أخرى بعدها دونها ثم ثالثة ثم رابعة.

وفي ليلة الأحد الثاني والعشرين من شوال وافت زلزلة عظيمة روعت النفوس ثم وافى عقيب ذاك ما أهمل ذكره لكثرته ورفع اللّه تعالى عن دمشق وضواحيها ما خاف أهلها من توالي ذلك وتتابعه برأفته بهم ورحمته لهم فله الحمد والشكر.

لكن وردت الأخبار من ناحية حلب بكثرة ذلك فيها وانهدام بعض مساكنها إلا شيزر فإن الكثير من مساكنها انهدم على سكانها بحيث قتل منهم العدد الكثير.

وأما كفر طاب فهرب أهلها منها خوفًا على أرواحهم.

وأما حماة فكانت كذلك، وأما باقي الأعمال الشامية فما عرف ما حدث فيها من هذه القدرة الباهرة.

٥٥٢ هـ/ ١١٥٧ م

قال أبو يعلى ابن القلانسي[٦٦]: أوّلها الأربعاء مستهلّ المحرم والطالع برج الدلو اثنتين وعشرين درجة وثماني عشرة دقيقة. قد تقدّم شرح ما حدث من الزلازل إلى أواخر سنة ١٥ ما يغني عن ذكره.

ولمّا كانت ليلة الأربعاء التاسع عشر من صفر سنة ٥٥٢ هـ، وافت زلزلة عظيمة عند انبلاج الصباح فروّعت وأزعجت، ثم سكنها مُحركها بلطفه ورأفته بعباده ثم تلا ذلك أخرى دونها، إلى ليلة الخميس تاليه بعد مضي ساعات منها ووافت بعدهما أخرى بعد صلاة الجمعة تاليه.

وتواصلت الأخبار من ناحية الشمال بعظم تأثير هذه الزلازل الأول منها والآخر في مدينة شيزر وحماة وكفر طاب وأفامية وما والاها إلى مواضع من حلب واللّه تعالى ذكره وعز اسمه أعلم وأرحم لخلقه.

وفي يوم الخميس الخامس والعشرين من جمادى الأولى[٦٧] وافت زلزلة عظيمة بعد مضي ثلاث ساعات منه اهتزت لها الأرض هزّات ثم وافت بعدها ثانية قرت بعد مضي ست ساعات من اليوم.

ثم بعد مضي ثماني ساعات من هذا اليوم المذكور وافت ثالثة أشد من الأولين وأزعج فسبحان محركهن بقدرته ومسكنهن بحكمته تعالى علوًا كبيرًا، وفي آخر هذا وافت زلزلة رابعة لما تقدم بين العشائين من ليلة مروعة هائلة أزعجت وأقلقت وضج الناس بالتهليل والتسبيح والتقديس.

وفي ليلة الأحد الرابع من جمادى الآخرة من السنة آخرها عند صلاة الغداة وافت زلزلة هائلة وجاء بعدها أخرى دونها.

[٦٥] وردت الثالث عشر، وردت عند أبي شامة «سادس عشره»، انظر الروضتين، المشار إليه.

[٦٦] ذيل تاريخ دمشق، ص ٧٣٣. Cf. V. Grümel, *La chronologie*, p. 480.

[٦٧] ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٤٢، ٢٤٣، ٣٤٤.

وتواصلت الأخبار من ناحية الشمال بأن هذه الزلازل أثرت في حلب تأثيرًا أزعج أهلها وأقلقهم وكذلك في حمص وهدمت بعض مواضع فيها وفي حماة وكفرطاب وأفامية وهدمت فيها ما كان من هدم وما بني من المهدوم بالزلازل الأولى، وحكي عن تيماء أن هذه الزلازل أثرت في مساكنها تأثيرًا مهولًا.

وفي الساعة التاسعة من يوم الإثنين الرابع من رجب سنة ٥٥٢هـ، وافت زلزلة عظيمة في دمشق لم ير مثلها فيما تقدم ودامت رجفاتها حتى خاف الناس على أنفسهم ومنازلهم وهربوا من الدور والحوانيت والسقائف وانزعجوا وأثرت في مواضع كثيرة ورمت من فص الجامع الشيء الكثير الذي يعجز عن إعادة مثله ثم وافت عقيبها زلزلة في الحال ثم سكنتا بقدرة من حركهما وسكنت نفوس الناس من الروعة والخوف برحمة خالقهم ورازقهم لا إله إلا هو الرءوف الرحيم، ثم تبع ذلك في ليلة اليوم المذكور وفي وسطه زلزلة وفي آخره زلزلة أخف من الأولى واللَّه تبارك وتعالى لطيف بعباده وبلاده وله الحمد والشكر رب العالمين.

وتلاها في يوم الجمعة الثامن من رجب زلزلة مهولة أزعجت الناس وتلاها في النصف منها ثانية وعند انبلاج الصبح ثالثة.

وكذلك في ليلة السبت، وليلة الأحد وليلة الإثنين، وتتابعت بعد ذلك بما يطول به الشرح.

وقد نظم في ذلك من قال:

رَوَّعَتْنَا زَلَازِلُ حَادِثَاتٌ ... بِقَضَاءٍ قَضَاهُ رَبُّ السَّمَاءِ
هَدَمَتْ حِصْنَ شَيْزَرَ وَحَمَاة ... أَهْلَكَتْ أَهْلَهَا بِسُوءِ القَضَاءِ
وَبِلادًا كَثِيرةً وَحُصُونًا ... وثُغُورًا مُوَثَّقَاتِ البِنَاءِ
وَإِذَا مَا قَضَى مِنَ اللَّه أَمْرٌ ... سَابِقٌ في عِبَادِهِ بِالمَضَاءِ
حَارَ قَلْبُ اللَّبِيبِ فيه وَمَنْ ... كَانَ لَهُ فِطْنَةٌ وَحُسْنُ ذَكَاءِ
وَتَرَاهُ مُسَبِّحًا بَاكِي العَيْنِ ... مُرَوَّعًا مِنَ سُخْطِهِ وِبَلاءِ
جَلَّ رَبِّي فِي مُلْكِه وَتَعَالَى ... عَنْ مَقَالِ الجُهَّالِ والسُّفَهَاءِ

وأما أهل دمشق فلما وافتهم الزلزلة [في ليلة الإثنين التاسع والعشرين من رجب إرتاع الناس][٦٨] من هوْلها، وأجفلوا من منازلهم والسُّقف إلى الجامع والأماكن الخالية من البنيان خوفًا على نفوسهم ووافت بعد ذلك أخرى وفتح باب البلد وخرج الناس إلى ظاهره والبساتين والصحراء، وأقاموا عدة ليال وأيام من الخوف والجزع يسبحون ويهللون ويرغبون إلى خالقهم ورازقهم في العفو عنهم واللطف بهم واللَّه تعالى وإلى الإجابة وقبول الرغبة والإنابة.

[٦٨] ساقطة عند ابن القلانسي، ذيل، ص ٣٤٥ ووردت عند أبي شامة، الروضتين، ج ١/ ١٠٥؛ وعند السيوطي، كشف الصلصلة، ص ٤١.

وفي يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر رمضان [من هذه] السنة، وافت في دمشق زلزلة روّعت الناس وأزعجتهم لما قد وقع في نفوسهم مما قد جرى على بلاد الشام من تتابع الزلازل فيها وهدم ما هدمت منها.

ووافت الأخبار من ناحية حلب بأن هذه الزلزلة المذكورة جاءت في حلب هائلة قلقلت من دُورها وجدرانها العدد الكثير وأجفل منها أهلها إلى ظاهرها خوفًا على نفوسهم؛ وأنها كانت بحماة أعظم ما كانت في غيرها، وأنها هدمت ما كان عمر فيها من بيوت كان يلتجأ إليها، وأنها دامت فيها أيامًا كثيرة في كل يوم عدة وافرة من الرجفات الهائلة وتتبعها صيحات مختلفات توفّى على أصوات الرعود القاصفة المزعجة فسبحان من له الحكم والأمر ومنه تؤمل الرحمة واللطف وهو على كل شيء قدير.

وتلا بعد ذلك رجفات متوالية أخف من غيرهن، فلما كان في ليلة السبت العاشر من شوال وافت زلزلة هائلة بعد صلاة العشاء الآخرة أزعجت وأقلقت وتلاها في أثرها هزة خفيفة سكنها محركها بقدرته ورأفته بأهل دمشق ورحمته فَله الحمد والشكر رب العالمين.

وفي ليلة السبت العاشر من ذي القعدة من السنة[٦٩] وافت أولها زلزلة رجفت لها الأرض ووجلت لها القلوب وتبعها عدة أخف من الأولى.

وفي غد هذا اليوم بعد مضي تقدير ساعتين منه وافت زلزلة وأخرى في أثرها وسكنهن المحرك لهن بقدرته وحكمته وسلم منهن برحمته ورأفته سبحانه وتعالى الرءوف الرحيم.

وفي ليلة الجمعة الثالث من ذي القعدة التالي لما تقدم بعد مضي ساعة منها وافت زلزلة روعت القلوب وهزت المنازل والمساكن ثم سكنها محركها بقدرته القاهرة ورحمته الواسعة فله الحمد والشكر رب العالمين.

وفي ليلة الأحد الخامس والعشرين من الشهر المذكور التالي يوم الجمعة المقدم ذكره وافت في أوائلها زلزلة أزعجت وأقلقت، ثم تلاها ثانية عند انتصافها أعظم منها، ففرّ الناس من هولها إلى الجامع والأماكن المكتشفة وضجوا بالتكبير والتهليل والتسبيح والدعاء إلى اللّٰه تعالى والتضرع إليه ثم وافى بعد تلك ثانية وثالثة دونها عند تصرم الليل ثم وافى بعد الثالثة رابعة دونها ثم خامسة وسادسة ثم سكنت بقدرة محركها ولم تؤثر أثرًا منكرًا في البلد فللّه الحمد تعالى أمره وعظم شأنه.

وفي يوم الجمعة انسلاخ ذي القعدة من السنة بعد مضي تقدير ساعتين منه وافت زلزلة رجفت بها الأرض وانزعج الناس لها ثم سكنت بقدرة المحرك لها وحكمته البالغة فلَه الحمد على لطفه بعباده تبارك اللّٰه رب العالمين.

٦٩ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٤٦.

وقال ابن الجوزي[٧٠]: وصل الخبر في رمضان بزلازل كانت بالشام عظيمة في رجب تهدمت منها ثلاثة عشر بلد: ثمانية من بلاد الإسلام وخمسة من بلاد الكفر، أما بلاد الإسلام فحلب، وحماة، وشيزر وكفر طاب، وفامية وحمص والمعرة، وتل حران، وأما بلاد الإفرنج: فحصن الأكراد، وعرقة، واللاذقية، وطرابلس، وأنطاكية.

فأما حلب فأهلك منها مائة نفس، وأما حماة فهلكت جميعًا إلا اليسير وأما شيزر فما سلم منها إلا إمرأة وخادم لها وهلك جميع من فيها وأما كفر طاب فما سلم منها أحد وأما فامية فهلكت وساخت قلعتها وأما حمص فهلك منها عالم عظيم، وأما المعرة فهلك بعضها، وأما تل حران فإنه انقسم نصفين وظهر وسطه نواويس وبيوت كثيرة. وأما حصن الأكراد وعرقة فهلكتا جميعًا، وهلكت اللاذقية فسلم منها نفر ونبع فيها جومة فيها حمأة وفي وسطها صنم واقف، وأما طرابلس فهلكت أكثرها، وأما أنطاكية فسلم بعضها.

وقال ابن تغري بردي[٧١]: انشق في اللاذقية موضع ظهر فيه صنم قائم في الماء وخربت صيدا وبيروت وطرابلس وعكا وصور وجميع قلاع الفرنج؛ وأضاف ابن العديم[٧٢]: حصن الشميس عند سلمية.

وقال ابن الأثير[٧٣]: في هذه السنة كان بالشام زلزلة شديدة ذات رجفات عظيمة متتابعة أخربت البلاد وأهلكت العباد وكان أشدها بحماة وحصن شيزر فإنهما خربتا بمرة، وكذلك ما جاورهما لحصن بارين والمعرة وغيرهما من البلاد والقرايا وهلك فيها ما لا يحصى تحت الهدم وتهدمت الأسوار والدور والقلاع، ولولا أن اللّه منّ على المسلمين بنور الدين، فقام في ذلك المقام المرضي وخاف على بلاد الإسلام من الفرنج فجمع العساكر وأقام بأطراف البلاد وحفظ البلاد وإلا كان دخلوها بغير قتال وحصار. وأما عن كثرة القتلى فيكفي أن معلمًا كان بالمدينة وهي مدينة حماة ذكر عنه أنه فارق المكتب لمهم عرض له فجاءت الزلزلة فخربت البلد وسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلم فلم يأت أحد يسأل عن صبي كان بالمكتب.

وقد أشاد أبو يعلى القلانسي[٧٤] بدور نور الدين أيضًا فقال: قد تقدم مِن ذكر الملك العادل نور الدين في نهوضه من دمشق في عساكره إلى بلاد الشام عند انتهاء الخبر إليه بتجمع أحزاب الإفرنج خذلهم اللّه وقصدهم لها وطمعهم فيها بحكم ما حدث من الزلازل والرجفات المتتابعة بها وما هدمت من الحصون والقلاع والمنازل في أعمالها وثغورها لحمايتها والذب عنها وإيناس من سلم من أهل حمص وشيزر وكفر

٧٠ المنتظم، ج ١٠/ ١٧٦.
٧١ النجوم الزاهرة، ج ٥/ ٣٢٥.
٧٢ زبدة الحلب، ج ٢/ ٣٠٦.
٧٣ التاريخ الباهر، ص ١١٠، الإضافة من الكامل ط. المكتبة التجارية، ج ٩/ ٥٣.
٧٤ ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٤٨، ٣٤٩.

طاب وحماة وغيرها بحيث اجتمع إليه الخلق الكثير والجمّ الغفير من رجال المعاقل والأعمال والتركمان وخيم بهم بإزاء جمع الإفرنج في الأعداد الوفرة والتناهي في الكثرة بالقرب من أنطاكية وحصرهم بحيث لم يقدر فارس على الإقدام على الفساد.

وقد أكد القلقشندي[٧٥] ما قاله ابن القلانسي فذكر هذا الزلزال تحت عنوان «غرائب اتفاق» وعنوان جانبي «أعجوبة» وأشاد بدور نور الدين وتداركه الأسوار والقلاع بالعمارة.

٥٥٣ هـ/ ١١٥٨ م

قال ابن القلانسي[٧٦]: ورد الخبر في الخامس عشر من شهر ربيع الأول من السنة من ناحية حلب بحدوث زلزلة هائلة روعت أهلها وأزعجتهم وزعزعت مواضع من مساكنها ثم سكنت بقدرة محركها سبحانه وتعالى ذكره.

وفي ليلة السبت الخامس والعشرين من ربيع الأول من السنة وافت زلزلة بدمشق روعت وأقلقت ثم سكنت بقدرة محركها تعالى ذكره.

وفي آخر ليلة الأربعاء الثالث والعشرين من رجب من السنة وافت زلزلة عند تأذين الغداة روعت القلوب وأزعجت النفوس ثم سكنت بقدرة اللّه الرؤف الرحيم.

ثم وافت أخرى عقيب الماضية في ليلة الخميس وقت صلاة الغداة ثم سكنت بقدرة اللّه تعالى.

٥٥٤ هـ/ ١١٥٩ م

قال ابن القلانسي[٧٧]: أولها يوم الجمعة مستهل المحرم منها. وفي هذا اليوم وافت زلزلة عظيمة ضحى نهاره وسكنها محركها بقدرته ورحمته، وتلاها اثنتان دونها.

وفي ليلة الأحد ٢٢ شهر ربيع الأول وافت في انتصافه زلزلة هائلة ماجت أربع موجات أيقظت النيام وأزعجت اليقظى وخاف كل ذي مسكن مضطرب على نفسه وعلى مسكنه ثم سكنه محركها بلطفه ورحمته.

٧٥ صبح الأعشى، ج ١/ ٤٥٧.

٧٦ ذيل تايخ دمشق، ص ٣٥٢.

٧٧ ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٥٤.وينقل عنه أبوشامة، الروضتين، ج ١/ ١٢٠. في سنة ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠م، توفى الرئيس أبو يعلى بن القلانسي وبذلك فقد التاريخ شاهد عيان لحوادث الزلازل الكبرى بالشام ولم نجد تأريخا منتظما يدل على استمرار الزلازل سوى قول ابن العديم الوارد لاحقًا والذي يدل على استمرارها حتى ٥٥٩ هـ.

وفي يوم الجمعة ٩ جمادى الأولى هبّت ريح شديدة أقامت يومها وليلتها فأتلفت أكثر الثمار صيفها وشتويها وأفسدت بعض الأشجار ثم وافت آخر الليل زلزلة هائلة ماجت موجتين أزعجت وأقلقت وسكنها محركها وحرس المساكين مثبتها برحمته وقدرته فله الحمد والشكر رب العالمين.

وقال ابن العديم[٧٨] في حوادث عام ٥٥٢ هـ، بأن الزلازل ظلت تتردد سبع سنين وهلك فيها خلق كثير.

نتائج حوادث زلازل ٥٥١ هـ/١١٥٦ م وتوابعها

ما ورد بخصوص كورة وقلعة شيزر وبني منقذ

قال ياقوت[٧٩]: شيزرقلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة يوم، في وسطها نهر الأُرُنْد عليه قنطرة في وسط المدينة وهي قديمة ذكرها امرؤ القيس في قوله:

تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية رحنا من حماة وشيزر

ولقد ذكر المؤرخون بصفة خاصة شيزر بإسهاب نظرًا لحادثة الزلازل في رجب ٥٥٢ هـ/ ١١٥٧ م، والمأساة التي حلت بعائلة بني منقذ من جراء هذه الزلازل. وقد أدى هذا إلى اختلاف المؤرخين والوقوع في خطأ تأريخي وكمثل لذلك قول ابن الأثير[٨٠]: وكان الحصن لآل منقذ الكنانيين يتوارثونه من أيام صالح بن مرداس. فخطأه أبو الفدا[٨١] وقال: وليس الأمر كذلك فإن صالح المذكور كانت وفاته في سنة عشرين وأربعمائة[٨٢] وملك بني منقذ لشيزر كان في سنة أربع وسبعين وأربعمائة[٨٣] فيكون ملكهم لشيزر بعد وفاة صالح بن مرداس بأربع وخمسين سنة. وقد يكون سبب الخطأ هو أن أهمية شيزر ترجع لتوابع زلزال ٥٥٢ هـ وعدم وجود تواريخ وإشارات كافية للتحقيق والتدقيق قبل حادث هذا الزلزال وكيف تدخل القدر لنجاة بعض أفراد بني منقذ من هذه التوابع بسبب الخلاف فيما بين أفرادها.

فيحكي أبو الفدا المصدر المشار إليه عن تأريخ أسامة بن منقذ: كان في شيزر والٍ للروم اسمه ديمتري فلمّا طالت المضايقة لدمتري المذكور راسل جدي - هو من عنده - الروم في تسليم حصن شيزر إليه

٧٨ زبدة الحلب، ج ٢/ ٣٠٨.
٧٩ انظر ياقوت، معجم البلدان، ج ٣/ ٣٥٣ مادة (شيزر).
٨٠ الكامل، ج ١١/ ٢١٩.
٨١ المختصر، ج ٣/ ٣١، ٣٢.
٨٢ انظر زامباور، معجم الأنساب (الترجمة العربية)، ج ١/ ١٦٥.
٨٣ يتفق مع ابن خلكان، وفيات الأعيان ط. محمد محي الدين عبد الحميد، ج ١/ ٣٦٨.

باقترحات اقترحوها عليه منها مال يدفعه إلى ديمتري المذكور، ومنها إبقاء أملاك الأسقف الذي بها عليه، فإنه استمر تحت يد جدي حتى مات بشيزر؛ ومنها أن القنطارية - وهم رجّالة الروم - يسلفهم ديوانهم لثلاث سنين فسلّم إليهم جدي ما التمسوه، وتسلم حصن شيزر يوم الأحد في رجب سنة أربع وسبعين وأربعمائة.

وقال ابن خلكان[٨٤] في ترجمة سديد الملك أبوالحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني: وهو أول من ملك قلعة شيزر من بني منقذ لأنه كان نازلًا مجاور القلعة بقرب الجسر المعروف بجسر بني منقذ، وكانت القلعة بيد الروم فحدثته نفسه بأخذها، فنازلها وتسلمها بالأمان في رجب سنة أربع وسبعين وأربعمائة.

وقال أبوالفدا[٨٥]: واستمر سديد الملك علي بن مقلد المذكور مالكها إلى أن توفى فيها في سادس المحرم سنة تسع وسبعين وأربعمائة وتولَّى بعده ولده أبوالمرهف نصر بن علي إلى أن توفى سنة إحدى وتسعين وأربعمائة فلما حضره الموت استخلف أخاه مرشد بن علي على حصن شيزر فرفض وقال: واللّه لا أُوَلِّيَنه ولأخرجن من الدنيا كما دخلتها؛ ومرشد هو والد مؤيد الدولة أسامة بن منقذ، فلما امتنع مرشد من الولاية ولَّاها نصر أخاه الصغير سلطان ابن علي، واستمر مرشد مع أخيه على أجمل صحبة مدة من الزمان وكان لمرشد عدة أولاد نجباء ولم يكن لسلطان ولد، ثم جاء لسلطان الأولاد فخشى على أولاده من أولاد أخيه مرشد، وسعى المفسدون بين مرشد وسلطان فتغير كل منهما على صاحبه، وكان الأمر بين مرشد وأخيه سلطان فيه تماسك إلى أن توفى مرشد سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة فأظهر سلطان التغير على أولاد أخيه مرشد المذكور وجاهرهم بالعداوة.

ورب ضارة نافعة فلقد أنقذ القدر بخروج أسامة وأخوته بسبب هذه العداوة من الزلازل والموت، ووردت هذه النصوص عن عائلة بني منقذ لكي نعرف أصل هذه العائلة التي كانت ضحية كارثة طبيعية جبارة.

فقد حكى أسامة بن منقذ[٨٦]: كنت من الشجاعة والإقدام على ما عَلِمَه الناس، فبينما أنا بشيزر وإذا قد أتاني إنسان أخبرني أن بدجلة يغار بها أسدًا ضاريًا، فركبت فرسي وأخذت سيفي وسرت إليه لأقتله، ولم

٨٤ وفيات الأعيان، ج ٣/ ٨٦.

٨٥ المختصر، ج ٣/ ٣٢، واتفق مع ما ورد عند ابن الأثير، الكامل، ج ١١/ ٢١٩ وعن أبو شامة، الروضتين، ج ١/ ١١٢.

٨٦ الإعتبار (كتاب السيرة الذاتية لأسامة).

Traduction Sallér, Derenbourg, *Souvenirs historiques et récits de chasse par un émir; autobiographie d'Oussama ibn Mounqidh*, 238 pages, Paris, Leroux, 1895; voir aussi Ph. Hitti, *An Arab Syrian Gentleman and Warrior*, New YorK 1929; André MIQUEL, *Usama Ibn Munqidh Souvenirs d'un gentilhomme syrien du temps des croisades, (Des enseignements de la vie), Kitab al-I'tibar*, Paris 1983.

أُعلم أحدًا من الناس لئلا أمنع من ذلك، فلما قربت من الأسد نزلت عن فرسي وربطته ومشيت نحوه فلما رآني قصدني ووثب فضربته بالسيف على رأسه، فانفلق ثم أجهزت عليه، وأخذت رأسه في مخلاة فرسي وعدت إلى شيزر ودخلت على والدتي وألقيت الرأس بين يديها وحدثتها الحال فقالت: يابني تجهز الخروج من شيزر فواللّه لا يُمكّنك عمك من المقام ولا أحدًا من إخوتك وأنتم على هذا الحال من الإقدام والجرأة، فلما كان الغد أمر عمي بإخراجنا من عنده وألزمنا به إلزامًا لا مهلة فيه فتفرقنا في البلاد.

فقصدوا الملك العادل نور الدين وشكوا إليه ما لقوا من عمّهم فلم يأخذ بثأرهم ولم يعمل على إعادتهم إلى أوطانهم لانشغاله بجهاد الفرنج، ولخوفه من أن تُسلم شيزر إلى الفرنج وبقى ذلك في نفسه؛ ومات عمّهم وتولّى ولده حمد بن سلطان إلى أن مات تحت الردم هو وثلاثة من أولاده في هذه السنة المذكورة - أعني سنة إثنتين وخمسين وخمسمائة في يوم الإثنين ثالث رجب - بسبب الزلازل.

وقال ابن الأثير[٨٧]: وسبب هلاكهم أجمعين أن صاحبها منهم كان قد ختن ولدًا له وعمل دعوة للناس وأحضر جميع بني منقذ عنده في داره وكان فرس يحبه ولا يفارقه وإذا كان في مجلس أقيم الفرس على بابه، وكان المُهر في ذلك اليوم على باب الدار فجاءت الزلزلة فقام الناس ليخرجوا من الدار فلما وصلوا مجفلين إلى الباب ليخرجوا من الدار رمح الفرس رجلًا كان أولهم فقتله وامتنع الناس من الخروج فسقطت الدار عليهم كلهم وخربت القلعة وسقط من سورها وكل بناء فيها ولم ينج منها إلا الشريد.

وقال ابن العديم[٨٨]: لم يسلم منهم إلا الخاتون أخت شمس الملوك زوجة تاج الدولة [ابن أبي العساكر بن منقذ] ونبشت من تحت الردم سالمة.

وقال ابن واصل[٨٩]: وكانوا بنو منقذ اجتمعوا ذلك اليوم في مكان وكان عندهم قرد يلعب بين أيديهم فوقع البناء عليهم فأهلكهم كلهم إلا ذلك القرد فإنه هرب إلى بستان هناك من شباك الدار التي كانوا فيها فسلم وحده، وارتدم الحصن الذي لهم حتى كأنه لم يكن.

وقال أبو يعلى ابن القلانسي[٩٠] بعد زلزال ٢٢ شوال سنة ٥٥١ هـ/ ٨ ديسمبر ١١٥٦ م: ثم وافى عقيب ذلك ما أهمل ذكره لكثرته ودفع اللّه تعالى عن دمشق وضواحيها ما خاف أهلها من توالي ذلك وتتابعه برأفته بهم ورحمته لهم فله الحمد والشكر لكن وردت الأخبارمن ناحية حلب بكثرة ذلك فيها وانهدام بعض مساكنها إلا شيزر فإن الكثير من مساكنها انهدم على سكانها بحيث قتل منهم العدد الكثير.

٨٧ الكامل، ج ١١/ ٢٢١؛ ويتفق معه أبو شامة، الروضتين، ج ١/ ١١٢.

٨٨ زبدة الحلب، ج ٢/ ٣٠٧؛ ورد الخبر أيضًا في تذكرة ابن العديم مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٠٤٢ أدب، ج ٥/ ١٦.

٨٩ مفرج الكروب، ج ١/ ١٢٨.

٩٠ ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٣٥.

وقال أبو يعلى ابن القلانسي[٩١] عن الزلازل التي بدأت يوم الأربعاء ١٩ صفر واستمرت يوم ٢٠، ٢١ من سنة ٥٥١ هـ بعظم تأثير هذه الزلازل الأول منها والآخر في مدينة شيزر وحماة وكفر طاب وأفامية وما والاها إلى مواضع من حلب.

وقال أبويعلى[٩٢] في حوادث الزلازل عام ٥٥٢ هـ: وأما شيزر فإن ربضها سلم إلا ما كان خرب أولا وأما حصنها المشهور فإنه انهدم على واليها تاج الدين أبوالعساكر بن منقذ إلا اليسير ممن كان خارجًا عنها.

وأورد أبو يعلى ابن القلانسي هذا البيت[٩٣] عن الزلازل:

وَلَمْ يَحْمِهِمْ حِصْنُهُمْ مِنْهَا وَلَارَهَبَــتْ   بَـأْسًـا تَـنَــذَرَهُ الأَقْــرَانُ أَزْمَــانَا

وقال أسامة بن منقذ[٩٤]:

مَـاتُـوا جَمِيعــًا لِرَجْـعِ الطَّـرْف وانْقَـرَضُـواْ   هَــلْ يَـاتُــرَى تَـارِكٌ لِـلْـعَـيْـنِ إِنْـسَـانَـا

وقال أيضًا:

هَــذِي قُصــُورُهُم أَمْسَــتْ قُبُورَهُــمْ   كَـذَلْـكَ كَـانُـوا بِـهَـا مِـنْ قُـبْـلُ سُكَّانَا

والظاهر من هذه الرويات المختلفة أن تخريب شيزر إبتدأ قبل زلزال ٣ رجب سنة ٥٥٢ هـ، كما قال أبو يعلى ابن القلانسي وأنهم ماتوا في الربض والقلعة وقصورهم ومساكنهم. ولا نستطيع تمييز الحقيقة لاختلاف المؤرخين.

وبعد زلازل ٣ رجب عام ٥٥٢ هـ، والكارثة التي حلت بسكان شيزر وقلعتها، وأيضًا أورد المؤرخون روايات مختلفة ومتضاربة عن استيلاء نور الدين على شيزر فنقل أبوشامة عن ابن أبي طي[٩٥]: وفي هذه السنة [٥٥٢ هـ] كانت الزلزلة التي هدمت شيزر فخرج نور الدين وأخذها من بني منقذ وسلّمها إلى مجد الدين ابن الداية.

[٩١] المرجع السابق، ص ٣٣٧.

[٩٢] المرجع السابق، ص ٣٤٤.

[٩٣] ورد ضمن مجموعة أبيات وردت سابقًا في حوادث الزلازل بعام ٥٥٢ هـ.

[٩٤] ورد قوله عند أبي شامة، الروضتين، ج ١/ ١٠٤.

[٩٥] ورد النص عند أبي شامة، الروضتين، ج ١/ ١١٠ عن يحيى بن حامد بن أبي طي النجار بن ظافر علي الغساني الحلبي ولد بحلب سنة ٥٧٥ هـ/ ١١٨٠م.
Voir aussi Cl. Cahen, « Une chronique syrienne du VI^{e}/XII^{e} siècle », *BEO* VII-VIII, 1938, p. 114; *Syrie du Nord*, 55-57.

وقال أبو شامة[٩٦] لاحقًا: فلما خربت القلعة بالزلزلة ولم يسلم منها أحد كان بالحصن، بادر إليها [نور الدين] وملكها وأضافها إلى بلاده وعمرها وأسوارها وأعادها كأن لم تخرب وكذلك فعل بمدينة حماة وكل ما خرب بالشام بهذه الزلزلة فعادت البلاد كأحسن ما كانت.

وقال ابن العديم[٩٧] في تذكرته: وكانت الزلزلة قد خربت شيزر سنة إثنتين وخمسين وخمسمائة وسقطت القلعة على [أخ الأمير شرف الدولة بن منقذ] وأولاده وزوجته الخاتون أخت شمس الملوك فسلمت دونهم ونبشت من الردم فجاء نور الدين محمود بن زنكي إلى شيزر وتسلمها وطلب من زوجته [أخ الأمير شرف الدولة بن منقذ] أن تُعلمه بالمال وتهددها فذكرت له أن الردم سقط عليها وعليهم ونشبت سالمة دونهم ولا تعلم بشيء وإن كان لهم شيء فهو تحت الردم.

وأورد ابن الأثير روايتين مختلفتين فقال في التاريخ الباهر[٩٨] إن نور الدين بادر إليها بعد الزلزلة وتخريب القلعة وملكها وأضافها إلى بلاده.

وقال ابن الأثير[٩٩] في تاريخه الكامل بعد الزلزلة: فبادر إليها بعض أُمرائه، وكان بالقرب منها فملكها وتسلمها نور الدين منه فملكها وعمر أسوارها ودورها وأعادها جديدة.

وأورد أبو الفدا[١٠٠] أيضًا روايتين مختلفتين فقال بعد الزلزلة: وتسلم نور الدين القلعة والمدينة. وقال في مكان آخر: سار الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي إلى شيزر وملكها يوم الثلاث ثالث جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة واستولى على من فيها لبني منقذ وسلمها لمجد الدين أبي بكر بن الداية.

أما ابن كثير[١٠١] فإلتبس عليه الأمر فقال في سنة ٥٥٢ هـ: وفيها فتح السلطان محمود بن زنكي شيزر بعد حصار. والواضح أن شيزر بعد الزلزال كانت في غير حاجة لحصار لفتحها.

٩٦ الروضتين، ج ١/ ١١٢.

٩٧ تذكرة ابن العديم مخطوط بدار الكتب المصريةرقم ٢٠٤٢ أدب ج ٥/ ١٦.

٩٨ التاريخ الباهر تحقيق طليمات، ص ١١٢.

٩٩ الكامل، ج ١١/ ٢٢١.

١٠٠ المختصر، ج ٣/ ٣١، قد يكون سبب الإلتباس هو مرض نور الدين مما أدى إلى فتح شيزر مرتين؛ أيضًا:
N. Elisséeff, *Nur Ad-Din*, T. II, p. 519.

١٠١ البداية والنهاية، ج ١٢/ ٢٣٦.

الأثر الأدبي لحوادث الزلازل بشيزر وهلاك أهلها:

تركت الزلازل آثارًا أدبية كثيرة خاصة وأن أسامة بن منقذ[١٠٢] أحد الناجين منها بحياتهم فقد كل عائلته بشيزر في هذه الزلزلة قد كان شاعرًا وأديبًا وفارسًا وسياسيًا ماهرًا في نفس الوقت، وبلغ الثمانين من العمر وقال في كبره:

مع الثمانين عـاث الضعف في جلدي   وساءني ضعف رجلي واضطراب يدي

وما أكثر الهموم في حياة أسامة حتى صدق قوله:

وإذا عـــددت سـنـي ثـم نقصتها   زمـن الـهـمـوم فتلك سـاعـة مولدي

ولذلك يُعزى سبب تأليفه لكتابه «المنازل والديار» كما يقول الأستاذ أنس خالدوف[١٠٣] محقق الكتاب لأنه وجد في أشعار الشعراء القدامى والمعاصرين له أصداء لمشاعره وأفكاره المضطربه تتردد فيها أنغام الحسرة على الأقارب والأصهار، والحنين إلى الوطن المهجور وذكريات الأيام السعيدة الذاهبة إلى غير رجعة وفراق الأحباب ورثاء الموتى، وحتمية القضاء وضياع الجهود البشرية في بهرج الحياة الأرضية وهذه الأنغام تلتقي بصورة أساسية في القسم الإفتتاحي الغنائي لمعظم الأشعار العربية وهو المسمّى عادة «بالنسيب» أو «بالبكاء على الأطلال والمنازل».

وقد عبر أسامة[١٠٤] عن نفسه فقال: فإني دعاني إلى جمع هذا الكتاب ما نال بلادي وأوطاني من الخراب، فإن الزمان جر عليها ذيله وصرف إلى تعفيتها حوْله وحيْله[١٠٥] فأصبحت ﴿كأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾[١٠٦] موحشة العرصات[١٠٧] بعد الأنس، قد دثر عمرانها وهلك سكانها فعادت مغانيها رسومًا، والمسرات بها حسرات وهمومًا، ولقد وقفت عليها بعد ما أصابها من الزلازل ما أصابها وهي أول أرض مس جلدي ترابها[١٠٨] فما

[١٠٢] ورد قول أسامة عند أبي شامة، الروضتين، ج ١/ ١١٤، وللإستزادة من معرفة أسامة انظر فيليب حتي، مجلة المجمع العلمي الدمشقي، دمشق أيلول ١٩٣٠ م مقال بعنوان «دروس في حياة أسامة بن منقذ» ومحاضرة طاهر النعساني، مجلة المجمع العلمي بدمشق ١٨ تشرين ١٩٢٩ م بعنوان «أسامة ابن منقذ».

[١٠٣] في مقدمة كتاب المنازل والديار، أسامة بن منقذ، ص ٣، ٤.

[١٠٤] المنازل والديار، ص ٥٣.

[١٠٥] معناها القدرة على دقة التصرف.

[١٠٦] سورة يونس، آية ٢٤.

[١٠٧] عرصة الدار وسطها.

[١٠٨] اقتباس وهو عجز بين صورة «بلاد بها نيطت على تمائمي»، كما قال محقق المنازل والديار.

عرفت داري ولا دور والدي وإخوتي ولا دورأعمامي وبني عمي فبهت متحيرًا مستعيذًا باللّٰه من عظيم بلائه، وانتزاع ما خَوَّلَهُ من نعمائه:

ثُــمَّ انْــصَــرَفْــتُ مَــلاً ابُــثُّــكَ خَيْبَتِي   رَعــش القِيام أَمِــيــسُ مَــيْــسَ الأَصْــوَرِ

وقد عظمت الرزية حتى فاضت بوادر الدموع، وتتابعت الزفرات حتى أقامت حنايا الضلوع، وما اقتصرت حوادث الزمان على خراب الديار دون هلاك السكان، بل هلاكهم أجمع، كارتداد الطرف أو أسرع، ثم استمرت النكبات تترى من ذلك الحين وهلم جرا فاسترحت إلى جمع هذا الكتاب، وجعلته بكاء للديار والأحباب وذلك لا يفيد ولا يجدي ولكنه مبلغ جهدي، وإلى اللّٰه عز وجل أشكو ما لقيت من زماني وانفرادي من أهلي واخواني واغترابي عن بلادي وأوطاني:

لَــو كــانــت الأحـــلام نــاجــتــني بما   ألــقــاه يقظان لأصــمــانــي[١٠٩] الــردى

وإليه عزّ وجل – أرغب في أن يمن عليَّ وعليهم بغفرانه، ويعوضنا برحمته في دار رضوانه، إنه لا يرد دعاء من دعاه، ولا يخيب رجاء من رجاه.

وقد جعلت هذا الكتاب فصولًا فافتتحت كل فصل بما يوافق حالي، ثم أفضت فيما يوافق ذا القلب الخالي، لكيلا يأتي الكتاب وهو كله عويل ونياحه، ليس فيه لسوى ذي البث راحة، على رزايا الدنيا كالأجل تمهل ولا تهمل، فإن تولت اليوم فغدا تقبل.

وقال أسامة يندب وطنه وأهله الهالكين في الزلازل[١١٠]:

حــيا ربــوعك من ربي ومــــنازل   ســاري الغمام بكل هــام هامـــل
وسقتك يا دار الهوى بــعد النوى   وطفاء تسفح بالهتون الهاطـــل
حتى تروض كل مــاح ماحـــــل   عـــاف وتــروى كــل ذاو ذابـــل
أبكيك أم أبــكي زمـــاني فيـــك أم   أهليك أم شــرخ الشبــاب الراحـــل
ما قدر دمــعي أن يقسمه الأســـى   والوجــد بين أحبة ومنـــــازل
أنفقته شرفــا وهــا أنـــا مـــائل   في ماحــل، أبكي بجفن مــاحـــل
وإذا فــزعــت إلــى الــعزاء دعــوت من   لايستجيب ورمــت نصرة خـــاذل
أيــن الظباء عـــهدتهن توانســا   بـك فـي ظلال السمهري الذابـــل
النــافرات من الأنيس تكـــرما   والآنسات بـكل ليـــث بـاســـل

١٠٩ اصماه: قتله مكانه والبيت لابن دريد من مقصورته. انظر حواشي كتاب المنازل والديار.
١١٠ ديوان أسامة بن منقذ، تحقيق بدوي عبد المجيد، ص ٣٠٤، ٣٠٩.

من كـــل مكروه اللـقاء منــازل — سهـل المـقادة للخليل الـواصـــل
عـزوا على الدنيا وخــالف فعلهم — أفعـــالها فبـــغتهم بــغوائـــل
حتى إذا اغــتالتهم بخطوبهــــــا — ورمتهمن بحـــــوادث وزلازل
درسـت منازلهم وأوحـش منهـــم — مــأنوس أندية وعـــز محـافـــل
وآهـا لهم من عالـــم ومـعالـــم — وممـــــنعات عقـــائل ومعاقـــل
كـانـوا شجى فـي صـدر كـل مـعاند — قذى يجول بعين كـل محــــاول
غوثـا لمـلهوف وملـجأ لاجــــــئ — وجـــوار رب حـــرائر وطوائـــل
ذهـبـوا ذهــاب الأمـس مـا مـن مخبر — عنهم وزالـوا كـالظلال الـزائـــل
وبقيت بـعدهم حلـــيف كـــآبة — مستـــورة بتحمـــل وتحامـــل
سـعـدوا براحتهم وهـا أنـا بـعدهم — في شقوة تضـــني وهـم داخـــلي
فأعجب بشقوة متعب بمــــــقامه — من بعد أسرته وراحـــة راحـــل
دع ذا فأنت على الـحوادث مـروة — تـــلقي الرزايا عـالما كالجاهـــل
وأصـبـر، فما فيما أصــابك وصـمة — كـل الـورى غـرض لسهم النابـــل

قال أسامة في المعنى أيضًا:

حمائم الأيـك هيجـتن أشـــجانا — فليبـك أصدقنا بــثا وأشجـــانـــا
كم ذا الحين على مـر السنين أمــا — أفادكن قـــديم العهـــد نسيانـــا
هـل ذا العويل على غير الهديـــل — وهـل فقيدكن أعزالخلق فقـدانـــا
ما وجد صادحة في كـــل شارقـــــة — ترجع النوح في الأفنان ألحانـــــا
كم وجدت علي قـــومي تخونـهم — ريب المنون ودهر طال ما خانـــــا
إذا نهى الصبر دمعي عند ذكـــرهم — قـال الأسـى: فض وجـد سحا وتهتانـا
قالوا تأســـى وما قـــالوا بمن وإذا — أفـردت بالرزء ما أنفك أســـرانـا
ما حدثتني بالســـلوان بعدهـــــم — نفسي ولا حـان سلـــواني ولا آنـــا
وما استدرج الموت قومي في هـــلاكه — ولا تحرمـــهم مثنى ووحدانـــــــا
فكنت أصبر عنهم صبر محـــــتسب — وأحمل الخطب فيهم عز أوهـانـــا
وأقتدي بالورى قبلي فكم فقـــدوا — أخا وكم فارقوا أهـــلا وجيرانـــا
لكن سقفت المنايا وسط جمـــــعهم — رغـا فخروا على الأذقـــان إذعانـــا
وفاجأتهم مـــن الأيـــام قارعـــــة — سقتهم بكئوس المـوت ذيقـانـــا
ماتوا جميعًا كرجع الطرف وانقرضوا — هـل يـا تـرى تـارك للعين إنسانـــا

أعزز على بهم مـــن معـــشر صبر ... عند الحفيظة إن ذو لوثـة لانـــا
لم يترك الدهر لي من بـعد فقدهم ... لـبًا أجـشمه صبرا وسلوانـــا
فلو رأوني لقـالوا: مات أسـعدنا ... وعـاش للهم والأحـــزان اشقانـا
لم يترك الموت مـنهم من يخبرني ... عنهم فيوضـح ما لاقـوا تبيانـا
بادوا جـميعا وما شـادوا فواعجبا ... للخطب أهلك عمارا وعمرانـــا
هذي قصورهم أمـسـت قبورهـم ... كـذاك كانوا بها من قبـل سكانـا
ويـح الـزلازل أفنت معشري فـإذا ... ذكرتهم خلتني في القوم سكرانـا
بني أبي إن تبيدوا أن عدا زمـــن ... عـليكم دون هذا الخـلق عـدوانا
فلن يبيد جوى قلبي ولا كمـــدي ... عـليكم أو يبيد الـدهر نهلانـــا
أفسدتم عمري الباقي عليَّ فـــما ... أنفك فـيه كـئيب القلب ولهانـا
أفردت منكم وما يصفو لمــنفرد ... عيش ولـو نـال مـن رضـوان رضـوانا
فليتني معهم أو لــيت أنــهم ... بقـوا وما بيـننا بـاق كما كانـا
لقيت تـــباريح الحقوق كــما ... لقيت من بعـــدهم هما وأحزانـا
لولا شمات الأعـادي عـند ذكرهم ... لغادرت أدمعي في الأرض غدرانـا
أرد فيض دمـوعي في مـسالكها ... فتستحيل مــياه الدمـع نيرانـــا
لا ألتقي الدهر من بعد الزلازل مـا ... بـقيت إلا كسير القـلب حيرانـا
أخنت على معشر الأدنين فاصـطل ... مـنهم كـهولا وشبانا وولدانـا
كم رام ما أدركته منهم مـــلك ... فعـــاد باليأس مما رام لهفانـا
لم يحمهم حصنهم منها ولا رهبت ... بأسا تناذره الأقـــران أزمانـــا
أتاهم قـــدر لم ينجهم حـــذر ... منه وهـــل حذر منج لمن حـــان
إن أقفرت شيزر منهم فهم جـعلوا ... منيع أسـوارها بيضا وخرصانـا
هم حموها فلو شاهـدتها وهـم ... بـها لشاهـدت آسادا وخفانـا
كانوا مـلاذا لا ينام وأرمــلة ... وبائس فـاقد أهـلا وأوطانـا
إذا أتيتهم ألـفيت شطــرهم ... مسترفـدين وزوارا وضيفانـا
تراهم في الوغى أسدا ويـوم نـدى ... غيثا هتـونا وفي الظلماء رهبانـا
حاولت كتمان بثي بـعد فقـدهم ... فـلم يطـق قلبي المحزون كتمانـا
لـعل من يعرف الأمر الذي بعـدت ... بعد التصاق بمـن جـراه درانـا
يقول بالظن إذا لم يدر ما خـلقي ... ولا مـحافظتي من حـان أوبانـا
أسامة لم يسوءه فـقد معـشره ... كم أوغـروا صـدره غيظا وأضغانـا

وما درى أن في قـــلبي لفقدهـــــم نـارا تلظى وفـي الأجفان طوفانـــا
بنو أبي وبنو عـمي دمـــــي دمـــهم وإن أرونـي مـــناوءة وشـــنآنـــا
كانوا سيوفي إذا نازلت حـــــادثة وجنتي حين ألـقى الخطب عريانـــا
بهم أصول على الأمرالمـــــهول إذا عرا وألقى عبوس الدهر حـذرانـــا

وقال أسامة بن منقذ أيضًا في هذه الزلزلة[١١١]:

نمنا عن الموت والمعـــــاد وأصبحنا نظـــن اليقيـــن أحــــلامـــا
فحركتنا هـــــــذي الزلازل أي تـيـقـظـوا كـم يـنـام مـن نـــاما

وقال أيضًا:

أيّـها الغافـلون عــن سكـرة الـموت وإذ لا يـســوغ فــي الـحـلـق ريـق
كـم إلـى هـذا التـشـاغـل والغـفـــلة حـار الـســـاري وضـل الـطـريـق
إنـمـا هــزت الـــزلازل هــذي الأرض بالغـافـــلين كـــي يستفـيقـــوا

وقال في الزلازل أيضًا وقد سكن الناس بعد الدور في أكواخ عملوها بالأخشاب لئلا تهدمها الزلازل[١١٢]:

يا أرحـم الراحمين ارحـم عبادك من هذي الـزلازل فهي الهـلك والعـطب
ماجت بهم أرضهم حتى كأنهـــم ركاب بحـــر مع الأنفاس تضـطـرب
فنصفهم هـــلكوا فيها ونصفهـــم لمصرع الســلف الماضـين يرتقـــب
تعوضوا من مـــشيدات المنـــازل بـالأكـواخ فهي قبورهم سقفها خشب
كأنها سفـــــن قد أقبلت وهـــم فيها فلا مـــلجأ فيها ولا هــــرب

[١١١] وردت الأبيات عند أبي شامة، الروضتين، ج ١/ ١٠٤، ١٠٥.
[١١٢] أبو شامة، الروضتين، ج ١/ ١٠٦.

وكتب إليه الصالح [طلائع] بن رزيك[١١٣] قصيدة يعزيه عن أهله منها:

بأبي شخصك الذي لا يغيب ... عن عياني فهو البعيد القريب
يا أخلائي بالشام إن غبتم ... فشوقي إليكم لا يغيب
غصبتنا الأيام قربكم منا ... ولا بد أن ترد الغصوب
كره الشام أهله فهو محقوق ... بأن لا يقيم فيه لبيب
إن تجلت عنه الحروب قليلا ... خلفتها زلازل وخطوب
رقصت أرضه عشية غنَّى الرعد ... في الجو والكريم طروب
وتثنت حيطانه إذ أمالتها ... شمال بزمرها وجنوب
لا هبوب لنائم من أمانيه ... وللعاصفات فيها هبوب
وأرى البرق شامتا ضاحك السن ... وللجو بالغمام قطوب
ذكروا أنه يذوب به السحب ... فما للصخور أيضًا تذوب
أبذنب أصابها قدر اللّه ... فللأرض كالأنام ذنوب
إن ظني والظن مثل سهام الرمى ... منها الخطي ومنها المصيب
إن هذا لأن غدت ساحة القدس ... وما الإسلام فيها نصيب
منزل الوحي قبل بعث رسول اللّه ... فهو المحجوج والمحجوب
نزلت وسطه الخنازير والخمر ... وبارى الناقوس فيه الصليب
لو رآه المسيح لم يرض فعلا ... ذكروا أنه له منسوب
لهف نفسي على ديار من السكان ... أقوت فليس فيها مجيب
إن تخصيصكم نوائب ما زالت ... لكم دون من سؤالكم تنوب
أبعد الناس عن عبادة رب الناس ... قوم إلاههم مصلوب
فاحتسب ما أصاب قومك ... مجد الدين واصبر فالحادثات ضروب
فكذاك القناة يكسر يوم الروع ... منها صدر وتبقى الكعوب

[١١٣] أبو شامة، المرجع السابق، ج ١/ ١٠٦، والصالح هو الوزير الفاطمي للفائز والعاضد الخلفاء الفاطميين إلى أن قتل سنة ٥٥٦ هـ، انظر ترجمته عند المقريزي، الخطط، ط. بولاق، ج ٢/ ٢٩٣.

ولقد تركت حادثة زلازل شيزر أثرًا في ذاكرة المؤرخين فقال ابن الوردي[١١٤] وهو من مؤرخي القرن الثامن الهجري:

إذا مـا قـضى الـلّـه أمـرًا فمن ... يـرد الـقـضـاء الـذي يـنفذ
عـجـبت لـشـيـزر إذ زلـزلـت ... فـمـا لـبـني مـنـقـذ مـن منـقـذ

ولقد كره ابن الوردي شيزر فقال بمناسبة هذه الزلازل ما جرى له عند تولية قضاء هذه البلدة: وقد أذكرني هذا شيئًا وهو أن القاضي فخرالدين عثمان البارزي الحموي قاضي القضاة بحلب كان رحمه اللّه تعالى ولاني الحكم بشيزر فلما دخلتها صرعتني بزفرة هوائها، وأرسلت إليَّ الوخم على فترة مائها، وزارتني الحمى عبا، حتى ازددت للموت حبًا فكتبت إليه عاتبًا عليه:

أيـا بـاعـثي أقـضـي بـشـيـزر مـا الـذي ... أردت قضا أشغالهم أم قضاء نـحبي
حـكيـت بهـا الناعـور حـالا لأنـي ... بكيت على جسمي ودرت على قـلبي

وكتبت إلى ابنه كمال الدين محمد:

قـيـل لـي شـيـزر نـار ... وبـهـا الـقـاضـي مـخـلـد
قـلـت لا أمـكـث فـيـهـا ... أنـا مـن حـزب مـحـمـد

فلما وقف على ذلك أعفاه منها.

أما عن المدن الأخرى فقد قال العماد الأصفهاني[١١٥]: كانت الزلزلة بحلب قد خربت دار محيي الدين [أبو حامد محمد بن قاضي قضاة الشام كمال الدين أبي الفضل محمد بن عبد اللّه بن القاسم الشهرزوري] وسلبت قراره وغلبت اصطباره وحلبت أفكاره فكتبت إليه قصيدة مطلعها:

لو كـان من شكوى الصبابة مشكيـا ... لـغـدا عـلـى عـدوى الـصـبـابـة معديا
مـات الرجاء فإن أردت حياتـه ... ونـشـوره خـارج الإمـام المحييا

[١١٤] تتمة المختصر، ج ٢/ ٥٨.

[١١٥] ورد ذلك عند ابي شامة، الروضتين، ج ١/ ١٨٥-١٨٦؛ انظر أيضًا «البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان» للعماد الأصفهاني وقد نشره: Claude Cahen, *BEO*, 1937-1938 p. 113.

ومنها:

لم تنعش الشهباء عند عثارها | لو لم تجدك لطود حلمك مرسيا
رجفت لسطوتك التي أرسلتها | نحو الطغاة لحد عزمك منهيا
وتظلمت من شرهم فتململت | عجل إجازتها عليها مبقيا
أنفت من الثقلاء فيها إذ رمت | أثقالها ورأتك منها ملجئا
حليب لها حلب المدامع مسيل | إن لاقت الخطب الفظيع المبكيا
وبعدْلِ نور الدين عاود أفقها | من بعد غيم الغم جوًا مصحيا

وأورد السيوطي[١١٦] معنى آخر في الزلزلة من قصيدة للمهذب بن الزبير الشاعر الشيعي الفاطمي في مدح الصالح طلائع رزيك لأنه أوقع الهزيمة بالفرنجة عند مدينة العريش منها:

ما زلزلت أرض العدى بل ذاك | ما بقلوب أهليها من الخفقان
ويقال ذلك عن بخار كامن | في باطن الأرضين منذ زمان
وأقول أن حصونهم سجدت لما | أوتيت من ملك ومن سلطان

ضحايا الزلازل

الغريب أننا لا نجد في كتب التراجم تراجم لضحايا الزلازل إلا القليل النادر فلقد أورد ابن العديم[١١٧] في كتاب «الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري» ضمن الوفيات في عام ٥٥٣ هـ ترجمة لأبي سهل عبد الرحمن بن مدرك بن علي بن محمد بن عبد اللّه بن سليمان وهو ابن أبي المرشد المذكور بإبن أبي الحسن ولد ونشأ بشيزر وحماة وتوفى في الزلزلة التي كانت بحماة سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وكان أديبا وشاعرًا، وأورد أيضًا[١١٨] ترجمة أخرى فقال: توفى علي بن مرضي بن مدرك بن سليمان بحماة في الزلزلة وقيل تُوفي في في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة.

وأورد سبط ابن الجوزي[١١٩] في وفيات عام ٥٥٢ هـ: وفيها توفى أبوالعلاء بن أبو الندى المعري وكان شابًا فاضلًا له مقطعات في الشعر احتوشته المنية وله خمس وعشرون سنة في الزلزلة.

١١٦ كشف الصلصلة، ص ٤٤.
١١٧ نشر كتابه الطباخ في كتابه إعلام النبلاء، ج ٤/ ٩٨، ٩٩.
١١٨ المرجع السابق، ج ٤/ ١٠٠؛ وانظر أيضًا ياقوت، معجم الأدباء، ج ٣/ ١٢١.
١١٩ مرآة الزمان، ج ٨/ ١٤٠، ١٤١.

وقد يكون سبب عدم ورود تراجم كثيرة لضحايا الزلازل هو كثرة الضحايا وعدم القدرة على حصرها، وعبر ابن الأثير[١٢٠] عن ذلك فقال: أما كثرة القتلى فيكفي أن معلمًا كان بالمدينة، وهي مدينة حماة ذكر أنه فارق المكتب لمهم عرض له فجاءت الزلزلة فخربت البلد فسقط المكتب على الصبيان جميعهم، قال المعلم: فلم يحضر أحد يسأل عن صبي.

ووافق النجاة من الزلزلة تعليقًا من الشعراء فقد قال أبوشامة[١٢١]: وقرأت في ديوان العرقلة[١٢٢]: كان المولى صلاح الدين يوسف ابن أيوب مع عبيد - غلام المولى، وكان عبيدًا هذا موصوفًا بالثقل - في بيت بمدينة حماة يوم الزلزلة فوقعت المدينة بأسرها سوى ذلك البيت الذي هما فيه فقال العرقلة:

قل لصلاح الدين رب الندى   بلغ عبيدا كل ما أمله
بثقله لما تصاحبتما   سلمك اللّه من الزلزلة

ويمكن أن نتصور كم كان سيتغير التاريخ لو مات صلاح الدين الأيوبي في هذه الزلزلة.

النتائج المعمارية للزلازل في النصف الثاني من القرن السادس الهجري

بالفعل كان لكثرة الزلازل نتائج معمارية مهمة عبر عنها العماد الأصفهاني[١٢٣]: وقد سكن الشاميون الأكواخ الخشبية خوفًا من الزلازل حتى أن نور الدين كانت له صفة في الدار التي على النهر الداخل إلى القلعة من الشمال وكان جلوسه عليها في جميع الأحوال فلما جاءت سنة الزلازل بنى بإزاء تلك الصُّفَّة بيتًا من الأخشاب مأمون الإضطراب فهو يبيت فيه ويصبح فيه ويخلو بعبادته ولا يبرح فدفن في ذلك البيت الذي اتخذه حمى من الحمام، وأذن بناؤه لبانيه بالإنهدام؛ ولذلك قال ابن واصل[١٢٤] : دفن [نور الدين] بالقلعة مدة، ثم نقل إلى مدرسته التي أنشأها بدمشق ودفن بها.

ولقد ورد فيما سبق قول أسامة بن منقذ[١٢٥] وقد سكن الناس بعد الدور والنزهة في أكواخ عملوها بالخشب:

تعوضوا من مشيدات المنازل   بالأكواخ فهي قبور سقفها خشب

[١٢٠] التاريخ الباهر، ص ١١٠؛ الكامل، ج ١١/ ٢١٨؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، ج ٢/ ٥٧.
[١٢١] الروضتين، ج ١/ ١٨٥، ١٨٦.
[١٢٢] عرقلة الكلبي أبو الندى حسان بن نمير من حضرة دمشق انظر العماد الأصفهاني، خريدة القصر، ج ١/ ١٧٨.
[١٢٣] ورد ذلك عند أبي شامة، الروضتين، ج ١/ ١٦٠.
[١٢٤] مفرج الكروب، ج ١/ ٢٦٢، ٢٦٣.
[١٢٥] ورد ذلك عند ابي شامة، الروضتين، ج ١/ ٢٢٨.

والظاهر أن بناء أكواخ من الأخشاب خوفًا من الزلازل قد أثرت في العرض والطلب للخشب مما جعله نادرا فقد قال العماد الأصفهاني[١٢٦] في الخريدة: أنشدني الحافظ أبو القاسم لنفسه وقد أعفى الملك العادل نور الدين – قدّس اللّه روحه – أهل دمشق من المطالبة بالخشب فورد الخبر باستيلاء عسكره على مصر فكتب إليه يهنيه:

لما سمحت لأهل الشام بالخشب عوضت مصر بما فيها من النشب

وذكر الأستاذ محمد كرد علي[١٢٧] أن ابن جبير مرَّ بدمشق في القرن السادس الهجري وقال إن أكثر أبنيَتها بالقصب والطين.

موقف نور الدين من الأوقاف لسد حاجة العمار ومصالح المسلمين بعد زلازل عام ٥٥٢ هـ:

إستوجبت هذه الزلازل جهدًا كبيرًا من نور الدين لمعالجة خسائرها الفادحة وخاصة في إعادة بناء القلاع والأسوار لكون البلاد في حالة تأهب مستمر لمحاربة الصليبيين ودخل بذلك في صدام مع رجال الدين والمتصرفين في شئون الأوقاف والتي تعتبر أحد المصادر الرئيسية لتمويل الدولة، وربما استخدم نور الدين أحد أدباء العصر وهو الوهراني[١٢٨] ذو قلم سليط لاذع تشهد به مؤلفاته في قدح وذم القضاة ومتولي الأوقاف، ومثل ذلك ما قاله في حق القاضي محمد بن يحيى بن أفلح اللخمي قال: فلا جرم أن اللّه تعالى ابتلانا بالخسوف ورمانا بالكسوف وروعنا بالزلازل وأخرجنا من المنازل.

ويؤكد ذلك أيضًا ما أورده أبو شامة[١٢٩] نقلاً عن رضي الدين أبوسالم عبد المنعم بن المنذر، بأن نور الدين حضر عنده بقلعة دمشق يوم الخميس تاسع عشر صفر سنة أربع وخمسين وخمسمائة: القاضي زكي الدين أبو الحسن علي بن محمد بن القرشي والفقهاء الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون والخطيب عز الدين بن عبد والإمام عز الدين أبو القاسم علي ابن الماسح الشافعيون وشرف الدين أبو القاسم عبد الوهاب بن عيسى المالكي وشرف الإسلام نجم الدين عبد الوهاب الحنبلي ورضي الدين أبو غالب عبد المنعم بن محمد بن أسد التميمي رئيس دمشق ونظام الدين أبو الكرام المحسن بن أبي المضاء و متولي الوزارة بدمشق وهم عبد الصمد بن تمبم وعبد الواحد بن هلال والصائن بن أبو الحسين وغيرهم؛ فسألهم نور الدين عن المضاف إلى أوقاف المسجد الجامع بدمشق من المصالح التي ليست وقفا عليه وأن يظهر كل واحد منهم ما يعلمه من ذلك ليُعمل به ويقع الإعتماد عليه، وقال لهم: ليس يجوز لأحد منكم أن يعلم من ذلك

[١٢٦] ورد ذلك في المرجع السابق.
[١٢٧] خطط الشام، ج ٥/ ٢٩٧.
[١٢٨] رسائل الوهراني، مخطوط بدار الكتب المصرية، أدب تيمور، ص ٢٤٠.
[١٢٩] الروضتين، ج ١/ ١٧، ١٨.

شيئًا إلا ويذكره، ولا ينكر شيئًا مما يقوله غيره إلا وينكره، والساكت منكم مصدق للناطق ومصوب لقوله وليس العمل إلا على ما تتفقون عليه وتشهدون به وعلى هذا كان الصحابة رضوان اللّه عليهم يجتمعون ويتشاورون في مصالح المسلمين؛ ثم إن نور الدين قال: إن أهم المصالح سد ثغور المسلمين وبناء السور المحيط بدمشق والخندق لصيانة المسلمين وحريمهم وأموالهم. فصوبوا ما أشار إليه وشكروه ثم سألهم عن فواضل الأوقاف هل يجوز صرفها في عمارة الأسوار وعمل الخندق للمصلحة المتوجهة للمسلمين فأفتى شرف الدين عبد الوهاب المالكي بجواز ذلك ومنهم من روى في مهلة من النظر؛ وقال شرف الدين بن أبي عصرون الشافعي: لا يجوز أن يصرف وقف مسجد إلى غيره ولا وقف معين لجهة غير تلك الجهة، وإذا لم يكن بد من ذلك فليس طريقة إلا أن يقترضه من إليه الأمر من بيت مال المسلمين فيصرفه في المصالح، ويكون القضاء واجبًا من بيت المال فوافقه الأئمة الحاضرون معه على ذلك.

ثم سأل ابن أبي عصرون هل أنفق شيئًا قبل اليوم على سور دمشق وعلى بناء الكلاسة من شأم الجامع وعلى إنشاء السقف المقرنص تحت النسر بالجامع وعلى الرصاص المعمول على سطح الرواق السامي من الجامع المعمور بغير إذن مولانا؟ وهل كان إلا مبلغًا للأمر العالي في عمل ذلك؟ فقال نور الدين: لم يتفق ذلك ولا شيء منه إلا بإذني وأنا أمرت به وبفتح المشهدين من الجامع المعمور اللذين كانا مخزنين وكتب مبلغًا عني ومؤديًا أمري.

ونلاحظ من ذلك النص معارضة شرف الدين ابن أبي عصرون لنور الدين في استخدام أموال الوقف الأمر الذي أغضب نور الدين بلا شك ولذلك نجد المصادر تشير إلى عزل ابن أبي عصرون متولى الأوقاف بدمشق؛ ولعل الأمر احتاج إلى التشهير به ونلمس من رقعة كتبها محمد بن محرز بن محمد الوهراني ضمن كتابه «جليس كل ظريف»[١٣٠] وضمن «منامات الوهراني»[١٣١] خلاصتها أن مساجد دمشق أصابها الضياع والخراب في زمن نور الدين فاجتمعت ولجأت إلى أميرها وسيّدها جامع بني أمية وكتب لها جامع النيرب قصة قدموها إليه ذكر فيها ما تلقاه المساجد من جور العمال ونهب الوقوف وخراب الحيطان والسقوف، ثم تكلم جامع المزة ثم مشهد برزة، فلما استمع مسجد دمشق إلى الكلام أشار أن شكواهم إلى قاضي القضاة ابن أبي عصرون فقرأها وكتب على ظهرها هجاء لمسجد دمشق فغضب المسجد ورفع شكواه إلى الملك الزاهد نور الدين، فلما وقف نور الدين على ما كتبوا اهتم فأصلح المساجد وعزل ابن أبي عصرون؛ ويقول د. صلاح الدين المنجد ناشر هذه الرقعة: إنه من الممكن أن يكون الوهراني قد كتبها لعلمه بحالة المساجد يومئذ وقد كان خطيبًا في مسجد داريا ولعله كتبها ودسّها إلى نور الدين نفسه

[١٣٠] نشرها د. صلاح الدين المنجد، مجلة المجمع العلمي العربي كانون الثاني يناير ١٩٦٥ م، ج ١، مج ٤٠، ص ٢٣٤-٢٥٦؛ ونشرت أيضًا ضمن كتاب منامات الوهراني اللاحق ذكره.

[١٣١] منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق ابراهيم شعلان، دار الكاتب العربي ١٩٦٨ م.

فكانت بعدها عنايته باصلاح المساجد؛ والحقيقة أن نور الدين لم يكن محتاجًا لمن يحرضه على عزل ابن أبي عصرون وإنما كان غرض نور الدين هو استخدام أموال الوقف في الصرف على الأسوار والقلاع والجوامع المخربة من الزلازل.

وأورد أبو شامة[١٣٢] أنّ نور الدين بنى بمدينة حماة جامعًا على نهر العاص من أحسن الجوامع وأنزهها وجدّد في غيرها من عمارة الجوامع ما كان تهدّم إما بزلزلة أو غيرها.

والظاهر أيضًا أنه عين القاضي كمال الدين ابن الشهرزوري بدلًا من ابن أبي عصرون وفوضه تفويضًا مطلقًا فقال[١٣٣] له: أنظر أنت ذلك واحمل أمور الناس على الشريعة، قال ولم يكن لمال المواريث الحشرية حاصل ولا لديوانه طائل فجعل نور الدين ثلث ما يحصل فيه لكمال الدين [الشهرزوري] الحاكم، فوفره نوابه وكثروه وما كان نور الدين يحاسب القاضي على شيء من الوقوف ويقول: أنا قلدته على أن يتصرف بالمعروف وما فضل من مصارفها وشروط واقفها يأمره بصرفه في بناء الأسوار وحفظ الثغور.

وبذلك نعرف كيف تصرف نور الدين إزاء معارضة القضاة ومتولي شئون الأوقـاف في هذه الظروف الحرجة.

جمادى الأولى ٥٦٥ هـ/ يناير ١١٧٠ م

قال ابن صاحب الصلاة[١٣٤] بعنوان انتقام ادفونش وانحباس المطر وزلزال الأندلس: وفيها خرج العدو النصراني القمط نونه طثْر ادفونش[١٣٥] الصغير ابن السليطن لعنه اللّه من طليطله ـ دمّرها اللّه ـ بعسكره الذميم وأغار على فحص رنده وجبالها وفحص الجزيرة الخضراء وجبالها أيضًا ووصل إلى البحر وقتل المسلمين في تلك الأقطار والأنظار وأسرهم فيها واكتسح سائمتهم.

وفيها توقف المطر للإحتراث بالأندلس حتى إلى شهر دجنبر العجمي ونزل وحرث الناس، وفيها حدثت زلازل عظيمة عند طلوع الشمس وعند زوالها في الظهر من الأيام بتاريخ شهر جمادى الأولى من السنة المؤرخة وتوالت على مدينة أندوجر مدة أيام حتى كادت أن تتحول وتغوص بها الأرض، واتصل

١٣٢ الروضتين، ج ١/ ص ٩، سطر ١٢.

١٣٣ المرجع السابق، ج ١/ ص ١١، سطر ٢٣.

١٣٤ هو عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي المكنى بأبي مروان وأبي محمد ت ٥٩٤ هـ/ ١١٩٨ م، في كتابه «تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم اللّه أئمة وجعلهم الوارثين» السفر الثاني استخرجه من مخطوط اكسفورد وقدمه لنيل دبلوم الدراسات العليا عبد الهادي التازي ونشر بدار الأندلس للطباعة والنشر ١٣٨٣ هـ-١٩٦٤ م، ص ٣٩٧، ط. دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٨٧، ص ٣١٠، ٣١١.

١٣٥ Alfonso VII, El Rey Chico.

بعد ذلك بمدينة قرطبة وغرناطة وإشبيلية وجميع الأندلس فكان الرائي بعينه يرى حيطان الديار تضطرب وتميل حتى إلى الأرض ثم ترتفع وترجع على حالها بلطف اللّه تعالى وتهدّمت من ذلك مواضع ديار كثيرة في البلاد المذكورة وصوامع مساجد.

٥٦٥ هـ/ ١١٧٠ م

قال ابن الأثير[١٣٦]: في هذه السنة أيضًا ثاني عشر شوال (٣٠ يونية) كانت زلزلة عظيمة متتابعة هائلة لم ير الناس مثلها، وعمت أكثر البلاد من الشام والجزيرة والموصل والعراق وغيرها من البلاد، إلا أن أشدها وأعظمها كان بالشام فخربت كثيرا من البلاد، من دمشق وبعلبك وحمص وحماة وشيزر وبعرين[١٣٧] وحلب وغيرها وتهدمت أسوارها وقلاعها، وسقطت الدور على أهلها وهلك من الناس ما يخرج عن العد والإحصاء.

فلما أتى نور الدين خبرها سار إلى بعلبك ليعمر ما انهدم من أسوارها وقلعتها وكان لم يبلغه خبرغيرها فلما وصلها أتاه خبر باقي البلاد وخراب أسوارها وخلوها من أهلها فجعل ببعلبك من يعمرها ويحميها، وسار إلى حمص ففعل مثل ذلك ثم إلى حماه ثم إلى بعرين، وكان شديد الحذر على البلاد من الفرنج لاسيما قلعة بعرين فإنها مع قربها منهم لم يبق من سورها شيء البتة، فجعل فيها طائفة من العسكر مع أمير كبير ووكّل بالعمارة مَن يحث عليها ليلًا ونهارًا.

ثم أتى مدينة حلب فرأى فيها من آثار الزلزلة ما ليس بغيرها من البلاد فإنها كانت قد أتت عليها وبلغ الرعب من نجا كل مبلغ، وكانوا لا يقدرون أن يأووا إلى مساكنهم السالمة من الخراب خوفًا من الزلزلة فإنها عاودتهم غير مرة وكانوا يخافون يقيمون بظاهر حلب من الفرنج فلما شاهد ما فعلت الزلزلة بها وبأهلها أقام بظاهرها وباشر عمارتها بنفسه وكان يقف على استعمال الفعلة والبنائين فلم يزل كذلك حتى أحكم أسوارها وعمر جميع البلاد وجوامعها، وأخرج من الأموال ما لا يقدر قدره.

وأما بلاد الإفرنج خذلهم اللّه تعالى فإن الزلازل أيضًا عملت بها كذلك فاشتغلوا بعمارة بلادهم خوفا من نور الدين عليها، فاشتغل كل منهم بعمارة بلاده خوفا من الآخر.

[١٣٦] التاريخ الباهر (تحقيق طليمات)، ص ١٤١؛ الكامل، ج ١١/ ٣٥٤.
Cf. aussi V. Grümel, *La chronologie*, p. 480.

[١٣٧] صحتها بارين والعامة تقول بعرين وهي مدينة حسنة بين حلب وحماة من جهة الغرب، انظر ياقوت، معجم البلدان، ج ١/ ٤٤٦.

ينقل أبو شامة[١٣٨] عن العماد الأصفهاني قوله: وكانت قلاع الفرنج المجاورة لبعرين ولحصن الأكراد وصافيثا وعرقا في بحر الزلازل غرقى لاسيما حصن الأكراد فإنه لم يبق له سور، وقد تم عليه فيه دحور وثبور، فشغلهم سوؤهم عن سواه، وكل اشتغل بما دهاه.

وتواصلت الأخبار من جميع بلاد الشام بما أحدثته الزلزلة من الإنهداد والإنهدام، وقال وما سكنت النفوس من رعبها وتسلت القلوب عن كربها إلا بما دهم الكفار من أمرها وعراهم من ضرها فلقد خصتهم بالأمض والأشق، وأخذتهم الرجفة فإنها وافقت يوم عيدهم وهم في الكنائس، فأصبحوا للردى فرائس، شاخصة أبصارهم ينظرون، فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون.

ثم ذكر العماد الأصفهاني قصيدة مدح نور الدين فيها ووصف الزلزلة مطلعها:

هل لعاني الهوى من الأسر فادي ... ولساري أمل الصبابة هادي
جنبوني خطب البعاد فسهل ... كل خطب سوى النوى والبعاد

ومنها:

سطوة زلزلت بسكانها الأرض ... وهدت قواعد الأطواد
أخذتهم بالحق رجفة بأس ... تركتهم صرعى صروف الغوادي
خفضت من قلاعها كل عال ... وأعادت قلاعها كالوهاد
أنفذ اللّه حكمه فهو ماض ... فظهر سر غيبة فؤادي
آية أثرت في ذوي الشرك ... بالهلك وأهل التوحيد بالإرشاد
والأعادي جرى عليهم من ... التدمير ما قد جرى على قوم عاد
ولقد حاربوا القضاء فأمضى ... حكمه فيهم بغير جلاد
والإله الرءوف في الشام عنا ... دافع لطفه بلاء البلاد

قال العماد: ومنها معنى مبتكر ابتدعته في الزلزلة وهو:

وبحق أصيبت الأرض لمّا ... اشتكت من مقام أهل الفساد

وقال سبط ابن الجوزي[١٣٩]: وفي شوال كانت بالشام زلازل هائلة بحيث وقع معظم دمشق وشرفات الجامع وسقف رءوس المنابر وكانت تهتز مثل النخل في يوم ريح عاصف.

[١٣٨] الروضتين، ج ١/ ١٨٤.
[١٣٩] مرآة الزمان، ج ٨/ ١٧٤، ١٧٥.

وكانت بحلب أعظم بحيث وقع نصف القلعة والبلد فهلك من أهلها ثمانون ألف تحت الهدم وتهدّمت أسوار جميع القلاع وخرج أهلها إلى البراري ووقعت قلعة حصن الأكراد بحيث لم يبق للسور أثر وكذا حماة وحمص؛ وسار نور الدين إلى حلب خوفًا عليها من العدو ولأنها بقيت بغير أسوار.

وكانت هذه الزلزلة عامة في الدنيا أخربت قلاع المسلمين وبلادهم بالشام وحلب والعواصم وأنطاكية ونزلت على اللاذقية وجبلة وجميع بلاد الساحل إلى بلاد الروم.

ويقال إنه لم يمت من دمشق إلا رجل واحد أصابه حجر وهو على درج جيرون لأن أهلها خرجوا إلى الصحراء ثم امتدت الزلزلة وقطعت الفرات فوصلت إلى الموصل وسنجار ونصيبين والرها وحران والرقة وماردين وغيرهم وامتدت إلى بغداد وواسط والبصرة وجميع بلاد العراق. ولم تر الناس زلزلة من أول الإسلام مثلها أفنت العالم.

وقال ابن واصل[١٤٠]: وهذه الزلزلة المعروفة بزلزلة حلب وبلادها نظير الزلزلة كانت بحماة سنة إثنين وخمسين وخمسائة.

ويؤكد ذلك ابن العديم[١٤١]: فأتاه [نور الدين] خبر الزلازل الحادثة بالشام فإنها خربت حلب خرابًا شنيعًا وخرج أهلها إلى ظاهرها، وتواترت الزلازل بها أيامًا متعددة وكانت في ثاني عشرشوال من السنة يوم الإثنين طلوع الشمس.

وقال الرحالة بنيامين التطيلي[١٤٢]: إنه أصاب طرابلس قبل مدة وجيزة زلزال شديد أدى إلى هلاك خلق كبير من اليهود وغيرهم وانهارت عليهم الدور والحيطان فطمرتهم ونيف عدد من هلك بهذا الزلزال في فلسطين وحدها على العشرين ألف.

وقال ابن شداد[١٤٣]: جاءت زلزلة بحلب وأخربت كثيرًا من البلاد وذلك في ثاني عشر من شوال سنة خمس وستين وخمسمائة وهذه غير تلك [زلزلة حماة ٥٥٢ هـ] فلا يظن الواقف عليه أن هذا غلط بل هما زلزلتان.

[١٤٠] مفرج الكروب، ج ١/ ١٨٥.

[١٤١] زبدة الحلب، ج ٢/ ٣٣.

[١٤٢] رحلة (ترجمة عزرا حداد)، ص ٨٨، الرحلة من عام ٥٦١-٥٦٩ هـ، وأورد المترجم الزلزال عام ٥٥٢ هـ، وقد يكون الزلزال ٥٦٥ هـ، وخاصة وأن الرحّالة كان في طرابلس قبل مدة وجيزة من الزلزال.

[١٤٣] النوادر السلطانية، ص ٤٣.

٥٦٦-٥٦٩ هـ/ ١١٧٠-١١٧٣ م

قال ابن رشد[١٤٤] تعليقًا على ما حكاه أرسطو في الزلازل وما يسبقها من دوي: ومن شاهد الزلزلة الحادثة بقرطبة وجهاتها عام ست وستين وخمسمائة للهجرة وقع له اليقين بذلك لكثرة ما عرض هنالك من الأصوات والدوي ولم أكن حاضرا حينئذ بقرطبة ولكني وصلت إليها بعد، فسمعت أصواتا تتقدم حدوث الزلازل ويشعر الناس أن ذلك الصوت يأتي من جهة المغرب. ورأيت الزلزلة تتولد عند نشوء الرياح الغربية كثيرًا، وتمادت هذه الزلازل بقرطبة نحو العام شدادًا ولم تنقطع إلا بعد ثلاثة أعوام أو نحوها وقتلت الزلزلة الأولى ناسًا كثيرًا بالهدم وزعموا أن الأرض انشقت بقرب قرطبة بموضع يعرف بأندوجرة فخرج منها شبه رماد أو رمل ومن شاهدها وقع له اليقين بها وكانت شرقًا من قرطبة أشد مما كانت بقرطبة وكانت غربًا من قرطبة أخف مما كانت بقرطبة. وقد يدل أيضًا على ذلك ما نرى في الهواء من الآثار المنذرة بحدوثها كالضباب والسحابة التي ذكروا أنها تظهر مستطيلة في الجو وهي بالجملة يكثر تولدها بجهتين إحداهما بذاتها والأخرى بالعَرَض.

٥٧١ هـ/ ١١٧٥ م

قال ابن الأثير[١٤٥]: وفيها زلزلت بلاد العجم من حد العراق إلى ما وراء النهر وهلك فيها خلق كثير وتهدمت دور كثيرة وأكثر ذلك كان بالري وقزوين. وفي هذه السنة في شهر رمضان انكسفت الشمس جميعها وأظلمت الأرض حتى بقى الوقت كأنه ليل مظلم وظهرت الكواكب، وكان ذلك ضحوة النهار يوم الجمعة التاسع والعشرين منه، وكنت حينئذ صبيًا بظاهر جزيرة ابن عمر مع شيخ لنا من العلماء اقرأ عليه الحساب، فلما رأيت خفت خوفًا شديدًا وتمسكت به فقوى قلبي وكان عالما بالنجوم أيضًا فقال لي: الآن ترى هذا جميعه فإنصرف سريعًا.

١٤٤ تلخيص كتب أرسطاطاليس في الحكمة (مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٥، حكمة وفلسفة من وقف صرغتمش خط قديم وعدد أوراقه ٣٠٢)، ورقة ١٣٠ وجه، وورقة ١٣١ ظ، ومخطوط المكتبة الوطنية بمدريد B. N. ورقة ٥٧ وورَد هذا الخبر تعليقا على ما حكاه أرسطو إنه عرض في بعض البلاد الجزائر أن ربوة من تلك الجزائر لم تزل تعلو حتى تصدعت وخرج منها ريح شديدة وأخرجت معها رمادا كثيرا وذلك أنه عرض لتلك الأرض أنها احترقت.

١٤٥ الكامل، ج ١١/ ٤٣٣.

٥٧٣ هـ/ ١١٧٧ م

قال ابن الجوزي[١٤٦]: في سحرة يوم الأربعاء سابع شوال هبت ريح عظيمة فزلزلت الدنيا بتراب عظيم حتى خيف أن تكون القيامة ثم جاء فيها برد ودام ذلك ساعة طويلة ثم انجلت وقد وقعت الحيطان وتهدّمت مواضع أقوام مات منهم وارتث منهم، ووقع سقف متصل بمنظرة الخليفة التي عند باب الحلبة وكانت الريح تقوى ساعة وتخف ساعة إلى وقت الضحى ثم اشتدت وملأت الدنيا ترابا فصعد أعنان السماء فتبين السماء منه مصفرة إلى وقت العصر.

٥٧٤ هـ/ ١١٧٨ م

قال ابن الجوزي[١٤٧]: وحكى لي ثقات أن الأرض زلزلت بعد العصر يوم السبت ثاني عشر ذي القعدة أربع مرات ولم أحس أنا بذلك.

وفي ليلة الثلاثاء تاسع عشرين ذي القعدة هبت ريح شديدة وغامت السماء نصف الليل وظهرت أعمدة مثل النار في أطراف السماء كأنها تتصاعد من الأرض فاستغاث الناس استغاثة شديدة وبقى على ذلك إلى ضحوة ذي الحجة ولم ير الهلال ليلة الثلاثين فأرخ الناس بالجمعة على التمام.

وورد عند السيوطي[١٤٨]: قال [سبط ابن الجوزي] في المرآة: زلزلت أرمينية وبلاد ازبك وتصادمت الجبال بحيث كانت بين الجبلين مسافة فتقلعها الزلازل فيصطدمان ثم يعودان إلى مكانهما.

٥٧٥ هـ/ ١١٧٩ م

قال سبط ابن الجوزي[١٤٩]: وفيها اشتد الغلاء ببغداد وكثر الوباء فأكل الناس أولادهم وماتوا على الطرق فزلزلت أرمينية وبلاد اربل وتصادمت الجبال بحيث كان بين الجبلين مسافة فقلعتها الزلزلة فيصطدمان ثم يعودان إلى مكانهما.

[١٤٦] المنتظم، ج ١٠/ ٢٧٢؛ وورد الخبر أيضًا عند ابن الأثير، الكامل، ج ١١/ ٤٤٦.

[١٤٧] المنتظم، ج ١٠/ ٢٨٧.

[١٤٨] كشف الصلصلة، ص ٤٥.

[١٤٩] مرآة الزمان، ج ٨/ ٢٢٤، وقال سبط بن الجوزي: انتهى تاريخ جدي المسمى بالمنتظم في هذه السنة وله تاريخ سماه درة الإكليل ذيل فيه من هذه السنة إلى أن حمل إلى واسط في سنة تسعين وخمسمائة غير أنه لم يستقص فيه الحوادث ويقال إن منه دخل عليه الحوادث، واللّه أعلم.

ورد عند أبي شامة[١٥٠]: وفي هذه السنة اشتد الغلاء وكثر الوباء ببغداد وغيرها من البلاد، وذكر أن رجلاً بواسط ذبح بنتًا له وأكلها وآخر بقرَ بطن صبي وأخذ كبده وشواه وأكلها. قال: وفي رابع عشر ربيع الآخر زلزلت الأرض بعد العتمة فوق بلاد إربل فلما أصبح الناس عادت الزلزلة في الجبال فتصادمت ووقع منها الحجارة وسقطت منها قلاع كثيرة وهلكت قرى بمن فيها وكان يكون بين الجبل والجبل عشرون ذراعًا فتقذفهما الزلزلة فيتصادمان ويعودان إلى مكانهما.

٥٨٢ هـ/ ١١٨٦ م

قال أبو شامة[١٥١]: قال العماد [الأصفهاني] كان المنجمون في جميع البلاد يحكمون بخراب العالم في هذه السنة في شعبان عند اجتماع الكواكب الستة في الميزان بطوفان الريح في سائر البلاد وخوفوا بذلك مَن لا وثوق له باليقين وأحكام له بالدين من ملوك الأعجام والروم، وأشعروهم من تأثيرات النجوم فشرعوا في حفر مغارات في التخوم وتعميق بيوت في الأسراب وتوثيقها وسد منافسها على الريح وقطع طريقها، ونقلوا إليها الماء والأزواد وانتقلوا إليها وانتظروا الميعاد، وكلما سمعنا بأخبارهم استغرقنا في الضحك من عقولهم، وسلطاننا متنمر من أباطيل المنجمين مؤمن أن قولهم مبني على الكذب والتخمين، فلما كانت الليلة التي عينها المنجمون لمثل ريح عاد، وقد شارفنا الميعاد ونحن جلوس عند السلطان في فضاء واسع، وناد للشموس المزهرات جامع وما يتحرك لنا نسيم ولا يسرح الهواء في رعي منابت الأنوار مسيم، فما رأينا ليلة مثلها في ركودها وركونها وهدوها وهدونها.

ورد عند ابي شامة[١٥٢] عن ابن القادسي: وحكم أصحاب النجوم أن في الثامن والعشرين من جماد الآخرة من هذه السنة تقترن الكواكب السيارة الخمسة والشمس والقمر في برج الميزان ويؤثر ذلك هواء عظيما وغيما سموميا، وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين تهلك البلاد وتحمل الرمل، ونسبوا ذلك إلى الخارمي[١٥٣] وقالوا يكون أشد ذلك من ليلة الثلاثاء نصف ليلة الأربعاء فاستعد لذلك أقوام في البلاد وجمعوا الكعك وحفروا السراديب، فأهلّ رجب وما جرى مما قالوا شيًّا فخزى أهل التنجيم لذلك ولم يهب في ذلك اليوم هواء ألبتة وكان الزمان حارًا واشتد الحرّ في ذلك اليوم وبعده ولم يظهر مما قالوا شيء.

١٥٠ نقل أبو شامة عن محمد بن محمد بن القادسي في تذييل أبي الفرج [ابن الجوزي] انظر الروضتين، ج ٢/ ١٧.

١٥١ الروضتين، ج ٢/ ٧٢.

١٥٢ المرجع السابق.

١٥٣ وورد في هامش الأصل لكتاب الروضتين المنقول منه «لعله الخوارزمي».

وأرخ المقريزي[١٥٤] هذه الحادثة عام ٥٨٣ هـ فقال: إجتمع في السنة الشمس والقمر والمريخ والزهرة وعطارد والمشترى وزحل وأظفار الذئب في برج الميزان أربعة عشر ساعة فاجتمع المنجمون كلّهم، وحكموا بكون طوفان الريح وأنه كائن واقع ولابد، فتنقلب الأرض من أوّلها إلى آخرها وأنه لا يبقى من الحيوان شيء إلا مات، ولا شجرة ولا جدار إلا سقط وكان معظم هذه الحكومة عن الروم، وكان أشد الناس ارجافًا بهذه الكواكب الروم فأكذبهم اللّه، وسلط عليهم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف فأخذ كبارهم وكسرهم وملأ الأرض من الأسرى شرقًا وغربًا، وأخذ القدس وأصاب جماعة ممن كان يرجف بهذه الريح آفات ما بين موت بعضهم واعتلال بعضهم.

٥٩٠ هـ/ ١١٩٣ م

قال ابن الأثير[١٥٥]: في هذه لسنة كانت زلزلة في ربيع الأول بالجزيرة والعراق وكثير من البلاد سقطت منها الجبانة التي عند مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام.

٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠ م

قال ابن الأثير[١٥٦]: في شعبان منها تزلزلت الأرض بالموصل وديار الجزيرة كلها والشام ومصر وغيرها، فأثرت في الشام آثارًا قبيحة، وخربت كثيرًا من الدور بدمشق وحمص وحماة وانخسفت قرية من قرى بصرى و أثرت في الساحل الشامي أثرًا كثيرًا، فاستولى الخراب على طرابلس وصور وعكا ونابلس وغيرها من القلاع، ووصلت الزلزلة إلى بلاد الروم، وكانت بالعراق يسيرة لم تهدم دور.

وقال ابن منكلي[١٥٧]: من غريب ما يتعلق بها [قبرس] أن الزلزلة التي امتدت من الشام إلى الجزيرة وبلاد الروم والعراق سنة سبع وتسعين وخمسمائة انفرق بها البحر من الساحل إلى قبرس وقذف المراكب إلى ساحله وتعدى إلى ناحية الشرق ومات بسبب الزلزلة من الناس ما لا يعلمه إلا اللّه.

[١٥٤] السلوك (تحقيق د. زيادة)، ج ١/ ١/ ٩٨، ٩٩.
[١٥٥] الكامل، ج ١٢/ ١١٠.
[١٥٦] الكامل، ج ١٢/ ١٧٠، ١٧١؛ Cf. aussi V. Grümel, *La chronologie*, p. 480.
[١٥٧] الأحكام الملوكية (مخطوط بدار الكتب المصرية)، ورقة ٣٧.

قال العماد الأصفهاني[١٥٨]: وجاءت في شعبان زلزلة عظيمة هائلة من الصعيد فعمت الدنيا في ساعة واحدة فهدمت بنيان مصر فمات تحت الهدم خلق كثير ثم امتدت إلى الشام والساحل، فهدمت نابلس فلم يبق بها جدار قائم إلا حارة السمرة، ومات تحت الهدم ثلاثون ألفًا وهدمت عكا وصور وجميع قلاع الساحل وامتدت إلى دمشق فرمت بعض المنارة الشرقية بجامع دمشق وأكثر الكلاسة والبيمارستان النوري وعامة دور دمشق إلا القليل وهرب الناس إلى الميادين، وسقط من الجامع ست عشر شرافة وتشققت قبة النسر وتهدمت بالناس وهو بيْن بيْن.

وخرج قوم من بعلبك يجنون الريباس من جبل فإلتقى عليهم الجبلان وماتوا بأسرهم وتهدّمت قلعة بعلبك مع عظم حجارتها ووثيق عمارتها وامتدت إلى حمص، وحماة وحلب والعواصم وقطعت البحر إلى قبرس وانفرق البحر فصار أطوادًا وقذف بالمراكب إلى الساحل فتكسرت ثم امتدت إلى أخلاط وأرمينية وأذربيجان والجزيرة، وأحصي من هلك في هذه السنة على وجه التقريب فكان ألف ألف إنسان ومائة ألف إنسان، وكان قوة الزلزلة في مبدأ الأمر بمقدار ما يقرأ الإنسان سورة الكهف.

ثم دامت بعد ذلك أيامًا فقال بعض البلغاء[١٥٩]: أما بعد فإنه لما حدث بملك الشام حادث الزلازل ووجد في أكثرها أعظم البلايا والبلائل، حتى طغت من أرض الجزيرة إلى بلاد الساحل، وهدمت الحصون والمعاقل، وأخربت ما لا يحصى من الدور والمنازل، وسوت الأعالي من البنيان بالأسافل، وأوحشت من أهلها المجالس والمحافل، وسددت كثيرًا من الزمام بالجنادل، وفصلت من الأعضاء والمفاصل، وأبانت من الأقدام والأكف والأنامل، وأدبر القطان من الأوطان إدبار النعام الجافل، وخلا كثير من السكان في الموارد والمناهل، وكثرت في الدنيا اليتامى والأرامل، وأرمضت قلوب النافذات وأمضت عيون التواكل وأفضت كثير من أجنة الحوامل، ووضعت الطيور لهوْلها ما في الحواصل، فكان ما حدث منها عبرة للبيب العاقل، وهزة على المُصر الغافل، وتنبيها عن إخلاص التوبة من المتغافل، وإزعاجا للمتباطئ عن الطاعة والمتثاقل، وما ظلم الّله عباده بإهلاك النسل والناس ولكنهم لمّا تغاموا عن الحق وتمادوا في الباطل، وأضاعوا الصلوات وعكفوا الشهوات والشواغل، وأهدروا دم المقتول، وأرشوا في ترك القاتل، وارتكبوا الفجور وشربوا الخمور وانتشر فسقهم في القبائل، وأكلوا الربا والرشا وأموال اليتامى، وهوشوا المآكل، وزهدوا فيما رغبوا فيه وطمعوا في الحاصل، ومن بقى منهم إنما يستدرج في أيام قلائل، وما جرى على البلاد فعبرة وموعظة للخارج والداخل، والّله يمن على الإسلام وأهله بفرج عاجل، ويوفقهم للقيام بمرضاته من أداء الفرائض والغوافل، وقد يكفيهم من عذابه الألم الهائل، وينجيهم من عقابه الآجل والعاجل، فهو مجيب المضطر ويعطي السائل، وفارج الكرب الفادح والخطب النازل.

١٥٨ كانت وفاته في هذا العام، انظر مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٤، سنة ١٩٥٦ م، في مقال بقلم محمد بهجه الأثري عن العماد الأصفهاني، ونقل عنه سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨/ ٣٠٨؛ وأبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٠.

١٥٩ قال أبو شامة: نقلت جميع ذلك من تاريخ ابن المظفر سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨/ ٣٠٩.

٥٩٨ هـ/ ١٢٠١ م

قال سبط ابن الجوزي[١٦٠]: وجاءت في شعبان زلزلة عظيمة فشققت قلعة حمص، ورمت المنظرة التي على القلعة وأخربت حصن الأكراد وتعدت إلى جزيرة قبرس، وامتدت إلى نابلس فأخربت ما بقى. وقال العز تاج الأمناء: هذه الزلزلة العظمى التي هدمت البلاد الإسلامية الشمالية، ورمت بدمشق رؤوس منائر الجامع وبعض شراريفه من شماله فقتلت رجلًا مغربيًا بالكلاسة ومملوكًا تركيًا لرجل صيرفي ساكن في درب السميساطي عند تنفس الصبح من يوم الإثنين السادس والعشرين من شعبان الموافق العشرين من آب وأعقبها زلزلة خفيفة في ضحوة الغد.

وقال البغدادي ابن اللباد[١٦١]: واتفق سحرة يوم الاثنين السادس والعشرين من شعبان وهو الخامس والعشرون من بشنس أن حدثت زلزلة عظيمة اضطرب لها الناس فهبوا من مضاجعهم مدهوشين وضجّوا إلى الّله سبحانه ولبثت مدة طويلة، وكانت حركتها كالغربلة أو كخفق جناح الطائر وانقضت على ثلاث رجفات قوية مادت بها الأبنية واصطفقت الأبواب وصرصرت السقوف والأخشاب وتداعى من الأبنية ما كان واهيًا أو مشرفًا عاليًا.

ثم عاودت في نصف النهار الإثنين إلا أنها لم يحس بها أكثر الناس لخفائها وقصر زمانها وكان في هذه الليلة برد شديد يحوج إلى دثار خلاف العادة وفي نهار ذلك اليوم تبدّل بحرّ شديد وسموم مفرط يضيق الأنفاس ويأخذ بالكظم، وقلما تحدث زلزلة بمصر بهذه القوة.

ثم أخذت الأخبار تتواتر بحدوث الزلزلة في النواحي النائية والبلاد النازحة في تلك الساعة بعينها؛ والذي صح عندي أنها حركت في ساعة طائفة من الأرض من قوص إلى دمياط والإسكندرية ثم بلاد الساحل بإسرها والشام طولًا وعرضًا، وتعفت بلاد كثيرة بحيث لم يبق لها أثر وهلك من الناس خلق عظيم وأمم لا تحصى، ولا أعرف في الشام بلد أحسن سلامة من القدس فإنها لم تنك فيه إلا ما لا بال به وكانت

[١٦٠] مرآة الزمان، ج ٨/ ٣٣١. وقال سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٩٩ هـ/ ١٣٠٢ م: وفي سلخ محرم ليلة السبت ماجت النجوم في السماء شرقًا وغربًا وتطايرت كالجراد المنتشر يمينًا وشمالًا ولم ير هذا إلا عند مبعث النبيّ صلّي الّله عليه وسلم وفي إحدى وأربعين ومائتين. مرآة الزمان، ج ٨/ ٣٣٣.

[١٦١] مختصر أخبار مصر، ص ٢٦٢-٢٧٠. وقال ص ٢٥٢: ودخلت هذه السنة والأحوال التي شرحناها في السنة الخالية على ذلك النظام أو تزيد إلى زهاء نصفها، فتناقص موت الفقراء لقلتهم لا لارتفاع السبب الموجب وتناقص أكل بني آدم ثم انقطع خبره أصلا، وقل خطف الأطعمة من الأسواق وذلك لفناء الصعاليك وقلتهم من المدينة، وانحطت الأسعار حتى عاد الأردب بثلاثة دنانير لقلة الآكلين لا لكثرة المأكول، وخفت المدينة بأهلها واختصرت، واختصر جميع ما فيها على تلك النسبة، وألف الناس الغلاء واستمروا على البلاء حتى عاد ذلك كأنه مزاج طبيعي. وقوله يثبت نظرية الإنتخاب الطبيعي وانبعاث القوة من الضعف.

نكاية الزلزلة ببلاد الفرنج أكثر منها في بلاد الإسلام كثيرا. وسمعنا أن الزلزلة وصلت إلى أخلاط وتخومها وإلى قبرس وأن البحر ارتطم وتموج وتشوهت مناظره فانفرق في مواضع وصارت فرقه كالأطواد وعادت المراكب على الأرض وقذف سمكًا كثيرًا على ساحله.

ثم وردت كتب من الشام، من دمشق وحماة تتضمن خبر الزلزلة ومما إتصل من ذلك كتابان أوردتهما بلفظهما:

نسخة الكتاب الوارد من حماة

ولما كان سحرة يوم الإثنين السادس والعشرين من شعبان حدثت زلزلة كادت الأرض تسير سيرًا والجبال تمور مورًا، وما ظن أحد من الخلق إلا أنها زلزلة الساعة، وأتت دفعتين في ذلك الوقت، أما الدفعة الأولى فاستمرت مقدار ساعة أو تزيد عليها، وأما الثانية فكانت دونها ولكن أشد منها، وتأثر منها بعض القلاع فأولها قلعة حماة مع اتقانها وعمارتها وبارين مع اكتنازها ولطافتها وبعلبك مع قوتها ووثاقتها. ولم يرد من البلاد الشاسعة والقلاع النازحة إلى الآن ما أذكره.

ثم حدث في يوم الثلاثاء السابع والعشرين منه صلاة الظهر زلزلة استوى في علمها اليقظان والنائم، وتزعزع لها القاعد والقائم ثم حدثت في هذا اليوم أيضًا وقت صلاة العصر ووصل الخبر من دمشق بأن الزلزلة أفسدت فيها منارة الجامع الشرقية وأكثر الكلاسة والبيمارستان جميعه وعدة مساكن تساقطت على أهلها وهلكوا.

نسخة الكتاب الوارد من دمشق

المملوك ينهي حدوث زلزلة ليلة الإثنين سادس وعشرين شعبان وقت انفجار الفجر وأقامت مدة قال بعض الأصحاب: إنها مقدار ما قرأ سورة الكهف، وذكر بعض المشايخ بدمشق أنه لم يشاهد مثلها فيما تقدم، ومما أثرت في البلد سقوط ست عشرة شرفة من الجامع وإحدى المآذن وتشقق أخرى وقبة الرصاص يعني النسر وانخساف الكلاسة ومات فيها رجلان ورجل آخر على باب جيرون وتشقق بالجامع مواضع كثيرة وسقط بالبلد عدة أدور. وذكر عن بلاد المسلمين أن بانياس سقط بعضها وصفد كذلك ولم يبق بها إلا من هلك سوى ولد صاحبها وكذلك تبنين ونابلس ولم يبق بها جدار قائم سوى حارة السمرة ويذكر أن القدس سالم والحمد لله.

وأما بيت جن فلم يبق منه إلا الأساس والجدران إلا وقد أتى عليه الخسف وكذلك أكثر بلاد حوران غارت ولم يعرف لبلد منها موضع يقال فيه هذه القرية الفلانية ويقال إن عكة سقط أكثرها وصور ثلثها وعرقة خسف بها وكذلك صافيثا.

وأما جبل لبنان فهو موضع يدخل الناس إليه بين جبلين يجمع منه الريباس الأخضر فيقال إن الجبلين انطبقا على من بينهما وكانت عدتهم تناهز مائتي رجل وقد أكثر الناس في حديثها. وأقامت بعد ذلك أربعة أيام تحدث في النهار والليل ونسأل اللّه لطفه وتدبيره وهوحسبنا ونعم الوكيل.

الباب الرابع

الزلازل والحمم البركانية
في القرنين السابع والثامن الهجريين

٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣ م

قال ابن الأثير[١]: وفيها كانت زلزلة عظيمة عمت أكثر البلاد، مصر والشام والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرس ووصلت إلى الموصل والعراق وغيرها وخرب من مدينة صور سورها وأثرت في كثير من الشام.

وقال ابن واصل[٢]: ويقال إنها بلغت إلى سبته من أقصى بلاد المغرب.

٦٠١ هـ/ ١٢٠٤ م

قال ابن القاسم[٣]: في مستهل شهر شعبان من هذه السنة المذكورة إنقض كوكب عظيم إلى ناحية المغرب أضاءت له الآفاق وتعقبه رجفات تزلزلت منه الأرض فسبحان القادر على ما يشاء.

١ الكامل، ج ١٢/ ١٩٨؛ أورد هذا الزلزال ابن الوردي، تتمة المختصر، ج ٢/ ١٢٢.
Cf. aussi V. Grümel, *La chronologie*, p. 480.

٢ مفرج الكروب، ص ١٥٤.

٣ غاية الأماني، ص ٣٨٧.

٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧ م

قال ابن الأثير[٤]: في هذه السنة ليلة الأربعاء لخمس بقين من رجب زلزلت الأرض وقت السحَر، وكنت حينئذ بالموصل ولم تكن بها شديدة وجاءت الأخبار من كثير من البلاد بأنها زلزلت ولم تكن بالقويّة.

وقال أبو شامة[٥]: وفيها وصل الخبر إلى دمشق بحدوث زلازل بنواحي بلد خلاط وريح بحيث وقع خسف بموضع قد كان الأوحد ابن العادل نازلًا ورحل عنه قبل ذلك بليلة.

٦٠٥ هـ/ ١٢٠٨ م

قال ابن الأثير[٦]: وفيها كانت زلزلة عظيمة بنيسابور وخراسان، وكان أشدها بنيسابور وخرج أهلها إلى الصحراء أياما حتى سكنت وعادوا إلى مساكنهم.

وقال أبو شامة[٧]: زلزلت نيسابور زلزلة عظيمة ودامت عشرة أيام فمات تحت الهدم خلق كثير.

وقال أبو الفرج الملطي[٨]: وحدث زلزال كذلك في خراسان إلا أنه لم يكن قويًا كزلزال نيسابور.

٦٠٨ هـ/ ١٢١١ م

قال أبو شامة[٩]: وفي ليلة السابع والعشرين من ذي القعدة حدثت زلزلة عظيمة هدمت مواضع كثيرة بمصر والقاهرة وأبراجًا ودورًا بالكرك والشوبك، وهلك جماعة من الصبيان والنسوان تحت الهدم وكان قوتها من أيلة مما يلي البحر وقيل إنه تقدمها يوم ريح أسود وتساقطت نجوم كثيرة وفي خامس عشر رمضان رُئي دخان نازل من السماء إلى الأرض فيما بين الغرب والقبلة بنواحي أرض عاتكة[١٠] ظاهر دمشق وقت العصر.

٤ الكامل، ج ١٢/ ٢٧٧؛ ويلاحظ أن هذا الزلزال لم يرد عند سبط ابن الجوزي لأنه كان في الحج هذا العام ورأى من الموتى ما أذهله، انظر مرآة الزمان، ج ٨/ ٣٤٧.

٥ الذيل على الروضتين، ص ٦٤.

٦ الكامل، ج ١٢/ ٢٨٣؛ انظر أيضًا سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨/ ٣٥١.

٧ الذيل على الروضتين، ص ٦٥.

٨ تاريخ الدول السرياني، مجلة المشرق سنة ١٩٤٨، ج ٤، ٥ آب - أيلول ١٩٥٤، ص ٤٣٠.

٩ الذيل على الروضتين، ص ٧٨.

١٠ وردت قبر عاتكة عند ابن كثير، البداية والنهاية ج ١٣/ ٦٢، كانت عاتكة زوجة لعمر ابن الخطاب.

٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥ م

قال ابن الأثير[١١]: في هذه السنة ليلة الأحد العشرين من صفر زلزلت الأرض بالموصل وديار الجزيرة والعراق وغيرهما زلزلة متوسطة وقبل حدوثها بسبعة أيام أي ليلة الثلاثاء خمسة عشر صفر انخسف القمر؛ وكانت الأمطار في هذه السنة متتابعة من أول الشتاء إلى آخر الربيع.

٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦ م

قال ابن الأثير[١٢]: وفيها يوم الأربعاء الخامس والعشرين من ذي القعدة ضحوة النهار زلزلت الأرض بالموصل وكثير من البلاد العربية والعجمية، وكانت أكثر ذلك بشهرزور[١٣] فإنها خرب أكثرها، ولا سيما القلعة، فإنها أجحفت بها، وخربت من تلك الناحية ست قلاع وبقيت الزلزلة تتردد فيها نيفًا وثلاثين يومًا، ثم كشفها اللّه عنهم، وأما القرى بتلك الناحية فخرب أكثرها.

٦٢٤ هـ/ ١٢٢٧ م

قال القزويني[١٤] (توفى عام ٦٨١ هـ) عن عين النار وحدثني من شاهدها قال: بين آقشهر وأنطاكية عين إذا غمست فيها قصبة احترقت قال: وقد ذكر هذا عند السلطان علاء الدين[١٥] حين مرّ بها فوقف عليها وأمر بتجربتها فكان الأمر كما قالوا.

[١١] الكامل، ج ١٢/ ٤٤٧، ٤٤٨.

[١٢] الكامل، ج ١٢/ ٤٦٧.

[١٣] كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان وأهل هذه النواحي كلهم أكراد وشهرزور مدينات وقرى فيها مدينة كبيرة وهي قصبتها يقال لها «نيم أزاري» وأهلها عصاة على السلطان، انظر ياقوت، معجم البلدان، مادة «شهرزور».

[١٤] عجائب المخلوقات، ط. ڤوستنفلد، ص ١٩٥، وذكر أمين المعلوف في مقاله عن القار في الشرق الأدنى إنه جوار الإسكندرونة عيون منه وكذلك في نواحي حلب وفي كسب وكفريه والخربة وعمان والخميس في جبال أنطاكية واللاذقية وهذا يشبه قول القزويني، مجلة المقتطف، أكتوبر ١٩٢٨، ص ١٩٥.

[١٥] علاء الدين قيقباذ من سلاجقة الروم تولى الحكم نحو ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٣ م، وتوفى ٦٣٤ هـ/ ١٢٣٧ م.
Cf. Cl. Cahen, article « Kaykubad», *Encyclopédie de l'Islam* (2), IV, p. 850-851.

٦٥٠ هـ/ ١٢٥٢ م

قال ابن الفوطي[١٦]: وفيها زلزلت الأرض ببغداد وحكي عن الوزير مؤيد الدين [ابن العلقمي] أنه قال: تحركت بغير محرك وماج ماء بركة كانت بين يديه، وتواترت الغيوث ودامت ليلًا ونهارًا حتى منعت الناس من الحركة وسقطت دورٌ كثيرة.

٦٥٢ هـ/ ١٢٥٤ م

قال سبط ابن الجوزي[١٧]: وفيها وصلت الأخبار من مكة المشرفة بأن نارًا ظهرت في الأرض بِعدَن من بعض جبالها بحيث يطير شررها إلى البحر في الليل ويصعد منها دخان عظيم في النهار فما شكّوا في أنها النار التي ذكر النبي (ص) أنها تظهر آخر الزمان فآب الناس وأقلعوا عن المعاصي.

وقال ابن حبيب[١٨]: وفيها وصلت الأخبار من مكة المشرّفة بأن نارًا ظهرت من عَدن روّعت قلوب المقيمين بأرض اليمن ضرامُها مشبوب وقَتامُها مرهوب وألسنتها متحركة وخزنتها لذهب اللهب متملكة، يطير لها في الليل أي شرار، ويصعد منها دخان عظيم في النهار، وجزم أهل الحجاز بأنها النار التي أشار النبي (ص) إلى ظهورها في آخر الزمان وحثوا على إستعمال الخوف وطلب الأمان وحضوا على التوبة، وحرضوا على الرجوع والنوبة، فأقلع الناس عما كانوا فيه من الفساد، وأنابوا إلى من يخوف بآياته من العباد.

٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦ م

قال السمهودي[١٩] تحت عنوان [ظهور النار بالحجاز]: وظهور النار المذكورة بالمدينة الشريفة قد اشتهر اشتهارًا بلغ حد التواتر عند أهل الأخبار، وكان ظهورها لإنذار العباد بما حدث بعدها، فلهذا ظهرت على

١٦ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق د. مصطفى جواد، مطبعة الفرات بغداد ١٣٥١ هـ حوادث سنة ٦٥٠ هـ.

١٧ مرآة الزمان، ج ٨/ ٥٢٥، ٥٢٦؛ وانظر أيضًا أبي مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص ١، ٢، ٣.

١٨ درة الأسلاك، مخطوط بدار الكتب المصرية، ج ١/ ٩، ١٠.

١٩ وفاء الوفا، تحقيق محمد محيي عبد الحميد، ج ١/ ١٤٢/ ١٥٢. وهناك طبعة أخرى بمطبعة الآداب والمؤيد، ج ١/ ١٠٠-١٠٩؛ ويعتبر هذا الكتاب مصدرًا تاريخيًا هامًا لتاريخ المدينة المنورة نظرًا للحريق الذي حدث بالجامع النبوي بالمدينة في رمضان ٨٨٦ هـ وقد أدى إلى إحتراق أغلب المكتبة الموجودة بالجامع ومنها كتب المؤلف وأصل هذا الكتاب انظر ص ٦٣٥.

قرب مرحلة من بلد النذير صلوات اللّه وسلامه عليه، وتقدمها زلازل مهولة، وقد قال تعالى ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾[٢٠] وقال تعالى ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾[٢١] ولما ظهرت النار العظيمة الآتي وصفها وأشفق منها أهل المدينة غاية الإشفاق والتجأوا إلى نبيّهم المبعوث بالرحمة، صرفت عنهم ذات الشمال وزاحت عنهم الأوجال، وظهرت بركة تربيته صلّى الّله عيه وسلم في أمّته، ولعلّ الحكمة في تخصيصها بهذا المحل مع ما قدمناه من كوْنه حضرة النذير، الرحمة لهذه الأمة فإنها لو ظهرت بغيره وسلطان القهر والعظمة التي هي من آثاره قائم لربّما استولت على ذلك القطر ولم تجد صادفًا فيعظم ضررها على الأمة فظهرت بهذا المحل الشريف لحكمة الإنذار، فإذا تمت قابلتها الرحمة فجعلتها بردًا وسلامًا إلى غير ذلك من الأسرار.

ابتداء الزلزلة التى حدثت بالمدينة

وكان ابتداء الزلزلة بالمدينة الشريفة مستهل جمادى الآخرة أو آخر جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وستمائة لكنها كانت خفيفة لم يدركها بعضهم مع تكررها بعد ذلك واشتدت في يوم الثلاثاء على ماحكاه القطب القسطلاني[٢٢] وظهرت ظهورًا عظيمًا اشترك في ادراكه العام والخاص، ثم لمّا كان ليلة الأربعاء ثالث الشهر أو رابعه في الثلث الأخير من الليل حدث بالمدينة زلزلة عظيمة أشفق الناس منها وانزعجت القلوب لهيبتها، واستمرت تزلزل بقية الليل واستمرت إلى يوم الجمعة ولها دويّ أعظم من الرعد فتموج الأرض وتتحرك الجدارات حتى وقع في يوم واحد دون ليله ثمانية عشر حركة على ماحكاه القسطلاني.

وقال القرطبي: قد خرجت نار بالحجاز بالمدينة، وكان بدؤها زلزلة عظيمة في ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة، واستمرت إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت؛ وظهرت بقريظة[٢٣] بطرف الحرة، ترى في صفة البلد العظيم، عليها سور محيط عليه شراريف وأبراج ومواذن، وترى رجالًا يقودونها لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته، ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر أحمر وأزرق،

[٢٠] سورة الإسراء: آية ٥٩.

[٢١] سورة الزمر: آية ١٦.

[٢٢] هو قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن علي المصري ثم المكي صنف في النار والحريق سنة ٦٥٤ هـ كتابا سمّاه «عروة التوثيق في النار والحريق» وقد كان بمكة وقت ظهور النار وقد ورد في وفيات ٦٨٦ هـ عند ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣/ ٣١١؛ وابن العماد، شذرات الذهب، ج ٥/ ٣٩٧؛ وانظر السمهودي، وفاء الوفا، ط. الآداب والمؤيد ١٣٢٦ هـ، ج ١/ ٤٢٨.

[٢٣] منزل لليهود بالمدينة حيث يمر وادي مذينب، انظر السمهودي، وفاء الوفا، ط. محمد محيي الدين عبد الحميد، ص ١٠٧٥، ١٠٧٦.

له دوي كدوي الرعد يأخذ الصخور بين يديه وينتهي إلى محط الركب العراقي واجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم فانتهت النار إلى قرب المدينة، ومع ذلك فكان يأتي إلى المدينة نسيم بارد، وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر، وقال لي بعض أصحابنا: رأيتها صاعدة في الهواء من نحوخمسة أيام، وسمعت أنها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى.

وقال النووي[٢٤]: تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام وسائر البلدان وأخبرني من حضرها من أهل المدينة.

وقال أبو شامة[٢٥] عن مشاهدة كتاب الشريف سنان قاضي المدينة الشريفة وغيره: إن في ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة حدث بالمدينة في الثلث الأخير من الليل زلزلة عظيمة أشفقنا منها وباتت في تلك الليلة تزلزل، ثم استمرت تزلزل كل يوم وليلة مقدار عشر مرات، وفي كتاب بعضهم أربع عشرة مرة؛ قال: واللهِ قد زلزلت مرة ونحن حول الحجرة فاضطرب لها المنبر إلى أن سمعنا منه صوتًا للحديد الذي فيه، واضطربت قناديل الحرم الشريف، زاد القاشاني: ثم في اليوم الثالث – وهو يوم الجمعة – زلزلت الأرض زلزلة عظيمة، إلى أن اضطربت منام المسجد، وسمع لسقف المسجد صرير عظيم.

قال القطب[٢٦]: فلمّا كان يوم الجمعة نصف النهار ظهرت تلك النار، فثار من محل ظهورها في الجو دخان متراكم غشى الأفق سواده فلما تراكمت الظلمات وأقبل الليل سطع شعاع النار، فظهرت مثل المدينة العظيمة في جهة المشرق، والحكمة في ظهورها في يوم الجمعة غير خافية، ففي الحديث «من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ». وفي الحديث أيضًا «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة، وما من دابّة إلا وهي مصيخة حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقًا من الساعة إلّا الجن والأنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل اللّٰه شيئًا إلا أعطاه إياه». رواه أبو داود، وهو اليوم الذي ادخره اللّٰه لهذه الأمة وأكمل فيه دينهم، فأراد اللّٰه أن يخوّف عباده فيه بذلك ليردّهم؛ فتلك النار نعمة في صورة نقمة ولهذا وجلت منها القلوب وأشفقت وأيقن الناس أن العذاب قد أحاط بهم.

قال القاضي سنان: وطلعت إلى الأمير – وكان عز الدين منيف بن شيحة. وقلت له: قد أحاط بنا العذاب، ارجع إلى اللّه، فأعتق كلّ مماليكه، ورد على الناس مظالمهم. زاد القاشاني وأبطل المَكس؛ ثم هبط الأمير للنبي صلّى اللّٰه عليه وسلم وبات في المسجد ليلة الجمعة وليلة السبت ومعه جميع أهل المدينة حتى النساء والصغار ولم يبق أحد في النخل إلا جاء إلى الحرم الشريف وبات الناس يتضرعون ويبكون،

[٢٤] ورد ذلك في شروح النووي على مسلم، الجامع الصحيح، ج ٨/ ١٨٠؛ وأبومخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج ١/ ٢.

[٢٥] الذيل على الروضتين منشور بعنوان «تراجم القرنين السادس والسابع الهجريين» بعناية السيد عزت العطار، ص ١٩١.

[٢٦] هو القطب القسطلاني صاحب كتاب عروة التوثيق في النار والحريق وسبق التعريف به.

وأحاطوا بالحجرة الشريفة كاشفين رؤسهم مقرين بذنوبهم مبتهلين مستجيرين بنبيِّهم (ص)؛ قال القطب: ولمّا عاين أمير المدينة ذلك أقلع عن المخالفة واعتبر ورجع عمّا كان عليه من المظالم وانزجر وأظهر التوبة والإنابة وأعتق جميع مماليكه، وشرع في رد المظالم وعزم أهل المدينة على الإقلاع عن الإضرار وارتكاب الأوزار، وفزعوا إلى التضرع والإستغفار وهبط أميرهم من القلعة مع قاضيهم الشريف سنان وأعيان البلد والتجأوا إلى الحجرة الشريفة، وباتوا بالمسجد الشريف بأجمعهم حتى النساء والأطفال، فصرف اللّه تعالى عنهم تلك النار من الشمال ونجوا من الأوجال فسارت تلك النار من مخرجها وسالت ببحر عظيم من النار وأخذت في وادي أُحيْلِيَين وأهل المدينة يشاهدونها من دورهم كأنها عندهم ومالت من مخرجها إلى جهة الشمال واستمر مدّة ثلاثة أشهر على ما ذكره المؤرخون.

مدة النار

وذكر القطب القسطلاني في كتاب أفرده لهذه النار وهو من أدركها، لكنه كان بمكة فلم يشاهدها: إن ابتداءها يوم الجمعة السادس من شهر جمادى الآخرة وإنها دامت إلى يوم الأحد السابع والعشرين من رجب ثم خمدت فجملة ما أقامت إثنتان وخمسون يومًا، لكنه ذكر بعد ذلك إنها أقامت منطفئة أياما ثم ظهرت، قال وهي كذلك تسكن مرة وتظهر أخرى فهي لا يؤمن عودها، وإن طفئ وقودها (انتهى). فكأن ما ذكره المؤرخون عن المدة باعتبار انقطاعها بالكلية، وطالت مدتها ليشتهر أمرها فينزجر بها عامة الخلق ويشهدوا من عظمها عنوان النار التي أنذرهم بها حبيب الحق.

قوة النار

وذكر القسطلاني عمن يثق به أن أمير المدينة أرسل عدة من الفرسان إلى هذه النار للإتيان بخبرها، فلم تجسر الخيل على القرب منها فترجل أصحابها وقربوا منها، فذكروا ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۞ كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ﴾[٢٧] ولم يظفروا بجلية أمرها فجرد عزمه للإحاطة بخبرها، فذكروا أنه وصل منها إلى قدر غلوتين بالحجر ولم يستطع أن يجاوز موقفه من حرارة الأرض وأحجار كالمسامير تحتها سارية ومقابلة ما يتصاعد من اللهب، فعاين نارا كالجبال الراسيات، والتلال المتجمعة السائرات تقذف بزبد الأحجار كالبحار المتلاطمة الأمواج، وعقد لهيبها في الأفق قتامًا حتى ظن الظان أن الشمس والقمر كسفا إذ سلبا بهجة الإشراق في الآفاق، ولولا كفاية اللّه كفتها لأكلت ما تقدم عليه من الحيوان والنبات والحجر.

٢٧ سورة المرسلات: آية ٣٢، ٣٣.

وذكر الجمال المطري ما يخالف بعض هذا فإنه قال: أخبرني علم الدين سنجر العزي من عتقاء الأمير عزالدين منيف بن شيحة صاحب المدينة قال أرسلني مولاي عزالدين بعد ظهور النار بأيام ومعي شخص من العرب يسمى حطيب بن سنان وقال لنا ونحن فارسان: اقربا من هذه النار، وانظرا هل يقدر أحد على القرب منها، فإن الناس يهابونها لعظمها، فخرجت أنا وصاحبي إلى أن قربنا منها فلم نجد لها حرّا، فنزلت من فرسي وسرت إلى أن وصلت إليها، وهي تأكل الصخر والحجر، فأخذت سهمًا من كنانتي ومددت به يدي إلى أن وصل النصل إليها فلم أجد لذلك ألمًا ولا حرّا، فحرق النصل ولم يحترق العود فأدرت السهم وأدخلت فيها الريش فاحترق الريش ولم تؤثر في العود.

وذكر المطري قبل ذلك أنها كانت تأكل كل ما مرّت عليه من جبل وحجر ولا تأكل الشجر، قال: وظهر لي في معنى ذلك إنه لتحريم النبي (ص) شجر المدينة، فمنعت من أكل شجرها لوجوب طاعته (ص) على كل مخلوق.

قلت [السمهودي]: وذكر القسطلاني أن هذه النار لم تزل مارة على سبيلها حتى اتصلت بالحرة ووادي الشظاة وهي تسحق ما والاها، وتذيب ما لاقاها من الشجر الأخضر والحصى من قوة اللظى، وأن طرفها الشرقي أخذ بين الجبال فحالت دونه ثم وقفت، وأن طرفه - وهو الذي يلي الحرم - اتصل بجبل يقال له وعيرة على قرب شرقي أحد، ومضت في الشظاة الذي في طرفه وادي حمزة رضي اللّه عنه، ثم استمرت حتي استقرت تجاه النبي (ص) فطفئت، قال: وأخبرني شخص أعتمد عليه إنه عاين حجرًا ضخمًا من حجارة الحرة كان بعضها خارجًا عن حد الحرم فعلقت بما خرج منه، فلما وصلت إلى ما دخل في الحرم طفئت وخمدت.انتهى.

وهذا أولى بالإعتماد من كلام المطري لأن المطري لم يدرك هذه النار وإن أدرك من أدركها، بخلاف القطب فإنه أدركها واعتنى بجمع أخبارها، وأفردها بالتصنيف ولم يقف عليه المطري، وهذا أبلغ في الإعجاز حيث لم تدخل هذه النار حرمه الشريف، إذ هي للإنذار والتخويف وهو نبي الرحمة (ص).

ضوء النار

وقد نقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب القاضي سنان الحسيني أن سيل النار إنحدر مع وادي الشظاة حتى حاذى جبل أحد، وكادت النارتقارب حرة العريض، وخاف الناس منها خوفًا عظيمًا ثم سكن قتيرها الذي يلي المدينة، وطفئت مما يلي العريض بقدرة اللّه تعالى، فرجعت تسير في الشرق، وهو مؤيد لما ذكره القطب ومشاهده آثارها اليوم تقضي بذلك.

قال المطري: وأخبرني بعض من أدركها من النساء أنهن كن يغزلن على ضوئها بالليل على أسطحة البيوت بالمدينة الشريفة.

قال القسطلاني: إن ضوءها استوى على مابطن من القيعان وظهر من القلاع حتى كأن الحرم النبوي عليه الشمس مشرقة، وجملة أماكن المدينة بأنوارها محدقة، ودام على ذلك لهبها حتى تأثر له النِّيران، وصار نور الشمس على الأرض تعتريه صفرة، ولونها من تصاعد الإلتهاب يعتريه حمرة، والقمر كأنه قد كسف من اضمحلال نوره، قال: وأخبرني جمع ممن توجه للزيارة على طريق المشيان إنهم شاهدوا ضوءها على ثلاثة مراحل للمُجد وآخرون شاهدوها من جبال سارية.

قلت [السمهودي]: نقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب الشريف سنان قاضي المدينة أن هذه النار رؤيت من مكة ومن الفلاة جميعها ورآها أهل ينبع. قال أبو شامة: وأخبرني من أثق به ممن شاهدها بالمدينة إنه بلغه أنه كتب بتيماء على ضوءها الكتب، وقال المجد: والشمس والقمر في المدة التي ظهرت بها ما يطلعان إلا كاسفين.

قال أبو شامة: وظهر عندنا بدمشق أثر ذلك الكسوف من ضعف النور على الحيطان وكنا حيارى من سبب ذلك إلى أن بلغنا الخبر عن هذه النار وكل من ذكر هذه النار يقول في آخر كلامه وعجائب هذه الناروعظمتها ما يكل عن وصفها البيان والأقلام، وتجل عن أن يحيط بشرحها البيان والكلام فيظهر بظهورها معجزة للنبي (ص) قبلها ولا بعدها نار مثلها.

هل رؤيت النار ببصرى[٢٨]؟

قال القسطلاني: إن جاء من أخبر برؤيتها ببصرى فلا كلام وإلا فيحتمل أن يكون ذلك في الحديث على وجه المبالغة في ظهورها، أو أنها بحيث ترى، وقد جاء من أخبر إنه أبصرها بتيماء، وبصرى منها مثل ما هي من المدينة في البعد. قال السمهودي: قد تقدم عن القرطبي أنه بلغه إنها رؤيت من جبال بصرى.

قال عماد الدين بن كثير[٢٩]: والحديث الوارد في أمر هذه النار مخرج في الصحيحين من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول اللّه (ص) قال: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى. وهذا لفظ البخاري.وقد وقع هذا في هذه السنة أعني سنة أربع وخمسين وستمائة كما ذكرنا، وقد أخبرني قاضي القضاة صدر الدين علي بن أبي القاسم التيمي الحنفي الحاكم

[٢٨] بضم الباء مدينة معروفة بالشام وهي مدينة حوران بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل، انظر شرح النووي على مسلم، الجامع الصحيح، ج ٨/ ١٨٠.

[٢٩] البداية والنهاية، ج ١٣/ ١٩٢.

بدمشق في بعض الأيام في المذاكرة - وقد جرى ذكر هذا الحديث، وما كان من أمر هذه النار في هذه السنة - فقال: سمعت رجلا من الأعراب يخبر والدي ببصرى في تلك الليالي إنهم رأوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت في أرض الحجاز.

قال ابن كثير: وكان مولده في سنة اثنتين وأربعين وستمائة وكان والده مدرسًا للحنفيين ببصرى وكذلك كان جده وهو قد درس بها أيضًا ثم انتقل إلى دمشق فدرس بالصادرية وبالمقدمية، ثم ولي قضاء القضاة الحنفية، وكان مشكور السيرة في الأحكام وقد كان عمره حين وقعت هذه النار بالحجاز اثنتا عشرة سنة ومثله ممن يضبط ما يسمع من الخبر أن الأعرابي أخبر والده تلك الليالي.

مبدأ ظهور النار

قال المؤرخون: وكان ظهور هذه النار من صدر واد يقال له أحيليين. وقال البدر ابن فرحون: إنها سالت في وادي أحيليين وموضعها شرقي المدينة على طريق السوارقية مسيرة من الصبح إلى الظهر.

قال القطب القسطلاني: ظهرت في جهة المشرق على مرحلة متوسطة من المدينة في موضع يقال له قارع الهيلاء على قرب من مساكن قريظة شرقي قباء، فهي بين قريظة وموضع يقال له أحيليين فثارت من هذا القاع ثم امتدت فيه آخذة في الشرق إلى قريب أحيليين، ثم عرجت واستقبلت الشام سايلة إلى أن وصلت إلى موضع يقال له قُرين الأرنب بقرب أحد، فوقفت وانطفت وانصرفت. انتهى.

من فوائد هذه النار

قال المؤرخون: وإستمرت هذه النار مدة ظهورها تأكل الأحجار والجبال، وتسيل سيلًا ذريعًا في واد يكون طوله مقدار أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال وعمقه قامة ونصف قامة، وهي تجري على وجه الأرض والصخر يذوب حتى يبقى مثل الآنك فإذا جمد اسود بعد أن كان أحمر، ولم يزل يجتمع من هذه الحجارة المذابة في آخر الوادي عند منتهى الحرة حتى قطعت في وسط وادي الشظاة إلى وجه جبل وعيرة، فسدت الوادي المذكور بسد عظيم من الحجر المسبوك بالنار ولا كسد ذي القرنين يعجز عن وصفه الواصف، ولا مسلك لإنسان فيه ولا دابة.

قال السمهودي: وهذا من فوائد إرسال هذه النار فإن تلك الجهة كثير ما يطرق منها المفسدون لكثرة الأعراب بها، فصار السلوك إلى المدينة متعسرًا عليهم جدًا.

قال القسطلاني: أخبرني جمع ممن أركن إلى قولهم إن النار تركت على الأرض من الحجر ارتفاع رمح طويل على الأرض الأصلية.

وقال اليافعي[٣٠] تعليقًا على تشبيه بعض المؤرخين بسد ذي القرنين: هذا تساهل منهم في مبالغة لا ينبغي أن يتساهل بمثلها فإن اللّه تعالى قد أخبر أن يأجوج مع كثرتهم وقوتهم ما استطاعوا له صمودًا ولا نقبًا، ولقد انقطع بسبب ذلك سيل وادي الشظاة وانحبس دون السد المذكور وكان يجتمع الماء خلفه حتى يصير بحرًا له مد البصر عرضًا وطولًا كأنه نيل مصر عند زيادته ثم انخرق هذا السد من تحته في تسعين وستمائة لتكاثر الماء خلفه فجرى الوادي المذكور سنتين كاملتين، أما الأولى فكان ملأ فيما بين جانبي الوادي، وأما الثانية فدون ذلك، ثم انخرق مرة أخرى في العشر الأول بعد السبعمائة فجرى سنة كاملة أو أزيد، ثم انخرق في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وكان ذلك بعد تواتر أمطار عظيمة في الحجاز، فكثر الماء وعلا من جانبي السد ومن دونه مما يلي جبل وعيرة وتلك النواحي فجاء سيل طام[٣١] لا يوصف، ولو زاد مقدار ذراع في الإرتفاع وصل إلى المدينة، وكان أهل المدينة يقفون خارج باب البقيع على التل الذي هناك فيشاهدونه ويسمعون خريرًا توجل منه القلوب دونه فسبحان القادر على ما يشاء.

النذر الحادثة في عام النار والذي يليه[٣٢]

قال السمهودي: ومن العجائب أن في السنة التي ظهرت فيها هذه النار احترق المسجد النبوي الشريف بعد انطفائها، وزادت دجلة زيادة عظيمة فغرق أكثر بغداد وتهدمت دار الوزير وكان ذلك إنذارًا لهم وليْتهم اتعظوا.

ثم في أول السنة التي تلي هذه السنة وقعت الطامّة الكبرى، وهي أخذ التتار لبغداد وقتل الخليفة المستعصم وبعده المسلمون وبذل السيف ببغداد نيفًا وثلاثين يومًا، وأُخرجت الكتب فألقيت تحت أرجل الدواب، وشوهد بالمستنصرية معالف الدواب مبنية بالكتب موضع اللبن، وخلت بغداد من أهلها واستولى عليها الحريق على ما ذكره سعيد الذهلي، واحترقت دار الخلافة، وعمّ الحريق أكثر الأماكن حتى القصور البرانية وترب الرصافة مدفن ولاة الخلافة، وشوهد على بعض حيطان منها مكتوب:

إن تـرد عـبـرة فـهـذي بـنـو العباس دارت عـلـيـهـم الـدائـرات
إسـتـبيح الحريم إذ قتل الأحيـاء مـنـهـم وأحـرق الأمـوات

[٣٠] مرآة الجنان، ج ٤/ ١٣٣، ١٣٤.

[٣١] قال اليافعي عن السيل: ومجراه لاصق لقبّة حمزة بن عبد المطلب وقيل جبل عينين. ولقد شاهده وأقام عنده، وكشف عن عين قديمة قبل الوادي فجددها صاحب المدينة الشريفة الأمير ودي.انظر مرآة الجنان، ج ٤/ ١٣٤.

[٣٢] ربط كل من السبكي وابن كثير والسيوطي بين سقوط الخلافة العباسية في بغداد ويوم الساعة وهذه الكوارث الطبيعية. انظر السبكي، طبقات الشافعية، ج ٥/ ١١٢؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢/ ٤٥، ابن كثير، نهاية البداية والنهاية (فصل الفتن والملاحم)، ج ١/ ١٩.

ثم كثر الموت والفناء ببغداد وطوي بساط الخلافة منها من ذلك الزمان فلله الخلق والأمر.
ونظم بعضهم في هذه النار وغرق بغداد بيتين:

سبحان من أصبحت مشيئته   جارية في الوادي بمقدار
أغرق بغداد بالمياه كما   أحرق أرض الحجاز بالنار

قال أبو شامة: كان ينبغي أن ينبّه على أن الأمرين في سنة واحدة وإلا فالإغراق والإحراق يقعان كثيرا والأصوب أن يقال:

في سنة أغرق العراق وقد   أحرق أرض الحجاز بالنار

قال أبو شامة في الذي وقع في هذه السنة وما بعدها شعرا:

بعد ستتين من المئين والخمسين   لذي أربع جرى في هذا العام
نار أرض الحجاز مع حرق المسجد   مع غريق دار السلام
ثم أخذ التتار بغداد في أول   عام من بعد ذاك وعام
لم يبق أهلها وللكفر أعوان   عليهم يا ضيعة الإسلام
وانقضت دولة الخلافة منها   صار مستعصم بغير اعتصام
فحنانا على الحجاز ومصر   وسلاما على بلاد الشام
رب سلم وصن وعاف بقايا   المدن يا ذا الجلال والإكرام

قال السمهودي[٣٣]: ومما يناسب هذه النار ويضاهيها ما حكاه ابن جبير أنه رأى من أخبره إن في بحر رومية جزيرتين يخرج منهما النار دائمًا قال: وأبصرنا الدخان صاعدًا منها، ويظهر بالليل نار حمراء ذات ألسن تصعد في الجو، قال وأُعلمنا إن خروجهما من جبلين يصعد منهما نفس ناري شديد، وربما قذف فيها الحجر فتلقى به مسودًا إلى الهواء بقوة ذلك النفس، وتمنعه من الإنتهاء إلى القعر، قال: وأما الجبل الشامخ الذي بالجزيرة المعروف بجبل النار فشأنه أيضًا عجيب، وأن نارًا تخرج منه في بعض السنين كالسيل العرم، فلا تمر بشيء إلا أحرقته حتى تنتهي إلى البحر فتركب ثبجة طائرة على صفحته حتى تغوص فيه.

٣٣ وفاء الوفا، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ص ١٥٢، ذكر تيمور باشا في التذكرة التيمورية أخبار البركان، ص ٧٢، كذلك انظر المكتبة الصقلية لأماري.

الكتب الواردة من المدينة المنورة إلى بغداد

قال ابن الساعي[٣٤] في تاريخه سنة أربع وخمسين وستمائة في يوم الجمعة ثامن عشر رجب كنت جالسًا بين يدي الوزير فورد عليه كتاب من مدينة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم صحبة قاصد يعرف بقيماز العلوي الحسيني المدني فناوله الكتاب فقرأه وهو يتضمن أن مدينة الرسول صلّى اللّه عليه وسلم زلزلت يوم الثلاثاء ثاني جمادى الآخرة حتى ارتج القبر الشريف وتحركت السلاسل وظهرت نار على مسيرة أربع فراسخ من المدينة وكانت ترمي بزبد كأنه رءوس الجبال ودامت خمسة عشر يومًا، قال القاصد: وجئت ولم تنقطع بعد بل كانت على حالها. وسأله إلى أي الجهات ترمي؟ فقال: إلى جهة الشرق واجتزت عليها أنا ونجابة اليمن ورمينا فيها سعفة فلم تحرقها بل كانت تحرق الحجارة وتذيبها؛ وأخرج قيماز المذكور شيئًا من الصخر المحترق وهو كالفحم لونًا وخفة.

قال ابن الساعي: وذكر في الكتاب -وكان بخط قاضي المدينة - أنهم لما زلزلوا دخلوا الحرم وكشفوا رءوسهم واستغفروا، وإن نائب المدينة أعتق جميع مماليكه وخرج من جميع المظالم، ولم يزالوا مستغفرين حتى سكنت الزلزلة إلا أن النار التي ظهرت لم تنقطع وجاء القاصد المذكور ولها خمسة عشر يومًا وإلى الآن.

قال ابن الساعي: وقرأت بخط العدل محمود بن يوسف ابن الأمعاني شيخ حرم المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام يقول: إن هذه النار التي ظهرت بالحجاز آية عظيمة وإشارة صحيحة دالة على اقتراب الساعة فالسعيد من انتهز الفرصة قبل الموت؛ وهذه النار من أرض ذات حجر ولا شجر فيها ولا نبت، وهي تأكل بعضها بعضًا إن لم تجد ما تأكله وهي تحرق الحجارة وتذيبها حتى تعود كالطين المبلول، ثم يضربه الهواء حتى يعود كخبث الحديد الذي يخرج من الكير، فاللّه يجعلها عبرة للمسلمين ورحمة للعالمين بمحمد وآله الطاهرين.

[٣٤] هو علي بن أنجب البغدادي له «الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير» وهو كتاب مفقود إلا الجزء التاسع ويبدأ من ٥٩٥ إلى ٦٠٦ هـ، وحقّقه الأب أنستاس الكرملي وطبع ببغداد ١٩٣٤ م، والمنقول ورد عند ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣/ ١٩٢، ١٩٣.

الكتب الواردة من المدينة إلى دمشق

قال أبو شامة[٣٥]: وجاء إلى دمشق من المدينة على ساكنها السلام بخروج نار عندهم في خامس جمادى الآخرة؛ وكُتبت الكتب في خامس رجب والنار بحالها ووصلت الكتب إلينا في عاشر شعبان:

«بسم اللَّه الرحمن الرحيم: ورد إلى مدينة دمشق حرسها اللَّه تعالى في أوائل شعبان من سنة أربع وخمسين وستمائة كتب من مدينة رسول اللَّه صلّى اللّه عليه وسلم فيها شرح أمر عظيم حدث بها فيه تصديق لما في الصحيح من حديث أبي هريرة: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى. فأخبرني بعض من أثق به ممن شاهدها بالمدينة بلغه أنه كتب بتيماء على ضوئها الكتب؛ قال: وكنا في بيوتنا تلك الليالي وكأن في دار كل واحد منا سراجًا ولم يكن لها ضوء بقدر عظمها وإنما كانت آية من آيات اللَّه تعالى. وهذه صورة ما وقفت عليه من الكتب الواردة فيها:

«لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ظهر بالمدينة دوي عظيم ثم زلزلة عظيمة رجفت منها المدينة والحيطان والسقوف والأخشاب والأبواب ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكور ثم ظهرت نار عظيمة في الحرة قريبًا من قريظة نبصرها من دورنا بداخل المدينة كأنها عندنا؛ وهي نار عظيمة اشعالها أكثر من ثلاث منائر وقد سالت أودية منها بالنار إلى وادي شظا سيل الماء، وقد سدت مسيل شظا وما عاد يسيل نيرانًا، وقد سدت الحرة طريق الحاج العراقي فسارت إلى أن وصلت الحرة فوقفت بعد أن أشفقنا أن تجيء إلينا ورجعت تسير إلى الشرق ويخرج من وسطها مهود وجبال نيران تأكل الحجارة فيها أنموذج عما أخبر اللّه تعالى في كتابه العزيز ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَـٰلَاتٌ صُفْرٌ﴾[٣٦]؛ وقد كتبت هذا الكتاب يوم خامس رجب سنة أربع وخمسين وستمائة والنار في زيادة ما تتغير وقد عادت إلى الحرار في قريظة طريق عير الحاج العراقي إلى الحرة كلها نيران تشتعل نبصرها في الليل من المدينة كأنها مشاعيل الحاج وأمّا أم النار الكبيرة فهي جبال نيران حمر، والأم الكبيرة التي سالت النيران منها من عند قريظة، وقد زادت وما عاد الناس يدرون أي شيء يتم بعد ذلك، واللَّه يجعل العاقبة إلى خير وما أقدر أن أصف النار».

٣٥ الذيل على الروضتين، ج ١٩٠؛ وقد ورد أخطاء كثيرة في كتاب الذيل على الروضتين المطبوع والتصحيح من نقل ابن كثير عن أبي شامة في البداية والنهاية، ج ١٣/ ١٨٧، ١٩٣.

٣٦ سورة المرسلات: آية ٣٢، ٣٣.

وفي كتاب آخر

ظهرت في أول جمعة من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة في شرقي المدينة نار عظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم انفجرت من الأرض وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد، ثم وقفت وعادت إلى الساعة ولا ندري ماذا نفعل ووقت ما ظهرت دخل أهل المدينة إلى نبيهم عليه الصلاة والسلام مستغفرين تائبين إلى ربهم وهذه دلائل يوم القيامة.

وفي كتاب آخر

«لما كان يوم الإثنين مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة وقع صوت يشبه الرعد البعيد تارة وتارة أقام على هذه الحال يومين، فلما كان ليلة الأربعاء ثالث الشهر المذكور، تعقب الصوت الذي كنا نسمعه زلازل فتقيم على هذه الحالة ثلاثة أيام يقع في اليوم والليلة أربع عشرة زلزلة فلما كان يوم الجمعة خامس الشهر المذكور انبجست الحرة بنار عظيمة يكون قدرها مثل مسجد رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم وهي برأي العين من المدينة نشاهدها وهي ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالقَصْرِ﴾[37] كما قال اللّٰه تعالى وهي بموقع يقال له أحيليين وقد سال من هذه النار واد يكون مقداره أربع فراسخ وعرضه أربع أميال وعمقه قامة ونصف وهي تجري على وجه الأرض ويخرج منها أمهاد وجبال صغار ويسير على الأرض وهو صخر بذوب حتى يبقى مثل الآنك، فإذا خمد صار أسود وقبل الخمود لونه أحمر، وقد حصل بسبب هذه النار إقلاع عن المعاصي والتقرب إلى اللّٰه تعالى بالطاعات وخرج أمير المدينة عن مظالم كثيرة إلى أهلها.

ومن كتاب شمس الدين سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الحسيني قاضي المدينة إلى بعض أصحابه: «لمّا كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة حدث بالمدينة في الثلث الأخير من الليل زلزلة عظيمة أشفقنا منها وباتت باقي تلك الليلة تزلزل كل يوم وليلة عشر نوبات واللّٰه قد زلزلت مرّة ونحن في حجرة رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم اضطرب لها المنبر إلى أن أوجسنا منه صوتا للحديد الذي فيه واضطرب قناديل الحرم الشريف النبوي ودامت الزلزلة إلى يوم الجمعة ضحى ولها دوي مثل دوي الرعد القاصف ثم طلع يوم الجمعة في طريق الحرة في رأس أحيليين نار عظيمة مثل المدينة العظيمة وما باتت لنا إلا ليلة السبت وأشفقنا منها وخفنا خوفًا عظيمًا، وطلعت إلى الأمير وكلمته وقلت له: قد أحاط بنا العذاب، ارجع إلى اللّٰه، فأعتق كل مماليكه ورد على جماعة أموالهم فلمّا فعل هذا قلت له: اهبط الساعة معنا إلى النبي صلّى اللّٰه عليه وسلّم، فهبط وبتنا ليلة السبت والناس جميعهم والنسوان وأولادهم ولا بقى أحد لا في النخيل ولا

[37] سورة المرسلات: آية ٣٢.

في المدينة إلا عند النبي صلّى اللّه عليه وسلّم، وأشفقنا منها وظهر ضوؤها إلى أن أبصرت من مكة ومن الفلاة جميعها، ثم سال منها نهر من نار وأخذ في وادي أُحيْليين وسد الطريق ثم طلع إلى بحرة الحجاج وهو بحر نار يجري وفوقه جمر يسير إلى أن قطعت النار الوادي، وادي الشظاة وما عاد يجيء في الواد سيل قط لأنها حرة نحو قامتين وثلث علوها، وباللّه يا أخي إن عيشتنا اليوم مكدّرة والمدينة قد تاب جميع أهلها ولا بقى تسمع فيها ربّاب ولا دف ولا شرب، وتمت النار تسير إلى أن سدت بعض طريق الحاج وبعض بحرة الحاج وجاء في الوادي منها إلينا قتير وخفنا أنها تجيئنا، واجتمع الناس ودخلوا على النبي صلّى اللّه عليه وسلّم وباتوا عنده جميعهم ليلة الجمعة، وأما قتيرها الذي ما يلينا فقد طفئ بقدرة اللّه سبحانه وتعالى، وإنها إلى الساعة ما نقصت إلا ترمي مثل الجمال حجارة من نار ولها دوي ما يدعنا نرقد ولا نأكل ولا نشرب، وما أقدر أصف لك عظمها، ولا ما فيها من الأهوال، وأبصرها أهل ينبع وندبوا قاضيهم ابن أسعد وجاء وعَدَا إليها وما أصبح يقدر أن يصفها من عظمها وكتب الكتاب يوم خامس رجب وهي على حالها والناس منها خائفون، والشمس والقمر يوم طلعت ما تطلعان إلا كاسفين فنسأل اللّه العافية».

قال أبو شامة[٣٨]: وبان عندنا بدمشق أثر الكسوف من ضعف قدرها على الحيطان وكنا حيارى من ذلك إيش هو؟ إلي أن جاءنا الخبر عن هذه النار.

قال ابن كثير: وكان أبو شامة قد أرخ قبل مجيء الكتب بأمر هذه النار فقال: وفيها في ليلة الإثنين السادس عشر من جمادى الآخرة خسف القمر أول الليل وكان شديد الحمرة ثم إنجلى وكسفت الشمس وفي غده إحمرت وقت طلوعها وغروبها وبقيت كذلك أياما متغيرة اللون ضعيفة النور واللّه على كل شيء قدير ثم قال: واتضح بذلك ما صوره الشافعي من اجتماع الكسوف والعيد واستبعده أهل النجامة.

ثم قال أبو شامة: ومن كتاب آخر من بعض بني القاشاني بالمدينة يقول فيه: وصل إلينا في جمادى الآخرة نجابة من العراق وأخبروا عن بغداد إنه أصابها غرق عظيم حتى دخل الماء من أسوار بغداد إلى البلد وغرق كثير من البلد، ودخل الماء دار الخليفة وسط البلد، وانهدمت دار الوزير وثلاثمائة وثمانون دارًا وانهدم مخزن الخليفة، وهلك من خزانة السلاح شيء كثير بل تلف كله وأشرف الناس على الهلاك وعادت السفن تدخل إلى وسط البلد وتخترق أزقة بغداد. قال: وأما نحن فإنه جرى عندنا أمر عظيم لما كان بتاريخ ليلة الأربعاء الثالث من جمادى الآخرة ومن قبلها بيومين عاد الناس يسمعون صوتًا مثل الرعد ساعة بعد ساعة وما في السماء غيم حتى نقول إنه من يومين إلى ليلة الأربعاء ثم ظهر الصوت حتى سمعه الناس، وتزلزلت الأرض ورجفت بنا رجفة لها صوت كدوي الرعد فانزعج لها الناس كلهم وانتبهوا من مراقدهم وضجّ الناس بالإستغفار إلى اللّه تعالى وفزعوا إلى المسجد وصلوا فيه ودامت ترجف بالناس

٣٨ الذيل على الروضتين، ص ١٩٠؛ وقد ورد أخطاء كثيرة في كتاب الذيل على الروضتين المطبوع والتصحيح من نقل ابن كثير عن أبي شامة في البداية والنهاية، ج ١٣/ ١٨٧، ١٩٣.

ساعة بعد ساعة إلى الصبح وذلك اليوم كله يوم الأربعاء وليلة الخميس وليلة الجمعة، وصبح يوم الجمعة الخامس من الشهر ارتجت الأرض رجّة قوية إلى أن اضطربت منار المسجد بعضه ببعض وسمع لسقف المسجد صرير عظيم وأشفق الناس من ذنوبهم وسكنت الزلزلة بعد صبح يوم الجمعة إلى قبل الظهر ثم ظهرت عندنا بالحرة وراء قريظة على طريق السوارقية بالمقاعد مسيرة من الصبح إلى الظهر نار عظيمة تتفجر من الأرض فارتاع الناس لها روعة عظيمة ثم ظهر لها دخان عظيم في السماء فيعقد حتى يبقى كالسحاب الأبيض إلى قبل مغيب الشمس من يوم الجمعة ثم ظهرت لها ألسُن تصعد في الهواء إلى السماء حمراء كأنها العلقة وعظمت وفزع الناس إلى المسجد النبوي وإلى الحجرة الشريفة وأقروا بذنوبهم وابتهلوا إلى اللّٰه سبحانه وتعالى واستجاروا بنبيِّه عليه السلام، وخرج النساء من البيوت والصبيان، واجتمعوا كلهم فأخلصوا لله وغطى حمرة النار السماء كلها حتى بقى الناس في مثل ضوء القمر وبقيت السماء كالعلقة وأيقن الناس بالهلاك منها أو العذاب، وبات الناس تلك الليلة بين مصلٍ، وتالٍ للقرآن وراكعٍ وساجدٍ وداعٍ إلى اللّٰه ومستنصلٍ من ذنبه ومستغفرٍ وتائبٍ ولزمت النار مكانها، وتناقص تضاعفها ذلك ولَهيبها و وصعدَ الفقيه والقاضي إلى الأمير يعظونه فطرح المكس وأعتق مماليكه كلهم وعبيده، ورد علينا كل مالنا تحت يده وعلي غيرنا، وبقيت تلك النار على حالتها تلتهب إلتهابًا وهي كالجبل العظيم وكالمدينة العظيمة ارتفاعا وعرضا تخرج منها حصى يصعد في السماء ويهوي فيها ويخرج منها كالجبل العظيم نار ترمي كالرعد وبقيت كذلك أيامًا ثم سالت سيلانًا إلى وادي أحيليين تنحدر مع الوادي إلى الشظاة، حتى كادت تقارب حرة العريض ثم سكنت ووقفت أياما، ثم عادت النار تخرج وترمي بحجارة خلفها وأمامها حتى بنت لها جبلين خلفها وأمامها، وما بقى يخرج منها من بين الجبلين لسان لها أيامًا، ثم إنها عظمت الآن وسناها إلى الآن وهي تتقد كأعظم ما يكون، ولها كل يوم صوت عظيم من آخر الليل إلى ضحوة ولها عجائب ما أقدر أشرحها لك على الكمال وإنما هذا طرف منها كبير يكفي، والشمس والقمر كأنهما منكسفان إلى الآن؛ وكتبت هذا الكتاب ولها شهر وهي في مكانها ما تتقدم ولا تتأخر حتى قال بعضهم أبياتًا:

يا كاشف الضر صفحًا عن جرائمنا ... لقد أحاطت بنا يارب بأساء
نشكو إليك خطوبًا لا نطيق لها ... حملًا ونحن بها حقًا أحقاء
زلازلًا تخشع الصم الصلاب لها ... وكيف تقوى على الزلازل شماء
أقام سبعًا يرج الأرض ما تصدعت ... عن منظرمنه عين الشمس عشواء
بحر من النار تجري فوقه سفن ... من الهضاب لها في الأرض إرساء
ترمي لها شررًا كالقصر طائشة ... كأنها ديمة تنصب هطلاء
تنشق منها بيوت الصخر إن زمزمت ... رعبًا وترعد مثل السعف أضواء
منها تكاثف في الجو الدخان إلي ... أن عادت الشمس منه وهي دهماء
قد أثرت سعفة في البدر لفحتها ... فليلة التم بعد النور عمياء

تحدّث النيـــــران بسبــــع ألسنتها بما تـــــلاقى بــها تحت الثرى الماء
وقد أحـــاط لــــظاها بالبروج إلـــى أن صـــار يلفحها بـالأرض أهـــواء
فيالهـــا آيـــة من معـجزات رسول اللّه.م.يعقلـهـا القـــــــــوم الألبـــــــاء
فباسمك الأعظم المكنون إن عـظمت منا الذنوب وســـاء القلب أسـواء
فاسمح وهب وتفضل بالرضى كرمـــا وارحم فكل لفـــرط الجـهل خـــطاء
فقوم يونس لما آمنوا كشف العذاب.م.عـــنهم وعـــمّ القـــوم نعمـــــاء
ونحن أمّة هذا المصطفى ولـــــــنا مـــنه إلى عـــفوك المرجو دعـــــاء
هـذا الرسـول الذي لولاه ما سـلكت مــحجـة في سبيـل اللّه بيضـــــــــاء
فارحم وصلّ على المختـــار ما خطبت على علا مــنبر الأوراق ورقـــــــاء

ولقد نظموا في ذلك الأشعار من ذلك قول سيف الدّين عمر بن عليّ بن قزل ويعتبرها ابن الوردي من المدائح في النبيّ صلى اللّه عليه وسلم:

ألا سلما عني على خير مرســــــــــل ومـن فضـله كالسيـل ينحـط مـن عـــل
وأشرف من شــــــدت إليه رحـــالنا لتورد هـيم الشوق أعـذب منهـــل
تحـــــملت منا كل أشــعث أغـــبر فيا عجـــبا من رحلها المتحمــــــل
إلى ســـــيد جــاءت بعـــالي محله ومعـــجزة آيي الكتاب المـــــنزل
نـــبي هـــــدانا للهـــدى بأدلــــة فهـمنا معانيهـــا بحســـن التـــأول
محمد المـــبعوث والغـــي مـــظلم فأصبـح وجـه الـرشد مثل المحتـــجـل
وقـــولًا لـــــه: إني إليـك لشـيق عسى اللّه يـرني مـن محلك مـملي
فتخمـد أشــــــواقي وتسكن لـوعتي وأصبـح عن كل الغـــرام بمـــعزل
ولما نفى عني الـــكرى خبر التـــي أضـاءت بأحد ثم رضوى ويـزبـــل
ولاح سناها من جـــبال قـريظـــة لســكان تيما فاللـــوى العقنقـل
وأخبرت عـنها في زمانك مـــنذرا بيـــوم عبوس قمطريرمـــطول
فقلـــت كلامـــا لا يدين لقـــال سواك ولا يستـطيعه رب مـــقول
ستظهر نـــار بالحجاز مضيـــئة كأعناق عيس نحو بصرى لـــمخيل
فكانت كمـــا قلت حقا بلا مـــرى صدقت وكم كذبت كـــل مـــعطل
لها شرركالـــبرق لكن شهيـــقها كالـــرعد عند السامع المتـــأمل
وأصبح وجـه الشمس كالليل كامنا وبـدر الـدجى في ظلمة ليس تنجلي
وغابت نجوم الجـــو قبل غروبـــها وكدرها دوْر الــــدخان المسلســـل

وهبت سموم كالحـــــميم فأذبــلت　　من الباسقات الشم كل مــــــذلــل
وأبـــدت من الآيـات كل عجــيبة　　وزلــزلت الأرضــون أي تـــزلزل
وأيقن كــــل الناس أن عذابــهم　　تعجل في الدنـيا بخير تــــمهـل
وأعـــــولت الأطفال مع أمهـــاتها　　فيا نفس جـودي يـا مدامعي اهــملي
جزعــت فقام الناس حولي وأقبلوا　　يـقـولون لا تهلك أسى وتجــــمـل
لعل إله الخلـق يرحم ضـــــعفهم　　وما أظهروه من عظيم التــــذلـل
وتــاب الـورى واستغفروا لذنوبهم　　ولاذوا بمنوال الكـريم المبـــجـل
شفعت لـهم عند الإله فأصــبحوا　　من النار في أمر وبـــــر مـــعقل
أغاثهم الـرحمن منك بنفحــــــة　　ألذ وأشـــــهى من جنى ومعســـل
طفئ الـنـار نـور مـن ضريحك ساطع　　فعادت سلامــا لا تضــــر بمـصطـلي
وعـاش رجـاء الناس بعـــد ممـاتهم　　فيالك من يوم أغـــــر مجـــــمل
فيا راحــلا عن طيبة إن طيبـــــة　　هي الغاية القـــصوى لكل مؤمـــل
قفا نبك ذكراها فإن الـذي بـــــها　　أجل حــــبيب وهي أشرف مـــنزل
دخلت إليها محــرمًا ومــــــلبيًا　　وأضربت عن سقط الدخول فحــومل
مواقف أما تـــربها فهي عنبــــر　　وأما كلأها فهو نبـــت القرنــــفل
يفوح شذاها ثم يعـقب نشـــــرها　　ما راوحتها من جنـــوب وشمــــال
فيا خير مبعوث وأكـــرم شافـــــع　　وأنجح مـــأمول وأفضل مــــــوئل
عليك سلام اللّه بعد صــــــلاته　　كما شفع المســـك العبيق بمــــنزل

٦٥٧ هـ/ ١٢٥٨ م

قال المقريزي[٣٩]: فيها حصلت بالديار المصرية زلازل عظيمةً جدًا وتسامع الناس بمجيء الططر لمقصد الشام فانزعجوا بسبب ذلك.

٣٩ السلوك، ج ١/ ٢/ ٤٢٠؛ وورد أيضًا عند ابن بهادر المؤمني، فتوح النصر، مخطوط بدار الكتب المصرية، ج ١/ ٩٠، العيني، عقد الجمان (مخطوط) ق ٣/ج ٢٠؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢/ ٢٩٥.

٦٥٨ هـ/ ١٢٥٩ م

قال المقريزي[٤٠]: ثار الأمير بدر الدين محمد بن قرمجاه والي قلعة دمشق هو والأمير جمال الدين بن الصيرفي وأغلقا أبوابها فحضر كتبغا بمن معه من عساكر التتار وحصروا القلعة في ليلة السادس من ربيع الآخر، فبعث اللّه مطرًا وبردًا مع ريحٍ شديدةٍ ورعودٍ وبرقٍ وزلزلةٍ سقط فيها عدة أماكن وبات الناس بين خوف أرضي وخوف سمائي فلم ينالوا من القلعة شيئًا.

٦٥٩ هـ/ ١٢٦٠ م

قال الخزرجي[٤١] : وقعت الزلزلة في صنعاء يوم الرابع من ذي الحجة ولم تخرب شيئًا ثم وقعت زلزلة أخرى بالمغرب أخربت جبالًا وهدّمت مواضع كثيرة وكان في الثاني والعشرين من ذي الحجة أيضًا.

٦٦٠ هـ/ ١٢٦١ م

قال القلقشندي[٤٢]: وقع بالديار المصرية بمصر والقاهرة والوجهين القبلي والبحري والبلاد الشامية: دمشق وصفد والكرك والشوبك وغيرها وسواد العراق زلزلة شديدة تساقطت منها الأبنية وتشققت الجبال وتقطعت الصخور وتفجرت الأرض عيونًا وخرج الناس من مساكنهم هاربين إلى الصحارى وظهر أثرها في النيل والبحر المالح وطما[٤٣] البحر بسببها حتى أغرق قماش القصّارين وتكسرت القوارب والسفن وتهدّمت جانب عظيم من منار الإسكندرية.

٦٦١ هـ/ ١٢٦٢ م

قال السيوطي[٤٤]: زلزلت الموصل زلزلة عظيمة بحيث تهدّمت أكثر دورها.

٤٠ السلوك، ج ١/ ٢/ ٤٢٦.

٤١ العقود اللؤلؤية، ج ١/ ١٢٨.

٤٢ مآثر الإنافة، ج ٢/ ١١٤، ١١٥. Cf. aussi V. Grümel, *La chronologie*, p. 481.

٤٣ ممكن قراءتها «طَمَّ».

٤٤ كشف الصلصلة، ص ٥٠.

٦٦٢ هـ/ ١٢٦٣ م

قال المقريزي[٤٥]: عاودت مصر بالشدّة عينها في العشرين من ربيع الآخر كانت زلزلة عظيمة هدمت عدة أماكن.

٦٦٣ هـ/ ١٢٦٤ م

قال ابن القاسم[٤٦]: فيها حصلت رجفة بصنعاء اليمن وزلزلت الأرض

٦٦٧ هـ/ ١٢٦٩ م

قال أبو الفرج الملطي[٤٧]: ورد أن في السنة ١٥٨٤ لليونان ١٢٧٣ م حدثت زلزلة هائلة في قلقيليّة في الساعة الأولى من ليلة الأربعاء وأخربت قلعة سرونر وقلعة عماوس وقلعة الحجر الأصفر ودير بالوط الملك وهو أكبر أديرة الأرمن؛ وهلك في تلك الزلزلة زهاء ثمانية آلاف نسمة.

وقال العيني[٤٨]: وردت الأخبار بأن زلزلة حدثت في بلاد سيس وأخربت قلاعها مثل سرفند كار وحجر شعلان وقتلت جماعة.

٦٦٨ هـ/ ١٢٦٩ م

قال ابن الفاسي المكي[٤٩]: وجدت بخط الميورقي وقعت زلزلة على نحو ثلث الليل بالطائف غرة ربيع الأول سنة خامس قحط الحجاز سنة ثمان وستين وستمائة.

٤٥ السلوك، ج ١/ ٢/ ٥٠٨.
٤٦ انباء الزمن، ج ٢/ ٣٦٦.
٤٧ تاريخ الدول السرياني للأب إسحق أرملة السرياني، مجلة المشرق، السنة الخمسون، ج ٢، آذار – نيسان ١٩٥٦م.
Cf. aussi V. Grümel, *La chronologie*, p. 481.
٤٨ عقد الجمان، مخطوط بدار الكتب المصرية، ج ٣/ ٢٠/ ٥٥٣ حققه د. م. أمين، ط. بالهيئة العامة للكتاب ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م، ج ٢، ص ٤٩ وانظر أيضًا محيي الدين ابن عبد الظاهر، الروض الظاهر تحقيق د. عبد العزبز الخويطر، الرياض ١٩٧٦ م، ص ٣٥٠.
٤٩ شفاء الغرام، ج ٢/ ٣٦٣.

٦٧١ هـ/ ١٢٧٣ م

قال أبو الفرج الملطي[٥٠]: في السنة ٤٨٥١ لليونان ٣٧٢١ م، حدثت زلزلة مريعة في مدن أذربيجان ولاسيما في تبريز ليلة الأربعاء ٨١ كانون الثاني، وقوّضت الدور والمساجد وقمم الأبراج، وقد صان اللّه تعالى كنيستنا، وظلّت الصلوات تقام فيها بحضور اليونان والأرمن والنساطرة والسريان أما سائر الأهالي العرب فقد غادر ربوات منهم المدينة ونصبوا الخيام في الخياش وأقاموا هناك نحو شهرين ثم عادوا إلى بيوتهم ومات في الزلزلة زهاء مائتين وخمسين نسمة من العرب.

٦٧٤ هـ/ ١٢٧٥ م

قال اليونيني[٥١]: وفي هذه السنة كان بخلاط زلزلة عظيمة أخربت الدور والخانات والأسواق، ومات الناس تحت الردم، لم ينج من أهلها إلا النفر القليل، واتصل بأرجيس فأخربتها، وخسفت فيها مواضع ووصلت إلى ديار بكر فشعثت ميافارقين وماردين.

٦٨٠ هـ/ ١٢٨١ م

قال ابن عبد الظاهر[٥٢]: وفي هذه السنة تواترت الأخبار بموت آبغا بن هلاون وذلك لما ناله عقيب كسرة منكوتمر من رعب وخوف ولما شاهده من هول بقتل عساكره وأكابر المغل وبينما هو في هذا الحال إذ بلغه أن خزائنه وخزائن أبيه كانت في برج من قلعة على البحر وأن ذلك البرج خسف اللّه به وغارت الأرض بجميع ما فيه ولم يسلم إلا قطع من البرج.

٥٠ تاريخ (المشار إليه سابقًا)، ص ١٤٩.

٥١ هو الشيخ قطب الدين موسى بن محمد اليونيني المتوفى سنة ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٦ م، ذيل مرآة الزمان من وقائع سنة ٦٧١ هـ، إلى سنة ٦٧٧ هـ، وصُحح عن نص النسختين القديمتين في أكسفورد وإستانبول بعناية وزاررة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ٤ج، ط. الأولى، ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠ م، حيدر آباد، الهند، ج ٣/ ١٢٣.
Cf. aussi V. Grümel, *La chronologie*, p. 481.

٥٢ تشريف الأيام والعصور، ص ٣.
Cf. aussi V. Grümel, *La chronologie*, p. 481.

٦٨٣ هـ/ ١٢٨٤ م

قال الذهبي[٥٣]: في شعبان كانت الزيادة الهائلة بدمشق بالليل وكان عسكر مصر نزالًا بالوادي، فذهب لهم ما لا يوصف وخربت البيوت وانطمت الأنهار. وعلق على ذلك اليافعي[٥٤]: وما يظهر لي معنى صحيح ولعله الزلزلة والله أعلم.

٦٨٦ هـ/ ١٢٨٧ م

قال ابن عبد الظاهر[٥٥] في ذكر فتوح برج اللاذقية: وهذا البرج شمم في أنف تلك الجهات وآفة عليها من أكبر الآفات طالما أصبح وأمسى حسرة في قلب المسلمين، وذخيرة لأعداء الدين وذلك أنه في وسط البحر لا تسلك إليه طريق من بر ولا ينقب له سور، كيف وخندقه البحر؟ وكان يتحصل له للفرنج مال كثير من ميناء اللاذقية التي هي مثل ميناء الإسكندرية، فقدر الله أن زلازل في شهر المحرم من هذ السنة كثرت، وفي الحصون أثرت، فمنها ما أثر في أسوار صفد المحروسة وتدارك مولانا السلطان تلافيها وإصلاح ما تهدم فيها وذلك في نصف المحرم، ومن ذلك ما حصل في قلعة حمص في حادي عشرين المحرم من هدم أسوارها وما كاد يأتي على محو آثارها وتدارك ذلك بالعمل والإتقان حتى كأن الهدم ما كان.

ولما كان ليلة السبت خامس صفر جاءت زلزلة عظيمة في جهة اللاذقية هدمت أكثر برجها الذي في وسط البحر لأمر يريده الله للمسلمين من الخير، وهذا البرج كان مالك عصمتها وروح حرمتها، فهدمت الزلزلة منه ربعه، وهدمت برج الحمام ومكان القنديل الذي يستضاء به منها ويستدل به في البحر وكانت زلزلة عظيمة شديدة، وكان ذلك من الأسباب التي سهلت فتحه ومردت صرحه.

فلما فرغ الأمير حسام الدين طرنطاي مقدم العساكر من صهيون وانتظمت في جيد المماليك السلطانية عقودها وضفت برودها، عدل إلى جهة اللاذقية، وأحضر إليها المجانيق التي لا تبرح تنطق بالنصر ألسنتها وتشير بالظفر أصابعها ونصبها في أمكنة لا يثبت بها قدم المار، ومد عليها جسرًا من الحجار، وأخذت النقوب من جهة الأمكنة التي هدمتها الزلزلة وكشفتها من جهة البحر غير مهملة ولا ممهلة، فعند ذلك سقط في أيديهم، ورأوا أنهم يضلون إن استمروا في تماديهم وتحققوا أن سلطانًا بالملائكة يقاتل ومن جملة

[٥٣] العبر، ج ٥/ ٣٤٢، وورد ذلك أيضًا عند العيني، عقد الجمان، القسم الرابع، الجزء العشرين من مخطوط دار الكتب المصرية.

[٥٤] مرآة الجنان، ج ٤/ ١٩٨.

[٥٥] تشريف الأيام، ص ١٥١، ١٥٢.

أعوانه الزلازل، وأن حمامهم ما بقى يطير وقبسهم ما بقى ينير فسلّموا وطلعت سناجق مولانا السلطان عليها في يوم الأحد الخامس من شهر ربيع الأول فأمنوا علي الخروج بنفوسهم وأموالهم وأنهم يتركون ما به من عدد وسلاح، وتسلم وقت الظهر من اليوم المذكور ورمي الصليب من أعلاه عند قول المؤذن «اللّه أكبر» وتوجه كل من أهله إلى جهة.

وورد عند المقريزي[٥٦]: في يوم الخميس رابع عشر صفر حصل وقت العصر بناحية الغسولة من معاملة مدينة حمص أمر غريب وهو أن سحابة سوداء أرعدت رعدًا شديدًا وخرج منها دخان أسود اتصل بالأرض على هيئة ثعبان في ثخن العمود الكبير الذي لا يحضنه إلا عدة من الرجال، رأسه في عنان السماء وذنبه يلعب في الأرض شبه الزوبعة الهائلة، وصار يحمل الأحجار الكبار ويرفعها في السماء مثل رمية سهم وأزيد، فتقع على الأرض وتصدم بعضها بعض، فيسمع لها أصوات مرعبة وتبلغ من هو عنها بعيد، واتصل ذلك بأطراف العسكر المجرد بحمص وعليه الأمير بدر الدين بكتوت العلائي وهم زيادة على ألفي فارس فما مر على شيء إلا رفعه في الهواء كرمية سهم وأكثر.

٦٩٢ هـ/ ١٢٩٢ م

قال ابن الفرات[٥٧]: وفي صفر الشهر المذكور حصل ببلاد غزة والرملة ولدّ والكرك زلزلة عظيمة كان معظمها بالكرك فإنها هدمت ثلاثة أبراج من قلعتها وورد كتاب الغرس بن شاور والي الرملة أنهى فيها وقوع الأمطار وتوالي الأشتية في الليل والنهار وهدمت أماكن كثيرة من البيوت والعقود في الرملة وقطع السيل جسورها وخرب طواحين العوجاء[٥٨] وكسر حجارتها وآلاتها ووجد على السيول أحد عشر أسدًا موتى قد غرقوا بالسيل وجاءت عقيب هذه السيول زلزلة عظيمة اشتد أمرها في البلاد الساحلية وهدمت أماكن كثيرة وانشقت منارة جامع الرملة وسقطت وكتب إليه بأن يعمل لها تقدير فندب الأمير علاء الدين أيدغدي الشجاعي من دمشق وصحبته الصناع لعمارة ما انهدم بالكرك.

وقال المقريزي[٥٩]: فلما ورد الخبر بذلك خرج الأمير أيدغدي الشجاعي لعمارة ما تهدم بمرسوم شريف.

[٥٦] السلوك، ج ١/ ٣/ ٧٣١؛ ابن الفرات، ج ٨/ ٣٩.

[٥٧] تاريخ ابن الفرات، ج ٨/ ١٥٤.

[٥٨] إسم لنهر بين أرسوف والرملة بفلسطين واسمه أيضًا نهر أبي فطرس وعلى ضفافه موضع الطواحين المشار إليها، انظر ياقوت، معجم البلدان، ج ٣/ ٧٤٤، ج ٤/ ٨٣١، ٨٣٢.

[٥٩] السلوك، ج ١/ ٣/ ٧٨٣.

وقال ابن كثير[٦٠]: وورد في تاريخ ظهير الدين الكازروني بأنه ظهرت نار بأرض المدينة النبوية في هذه السنة ٦٩٢ هـ نظير ما كان في سنة أربع وخمسين وستمائة على صفتها إلا أن هذه النار كان يعلو لهيبها كثيرًا وكانت تحرق الصخر ولا تحرق السعف.

٦٩٣ هـ/ ١٢٩٣ م

قال السيوطي[٦١] عن ابن المتوج[٦٢]: كانت زلزلة أثرت في سائر إقليم مصر حتى أن بعض عُمد جامع عمرو انفصل بعضه عن بعض وكان أخف مما حدث في جامع القاهرة.

٧٠٠ هـ/ ١٣٠٠ م

قال شيخ الربوة الدمشقي[٦٣]: نزل جبل عال شامخ في بيت المقدس بقرب من عين فروح التي على الطريق فبقدر ما كان مرتفعا تواطأ في الأرض وهو إلى الآن.

٧٠٢ هـ/ ١٣٠٢ م

قال النويري[٦٤]: وفي يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة إثنتين وسبعمائة عند طلوع الشمس حدثت زلزلة عظيمة بالقاهرة ومصر وأعمال الديار المصرية كلها ودمشق والشام أجمع والسواحل والجبال الشامية وكان معظمها بالديار المصرية فهدمت منائر كثيرة منها: منائر الجامع الحاكمي وشعثته، وهدمت بعض جدرانه، وتشققت مئذنة المدرسة المنصورية على عظمها، واتقان بنائها، حتى دعت الضرورة إلى هدمها وإعادتها، وهدمت منارة الجامع المظفري بالقاهرة، ومنارة الجامع الصالحي وغير

٦٠ البداية والنهاية، ج ١٣/ ٣٣٢.

٦١ كشف الصلصلة، ص ٥٠.

٦٢ هو محمد بن عبد الوهاب ابن المتوج (٦٣٩ هـ - ٧٣٠ هـ/ ١٢٤١-١٣٣٩ م) وله «ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل»، انظر الزركلي، الأعلام، ج ٧/ ١٣٦.

٦٣ نخبة الدهر، ص ٨٤.

٦٤ نهاية الأرب، مخطوط بدار الكتب المصرية، ٣٠/ ١/ ٦٣، ٦٤، وانظرفي المطبوع ج ٣٢، تحقيق فهيم شلتوت مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م، ج ٣٢، ط. ٢، ص ٥٨، ٥٩، ٦٠.
Cf. aussi V. Grümel, *La chronologie*, p. 481.

ذلك، وشعثت جدر جامع عمرو بن العاص بمصر، وانهدم بسببها كثير من العمائر وأقامت مقدار مضي خمس درج وكانت مزعجة.

وقال النويري[٦٥]: وأثّرت بالإسكندرية أثرًا عظيمًا هدمت أكثر المنارة وبعض الأسوار وجزر[٦٦] البحر المالح حال الزلزلة وانطرد عن مكانه ثم مدّ حتى دخل الدار الصناعة ووصل إلى الأسوار[٦٧] وغرق جماعة كثيرة عند مدّه وعوده وعدم قماش التجار الذي كان عند القصارين بجملته.وقال النويري[٦٨]: وأثرت هذه الزلزلة في صفد أثرًا عظيمًا وسقط جانب من قلعتها وانطرد البحر بعكّا حتى انكشف ما بين عكّا وبرج الذُبَّان[٦٩] الذي في البحر ومسافته بعيدة وظهر لبعض من كان بساحلها أشياء مما ألقاه أهل عكّا في البحر لما حاصرها المسلمون فتبادر من كان هناك بالنزول لأخذ ما ظهر لهم فجاء الماء أمثال الجبال فغرقوا ووصل في مدة إلى قرب تل الفضول، وخربت دمنهور الوحش - وهذه مدينة من أعمال البحيرة - خرابًا شنيعًا؛ وأبيار[٧٠]، وغير ذلك من البلاد ولعظم هذه الزلزلة بالديار المصرية أرخ كثير من العوام بها فهم يذكرونها إلى وقتنا هذا.

وقال النويري[٧١]: ولما أثرت هذه الزلزلة بالجوامع ما أفسدت، اهتم الأمراء بالديار المصرية بها، فعمر الأمير سيف الدين سلار نائب السلطنة ما تشعث بجامع عمرو بن العاص بمصر وعمر ركن الدين بيبرس الجاشنكيراستاذ الدار جامع الحاكم بالقاهرة وجدد موادنه وسقوفه وبيّضه وملّطه وأصلحه إصلاحًا جيدًا حتى عاد أحسن مما كان، ووقف عليه أوقافًا متوفرة، ورتب فيه من الدروس ووجوه البر والخيرما نذكره إن شاء اللّٰه تعالى في سنة ثلاث وسبع مائة.

وأعيدت المئذنة المنصورية من مال الوقف لتصرفه وصرف في عمارتها في نصفها الذي هدم وهو من سطح القبة إلى انتهائها صاعدًا[٧٢] ما يقارب تسعين ألف درهم خارجًا عما استعمل من أحجارها

[٦٥] نهاية الأرب، مخطوط دار الكتب المصرية، ج ٣٠/ ١/ ٦٤، وانظرفي المطبوع تحقيق فهيم شلتوت، ج ٣٢ ط. ٢، ص ٥٩، ٦٠.

[٦٦] ظاهرة المد والجزر.

[٦٧] في نهاية الأرب المطبوع والمشار إليه، «هدمت أكثر المنارات وبعض الأسواق».

[٦٨] نهاية الأرب، مشار إليه.

[٦٩] انظر النويري، برج الذبان: برج في وسط البحر مبني على الصخر على جانبي مينا، يحرص به ومتى عبره الراكب أمن غائلة العدو (ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص ٢١٧) حاشية (١) بنهاية الأرب المطبوع، ج ٣٢/ ٦٠.

[٧٠] هي بلدة من محافظة الغربية، وتقع على بحر سيف شرقي كفر الزيات، انظر علي مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٨/ ٢٨؛ محمد رمزي، القاموس الجغرافي، ج ٢ / ٢/ ٢١٩.

[٧١] نهاية الأرب «مخطوط»، ج ٣٠/ ١/ ٦٥، ٦٦، وفي المطبوع ص ٦٠، ٦١.

[٧٢] في المطبوع «ماعدا».

المنقوضة منها وعن تفاوت أجر الأسرى وما حمل على ذوات مرمات الوقف، وندب لعمارتها الأمير سيف الدين كهرداش الناصري وعادت أحسن ما كانت، وعمر ما تشعث من الجامع الأمير شمس الدين سنقر الأعسر.

وعمر الجامع الصالحي الذي هو خارج باب زويلة والجامع الظافري من الأبواب السلطانية وعمرت سائر الأماكن والمساجد التي تهدمت بالقاهرة ومصر حتى عادت أحسن مما كانت والحمد لله تعالى.

عن صاحب النزهة[٧٣] نقل العيني[٧٤] ونقل كذلك المقريزي[٧٥] لكن بدون أن يذكر مصدره الآتي: وفيها كانت الزلزلة العظيمة وذلك أنه حصل بالقاهرة في مدة نصب القلاع والزينة من الفساد في الحريم وشرب الخمور ما لا يمكن وصفه من خامس شهر رمضان إلى أن قلعت في أواخر شوال، فلما كان يوم الخميس ثالث عشري ذي الحجة عند صلاة الصبح اهتزت الأرض كلها، وسمع للحيطان قعقعة وللسقوف أصوات شديدة، وصار الماشي يميل والراكب يسقط حتى تخيل الناس أن السماء انطبقت على الأرض، فخرجوا في الطرقات رجالًا ونساءً، وقد أعجلهم الخوف والفزع عن ستر النساء وجوههن، واشتد الصراخ وعظم الضجيج والعويل، وتساقطت الدور وتشققت الجدران، وانهدمت مآذن الجوامع والمدارس، ووضع كثير من النساء الحوامل ما في بطونهن، وخرجت رياح عاصفة، ففاض ماء النيل حتى ألقى المراكب التي كانت بالشاطئ قدر رمية سهم وعاد الماء عنها فصارت على اليبس وتقطعت مراسيها، واقتلع الريح المراكب السائرة في وسط الماء وقذفها إلى الشاطئ. وفُقد للناس من الأموال شيء كثير فإنهم لما خرجوا من دورهم فزعين تركوها من غير أن يعوا على شيء مما فيها، فدخلها أهل الذعارة وأخذوا ما أحبوا وصار الناس إلى خارج القاهرة ومصر وبات أكثرهم خارج باب البحر، ونصبوا الخيم من بولاق إلى الروضة، ولم تكد دار بالقاهرة تسْلم من الهدم أو تشعُّثٍ بعضها، وسقطت الزَرُوْب[٧٦] التي بأعلى الدور، ولم تبق دار إلا وعلى بابها التراب والطوب ونحوه. وبات الناس ليلة الجمعة بالجوامع والمساجد، يدعون اللّه إلى وقت صلاة الجمعة[٧٧].

٧٣ هو موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي ت. ٧٥٩ هـ/ ١٣٥٨ م، وله «نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر»، تحقيق د. أحمد حطيط نشر عالم الكتب، بيروت ١٩٨٤ م.

٧٤ بدر الدين محمود العيني، ت. ٨٥٥ هـ/ ١٤٥١ م، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، عصر سلاطين المماليك ٦٩٩ هـ-٧٠٧ هـ/ ١٢٩٩ م-١٣٠٧ م، تحقيق د. محمد أمين، ج ٤/ ٢٦٠-٢٦٦ وورد ذكر ما نقله عن الزلزلة من «صاحب النزهة»، ص ١٦٢.

٧٥ السلوك (تحقيق د. زيادة) ج ١/ ٣/ ٩٤٢-٩٤٥.

٧٦ الزروب جمع زرب، ومعناه هنا ميازيب الماء في أرضية الأسطح لإزالة مياه الأمطار، انظر المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص ٥٩، انظر محيط المحيط.

٧٧ *Zetteerstéen*: *Beiträge*, p. 120 *et seq.*، يوجد وصف شاهد عيان لحوادث هذا الزلزال. انظر مجهول، «حوليات في التاريخ المملوكي»، تحقيق زترستين، ليدن ١٩١٩، ص ١٢٠.

وتواترت الأخبار من الغربية بسقوط جميع دور مدينة سخا، حتى لم يبق بها جدار قائم وصارت كومًا، وأن ضيعتين بالشرقية خربتا حتى صارتا كومًا.

وقدم الخبر من الإسكندرية بأن المنار انشق وسقط من أعلاه نحو الأربعين شرفة، وأن البحر هاج وألقى الريح العاصف موجه حتى وصل باب البحر وصعد بالمراكب الإفرنجية على البر، وسقط جانب من السور، وهلك خلق كثير.

وقال ابن العمري[٧٨]: وكان تأثيرها بالإسكندرية أعظم من غيرها وذهب تحت الردم بها عدد كبير وطلع البحر إلى نصف البلد وأخذ الجمال والرجال وغرقت المراكب.

ونقل العيني[٧٩] عن بيبرس[٨٠] في تاريخه: وفيها في يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجة؛ حدثت زلزلة عظيمة بكرة النهار بالقاهرة ومصر وسائر الديار المصرية، وخاصة في ثغر الإسكندرية، وكانت عظيمة حتى أن الجدر تساقطت، والجبال تشققت، والمباني تهدمت، والصخور تقطعت، والمياه من خلال الأرضين تفجرت، ومادت الأرض بمن عليها، وماجت المساكن بساكنيها، وتشعثت الأسوار والأركان، وثار الصراخ بكل مكان، وخرجت النساء حاسرات إلى الطرقات، وظن الناس أنها إماتة الأحياء وقيامة الأموات، وابتهلوا إلى رب السموات لِما عراهم من المخافات، فأدركتهم رأفته، وأنقذتهم رحمته بأن سكن زلزالها، وخفت أهوالها، ولو دامت ثلث ساعة من النهار لم يبق على الأرض دار ولا ثبت بها جدار، فكان تقصير مسافتها وتخفيف آفتها لطفًا من اللّٰه بعباده، ومنة على ساكني بلاده، وأثرت في البحرين العذب والأجاج، وأثارت الأمواج، وارتج كل منها غاية الإرتجاج، وكان تأثيرها قويًا جدًا بالإسكندرية والنواحي الغربية، وهدمت بالثغر أكثر الأبراج والأسوار، ورمت جانبًا وافرًا من المنار وفاض البحر وطمى، وتغطمط الماء وأغرق قماش القصارين، وكسر قوارب البحارين، وقطع مراسي المراكب الفرنجية وطرح أكثرها إلى الأسوار والشعاب.

ولما عاين أهل الثغر هيجان البحار، وانهدام المنار، وتساقط المآذن والأسوار وتناثر الأحجار من الجدران، وتداعي الأركان المشيدة البنيان، بادروا مسرعين وخرجوا من باب السدرة هاربين، ولما سكن اللّٰه حركتها، وأذهب رجفتها تراجعوا إلى أماكنهم، وعادوا إلى مساكنهم.

[٧٨] مسالك الأبصار، مخطوط بدار الكتب المصرية، ج ١٦/ ٣.

[٧٩] عقد الجمان المشار إليه سابقا، ج ٤/ ٢٦٠-٢٦٦.

[٨٠] الأمير ركن الدين بيبرس الداوادار بن عبد اللّٰه المنصوري ت. ٧٢٥ هـ/ ١٣٢٤ م، ويقول د. محمد أمين محقق عقد الجمان للعيني إنه لم يجد النص في مخطوط «زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة»، ج ٩، مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة، رقم ٢٤٠٢٨، وذلك لأن ذرقاته ناقصه وإنه وجده في «التحفة الملوكية في الدولة التركية» للمؤلف نفسه وسوف يرد نصه لاحقًا. وقد أورده محقق زبدة الفكرة دونالد س. ريتشاردز Donald S. Richards المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت ١٤١٩ هـ-١٩٩٨ م، ص ٣٧٨، ٣٧٩ وينقل المحقق النص عن العيني في تاريخه «عقد الجمان».

وتواترت الأخبار، فإن الزلزلة المذكورة كانت قوية الأثر في البلاد الغربية والجزائر البحرية، وجهات الفرنجية، وأنها أيضًا حدثت في تلك الساعة وذلك النهار ببلاد الكرك الشوبك والسواد وتلك الأقطار.

وحكي أن شخصًا من الباعة يبيع اللبن في بعض الحوانيت بالقاهرة سقط في الزلزلة حانوته عليه، وظنه الناس قد مات وأقام ثلاثة أيام ولياليها تحت الردم، ثم نظف التراب ووجد الرجل سالمًا وأخرج حيًا سويًا، لأنه تشبكت عليه الأخشاب، وحملت عنه الطوب والتراب، وسلمت له من حانوته جرة لبن، فكان يقتات منها إلى أن نظف عنه الردم.

ثم جاءت الأخبار من إقليم الغربية أن بعض بلادها وهي تعرف بسخا هدم جميعه حتى لم يبق منه حائط، فصار كومًا، وكذا جرى على قريتين أخريتين وكذا وقع بإقليم الشرقية. ثم شرع الأمراء والسلطان في افتقاد الأعمال الضرورية التي لا بد منها ومن إصلاحها.

وقد أفلح الأمير سيف الدين سلار نائب السلطنة في عمارة ما هدم من الجامع العمري بمصر، وأصرف عليه مالًا جزيلًا.

وتصدى الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير لعمارة جامع الحاكم بأمر اللّه، وقد كان هدم منه حائط كبير ووقعت مأذنته، ولما نزل ومعه المهندسون والمباشرون قال لهم: اجعلوا بالكم في هدم ما يستحق الهدم، فإني سمعت أن في ركن من أركان هذه المأذنة ذهبًا كثيرًا ادخره الحاكم بأمراللّه، وربما أحاط بحكمته أن يعرض على هذا الجامع عارض من أمر اللّه يكون ذلك الذهب برسمه وعمارته، فإنه كان رجلا حكيما، ثم إنه عمّره كما ينبغي وزاد فيه زيادة واسعة للمصلين، وجدّد المأذنة وعمّر فيها زيادة، وأوقف عليه أوقافًا حسنة، ووضع فيه مدرسًا وحديثًا وصدقة، ومؤذنين، وقرّاء، وفقهاء، ورتب لهم الرواتب والصدقات، وأوقف وقفًا[٨١] يكفي ذلك كله، وعند هدم المأذنة وجدوا في ركن منها كفًا بزنده ملفوفًا في قطن، وعليه أسطر مكتوبة لم يعلم أحد ما هي، والكف طرية، وعجزوا عن قراءة الكتابة. انتهى ما نقله العيني من بيبرس الدوادار.

وتصدى الأمير سيف الدين سلار لعمارة الجامع الأزهر واصلاحه، واصلاح مأذنته، واصلاح الواجهة التي وقعت، وجدد فيه جميع أماكنه، وبلّطه وبيّضه وأنفق عليه نفقات كثيرة، وكان للأمير شمس الدين سنقر الأعسر مشاركة له في الجامع الأزهر.

وعمر جامع الصالح الذي خارج باب الزويلة من مال بيت المال، وكان الأمير علم الدين سنجر مُشده، وأرصدوا لعمارة مأذنة المنصورية الأمير سيف الدين كهُرواس الزرّاق، وأصرف عليها من مال الوقف، ورُسم للأمير ركن الدين بيبرس بالسفر لثغر إسكندرية ليكشف ما هدم من المنار وغيره، وأن

[٨١] قال د. محمد أمين: انظر وثائق وقف السلطان بيبرس الجاشنكير، فهرست وثائق القاهرة نشر المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٨١، ص ٨-٩ مسلسل ٢٥، ٢٦.

يرمم جميع ما يحتاج إلى الترميم، وكان نائب إسكندرية كتب إلى السلطان أن الذي هُدم من المنار ستًا وأربعين، بدنة[٨٢]، ومن السور خمس عشرة بدنة، ورسم السلطان أن يُعمر جميع ذلك من مال السلطان. انتهى ما ورد في عقد الجمان للعيني عن هذه الزلزلة.

وقال بيبرس المنصوري الدوادار: وكان أعظم تأثيرها بثغر الإسكندرية فإنها هدمت أربعين بدنة وكثيرًا من أبراجه وهاج البحر الملح الأجاج وتغطط بالأمواج وتساقطت أركان المنار وأيقن أهلها بالهلكة ذلك النهار وخرجوا من باب السدرة خيفة الدمار إلا أن اللّه تعالى قصر في مدتها وخفف من شدتها ولم تدم إلا بعض ساعة، فلو بقيت أكثر من ذلك لم يبق لكثير من البنيات أثر ولهلك كثير من البشر، ومما قيل من الأبيات:

مـا بـال أرضـكـم البسيطة مـا لها	قـد زلـزلـت عند الضحى زلزالـهـا
أهـوى لها بنيان كـل مشـيـد	وارتـاع ذعـرًا مـن رأى أهوالـهـا
ولـقـد خـرجـنـا هـاربـيـن مـن الـردى	إذ قيل عنها أخـرجـت أثقالـهـا
مـا ذاك إلا ربـنـا فيها الـذي	أمـرالـزواجـر فـي الـورى أوحـى لها
خشعت لعزتـه المساجـد سـجـدًا	وكـذا المآذن للركوع أمالـهـا
وتصدعـت أرض لعـزة أمـره	وغـزا الرجيف جبالها ورمالـهـا
لـولا شـفـاعـة أحـمـد خـيـر الـورى	فيها لـقطع ربـنـا أوصالـهـا

قال الراوي[٨٣] [بيبرس الدوادار] وبرزت المراسم الشريفة السلطانية بتوجهي إلى ثغر الإسكندرية لمباشرة أسواره وخنادقه وعمارة ما تساقط من مبانيه ومرافقه، وكان الناس يستعظمون أمره ويقولون في نفوسهم إنه يتهيأ عمارته عامين ولا يكفيه ألوف من العين، فيسّر اللّه تعالى مرامه في أقرب مدة بأيسر مؤونة وأقل نفقة بسعادة مولانا السلطان الذي سهّل اللّه له العسير وأجرى بما يختاره المقادير.

وقال التجيبي[٨٤]: ومن أغرب ما بلغني أنه اتفق بالإسكندرية لما وقعت بها الزلزلة الشديدة التي خربت كثيرًا من أعلامها الشهيرة ومبانيها العتيقة واضطرب بها عمودها الشهير وانهدم أكثر منارها وهو أشهر ما بقي من آثارها، وحسر البحر حسورًا شديدًا ثم عاد ومَدّ حتى أبلغ أمدًا في البرية بعيدًا وقدر لبعض ناسها

[٨٢] البدنة، في العمارة المملوكية هي الدعامة القائمة بذاتها، أي حاملة، وتكون مادة من الطوب أو الحجر، وقد تكون مربعة أو مستطيلة المسقط، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص ٢٠.

[٨٣] «التحفة الملوكية في الدولة التركية» للمؤلف بيبرس، تحقيق د.عبدالحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٧ م، انظر ما ورد في ص ١٧٣.

[٨٤] القاسم بن يوسف التجيبي السبتي ت. ٧٣٠ هـ/ ١٣٢٩ م، رحلة، ص ١١، ١٢؛ وورد الخبر في كلامه عن السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

أن يموت يه في ميدانها شريدًا، وذلك في شهر ذي الحجة من سنة إثنتين وسبعمائة، أن مركبًا عظيمًا من مراكب الروم - قصمهم اللّه تعالى - كان بمرسى الإسكندرية يومئذ، وكان بإزائه بعض مراكب الصيادين الصغار وكان فيها أحدهم فلما عاين في البحر المد الذي لم يعهد قط مثل تعلق بالمركب رجاء السلامة فيه ونادى بأعلى صوته نحن نتوسل إليك بجاه الست نفيسة، فقال له الرومي صاحب المركب وكان يفهم لسان العرب: من هذه التي توسلت بها؟ فقال له الصياد: هي سيدة من سادتنا من ذرية نبيّنا - صلّى اللّه عليه وسلم، فقال النصراني: وأنا أيضًا أتوسل بها وأنذر إن نجّانا اللّه من هذا الهول أن أدفع برسم تربتها قنطارًا من الشمع ويكون بالجروي، فطفق كل رومي في المركب ينادي ويهتف بإسم السيدة الشريفة ويتوسل ببركتها في أن يسلم أو يسلم مركبهم، فأخذ البحر المركب وذهب به إلى موضع بمقربة من الباب الأخضر ثم أعاده إلى موضعه الأول سالمًا لم يصبه شيء، فلما تم الهول نزل رب المركب النصراني إلى ديوان الإسكندرية ودفع لواليها وأميرها ما كان نذره وقص عليه القصة، فباع الأمير ذلك بثلاثين دينارًا ذهبًا كبيرة الضرب وصرفها على التربة المذكورة وباللّه التوفيق.

وقال ابن حبيب[٨٥]: وفيها كانت الزلزلة العظيمة، المقعدة المقيمة، التي حركت ما سكن، وأظهرت ما بطن، واهتزت لها الجدران والسقوف، وارتفعت بالدعاء عند حلولها الأيدي والكفوف، جاء إلى ديار مصر فهدمت جملة من دورها، وخربت عدة من مناظرها وقصورها، وأذهبت الأموال، وأرجفت النساء والأطفال، وروعت المستيقظ والنائم، وأقامت الجالس وأجلست القائم، ودرّست المدارس والمشاهد، وأوجبت السجود على سواري الجوامع والمساجد، وأجدت عيون العيون، وجلبت زبون المنون، وجعلت النظيم نثيرا، وأهلكت تحت الهدم خلقا كثيرا، ودنت من ثغر الاسكندرية فأزالت إبتسامه، وأفسدت نظامه، وقوضت خيامه، وغيرت قواعده وأحكامه، وفتحت عليه منهاج الدثور وسننه، وهدت من أسواره ستًا وأربعين بدنه، وأظهرت من القدرة الإلهية ما تحار فيه العقول والأفكار، قائلة للقوم إلى كم ذا النوم فانتبهوا يا أهل الغفلة واعتبروا يا أولي الأبصار، ولقد أحسن من قال:

أسكان مصر وعمالها ... بكم زلزل اللّه زلزالها
ولولا الإله وتخفيفه ... لأخرجت الأرض أثقالها

وقال المقريزي[٨٦]: وقدم الخبر من الوجه القبلي بأن في اليوم المذكور هبّت ريح سوداء مظلمة حتى لم ير أحد أحدًا قدر ساعة، ثم ماجت الأرض وتشققت وظهر من تحتها رمل أبيض، وفي بعض المواضع رمل أحمر، وكشط الريح مواضع من الأرض فظهرت عمائر قد ركبها السافي، وخربت مدينة قوص، وأن

[٨٥] (ت. ٧٧٩ هـ/ ١٣٧٧ م) درة الأسلاك، ج ١/ ١٦١.
[٨٦] السلوك، ج ١/ ٣ من النص الوارد، ص ٩٤٢-٩٤٥.

رجلا كان يحلب بقرة فارتفع وقت الزلزلة وبيده المحلب وارتفعت البقرة حتى سكنت الزلزلة ثم انحط إلى مكانه من غير أن يتبدد شيء من اللبن الذي في المحلب.

وقدم الخبر من البحيرة أن دمنهور الوحش لم يبق بها بيت عامر.

وخرب من المواضع المشهورة جامع عمرو بن العاص بمصر فالتزم الأمير سلار النائب بعمارته.

وخربت أكثر سواري الجامع الحاكمي بالقاهرة وسقطت مأذنتاه فالتزم الأمير بيبرس الجاشنكير بعمارته.

وخرب الجامع الأزهر فالتزم الأمير سلار بعمارته أيضًا وشاركه فيه الأمير سنقر الأعسر، وخرب جامع الصالح خارج باب زويلة فعمر من الخاص السلطاني وتولى عمارته الأمير علم الدين سنجر.

وخربت مأذنة المنصورية فعمرت من الوقف على يد الأمير سيف الدين كهرداش الزراق، وسقطت مأذنة جامع الفكاهين وكتب بعمارة ما تهدم بالإسكندرية فوجد قد انهدم من السور ست وأربعون بدنة وسبعة عشر برجًا فعمرت.

وقال المقريزي[٨٧] عن الجامع الحاكمي: سقط كثير من البدنات التي فيه وخرب أعالي المئذنتين وتشعث سقوفه وجدران فانتدب لذلك الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ونزل إليه بنفسه وأمر برم ما تهدم منه وإعادة ما سقط من البدنات فأعيدت وفي كل بدنة منها طاق، وأقام سقوف الجامع وبيّضه حتى عاد جديدًا، وجعل له عدة أوقاف بناحية الجيزة وفي الصعيد وفي الإسكندرية تغل كل سنة شيئًا كثيرًا، ورتب فيه دروسًا لإقراء الفقه على مذاهب الأئمة الأربعة ودرسًا لإقراء الحديث النبوي، وجعل لكل درس مدرسًا وعدة كثيرة من الطلبة....، وحفر صهريجًا بصحن الجامع ليملأ كل سنة من ماء النيل ويسبل منها الماء في كل يوم ويستقى منه الناس يوم الجمعة، وأجرى على جميع من قرره فيه معاليم دائرة، وهذه الأوقاف باقية إلى اليوم إلا أن أحوالها اختلت كما اختل غيرها، فكان ما أُنفق عليه زيادة على أربعين ألف دينار.

وجرى في بنائه لهذا الجامع أمر يتعجب منه وهو ما حدثني به شيخنا المعروف المسند المعمر أبوعبد اللّٰه محمد بن ضرغام بن شكر المقرئ بمكة في سنة سبع وثمانين وسبعمائة، قال أخبرني من حضر عمارة الأمير بيبرس للجامع الحاكمي عند سقوطه في سنة الزلزلة إنه لما شرع البناة في ترميم ما وَهِيَ من المئذنة التي هي من جهة باب الفتوح ظهر لهم صندوق في تضاعيف البنيان، فأخرجه الموكل بالعمارة وفتحه فإذا فيه قطن ملفوف على كف إنسان بزنده وعليه أسطر مكتوبة لم يدر ما هي والكف طرية كأنها قريبة عهد بالقطع، ثم رأيت هذه الحكاية بخط مؤلف السيرة الناصرية موسى[٨٨] بن محمد بن يحيى أحد مقدمي الحلقة.

[٨٧] الخطط، ط. بولاق، ج ٢/ ٢٧٨.

[٨٨] هو موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي، ت ٧٥٩ هـ/ ١٣٥٨ م، وله «نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر»، ولقد سبق الإشارة إليه عن نقل العيني منه.

وقال المقريزي[٨٩] عن الجامع العتيق بفسطاط مصر: اتفق الأميران بيبرس الجاشنكير وهو يومئذ استادار الملك الناصر محمد بن قلاوون والأمير سلار وهو نائب السلطنة وإليهما تدبير الدولة على عمارة الجامعين بمصر والقاهرة فتولى الأمير ركن الدين بيبرس عمارة الجامع الحاكمي بالقاهرة وتولى الأمير سلار عمارة جامع عمرو بمصر، فاعتمد سلار على كاتبه بدرالدين بن خطاب فهدم الحد البحري من سلم السطح إلى باب الزيادة البحرية والشرقية وأعاده على ما كان عليه، وعمل بابين جديدين للزيادة البحرية والغربية وأضاف إلى كل عمود من الصف الأخير المقابل للجدار الذي هدمه عمودًا آخر تقوية له وجرَد عمُد الجامع كلها وبيّض الجامع بأسره، وزاد في سقف الزيادة الغربية رواقين وبلّط أسفل ما أسقف منها وخرب بظاهر مصر وبالقرافتين عدة مساجد وأخذ عمدها ليرخم بها صحن الجامع، وقلع من رخام الجامع الذي كان تحت الحصر كثيرًا من الألواح الطوال ورص الجميع عند باب الجامع المعروف بباب الشرابيين فنقل من هناك إلى حيث شاء ولم يعمل منه في صحن الجامع شيئًا البتة، وكان فيما نقل من ألواح الرخام ما طوله أربعة أذرع في عرض ذراع وسدس ذهب بجميع ذلك.

وأضاف ابن تغري بردي[٩٠]: وأقامت الأمراء ومباشروا الأوقاف مدة طويلة ترم وتجدد ما تشعث فيها من المدارس والجوامع حتى منارة الإسكندرية.

وقال ابن أيبك الدواداري[٩١] في ذكر حدوث الزلزلة في هذه السنة: لما كان يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ذي الحجة قبل طلوع الشمس زلزلت الأرض زلزالًا شديدًا لم يعهد بمصر مثلها من قبل، ثم امتدت في جميع البلاد بالشام ومصر، وأقامت تهتز تقدير ربع ساعة فلكية، وكان لها دوي كدوي الرعد، ثم إنها هدمت منائر الجوامع منها: منارة الجامع الحاكمي وسقطت أكثر جدرانه وخرب هذا الجامع خرابًا شديدًا شنيعًا لم تكن أثرت في شيء أكثر منه، وإنشقت المنارة التي للمدرسة المنصورية بالقاهرة التي في بين القصرين إلى أن أُحتيج بعد ذلك إلى هدمها، وعمرت كأحسن ما يكون. واختص بعمارة الجامع الحاكمي الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير، وأصرف عليه من ماله شيئًا كثيرا وعاد كأحسن ما كان وأجد، وانهدمت أيضًا منارة جامع الفاكهانيين وهو إنشاء الظاهر بن الحاكم الفاطمي، وانهدمت أيضًا منارة جامع الصالح بن رزيك الذي ظاهر باب زويلة وبعض جدرانه، وتشققت جدر جامع مصر وهو جامع عمرو بن العاص رضي اللّٰه عنه وتشعث فيه شيء كثير، وهدمت شيئًا كثيرًا من منائر الجوامع والمساجد وعمروا بعد ذلك كأحسن ما كانوا، واختص بعمارة جامع مصر الأمير سيف الدين سلار نائب السلطنة المعظمة.

٨٩ الخطط، ج ٢/ ٢٥٢.

٩٠ النجوم الزاهرة، ج ٨/ ٢٠١.

٩١ كنز الدُرر وجامع الغرر، مخطوط بذار الكتب المصرية، ج ٩/ ١١٠-١١٣، ج ٩، وهو «الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر» تأليف أبي بكر بن عبد اللّٰه بن أيبك الدواداري، تحقيق هانس روبرت رويمر Hans Robert Roemer، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٧٩ هـ-١٩٦٠ م، ج ٩/ ١٠٠-١٠٩.

وهدمت منارة الإسكندرية، وخربت أكثر دمنهور الوحش بالبحيرة خرابًا شنيعًا، وكذلك مدينة أبيار[٩٢] بالمنوفية والجزيرة بالديار المصرية، وحصل الخراب الشنيع في سائر إقليم ديارمصر، وطلع البحر المالح إلى مدينة ثغر الإسكندرية فغرق كثير من قماش القصّارين وغلال كثيرة كانت على ساحل البحر وهاج البحر هياجًا عظيمًا، وهدمت أبراج كثيرة عدة من الإسكندرية وهلك جماعة عدة من الناس تحت الردم عند حصولها في أول حال، ووصلت حتى عمت أرض برقة وبلاد تونس من المغرب وصقلية وقابس ومراكش ووصلت إلى بلاد بني الأحمر المرينيين وعمت السواحل وخربت قبرص إلى الأرض ولم يبق بها كنيسة إلّا القليل وذلك جميعه حسبما وردت به الأخبار من جميع هذه النواحي بعد ذلك. وكذلك عمّت أنطاكية وأعمالها إلى العلاية وأنطالية وبعض بلاد سيس ووصلت قسطنطينة العظمى.

وقال ابن بهادر المؤمني[٩٣]: ووقع في هذه الزلزلة جانب من قلعة صفد وأسوارها وبرج الباب فرممت في السنة القابلة، وتهدم جامع بني أمية وأعيد ترميمه.

وقال المقريزي[٩٤]: وقدم البريد من صفد إنه في يوم الزلزلة سقط جانب كبير من قلعة صفد، وأن البحر من جهة عكا انحسر قدر فرسخين وانتقل عن موضعه إلى البر فظهر في موضع الماء أشياء كثيرة في قعر البحر من أصناف التجارة، وتشققت جدر جامع بني أمية بدمشق، واستمرت الزلزلة خمس درج إلا أن الأرض أقامت عشرين يومًا ترجف وهلك تحت الردم خلائق لا تحصى، وكان الزمان صيفًا فتوالى بعد ذلك سموم شديدة الحر عدة أيام.

واشتغل الناس بالقاهرة ومصر مدة في رم ما تشعث وبنى ما هدم وغَلَت أصناف العمارة لكثرة طلبها، فإن القاهرة ومصر صارت بحيث إذا رآها الإنسان يتخيل أن العدو أغار عليها وخربها فكان في ذلك لطف من اللّه بعباده فإنهم رجعوا عن بعض ما كانوا عليه من اللهو والفساد أيام الزينة، وفيهم من أقلع عن ذلك لكثرة توارد الأخبار من بلاد الفرنج وسائر الأقطار بما كان من هذه الزلزلة. وأضاف السيوطي[٩٥] عن المقريزي: وأقامت في الأرض عشرين يومًا وذكر غيره أن هذه الزلزلة أقامت أربعين يومًا.

[٩٢] بلدة من بلاد محافظة الغربية، وتقع على بحر سيف شرقي كفر الزيات، علي مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٨/ ٢٨؛ محمد رمزي، القاموس الجغرافي، ج ٢/ ٢/ ١١٩.

[٩٣] فتوح النصر، مخطوط بدار الكتب المصرية ، ج ٢/ ٢٠٦.

[٩٤] السلوك، ج ١/ ٣/ ٩٤٤، ٩٤٥.

[٩٥] كوكب الروضة في تاريخ النيل وجزيرة الروضة، تحقيق محمد الششتاوي، ط. دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢ م، ص ٩٦، ٩٧.

نصوص لوحات تذكارية بمدرسة قلاون[٩٦] بالقاهرة:

N° 5160 - Texte de restauration.

Le Caire

Madrasa de Kalawun. - Plaque 122 quatre lignes en *naskhî mamlûk*: caractères moyens.

Publication: *CIA, Égypte*; I, n° 88.

(١-٢) بسملة أمر بتجديد هذه المأذنة مولانا السلطان الملك (٣) الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاون الصالحي عند ظهور الزلزلة (٤) وسقوط أعاليها في شهور سنة ثلاث وسبعمائة من الهجرة النبوية.

N° 5161 - Texte de restauration.

Le Caire

Madrasa de Kalawun. - Plaque de marbre, 59 x 56. Quatre lignes en *naskhî mamlûk*; beaux caractère, petits; peu de points: sans signes: Publication: *CIA, Égypte*, I, n° 89.

Reproduction: *CIA, Égypte*, I; pl. III, XXVI.

(١) بسملة أمر بتجديد هذه المأذنة (٢) مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا.

(٣) والدين محمد بن قلاون الصالحي عند ظهور الزلزلة وسقوط (٤) أعاليها في شهور سنة ثلاث وسبعمائة من الهجرة النبوية.

N° 5162. - Texte de restauration.

Le Caire.

Madrasa de Kalawun. - Bandeau sculpté sur les quatre faces du minaret. Beau *naskhî mamlûk*, à fort relief; grands caractères; points nombreux: quelques signes.

Publication: *CIA, Égypte*, I, n° 90; 1934, p. 42.

Reproduction: *CIA, Égypte*, I, pl. XXVI.

(١) بسملة اللّهم جدد الرحمة والرضوان على روح الملك المنصور رحمه اللّه (٢) أمر بتجديد هذه المأذنة في أيام ولده مولانا السلطان الملك الناصر أبي الفتح محمد (٣) وذلك عند ظهور الآيات المنزلة وسقوط أعاليها عند حدوث الزلزلة في شهور (٤) سنة ثلاث وسبعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها الصلوة والسلام.

[٩٦] *Répertoire chronologique d'épigraphie arabe*, tome 13, p. 243, 244, d'Ét. Combe. J. Sauvaget et G. Wiet (dir).

٧٠٦ هـ/ ١٣٠٦ م

قال النويري[٩٧]: وفي هذه السنة وردت مطالعة نائب السلطان بحماة يتضمن أن بأراضي بارين من بلد حماة جبلين بينهما واد يجري الماء فيه فانتقل نصف الجبل الواحد من موضعه إلى الجبل الآخر والتصق به ولم يسقط في الوادي الذي بينهما شيء من حجارته وأن النائب بحماة كشفه بالقاضي ببارين وعمل به محضرًا. وطوال النصف الذي انتقل من الجبل مائة ذراع وعشرة أذرع وعرضه خمسة وخمسون ذراعًا، ومسافة الوادي الذي بين الجبلين مائة ذراع وقرئت المطالعة بمحضر نسخته: بسم اللّٰه الرحمن الرحيم.

لما اشتهر في البلاد وانتشر في الحاضر والباد أن بعمل حصن الأكراد جبلًا بوادي زوايل قد أفضى بعضه إلى التحويل ولم يكن ذلك في القدرة الإلهية بمستحيل واتصل ذلك بالمسامع الشريفة المولوية السينية كافل الممالك الشريفة الحموية - شنفها اللّٰه تعالى بما يجب أن يسمع وطوّقها بلطائف الخير أجمع - فأحب - أعلا اللّٰه شأنه وملأ قلبه نورًا وإيمانًا - أن يعلم حقيقة ذلك إيقافًا، وأن يكشف كنهه وضوحًا وبيانًا. انتدب لتحقيق هذه الصورة الجناب العالي الحسامي، وبقية العساكر المنصورة، وعلى يده المرسوم الكريم إلى المجلس العالي الشهابي متولي بارين المعمورة أن يخرجا والحاكم الذي سيضع خطه أعلاه ومعهم من الشهود من سيرقم شهادته أدناه وأن ينتهوا إلى الوادي المشار إليه ويشاهدوا هذا الجبل ويقفوا عليه وأن يحققوا في ذلك قصة الحال، أحق ما قيل عنه أو محال فبادروا إلى إمساك ما رسم لهم بهم مسرعين وخرجوا نحو الجبل مهرعين وحضروا جميعًا بقرية فقعبرا وسألوا أهلها ما حدث على الجبل وطرأ، فإذا برجلين قد دخلا في وادي بين جبلين وقالا هذا الجبل الذي نزل به ما نزل وفي قعر الوادي الماء يترقرق ويسيل ويتدفق ووقفوا عند عرقوب في الجبل القبلي يأتي مستعلي صفته بين الإنقيام والإنسطاح وقد تحلق على صفحة الجبل المقابل له وطاح ولم يقع منه في قعر المسيل إلا النزر القليل مع أن أصله تراب، إن هذا لشيء عجاب، وبقى ما انسلخ منه منقعرًا في الجبل كهيئة محراب وسفل الوادي على حاله لم يتغير والماء جار على العادة فيه يتكسر وينحدر لم يتحصل له سدة ولا اختناق ولا انتقل جريانه من مكان إلى مكان على أنه انقلع منه طولًا عشرة أذرع ومئة جملة وتفصيلًا، وعرضًا نصف ذلك إلا القليل وعفا مثل نصف العرض بقربها ومدى الحذف كالطويل أو يكون منه قريبًا، وذكر من حضر من أهل المكان أن وقوع ذلك في أواخر رجب وأوائل شعبان، ومن وقف على أثر ذلك هذا المكان ورآه وعلم من هذا الكتاب فحواه وضع به خطه أدناه وكان ذلك في نهار الخميس ثامن عشرين شعبان سنة ست وسبعمائة وبذيل المحضر خط شهود وما علاه خط الحاكم ببارين ومثاله: الحمد لله حمدًا ترضاه

[٩٧] نهاية الأرب، مخطوط بدارالكتب المصرية، ج ٣٠/ ١/ ١٥٥-١٥٨؛ وبالمطبوع تحقيق د. م. أمين، ج ٤، ص ٤٢٨؛ ونقلها المقريزي، السلوك، ج ٢/ ١ ٢٣؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨/ ٢٢٢.

وقفت على الوادي المذكور وشاهدت العرقوب الذي ابتلع وانتقل بذاته وفيه نبات وحجارة على صفحة الجبل الذي قابله والأمر في زرعه وعدم وقع التراب في مسيل الماء كما شرح فيه. كتبه أبوبكر بن نصر الهاشمي المعاد الشافعي العباسي الحاكم ببارين عفا اللّٰه عنه.

وورد عند النويري السكندري[٩٨]: وظهر في دولة الملك الناصر محمد المذكور بحمص مكان متسع تحت الأرض قد خسف وإذا سرير كبير عليه رجل ميت، وإن هامته من عظمها يفرش عليه عليها حصير، ولم يجدوا عنده مالًا فكوتب الملك الناصر في ذلك، فأمر أن تردم تلك الحفيرة عليه فردمت عليه.

٧١٩ هـ/ ١٣١٩ م

قال شيخ الربوة الدمشقي[٩٩]: كان على الجبل الأقرع شجر زيتون كثير نيف على ثلاثة مائة فحمله الريح إلى أرض بعيدة بترابه وكأنه لم يكن مخلوقًا إلا من تلك الأرض وكأنه لم يكن على الجبل شجر مزروع قط. وفي تلك السنة أيضًا حملت الريح ديرًا يقال له دير سمعان قريب من تلك الأرض بحجارة وما كان في الدير من قمحهم وخزينهم وبقرهم ودوابه وعددهم حتى كأنهم لم يكونوا ولم يعلم لهم خبر ولم يطلع لهم أثر وسطر بذلك محضر شرعي وطلعوا به إلى السلطان محمد قلاوون خلد اللّٰه سلطانه.

٧٢٢ هـ/ ١٣٢٢ م

قال السيوطي[١٠٠]: في المحرم جاءت زلزلة بدمشق ليلًا وهزت الأرض هزة عظيمة، ثم سكنت بإذن اللّٰه تعالى.

٧٢٣ هـ/ ١٣٢٣ م

قال شيخ الربوة الدمشقي[١٠١] في فائدة للزلازل: قال العلماء بذلك إن الجبال الصغار والتلال قد تكون من الزلازل الكائنة من الرياح المحقونة في الأرض المتموجة تحتها حيث ترفع بعضا وتخفض بعضًا

٩٨ الإلمام بالإعلام، ج ٤/ ١٥٦.
٩٩ نخبة الدهر، ص ٨٥.
١٠٠ كشف الصلصلة ، ص ٥٥.
١٠١ نخبة الدهر، ص ٨٤، ٨٥.

ومن صحة ذلك أنه في سنة ثلاثة وعشرين وسبع مائة كان المطر في الشام قليلًا وقصرت ينابيع العيون أرسل اللّه عزّ وجل زلزلة في أيام الصيف فخرجت العيون وزادت الأنهارزيادة بقدر ما كانت ثلاث مرار وأربع مرار.

٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨ م

قال اليافعي[١٠٢]: في شهر رجب مات فيها ستون نفسًا بالزلزلة في طرابلس الشام.

٧٤١ هـ/ ١٣٤٠ م

قال ابن العماد الحنبلي[١٠٣]: في ذي الحجة منها كانت زلزلة عظيمة بمصر والشام والإسكندرية مات فيها تحت الردم ما لا يحصى وغرقت مراكب كثيرة وتهدمت جوامع وموادن لا تعد.

٧٤٤ هـ/ ١٣٤٣ م

قال ابن كثير[١٠٤]: في يوم السبت الخامس عشر منه [شعبان] جاءت زلزلة بدمشق لم يشعر بها كثير من الناس لخفتها ولله الحمد والمِنَّة، ثم تواترت الأخبار بأنها شعثت في بلاد حلب شيئًا كثيرا من العمران حتى سقط بعض الأبراج بقلعة حلب وكثيرًا من دورها ومساجدها ومشاهدها وجدرانها وأما في القلاع حولها فكثير جدًا، وذكروا أن مدينة منبج لم يبق منها إلا القليل، وأن عامة الساكنين بها هلكوا تحت الردم رحمهم اللّه.

قال ابن حبيب[١٠٥]: وفي شعبان منها كانت الزلزلة العظيمة المزعجة المحوجة العميمة، التي عمت البلاد وغمت البلاد، وحركت الساكن، وخربت الأماكن، دخلت إلى مصر والشام، فأقامت من جلس وأجلست

[١٠٢] مرآة الجنان، ج ٤/ ٣٠٠. انظر أيضًا الذهبي، ذيل العبر، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، الكويت الإعلام، ١٩٦، ص ١٠٤.

[١٠٣] شذرات الذهب، ج ٦/ ١٢٧.

[١٠٤] البداية والنهاية، ج ٤١/ ١١٢.

[١٠٥] هو الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب، ت. ٧٧٩ هـ/ ١٣٧٧ م، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق د. محمد أمين، ط. الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦ م، ج ٣/ ٥٨.

من قام، وروعت القلوب، وهيجت الكروب وأيقظت الرقود، وأمرت الجدران بالركوع والسجود، وتوترت بعدها الزلازل مدة، واستمرت إلى أن أنزل اللّٰه الفرج ورفع الشدة.

وقال أهل الأدب في ذلك نظمًا ونثرًا، فمن ذلك ما قاله الشيخ زين الدين عمر بن الوردي[١٠٦]: وفيها في منتصف شعبان وقعت الزلزلة العظيمة وخربت بحلب وبلادها أماكن ولاسيما منبج فإنها أقلت وأزالت محاسنها وكذلك قلعة الراوندان وعملت أنا [ابن الوردي] في ذلك رسالة:نعوذ باللّٰه من شرما يلج في الأرض وما يخرج منها، ونستعينه في طيب الإقامة بها وحسن الرحلة عنها، نعم نستعيذ باللّٰه ونستعين، من سم هذه السنة فهي أم أربعة وأربعين، ذات زلزال[١٠٧] بث في البلاد رجله وخيله وجزم برفع الأرض لما خرّ عليها ذيله لا عاد من زلزال، زاغ به العقل وزال، قنت الناس لأجله في الصلوات، وسكنوا من خوفه في الصحاري والفلوات:

إن الـدهـر خـان امـرءا يـهـون أذاه يـهـن
فـكـم زخـرف قـد شـبـا[١٠٨] إذا زلـزلـت لـم يـكـن

فلو رأيت حلب، وقد أشرفت على سوء المنقلب، ووضح لجامعها فروق في أماكن، وتعلمت منارته باب الإمالة وتحريك الساكن، فلولا بركة النداء فيها لرخمت، ولكن اللّٰه سلم فسلمت، انتفع تأنيثها بشرف التذكير، وسلم جمعها الصحيح من التكسير، ولو رأيت القلاع والحصون، وقد أزالت الزلازل منها كل مصون:

طـارت لقلع الـقـلاع زلزلـة مـا خـشـيـت رامـيـا ولا صـائـدا
إذا درى الـحـصـن مـن رمـاه بها خـرّ لـه فـي أسـاسـه سـاجـدَ

ولو رأيت منبج منبت كل سري، ومهب الريح السحري، وهي لشدة الطمس، كأن لم تغن بالأمس، قد كسف[١٠٩] الردم فيها كل بدر وشمس:

ولـيـس وفـاتـهـم بـالـردم نقصا لـقـدرهـم فـفـي الـشـهـداء صـاروا
ومـا فـي سـطـوة الـخـلاق عيب ولا في ذلـة المخـلوق عـار

[١٠٦] تتمة المختصر، ج ٢/ ٣٣٨. ولقد أورد النص ابن حبيب في كتبه السابق الإشارة إليه.
[١٠٧] ذات زلزلة، في درة الأسلاك.
[١٠٨] «اذا سبأ» في ذرة الأسلاك.وما ورد من تذكرة النبيه.
[١٠٩] «كشف» في تذكرة النبيه.

فوا أسفي عليها مدينة جليلة، أصبحت دمنة وكانت الألسن عن وصفها كليلة، غشيها قتر وظلمة، وركبتها ريح سوداء مدلهمة:

هلكوا هم وديارهم في لحــــــظة   فكأنهم كـــانوا على ميعـــاد
نبشوا وأوجـــههم تضيئ من الثـــرى   مثل السيوف بدت من الأغماد

وقال ابن حبيب[110] معرضًا بمن خرج إلى بر حلب المحروسة خوفًا من الزلازل:

يا فرقة فرقوا وعن حلب نأوا   وتباعدوا لما رأوا زلزالها
ما زلزلت شهباؤنا وتحركت   إلا لتخرج عامدا أثقالــــــها[111]

وختمها ابن الوردي[112] بقوله:

منبج أهلها حكوا دود قز   عندهم تجعل البيوت قبورا
رب نعمهم فقد ألفوا مني   شجر التوت جنة وحريــرا

واللَّه أعلم وصارت الزلازل تعاود حلب وغيرها سنة وبعض أخرى، وفي الحديث أن كثرة الزلازل من أشراط الساعة.

وقال المقريزي[113]: قدم البريد [في رجب] بمحضر ثابت على قضاة حلب يتضمن: إنه لما كان يوم السبت سادس شعبان إذا برعد وبرق أعقبته زلزلة عظيمة، سمع حسها من نصف ميل عن حلب، وهو حس مزعج يرض القلوب فهدم من القلعة إثنا وثلاثون برجًا سوى البيوت، وهدم من قلعة ألبيرة أكثر من نصفها، وكذلك من قلعة عينتاب، وقلعة الراوند، وبَهَسْنَا، وبلاد منبج ، وقلعة المسلمين.

فخرج أهل حلب إلى ظاهرها وضربوا الخيام وغلقت أسواقها، وفي كل ساعة يسمع دوي جديد، ثم إنهم تجمعوا عن آخرهم، وكشفوا رؤسهم ومعهم أطفالهم والمصاحف مرفوعة، وهم يضجون بالدعاء والإبتهال إلى اللَّه برفع هذا المقت فأقاموا على ذلك أيامًا إلى خامس عشريه حتى رفع اللَّه ذلك عنهم، بعدما هلكت بتلك البلاد تحت الردم خلائق لا يحصيها إلا خالقها، فكتب بتجديد عمارة ما هدم من القلاع من الأموال الديوانية.

[110] تذكرة النبيه، ج ٣/ ٦٠.
[111] درة الأسلاك، ص ٣٣٦.
[112] تتمة المختصر، ج ٢/ ٣٣٩.
[113] السلوك، ج ٢/ ٣/ ٦٥٢.

وقال العيني[١١٤]: وفيها كانت الزلزلة العظمى المزعجة التي حركت السواكن وأخربت كثيرًا من الأماكن دخلت إلى الشام والديار المصرية وكانت في الشام أكثر ضريرًا، ولا سيما في البلاد الحلبية ويقال في الساعة الرابعة من نهار السبت السادس عشر من شعبان المكرم من سنة أربع وأربعين وسبعمائة، حصلت زلزلة عظيمة بحلب وبلادها وأخربت شيئًا كثيرًا بقلعة حلب وبالثغور الشمالية مثل عينتاب وقلعة المسلمين وألبيرة، وقيل إنها وصلت إلى ماردين وحصلت بعد هذه الزلزلة زلزلة لطيفة وحصل عند أهل حلب وبلاد بها من ذلك جرح عظيمة، فخرجوا إلى ظاهر البلد ونصبوا خيامًا وأقاموا بظاهر البلد أيامًا وكانت قوة هذه الزلزلة في مدينة منبج وتهدمت جميعها وهلك معظم أهلها تحت الردم وما سلم من أهلها من الرجال والنساء مقدار خمسة آلاف وسبعمائة أنفس إنا لله وإنا إليه راجعون. ولقد أخبرني والدي أنه كان في أيام الزلزلة ما دون البلوغ وأنهم أقاموا بظاهر مدينة عينتاب مقدار أربعين يومًا تحت خباء وخيام وكذلك أهل حلب وأهل البلاد الشامية.

ورد عند ابن قاضي شهبة[١١٥]: وفي منتصف شعبان: كانت الزلزلة العظمى العامة. قال الحسيني: هدمت مدينة منبج وتهدمت فيها أماكن بحلب وغيرها واستمرت تتعاهدهم بحلب إلى بعد عيد الفطر. وقال الشجاعي: في يوم نصف شعبان وقع بأرض الشمال زلزلة عظيمة بحلب وكَخْتا وكَرْكر وتلك النواحي وخسف بمنبج، ولم يسلم من أهلها غير خمسة وأربعين نفسًا، وهلك باقي الخلق تحت الهدم واتصلت الزلزلة إلى معظم بلاد الشرق؛ وانهدم من قلعة البيرة أكثر من نصفها؛ وكذلك قلعة عينتاب، والراوندان، وبهنسا، وأخرب من قلعة حلب إثنين وثلاثين برجًا وخرج أهلها إلى ظاهر حلب وضربوا لهم خيامًا وأقاموا بالصحراء، وفيها يقول الشيخ زين الدين ابن الوردي:

طارت لقلع القلاع زلزلة ما خشيت راميًا ولا صائدًا
إذا درى الحصن من رماة بها خر له في أساسه ساجدًا

قال السيوطي[١١٦] عن المحب أبوالوليد ابن الشحنة في تاريخه قال: كانت الزلزلة العظيمة في مصر والشام وخرج الناس إلى الصحاري وتواترت بعدها زلازل مرة وأنشد:

زلزلت الأرض بنا زلزالها وقال كل من عليها: مالها
فقلت إذ فروا إلى الصحراء ها قد أخرجت أرضكم أثقالها

[١١٤] عقد الجمان، مخطوط مصور بدار الكتب، ج ٤٢/ ١/ ٧٠.
[١١٥] تقي الدين أبو بكر بن أحمد ابن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي، تاريخ، تحقيق عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي، دمشق، ١٩٩٤م، مج ٢، ج ١، المخطوط، ص ٣٦٠، ٣٦١.
[١١٦] كشف الصلصلة، ص ٥٥.

٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧ م

قال المقريزي[١١٧]: وفي يوم السبت رابع رمضان زلزلت القاهرة مرتين في ساعة واحدة ونقلها عنه السيوطي[١١٨].

٧٥٣ هـ/ ١٣٥٢ م

قال المقريزي[١١٩]: حدثت زلزلة في رمضان والناس في صلاة العشاء الآخرة.

٧٦٦ هـ/ ١٣٦٤ م

قال السيوطي[١٢٠]: وفي سنة ست وستين وسبعمائة كانت زلزلة عظيمة رأيت ذلك مكتوبًا على ظاهر كتاب ولم يعين بأي مكان كانت.

٧٦٨ هـ/ ١٣٦٦ م

قال ابن قاضي شهبة[١٢١]: وفي رجب: قدم القاضي برهان الدين الحلي من صفد متوليًا نظر الجامع الأموي وكان بعد عزله من نظر جيش دمشق رسم له بنظر الجيش بصفد ونظر الديوان فتوجه إليها، ثم طلب الإقالة فأجيب إلى ذلك، قال ابن كثير: فأراني صورة محضر وعليه خط قاضي صفد بمضمون ما تهدم بسبب الزلزلة التي كانت عندهم، وكان ابتداؤها يوم الإثنين التاسع والعشرين من جمادى الآخرة، واستمرت تعاودهم كل يوم مرتين من يوم الإثنين إلى يوم السبت رابع رجب، فذكر في المحضر أنه انهدم من أبرجة القلعة ومنها ما تفجر نحو من بضعة عشر برجًا، وأنه هلك خلق كثير تحت الهدم.

[١١٧] السلوك، ج ٢/ ٣، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط. القاهرة، ١٩٥٨ م، ص ٧٤١.
[١١٨] كشف الصلصلة، ص ٥٥.
[١١٩] السلوك، ج ٢/ ٣/ ٨٧٦.
[١٢٠] كشف الصلصلة، ص ٥٦.
[١٢١] تقي الدين أبو بكر، تاريخ، تحقيق عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي، دمشق، ١٩٩٤ م، مج ٣، ج ٢، المخطوط، ص ٢٩٤، ٢٩٥.

قال ابن العماد الحنبلي[١٢٢]: فيها كانت زلزلة هائلة بصفد[١٢٣].

٧٧٥ هـ/ ١٣٧٣ م

قال ابن حجر[١٢٤]: عاودت الزلزلة مصر في جمادى الأولى وكانت لطيفة.

٧٧٧ هـ/ ١٣٧٥ م

قال المقريزي[١٢٥]: في زلزلة سقط رأس منارة الإسكندرية.

٧٨٧ هـ/ ١٣٨٥ م

قال ابن حجر[١٢٦]: في شعبان زلزلت مصر والقاهرة زلزلة لطيفة وذلك في الثالث عشر منه.
وقال المقريزي[١٢٧]: في ليلة الثلاثاء ثالث عشر [شعبان] زلزلت القاهرة في الساعة الرابعة مرتين زلزالًا قليلًا.

٧٨٨ هـ/ ١٣٨٦ م

قال المقريزي[١٢٨]: في يوم الإثنين ثامن عشره [جمادى الآخرة] زلزلت القاهرة زلزلة خفيفة. وأوردها ابن حجر[١٢٩] ونقلها السيوطي[١٣٠].

١٢٢ شذرات الذهب، ج ٦/ ٢١٠.
١٢٣ في النص «صفر» والصحيح ما دون.
١٢٤ انباء الغمر، ج ١/ ٦٠؛ وفي حاشية رقم ٣ أن العيني أوردها (عظيمة) في عقد الجمان.
١٢٥ الخطط، ج ١/ ١٥٦.
١٢٦ انباء الغمر، ج ١/ ٣٠٣.
١٢٧ السلوك، ج ٣/ ٢/ ٥٣٤.
١٢٨ السلوك، ج ٣/ ٢/ ٥٤٦.
١٢٩ إنباء الغمر، ج ١ / ٣١٥.
١٣٠ كشف الصلصلة، ص ٥٦.

٧٩١ هـ/ ١٣٨٨ م

قال المقريزي[١٣١]: واتفق في هذه السنة وقوع حادثة عظيمة ببلاد خراسان، وهي أنه هبت بمدينة نيسابور رياح عاصفة في شهر صفر، ارتجت الأرض من شدة هبوبها، وحدثت زلزلة مهولة، تحركت الأرض منها حركة عنيفة، حتى كان الإنسان وغيره يرتفع عن موضعه قامتين وأكثر، وصارت الأرض تنتقل من موضع إلى موضع، فلم يبق شيء في جميع أقطار المدينة من البيوت والأسواق والمدارس ونحوها إلّا واهتز اهتزازًا عظيمًا، واستمر الحال كذلك إلى ضحوة نهار اليوم الرابع، فسكنت الزلزلة، وأمن الناس واطمأنوا، وإذا بريح عظيمة هبت في الحال، ثم تحركت الأرض أقوى مما تحركت قبل ذلك، وانقلبت بأهلها، فصار عاليها سافلها، وخربت المدينة، وهلك أهلها، فلم يسلم منهم إلا النادر. وسلم سكان الفوقنيات، وهلك سكان التحتانيات، وسلم قوم كانوا في بعض الحمامات، وقد خرجوا إلى الدهاليز فاحتوى من بقى من الأراذل على أموال من قد هلك من الأماثل، وترأسوا بعدهم. ثم بعد أشهرعمر من بقى عمارات بالقرب من المدينة التي هلكت، وعملوا عاليها من الخشب والخيام.

ومن غريب ما وقع في هذه الحادثة أن قرية انتقلت من مكانها إلى مكان قرية أخرى، فصارت فوقها بحيث لم يبق للتي كانت أولًا أثر يعرف، فكانت بين أهل القريتين عدة خصومات ومحاربات. واتفق أيضًا أن رجلا كان في بيته، فسقط البيت إلا الموضع الذي فيه الرجل فإنه لم يسقط وسلم الرجل. وكانت امرأة في الحمام وقد أخذت لقمة وضعتها في فمها، فسقط الحمام عليها فهلكت في من هلك، فلما نبش عنها وجدت واللقمة في فمها لم تبلعها، وولدها في حضنها، ومئزرها في وسطها، وقد أدخلت احدى رجليها في داخل الحمام، ورجلها الأخرى من خارج، لم تمهل حتى تدخلها بل هلكت قبل ذلك، وسلم مع ذلك الوقاد في أتون الحمام، فإنه ممن ألقته الأرض عنها، فحدفته إلى العلو وصار بالبعد عن موضع فسلم. وقد اشتهرعند أهل نيسابور أنها خربت بالزلازل سبع مرات فكانت هذه المرة أشنع مما مضى لأنها تركت المدينة عاليها سافلها، ولا حول ولا قوة إلا باللّٰه.

[١٣١] السلوك، ج ٣/ ٢/ ٦٨٢-٦٨٣. أوردها السيوطي، كشف الصلصلة، ص ٥٦.

الباب الخامس

الزلازل في القرنين التاسع والعاشر الهجريين

٨٠٢ هـ/ ١٣٩٩ م

قال ابن حجر[١]: في ليلة السابع عشر من المحرم زلزلت دمشق وكانت زلزلة لطيفة.

٨٠٦ هـ/ ١٤٠٣ م

قال ابن حجر[٢]: في الثامن من شعبان زلزلت حلب وأعمالها زلزلة شديدة وخربت أماكن كثيرة وزلزلت قبل ذلك في يوم الجمعة ثالث جمادى الآخرة وقت الإستواء ثم سكنت، ثم زلزلت زلازل كثيرة متفرقة في طول السنة وكانت الزلازل بالجهة الغربية منها أكثر.

وقال المقريزي[٣]: في شعبان ورد الخبر بأن طرابلس الشام زلزلت بلادها زلزلة عظيمة هدمت مباني عديدة منها جانب قلعة المرقب، وعمت اللاذقية، وجبلة، وقلعة بلاطُنُس، وثغر بكاس، وعدة بلاد بالجبل والساحل فهلك تحت الردم جماعة.

وقال العيني[٤]: وردت الأخبار في العشر الأخير من شعبان بحدوث زلزلة عظيمة في البلاد الطرابلسية وإنهدمت أبنية كثيرة.

١ انباء الغمر، ج ٢/ ٩٢.
٢ انباء الغمر، ج ٢/ ٢٦٢.
٣ السلوك، ج ٣/ ٣/ ١١٢٢.
٤ عقد الجمان، مخطوط بدار الكتب المصرية، ج ٢٥/ ٢/ ٢٠٣.

وقال ابن الشحنة[٥]: كانت زلزلة عظيمة بحلب وبلاد كثيرة خربت منها أماكن كثيرة وتبع ذلك زلازل عديدة أخف منها، فاجتمعت الزلازل والفتن[٦]، وإنما تكثر الزلازل والفتن بين يدَى الساعة والظاهر أن الأمر قد قرب والدنيا على فراغ، فالزلازل يخوّف اللّه بها أهل المعاصي ويؤذن بزلزلة القيامة.

٨٠٧ هـ/ ١٤٠٤ م

قال ابن حجر[٧]: في جمادى الأولى زلزلت حلب زلزلة عظيمة ففزع الناس لها ولجأوا إلى اللّه تعالى فسكنت ثم عاودت مرارًا ولم تفسد شيئًا والحمد لله.

٨٠٩ هـ/ ١٤٠٦ م

وقال ابن حجر[٨] ونقل عنه السيوطي[٩]: في ذي القعدة زلزلت أنطاكية زلزلة عظيمة ومات تحت الردم عدد كبير؛ قيل مائة وقيل أكثر. وقال أيضًا ابن حجر[١٠]: في هذه السنة تواترت الأخبار أن نيسابور خسف بها وراح من أهلها خلق كثير وهي التي يقال لها نشاور.

٨١١ هـ/ ١٤٠٨ م

قال ابن حجر[١١]: في عاشر شعبان جاءت زلزلة عظيمة في نواحي بلاد حلب وطرابلس، فخرب من اللاذقية وبلاطُنُس أماكن عديدة وسقطت قلعة بلاطنس فمات تحت الردم خمسة عشر نفسًا ومات بجبلة خمسة عشر نفسًا، وخربت ثغر بكاس كلها وقلعتها ومات جميع أهلها إلا نحو خمسين نفسًا وانشقت الأرض وانقلبت

٥ روض المناظر، مخطوط، رقم ١٥٣٧ عربي، المكتبة الوطنية، باريس، انظر حوادث ٨٠٧ هـ.

٦ يقصد ابن الشحنة فتنة تيمور لَنك وقال عن سبب الزلزلة: تنشأ في بعض الأرض كما تنشأ الرعدة للمحموم بإذن اللّه تعالى وأن الحكماء قالت بأنها بسبب تصاعد الأبخرة؛ ثم ناقش سبب الزلزلة من وجهة نظر رجال الدين وأهل النقل وربط بينها وبين يوم القيامة والحشر والعلامات المميزة ليوم الساعة.

٧ انباء الغمر، ج ٢/ ٢٩٦.

٨ انباء الغمر، ج ٢/ ٣٥٥.

٩ كشف الصلصلة، ص ٥٦.

١٠ انباء الغمر، ج ٢/ ٣٥٩.

١١ انباء الغمر، ج ٢/ ٤٠٠، ٤٠١. وورد الخبر أيضًا عند ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧/ ٨٩.

ميل من بلد القصير إلى سَلْتُوهم[١٢] - وهي بلد فوق الجبل - فانتقلا قدر ميل بأشجارها وأعينها وأهلها ولم يشعروا بذلك، وكانت الزلزلة بقبرص فخربت فيها أماكن كثيرة، وكانت بالجبال والساحل، وشوهد ثلج على رأس الجبل الأقرع وقد نزل إلى البحر وطلع بينه وبين البحر عشرة فراسخ، وذكر أهل البحر أن المراكب في البحر المالح وصلت على الأرض لما إنحسر البحر ثم عاد الماء كما كان فلم يتضرر أحد.

٨٢٢ هـ/ ١٤١٩ م

قال المقريزي[١٣]: في شهر صفر اتفق وقت العصر في يوم الثلاثاء سابع عشرة حدوث زلزلة بمدينة برصا - مملكة الروم - إستمرت ثلاث أيام بلياليها لا تهد، فسقط سور المدينة وخربت عامة دورها بحيث لم يبق بها دار إلا سقطت أو هدم بها شيء، وانقطع من جبل قطعة في قدر نصف هرم مصر وسقطت إلى الأرض وتفجرت عدة أعين من وادي الأزرق وانطمت عدة أنهر، وكانت الزلزلة تأتي من جهة المغرب إلى جهة المشرق ولها دوي كركض الخيل ثم امتدت الزلزلة بعد ثلاثة أيام مدة أربعين يومًا، تعود كل يوم مرة أو مرتين وثلاث وأربع حتى خرج الناس إلى الصحراء ثم تمادت سنة.

وقال المقريزي[١٤] أيضًا: في شهر ذي الحجة زلزلت مدينة إصطنبول، وعدة مواضع هناك حتى كثر اضطراب البحر وتزايد تزايدًا غير المعهود.

وقال ابن حجر[١٥]: وفي تاسع عشري شهر ربيع الأول كسفت الشمس قبل الزوال فاجتمع الناس بالجامع الأزهر فصليت بهم صلاة الكسوف على الوصف المعروف في الأحاديث الصحيحة بركوعين مطولين وقيامين مطولين، وكذلك في جميع الأركان المقصورة وغير المقصورة ثم خطبت بهم ما يقتضي ذلك بعد أن تجلت الشمس والحمد لله، واتفق حدوث زلزلة في هذا اليوم في مدينة أرزنكان، هلك بسببها عالم كثير وانهدم من مباني القسطنطينية شيء كثير، وهدمت[١٦] قيسارية بناها ابن عثمان في برصا وماحولها، وهلك بسبب ذلك ناس كثيرة.

[١٢] وردت (سلفوهم) عند المقريزي، السلوك، ج ٤/ ١/ ٨٠، ٨١، وردت حاشية إن القصير أول منزل لمن يريد حمص من دمشق.

[١٣] السلوك، ج ٤/ ١/ ٤٨٢، ٤٨٣.

[١٤] السلوك، ج ٤/ ١/ ٥١٣.

[١٥] انباء االغمر، ج ٣/ ١٩٢.

[١٦] وردت في الطبعة الصادرة، تحقيق د. حسن حبشي «وهدمت قيسارية بناها جهة بلاد ابن عثمان وبرصا وما حولها» ولكي يستقيم المعنى كما أشار لي العلامة جان كلود جارسان أثبت ما ورد في إنباء الغمر طبع وزارة المعارف الهندية بمراقبة بروفسور عبدالوهاب البخاري، ط. ٢، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج ٧، ص ٣٤٧. ورد في إحدى النسخ «وخسف بقيسارية» ولعله الصواب.

٨٢٥ هـ/ ١٤٢١ م

قال ابن حجر[١٧]: في الثامن من رجب حدثت بالقاهرة زلزلة لطيفة.

٨٢٨ هـ/ ١٤٢٤ م

قال المقريزي[١٨]: وفي يوم السبت سادسه [شعبان] حدث عند شروق الشمس زلزلة بقدر ما يقرأ الإنسان سورة الإخلاص، ثم زلزلت ثانيًا مثل ذلك، ثم زلزلت ثالثة، فلولا أن اللّه لطف بسكونها، لسقطت الدور، فإن الأرض مادت، وتحركت المباني وغيرها حركة مرعبة، بحيث شاهدت [المقريزي] حائطًا خرج عن مكانه ثم عاد، وأخبرني من لا أتهم إنه كان وقت الزلزلة راكبًا فرسه فخرج عن السرج حتى كاد يسقط.

وفي غده نودي – عن أمر السلطان – بصوم الناس ثلاثة أيام من أجل الزلزلة، فما أنابوا ولا سمعوا.

قال ابن حجر[١٩]: وفي السابع عشر من شعبان زلزلت الأرض بمصر والقاهرة قدر درجتين وكان أمرًا مهولًا إلا أنه لم يقع بها هدم شيء من الأماكن إلا اليسير.

قال العيني[٢٠]: إنه في بوم السبت، السادس من شعبان من هذه السنة، جاءت زلزلة وقت طلوع الشمس، وكان وقتًا صعبًا، ولكن اللّه عز وجل لطف بالمسلمين وأسكنها على الفور، ولم تكن قوية حتى إن غالب الناس لم يحسوا بها.

وقال السيوطي[٢١]: ونودي بصوم ثلاثة أيام من أجل الزلزلة.

[١٧] انباء الغمر، ج ٣/ ٢٧٣.

[١٨] السلوك، ج ٤/ ٢/ ٦٩٠، ٦٩١.

[١٩] انباء الغمر، ج ٣/ ٣٤٨.

[٢٠] عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حوادث وتراجم، تحقيق د. عبد الرازق القرموط، الزهراء للإعلام العربي، ط. أولى ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م، ص ٢٨٨.

[٢١] كشف الصلصلة، ص ٥٧.

٨٣٠ هـ/ ١٤٢٦ م

قال المقريزي[٢٢]: في شهر محرم حدثت زلزلة بجزيرة درحت المجاورة لهرمز من البحرين فخسف ببعض إصطبل السلطان وبدار القاضي، وانفرج جبل بالقرب منهم فرؤي فيما انفرج منه فئران في قدر الكلاب وورد الخبر بذلك إلي دمشق في كتاب من يوثق منه.

وقال المقريزي[٢٣] أيضًا في شهر شوال: في مدينة بلنسية التي تغلب عليها الفرنج - مما غلبوا عليه من بلاد الأندلس - خسف بها وبما حولها نحو ثلاث مائة ميل، فهلك بها من النصارى خلائق كثيرة. وأن مدينة برشلونة زلزلت زلزالًا شديدًا، ونزلت بها صاعقة فهلك بها أمم كثيرة. وخرج ملكها فيمن بقى فارين إلى ظاهرها، فوقع بهم وباء كبير.

٨٣٤ هـ/ ١٤٣٠ م

قال المقريزي[٢٤]: في حادي عشره [شعبان] كانت زلزلة عظيمة شديدة، بعد صلاة الظهر بجزيرة الأندلس وبمرج أغرناطة - وهي بلد همدان وبلد أوطرة وبلد دارما - فابتلعت الأرض هذه البلاد بأناسها وبقرها وغنمها وسائر ما فيها، حتى صار من يمر حولها يقول كان هنا بلد كذا وبلد كذا، وانخسف في كثير من البلاد عدة مواضع وسقط نصف قلعة أغرناطة، وتهدم كثير من الجامع الأعظم وسقط أعلا منارته، ورؤي الجامع يرتفع ثم يرجع ومقدار ارتفاعه نحو عشرة أذرع، وارتفع كذلك مرتين، وخاف رجل عند حدوث الزلزلة فأخذ ابنه وأراد أن يخرج من باب داره فالتصق جانبا الباب، وانفرج الحائط فخرج من ذلك الفرج هو وابنه وامرأته، فعاد الحائط كما كان وتراجع جانبا الباب إلى حالهما قبل الزلزلة. وأقامت الأرض بعد ذلك نحو خمسة وأربعين يومًا تهتز، حتى خرج الناس إلى الصحراء ونزلوا في الخيم خوفًا من المدينة أن تسقط مبانيها عليهم، وكان هذا كله بعد وصول السلطان المخلوع أبي عبد اللّٰه محمد الأيسر من تونس إلى الأندلس، وحصره قلعة أغرناطه سبعة أشهر، وقتله الأجناد والرجال حتى فنيت العدد والأموال، فبلغ ذلك ملك قشتالة ألفنسي فجمع عساكره من الفرنج وركب البحر إلى قرطبة يريد أخذ أغرناطة من المسلمين، فاشتد البلاء عليهم لقلة المال بأغرناطة وفناء عسكرها في الفتنة، وموت من هلك في الزلزلة وهم زيادة على ستة آلاف نسمة.

٢٢ السلوك، ج ٤/ ٢/ ٧٣٦.
٢٣ السلوك، ج ٤/ ٢/ ٧٤٨.
٢٤ السلوك، ج ٤/ ٢/ ٨٥٧، ٨٥٦.

قال العيني[٢٥]: وفي حادي عشر شعبان[٢٦]، كانت زلزلة عظيمة بجزيرة الأندلس ومرج غرناطة سقط منها أبنية كثيرة على سكانها فهلكوا، وخسف بثلاثة بلاد كبيرة في مرج غرناطة، وهي بلد همدان، وبلد أَوْطَرْه، وبلد دارما؛ فإبتلعت الأرض هذه البلاد بأناسها وبقرها وغنمها، وسائر ما فيها، حتى بقيت أرضها قاعًا صفصفًا.

وفيها جمع ملك قشتالة من الفرنج نحو مائة وثمانين ألفًا، وقصد غرناطة لفناء عسكرها من الزلزلة - نحو ستة آلاف إنسان - فأتى إليها يوم الجمعة عاشر رمضان في هذه السنة وقاتلوهم يومئذ ومن الغد، فقتل من المسلمين نحو الخمسة عشر ألفًا، وألجأ البقية إلى دخول المدينة ونزلوا بإزائها، فنظر اللّٰه إليهم حتى أرسل الشيخ أبا زكريا يحيى بن عمر بن يحيى بن عمر بن عثمان بن عبد الحق شيخ الغزاة، في ألفين من الغزاة وعشرين من المتطوعة، فآخر الأمر أوقع بهم أبوزكريا من ورائهم وأهل غرناطة من بين أيديهم، فنصر اللّٰه المسلمين حتى هزموهم، وقتلوا من الفرنج ستة وثلاثين ألفًا، وأسروا إثنى عشر ألفًا وتشتت حال من بقى منهم، فلله الحمد. وإنما كتبت هذه الكائنة في هذه السنة مع أني كتبتها في السنة الآتية للإختلاف في تاريخها.

فقال العيني[٢٧] في حوادث ٥٣٨ هـ: وفي يوم الثلاثاء التاسع من جمادى الآخرة، وقفت على كتاب ورد من المغرب من شخص يقال له إبراهيم بن أحمد بن يونس المغربي التونسي[٢٨] إلى الشيخ الفاضل أبي عبد اللّٰه بن محمد الشهير بالراعي المغربي المقيم بالقاهرة، ومن مضمونه أنه جرى[٢٩] في جزيرة الأندلس الغربية - المنقطعة بين بحر زاخر وعدو كافر - من العجائب والأهوال فيها: إنه في يوم الحادي عشر شعبان عام أربعة وثمانمائة، بعد صلاة الظهر، وقعت زلزلة عظيمة، خربت بها أبنية الأقاليم كلها، وسقطت حيطانها كلها على الناس، وخسفت ببلاد كثيرة منها من مرج غرناطة بلد همدان وبلد أوطرة وبلد دلّر، إنا لله وإنا إليه راجعون؛ وأما غير هذه الثلاثة: فأصابت الزلزال وانخسف البعض وسلّم بعضها، ولكن خسفت بلاد كثيرة، وأما غرناطة فتهرست كلها.

[٢٥] عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حوادث وتراجم، تحقيق د. عبد الرازق القرموط، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ص ٤٠٥.

[٢٦] (رجب) في نزهة النفوس للصيرفي، تحقيق د. حسن حبشي، مركز تحقيق التراث، دار الكتب المصرية، ج ٣، ص ٢٢١. اتفق مع ما ورد عندالعيني، عقد الجمان المخطوط بخط المؤلف بمكتبة أحمد الثالث برقم ٢٩١٠/ ١٩ وكان وقفا بمدرسة العيني واستوفاه بقلمه محمد السخاوي في حوادث هذه السنة.

[٢٧] عقد الجمان، ص ٤١٥-٤١٨.

[٢٨] مات بمكة في رمضان سنة ٨٨٠ هـ/ ١٤٧٦ م، انظر السخاوي الضوء اللامع، ج ١/ ٢٠٣.

[٢٩] يقول المحقق: سبق ذكرها بأسلوب آخر في السنة الماضية.

ومن مضمونه أيضًا حكى لي أبو القاسم، قاضي وادي أيما، والقاضي أبو بكر بن كثير، قاضي جبل الفتح، وأنهما جاءا من الأندلس لصاحب تونس في رسالة، فأخبرا بما وقع من الزلازل والأهوال العظام. وقال أيضًا: حكى صاحب الزكاة والمواريث أنه قال: كنت أنظر في حائط الجامع الكبير الذي بعرض الجب، فعاينته وصل لسقف الجب مرتين ورجع لموضعه وبين الجب والحائط نحو عشرة أذرع، وحلف له على ذلك بالطلاق من زوجته، وهذا من غرائب ما يحكى.

ومن ذلك ما حكى القاضي ابن بقا عن إبنه محمد، أنه قال: إنه كان ببلدة بالملاحّة في دار له مع زوجته وابنه الصغير، وإذا بالزلزلة، فجاء على طفله الصغير فخطفه من الأرض وأراد الخروج من البيت فانطمس الباب بعضه لبعض، وانفتح له شق في الحائط فخرج مع ابنه من ذلك الشق، وخرجت امرأته وراءه وانغلق الشق بعدهم، قال: واستمرت الأرض تهتز بعد ذلك نحو خمسة وأربعين يومًا، فلا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم. قال وذلك كله بعد الفتن، ووصول السلطان المخلوع في[30] تونس إلى الأندلس وحصره قلعة غرناطة سبعة أشهر، وقتلت الأجناد والرجال، وفرغت العدد والأموال، فوصل الخبر بذلك الشر والزلازل إلى صاحب قشتالة سلطان الفرنج الفنشي[31] فجمع جموعه، وهيأ مراكبه وخرج إلى قرطبة ليأخذ غرناطة وجميع بلاد الأندلس، فوصل الخبر لغرناطة بأن الفرنج قد علموا بما جرى على المسلمين من الفتن والزلازل والخسف؛ وكان الناس قد خرجوا إلى البراري خوفًا من الزلازل وسكنوا في الخيام والأخبية، فلما سمعوا بذلك خرج سلطان الإفرنج لغرناطة في عدد كثير لا يحصى يريد أخذ غرناطة وجميع البلاد الأندلسية، فخاف المسلمون واشتد عليهم الخوف من كل وجه، من قلة الذهب وأن أغلب الجيش قد هلك في الفتن والزلازل، فإن الذين ماتوا فيها أكثر من ستة آلاف نفس؛ فلذلك تجرأ عليهم النصارى فالتقوا مع المسلمين يوم الجمعة ويوم السبت متواليين، وقتل من المسلمين نحو خمسة عشر ألفًا، فطردوا المسلمين حتى حصروهم في المدينة، ثم رجع سلطان النصارى إلى منزله وهو مطمئن بالظفر بالمسلمين، فلما كان يوم الأحد – وكان يوم عيدهم – ما أرادوا القتال لأجل عيدهم، ثم إن المسلمين أخذوا في البكاء والتضرع إلى اللّه عزّ وجل والصلاة بالمساجد والصدقات التي لا تحصى؛ ثم اجتمعوا في الرأي في أمر النصارى، قالوا لا طاقة لنا عليهم إلا بالحيلة، وعزموا على الموت، ثم إن الشيخ أبا زكريا يحيى بن عمر بن يحيى بن عمر بن عثمان بن عبدالحق، طلب من السلطان ألفي فارس وعشرين ألفًا من الرجال، وخرج في نصف الليل على جبل الفخّار، حتى جاوز محلة الإفرنج لجهة بلادهم وكان بينه وبين السلطان مواعدة، أنه إذا قرب من محلتهم رفع أَمارة في الجبال، ففعل ذلك، فلما رأى السلطان الأمارة خرج بكل من بقى في المدينة،

[30] أوردها المحقق هكذا ووردت سابقا عند المقريزي «من».

[31] يتفق مع ما ورد عند المقريزي، السلوك ج ٤/ ٢/ ٦٥٨، ٧٥٨، ٨٥٨.

فعلمت الفرنج بذلك فقامت أممٌ منهم فولى المسلمون كالهاربين أمامهم وتبعهم الفرنج حتى قربوا من المدينة، وقام الشيخ يحيى المذكور من ورائهم فدخلوا محلة الإفرنج بالسيف والنار والقتل والسبيْ ووصل الخبر بذلك للإفرنج فولوا منهزمين فتبعهم المسلمون بالقتل والأسر بعد أن كانوا قربوا من أخذ غرناطة[٣٢]، ووصل الخبر بعد ذلك مع الأسرى الذين هربوا منهم، أنه مات منهم سبعة وثلاثون مقاتل.

وقال ابن حجر[٣٣]: في شعبان كانت الزلزلة في غرناطة وخسف بعدة أماكن وعدة مواضع وانهدم بعض القلعة ودامت الأرض تهتز أيامًا وسقط من جدار الجامع الأعظم، وخاف أهل البلد كلهم فخرجوا إلى الصحراء.

وقال ابن حجر[٣٤] أيضًا: واشتهر فيها وقوع زلزلة بالأندلس هدم فيها من الأمكنة شيء كثير.

٨٣٨ هـ/ ١٤٣٤ م

قال المقريزي[٣٥]: في ثالثه [ربيع آخر] قبيل الظهر حدثت زلزلة بالقاهرة تزلزلت بها الدور والأماكن ولو أقامت قليلًا لأخربت ما زلزلت.

٨٤١ هـ/ ١٤٣٧ م

قال المقريزي[٣٦]: وفيه [شهر شعبان] أيضًا حدثت بالقاهرة زلزلة عند آذان العصر اهتز بي [المقريزي] البيت مرتين إلا أنها كانت خفيفة جدًا ولله الحمد.

٣٢ النص مضطرب المعنى في «عقد الجمان» المحقق، ولكي يستقيم المعنى تمّ التصويب من المخطوط بخط المؤلف بمكتبة أحمد الثالث برقم ٢٩١٠/ ١٩ «وكان وقفا بمدرسة العيني واستوفاه بقلمه محمد السخاوي».

٣٣ انباء الغمر، ج ٣/ ٤٥٧، ٤٥٨.

٣٤ انباء الغمر، ص ٤٦١.

٣٥ السلوك، ج ٤/ ٢/ ٩٣٥.

٣٦ السلوك، ج ٤/ ٢/ ١٠٢٩.

٨٦١ هـ/ ١٤٥٦ م

قال ابن تغري بردي[٣٧]: كانت زلزلة عظيمة بأرزنكان هدمت معظمها وأضاف السيوطي[٣٨] وسورها وأبراجها وماتت مائة نفس.

٨٦٣ هـ/ ١٤٥٨ م

قال ابن تغري بردي[٣٩]: في أولها كانت زلزلة عظيمة بالكرك أخربت أماكن كثيرة من قلعتها وأبراجها وماتت مائة نفس. وأوردها السيوطي.[٤٠]

٨٨١ هـ/ ١٤٧٦ م

قال السيوطي[٤١]: زلزلت مصر زلزلة لطيفة ليلًا.

٨٨٦ هـ/ ١٤٨١ م

قال السيوطي[٤٢]: زلزلت مصر يوم الأحد سابع عشر المحرم بعد العصر زلزلة صعبة ماجت منها الأرض والأبنية موجات وسقطت بسببها شرافة أو قطعة من علو المدرسة الصالحية على قاضي القضاة الحنفي شرف الدين ابن عيد فقتلته – فإنا لله وإنا إليه لراجعون؛ وقال صاحبنا شاعر عصره الشهاب المنصوري في ذلك:

قد زلزلت مصر يوم مات بها   قاضي القضاة المهذب الحنفي
ما زال طول الحياة في شرف   حتى انقضى العمر فيه بالشرف

[٣٧] النجوم الزاهرة، تحقيق د. جمال الدين الشيال و أ. فهيم شلتوت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢ م، ج ١٦/ ١١٤.

Cf. aussi V. Grümel, *La chronologie*, p. 481.

[٣٨] كشف الصلصلة، ص ٥٨.

[٣٩] النجوم الزاهرة، ج ١٦/ ١٢٧.

[٤٠] المرجع السابق.

[٤١] المرجع السابق.

[٤٢] المرجع السابق.

وقال ابن العماد الحنبلي [٤٣]: في سابع عشر المحرم كانت بمكة زلزلة هائلة لم يسمع بمثلها.

وقال ابن إياس[٤٤]: في رمضان ثارت رياح من جهة الغرب وكانت عاصفة جدًا وأظلم بسببها الجو وأرعد وأبرق ثم أمطرت السماء مطرًا غزيرًا وكان المطر في غير أوانه في أواخر بابة، ثم جاءت الأخبار من دمياط بأن هذا الريح كان قويًا بدمياط وقد قلع عدة أشجار وهدم بعض أماكن وأغرق عدة مراكب وكان ريحها مهولًا جدًا.

وفيه جاءت الأخبار من المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام واحترقت سقوف المسجد جميعها والمنبر والحيطان والأعمدة والأبواب وما سلم من ذلك سوى القبة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وبعض حيطان المقصورة وقتل المؤذن الذي كان على المئذنة وقت نزول الصاعقة وقتل جماعة أيضًا ممن كان بالحرم الشريف فكتب بذلك محضر وثبت على يد قضاة المدينة وكان مما كتب في المحضر أن المؤذن لما طلع المئذنة الشرقية لأجل التسبيح رأى صاعقة عظيمة نزلت من السماء على المسجد الشريف النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام فعملت فيه النور فلما عاين المؤذن ذلك خرس ونزل على المئذنة فأقام ساعة ومات؛ وقد عاين عدة أطيار ببعض أعناق طوال طائفة حول المسجد تمنع النار أن تحرق البيوت التي حول المسجد، وأن المسجد جميعه قد احترق حتى صار كالتنّور فلما سمع السلطان ذلك بكى وبكى من كان حوله وتعجب الناس لهذه الواقعة كيف جرت في هذا المكان الشريف.

قال السمهودي[٤٥]: ومن العجائب إنه لم يتأت إخراج ردم هذا الحريق بعد نقله لمؤخر المسجد حتى حضر الحجاج من سائر الآفاق للزيارة، وشاهدوا هذه العبرة العظيمة، ورأوا ما اجتمع من الردم كالآكام والتلول الجسيمة، ثم قبيل دخول الحاج مكة بالقعدة الحرام من العام الثاني أرسل اللّه سيلا عظيما بمكة المشرفة ملأ ما بين الجبلين وعلا جدار أبواب المعلى، ودخل جوف الكعبة الشريفة، وارتفع فيها أزيد من قامة، وهدم دورا كثيرة يقال إنها تزيد على ألفي دار، وذهب بسبب ذلك من الأموال والأنفس ما لا يحصيه إلا اللّه تعالى حتى أنهم ضبطوا من وجد تحت الردم بالمسجد الحرام فقط عند تنظيفه فكانت عدتهم نحو الثمانين، وقيل أزيد من مائة، ولم أقف فيما نقل من سيول الجاهلية والإسلام على مثل ذلك، ولما

---

[٤٣] شذرات الذهب، ج ٧/ ٣٤٤.

[٤٤] بدائع الزهور، ج ٢/ ٢٠٩.سبب اثبات هذه النصوص هو الإحاطة بأحوال الظواهر الطبيعية المختلفة في المنطقة وخاصة لربط الحريق بالزلازل في جزيرة رودس في هذا العام.

[٤٥] وفاء الوفا، تحقيق الأستاذ محمد محيي عبد الحميد، ج ٣/ ٦٣٨، ترجع أهمية هذا المرجع لنجاته مما قد احترق من الكتب في المسجد النبوي اثناء الحريق هذا العام وذلك وفقا لما ذكره المحقق في مقدمة الكتاب؛ سبب ذكر الحريق هو أن المؤلف ذكر بمناسبته زلازل رودس.

نظفوا ذلك الردم وهو أتربة ونقض هدم حملها المسيل - لم يتأت إخراجه قبل وصول الحجاج وصار ذلك كالآكام والتلول العظيمة في المسجد الحرام، فحضر الحجاج وصار ذلك كالآكام والتلول العظيمة في المسجد الحرام، فحضر الحجاج كلهم وشاهدوا ذلك، فسبحان من بيده الخلق والأمر، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

ولما وصل خبر الحريق لرودس من بلد النصارى أظهروا بذلك فرحًا واستبشارًا وتظاهروا بالزينة وضرب النواقيس، فلم يمض ذلك اليوم إلا وقد أرسل اللّٰه عليهم زلازل عظيمة هدمت عليهم جانبًا من سور البلد والكنيسة وكثيرًا من دورهم وهلك منهم بذلك خلائق لا يحصون، ودامت الزلازل عليهم أيامًا، شاهدت ذلك في كتب وردت من ثغر إسكندرية بخط من يعتمد عليه، وذكروا أن المخبر لهم بذلك أهل المراكب الواردة من رودس المذكورة، وأنهم سافروا والزلازل مستمرة بها وهم يخرجون الموتى من تحت الهدم بعد انتقال من بقي إلى خارج البلد فتأمل هذه المعجزات النبوية.

وقال ابن إياس[٤٦]: وفي جمادى الآخرة وقعت بالقاهرة زلزلة خفيفة وماجت الناس ثم سكنت بعد أن ماجت منها الأرض بعد المغرب.

وقال ابن إياس[٤٧] أيضًا: في جمادى الآخرة كسفت الشمس كسوفًا تامًا ودامت في الكسوف نحو ثلاثين درجة وعاودت الزلزلة التي كانت بالأمس وكانت خفيفة.

٨٨٨ هـ/ ١٤٨٣ م

قال السيوطي[٤٨]: في ليلة الأحد تاسع جمادى الأولى حصلت زلزلة لطيفة.

٨٨٩ هـ/ ١٤٨٤ م

قال السيوطي[٤٩]: وفي سنة تسع وثمانين زلزلت حلب في ربيع الأول ست مرات أو أكثر زلزلة شديدة مهولة.

[٤٦] بدائع الزهور، ج ٢/ ٢٧٠.
[٤٧] المرجع السابق.
[٤٨] كشف الصلصلة، ص ٥٨.
[٤٩] كشف الصلصلة، ص ٥٩.

٨٩٦ هـ/ ١٤٩٠ م

قال السيوطي[٥٠]: في جمادي الآخرة زلزلت مصر زلزلة لطيفة يوم الأحد نصف الشهر ثم زلزلت أيضًا يوم الأحد ثاني عشرينه.

٩٠٥ هـ/ ١٤٩٩ م

قال السيوطي[٥١]: في ليلة الجمعة سابع عشرين ذي الحجة زلزلت مصر زلزلة لطيفة.

٩٠٨ هـ/ ١٥٠٢ م

قال ابن العيدروس[٥٢]: وفيها حصل بمدينة زبيد ونواحيها زلازل وتواترت ليلًا ونهارًا وأشفق الناس منها ولا حول ولا قوة إلا باللّٰه.

٩١٠ هـ/ ١٥٠٤ م

قال ابن العيدروس[٥٣]: وفيها حصل بمدينة زبيد زلزلة عظيمة، وزلزلت تلك الليلة مدينة زيلع زلزالًا عظيمًا شديدًا أوقع بعض بيوتها وخرج أهل البيوت إلى الساحل ولم يرجعوا إلى منازلهم إلا صباحًا.

وفيها انقض كوكب عظيم وقت العشاء من اليمن في الشام عرض مدينة زبيد وتشظا منه شظايا عظيمة، ثم حصلت بعده هدة[٥٤] عظيمة ولا حول ولا قوة إلا باللّٰه.

[٥٠] كشف الصلصلة، ص ٥٩.
[٥١] كشف الصلصلة، ص ٥٩.
[٥٢] النور السافر، ص ٥١، ورد الخبر عند ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٨/ ٤٤.
[٥٣] النور السافر، ص ٥٢، ٥٣.
[٥٤] سبب اثبات النص هو الهدة العظيمة بعد انقضاض الكوكب.

٩١٤ هـ/ ١٥٠٨ م

ورد عند السيوطي[٥٥]: قال الحافظ الداودي[٥٦] وفي ليلة الثلاثاء سلخ محرم سنة أربع عشرة وتسعمائة زلزلت مصر زلزلة لطيفة.

٩١٥ هـ/ ١٥٠٩ م

قال ابن العيدروس[٥٧]: وفيها زلزلت مدينة زبيد وسمع على السطوح حركات شديدة وتقلبت الآنية على الرفوف ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

٩١٦ هـ/ ١٥١٠ م

قال ابن العيدروس[٥٨]: وفيها زلزلت مدينة زبيد زلزالًا شديدًا؛ ثم زلزلت مرة أخرى، ثم زلزلت الثالثة؛ وانقض في عصر ذلك اليوم كوكب عظيم من جهة الشرق آخذا من جهة الشام رؤي نهارًا وحصل عقبه رجفة عظيمة كالرعد الشديد، وزلزلت مدينة موزع ونواحيها زلزالًا عظيمًا ما سمع بمثله، واستمرت تتردد ليلًا ونهارًا زلازل صغار وزلازل كبار، وقد أضرت بأهل الجهة أضرارًا عظيمة حتى تصدعت البيوت الضعيفة البناء، وما سلم بيت من تشعث، وتشققت الأرض المعدة للزراعة، وتهدمت القبور، واختلطت جملة من الآبار.

وقال الحافظ الداودي[٥٩]: [في مصر] في يوم الجمعة سابع ذي الحجة سنة ست عشر وتسعمائة زلزلت كذلك.

٥٥ كشف الصلصلة، ص ٦٢؛ إضافات بخط تلميذ السيوطي وهو الحافظ الداودي.

٥٦ هو شمس الدين محمد بن علي بن أحمد له تآليف متعددة منها طبقات المفسرين وترجمة شيخه السيوطي، انظر كحالة، معجم المؤلفين، ج ١٠/ ٣٠٤، مطيع الحافظ، نصوص غير منشورة عن الزلازل، ص ٢، *BEO*, 1982, p. 263.

٥٧ النور السافر، ص ٩١.

٥٨ النور السافر، ص ٩٣.

٥٩ إضافة على أستاذه الحافظ السيوطي، كشف الصاصلة، ص ٦٢.

٩١٨ هـ/ ١٥١٢ م

قال الحافظ الداودي[٦٠]: [في مصر] في يوم الإثنين عشرين المحرم سنة ثماني عشرة وتسعمائة زلزلت كذلك مقدار [ربع] درجة قبل الظهر.

٩٢٩ هـ/ ١٥٢٢ م

قال الحافظ الداودي[٦١]: [في مصر] في ليلة السبت ثامن عشر جمادى الأولى زلزلت بعد العشاء.

وقال عبد القادر الشاذلي[٦٢]: في ليلة السبت ثامن عشر جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وتسعمائة وقعت زلزلة لطيفة بالقاهرة بعد آذان العشاء الآخرة بنحو عشر درج مكثت نحو نصف درجة ارتجت فيها الحيطان والسقوف، وكان عندنا ماجور ملآن بالماء فارتج الماء وبقي له فيه حس وانكب من جوانبه.

٩٣١ هـ/ ١٥٢٤ م

قال الحافظ الداودي[٦٣]: في ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الثاني حصلت زلزلة لطيفة بمصر.

٩٣٣ هـ/ ١٥٢٦ م

قال الحافظ الداودي[٦٤]: وقعت زلزلة لطيفة في ضحوة يوم الأحد النصف من شوال [وذلك بمصر].

٦٠ إضافة على السيوطي، كشف الصلصلة، ص ٦٢.

٦١ إضافة من الداودي تلميذ السيوطي، كشف الصلصلة، ص ٦٢.

٦٢ إضافة عبدالقادر الشاذلي على السيوطي، كشف الصلصلة، ص ٦٣، ٦٤.

٦٣ إضافة على السيوطي، كشف الصلصلة، ص ٦٢.

٦٤ إضافة على السيوطي، كشف الصلصلة، ص ٦٢.

٩٣٦ هـ/ ١٥٢٩ م

قال الحافظ الداودي[٦٥]: في أواخر ليلة الجمعة عاشر شهر ربيع الأول زلزلت مصر زلزلة لطيفة نصف درجة.

وقال عبد القادر الشاذلي[٦٦]: وفي ليلة الجمعة عاشر شهر ربيع الأول قبل الفجر بنحو عشر درج وقعت زلزلة بالقاهرة وأنا بالمأذنة فماجت المأذنة منها موجًا عظيمًا وارتجت رجًا شديدًا، بحيث أني حصل لي منها خوف شديد وفزعت فزعًا عظيمًا حتى خيل لي أن المأذنة تقع بي، ومكثت تموج نحو درجتين أو ثلاث.

٩٣٨ هـ/ ١٠-١١ يوليو ١٥٣٢ م

قال الـداودي[٦٧]: في ليلة الأربعاء سابع ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة زلزلة مصر زلزلة لطيفة جدًا.

٩٤٣ هـ/ ١٥٣٦ م

قال نجم الدين الغزي[٦٨]: ووقعت زلزلة لطيفة جدًا في ليلة الثلاثاء سادس عشري رجب سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة. انتهى ما وجده شيخ الإسلام الوالد [بدر الدين الغزي] بخط الحافظ الداودي القاهري. ثم قال الوالد [بدر الدين الغزي] رحمه اللّٰه تعالى: قلت: وهذه الزلزلة وجدت بالشام أيضًا. وأردفها أيضًا في تلك السنة زلزلة لطيفة سابع عشري رمضان يعني سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة.

[٦٥] إضافة على السيوطي، كشف الصلصلة، ص ٦٢.
[٦٦] إضافة على السيوطي، كشف الصلصلة، ص ٦٣.
[٦٧] إضافة على السيوطي، كشف الصلصلة، ص ٦٣.
[٦٨] مطيع الحافظ، نصوص غير منشورة عن الزلازل، ص ٤. BEO, 1982, p. 261.

٩٧١ هـ/ ١٥٦٣ م

قال نجم الدين الغزي[٦٩]: ثم قرأت بخط الوالد [بدر الدين الغزي] أيضًا ثم في الثلث الأخير من ليلة يسفر صباحها عن يوم الإثنين رابع عشري شهر المحرم الحرام سنة إحدى وسبعين وقعت زلزلة ورجفة شديدة، ومعها دوي في الأرض واستمر أكثر من درجة بل قريبًا من درجتين، وتهدم منها بعض بيوت، وانشق جدران.

٩٧٢ هـ/ ١٥٦٤ م

قال نجم الدين الغزي[٧٠]: ثم في الثلث الأخير من ليلة يسفر صباحها عن يوم الأربعاء ثامن عشري ذي الحجة الحرام سنة إثنتين وسبعين وتسعمائة وقعت زلزلة ورجفة مع دوي في الأرض واستمر نحو درجة. انتهى ما وجدته بخط الوالد رضي اللّه عنه.

٩٨٠ هـ/ ١٥٧٢ م

قال عبد القادر الشاذلي[٧١]: وفي سنة ثمانين وتسعمائة في العيد الصغير وقعت زلزلة بعد العصر لطيفة لم يحصل منها شيء، وقد كنت بجامع الحاكم ومعي شيء من المأكول فطلعت الدكة مقابل المنبر وإذا بالدكة وقد مالت صوب القبلة وحصلت لي رجفة شديدة وظننت أنها تقع علي ففزعت من ذلك فزعًا ولم أعلم الحال وخرجت من الجامع إلى السوق، فإذا الناس يقولون: الزلزلة! الزلزلة!.

[٦٩] ص ٤. Cf., *BEO*, 1982, p. 261.

[٧٠] ص ٤. Cf., *BEO*, 1982, p. 261.

[٧١] إضافة على السيوطي، كشف الصلصلة، ص ٦٤.

٩٨٤ هـ/ ١٥٧٦ م

قال ابن الجزار[٧٢]: فلما كانت ليلة الإثنين التي أسفر صباحها عن ثاني يوم من أيام العام الجديد وهو اليوم الثاني من شهر اللّه تبارك وتعالى المحرم الحرام السعيد، المفتتح به شهور عام أربع وثمانين وتسعمائة حصلت زلزلة جلية بالأقاليم القاهرية مسبوقة بثلاثة أخر.

٩٩٦ هـ/ ١٥٨٧ م

قال الإسحاقي[٧٣]: في يوم الأحد المبارك رابع شهر صفر سنة ست تسعين وتسعمائة حصلت زلزلة بمصر بعد ظهر اليوم المذكور فمكثت درجة وسدسًا وسقطت منها منارات وبيوت وربوع وفاض الماء من حيطان الحمامات ومطاهر الجوامع وهدمت عقبة أيلة ونهب العرب جميع ما كان فيها من ذخيرة الحجاج والمحافظين وسقطت صخرات من الجبال بطريق مكة. وحال وقوع الزلزلة المذكورة كان مؤلف هذا التاريخ إذ ذاك ببيت نقيب الجيوش بمصر فشاهد حوش البيت المذكور وهي تتمايل ولها قعقعة وسقط منها بعض أحجار وكان بالحوش المذكورة سدرة كبيرة فصارت تتمايل يمينًا وشمالًا كأنها فلاة وطرفها ريح عاصف ولم ير مثل هذه الزلزلة وقد نظم بعض الفضلاء:

إقــــتــــرب الأمــــــــر فــتـــب مــمــتــــــــــــثـلا لـلـمـوعـظـة
زلــــزلــــة قــــــــــد أرعــــبــــت تــاريــخــهـا وهـــي عــظـــة = ٩٩٦

وفي يوم الأربعاء عاشر جمادى الأول من السنة المذكورة حصلت زلزلة عند طلوع الشمس مكثت مدة يسيرة وقد ذكر جماعة أن جانبًا من جبل المقطم بالقرب من البتنون[٧٤] بشرق إطفيح انفرق ثلاث فرق وخرج من كل فرق عين ماء أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأشد ما يكون في الجريان.

[٧٢] تحصين المنازل من هول الزلازل رسالة بمناسبة وقوع زلزلة بمصر سنة ٩٨٤ هـ، مجلة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة: *Annales islamologiques* XII, p. 142-156 ١٩٧٤ م، تحقيق مصطفى طاهر.

[٧٣] تاريخه «كتاب لطائف الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول»، ص ٢٢٢، ٢٢٣.

[٧٤] وردت التبين عند مرعي بن يوسف، نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين (مخطوط رقم ٢٢٦٩، دار الكتب المصرية)، ص ٣٥٦.

وقال عبدالقادر الشاذلي[٧٥]: وفي يوم الأحد رابع صفر سنة ست وتسعين وتسعمائة بعد الظهر بيسير وقعت زلزلة بالقاهرة مكثت نحو خمس درج ماجت المآذن ووقع بعض رءوس منها ومالت الفساقي بالماء وكذلك الحياض حتى حدثني من أثق به قال: كنت في الحمام وظهري للحوض فمال عليّ الحوض فانكب عليّ الماء وكان شديد الحرارة فرفعت رأسي إذا بجامات[٧٦] الحمام وهي تتمايل، ففزعت فزعًا شديدًا وخرجت بسرعة وفي ظني أن الحمام يخسف بي فوقعت الفوطة من وسطي ولم أشعر حتى خرجت للمسلخ، قلت: ما هذا الحال؟ فقال الناس لي: هذه الزلزلة.

وقال ابن العيدروس[٧٧]: وفيها وقعت الزلزلة بالمدينة الشريفة فقال بعض الفضلاء من أهل مكة في ذلك:

إذا زلـزلـت أرض خـيـر الـورى   فـزلـزلـت الأرض زلـزالـهـا
فشـمـر عـن سـاقـه عـــارف   وقـال ذوو الـنُـهـى مـا لها

وقال ابن أبي محلي السجلماسي[٧٨] في ذكر الحوادث الأرضية: فمنها ما وقع وأنا يومئذ بفاس في دولة أبي مروان بن السلطان محمد الشيخ رحمه الله أو قريبًا منها خسوف وقع بأرض بني وَرِتَن - كما سبق بفتح الواو وكسر الراء وفتح المثناه الفوقية بعدها نون ساكنة بينها - وبين مدينة فاس مسيرة يوم بشرقيه، وهو خسف مشهور مستفيض، فأقول بمقدار حرث زوج من البقر - وانظر هل هو الخسف الموعود به في الحديث وأنه يقع في الغرب آخر الزمان.

[٧٥] إضافة على السيوطي، كشف الصلصلة، ص ٦٤.

[٧٦] جمع جامة: فتح إضادة داخل حمام وهي فتحة صغيرة ذات شكل زخرفي أو هندسي تغشى بالزجاج الملون؛ وهي كلمة فارسية معربة وانتقل في معناه للعمارة المملوكية. انظر معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، د. عاصم محمد رزق، نشر مكتبة مدبولي ٢٠٠٠ م، ص ٦٣.

[٧٧] النور السافر، ص ٤٤٣. ويتضح من ذلك تأثر منطقة حوض البحر الأحمر بالزلازل.

[٧٨] المتوفى ١٠٢٢ هـ/ ١٦١٣ م وله «عذراء الوسائل وهودج الرسائل في مرج الأرج ونفحة الفرج» ويطلق عليها: الرحلة المشرقية، في نسختين بالخزانة الحسنية - الرباط - نسخة أصلية رقم ١٠٠، ورقة ١١٤ ظهر ونسخة أخرى مستنسخة برقم ٤٤٤٢.

وكذا وقعت زلزلة عظيمة بالحجاز إنهدت منها الصخور وتشققت الأرض في آخر القرن العاشر بعد التسعين منه منه ولما حججنا عام إثنين بعد الألف، رأيت تلك الصخور المنهدة بها مع شقوق الأرض بمقربة مغارة شعيب عليه السلام، أوقفني بعض من شاهد ذلك من المصريين في حينه وفقه اللّه.

وقد كنت ليلة على سطح مدرسة العطارين بفاس زمن القراءة - وقد تقدم تاريخه - في أناس فمال السطح بمن فيه حتى فر الجميع خوف سقوطه فكنت من جملة من فزع معهم، ثم هبطت للطبقة السفلى وأخبرت بعض من كان تحتنا يومئذ وهو أبوعبد اللّه المديوني فقال ما شعرنا بذلك فظننا موعظة خاصة بمن كان فوقه واللّه أعلم.

قال النابلسي[٧٩]: ثم إني وجدت في ذيل هذه النسخة بخط النجم الغزي رحمه اللّه تعالى ما صورته: في سنة ست وتسعين وتسعمائة في أوائل صفر زلزلت زلزلة عظيمة وقعت منها قلعة تبوك والحجاج بها.

[٧٩] مطيع الحافظ، نصوص غير منشورة عن الزلازل، ص ٥. BEO, 1982, p. 260.

الزلازل في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين

١٠١٢ هـ/ ١٦٠٣ م

قال النابلسي[١]: ثم إني وجدت في ذيل هذه النسخة بخط النجم الغزي رحمه اللّه تعالى ما صورته: وفي ليلة السبت حادي عشر شوال سنة إثنتى عشرة وألف في وقت آذان العشاء وقعت بدمشق زلزلة خرج منها بعض السقوف حتى رئي السماء. ثم حدثني أهل البقاع بوقوعها ساعتئذ عندهم. ووقع في ليلة الإثنين ثاني عشر ذي القعدة سنة إثنتي عشرة وألف صاعقة هائلة بدمشق على منارة جامع التوبة فأسقطت أعلاها، واحترق حانوت السمان على باب الجامع المذكور، وكان في حانوت آخر قنب فصار فحمًا، وكان عندنا بالبيت شجرة عنب أثمرت سنوات، وفي هذه السنة طلعت عيونها وظهر حملها فأصبحت صبيحة تلك الليلة يابسة من عروقها إلى أصولها، كأنها جفت من قديم، وكان وقت سقوطها في ثلث اليل الأخير.

١٠١٥ هـ/ ١٦٠٦ م

قال النابلسي[٢] عن نجم الدين الغزي: وفي ليلة الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وألف زلزلت الأرض بعد العشاء بنحو عشرين درجة وكنا ببعلبك.

١ ص ٥، Cf., *BEO*, 1982, p. 260.

٢ ص ٥، Cf., *BEO*, 1982, p. 260.

١٠١٨ هـ/ ١٦٠٩ م

قال النابلسي عن نجم الدين الغزي: بلغني أن حلب ونواحيها زلزلت زلزلة عظيمة هائلة في عشية يوم الأحد حادي عشر ذي الحجة الحرام عند الغروب سنة ثماني عشرة وألف.

١٠٢٢ هـ/ ١٦١٣ م

قال الإسحاقي[٣]: تولى محمد باشا مصر ثاني عشرين شعبان سنة عشرين وألف، وفي شهر ربيع الآخرة سنة اثنتين وعشرين وألف، ورد على محمد باشا عسكر من البلاد الروميّة نحو أربعة آلاف نفر خارج على الأتباع بقصد الإقامة بمصر، فلما وصلوا إلى مصر واستقروا بها ورد حكم خاقاني من الملك بأن محمد باشا يجهز العسكر الذين وردوا عليه إلى اليمن، فشق عليهم ذلك وعلموا أنها حيلة عليهم، وكان سبب خروجهم من البلاد الروميّة أنهم أحدثوا فتنة بالقسطنطينة وقاتلوا محمد باشا وأحدثوا فتنة أخرى فلما اشتد الحال على الخوارج ولم يجدوا قوة على القتال طلبو الأمان وأجابوا بالإمتثال في التوجه إلى أي محل يريده محمد باشا، وخرجوا جميعًا ولم يتخلف منهم أحد وتوجهوا إلى السويس واندفعت تلك الفتنة وكفى اللّه المؤمنين شرها، فاتفق عند خروجهم حصلت زلزلة فنظم بعض الفضلاء في ذلك فقال:

خرج الخوارج للسويس وهججوا ... من أرض مصر لكثرة الفساد
رقصت لهم طربا فقالوا زلزلت ... زالوا فزالت جملة الانكار
حفروا لمولانا الوزير محمد ... بئرا ففيها أوقعوا الفساد
واللّه ساعده على إذهابهم ... وأمده بنهاية الأمداد

١٠٢٧ هـ/ ١٦١٧ م

قال النابلسي[٤] عن نجم الدين الغزي: وفي آخر يوم الأربعاء خامس عشر رجب سنة سبع وعشرين وألف قبل الغروب بدرجتين زلزلت الأرض زلزلة لطيفة، وفي أثناء شعبان زلزلت الأرض زلزلة لطيفة.

[٣] تاريخ، ص ٢٤٢؛ ووردت أيضًا هذه الفتنة العسكرية مرتبطة بالزلزلة عند مرعي بن يوسف، نزهة الناظرين، (مخطوط)، ورقة ٣٩٦.

[٤] ص ٥، Cf., *BEO*, 1982, p. 260.

١٠٢٩ هـ/ ١٦١٩ م

قال النابلسي[٥] عن نجم الدين الغزي: وفي سنة تسع وعشرين وألف سقط من الجبل الذي في ظله قرية دركوش على حارة منها فانهدمت عدة بيوت، منها بيت قهوة فهلك تحتها نحـو سبعين نفسًا، وكأنـه لزلزلة كانت.

١٠٣٣ هـ/ ١٦٢٣ م

ورد عند السلاوي[٦] قال صاحب الممتع[٧] في ترجمة الشيخ أبي عبد اللّٰه محمد بن حكيم الأندلسي: اعتراه ذات يوم حال، فجاء إلى أفران الناس وجعل يقول لصاحب الفرن: اغلق فرنك ! اغلق فرنك ! ويصيح به فإذا بالغلاء العظيم حدث عقب ذلك وهو غلاء سنة أربع عشر وألف فتعطل ذلك الفرن وغيره من أفران المدينة؛ وكان يمر بالطرقات فيقول: الناس يأكلون أولادهم ويكرر ذلك على جهة الإنكار فجاء الغلاء المذكور فكان الناس يأكلون في الأسواق عن أولادهم، ولم يكن يعهد الأكل بالأسواق قبل ذلك.

وفي سنة ثلاث وثلاثين وألف عند فجر يوم السبت الثاني والعشرين من رجب منها حدثت زلزلة عظيمة بفاس، فلقد ورد في ترجمته أنه كان قبل الزلزلة المذكورة يصيح: المردومات ! المردومات ! فإذا بالزلزلة حدثت قال فما بقيت دار من فاس غالبا إلا دخلتها الفؤوس.

١٠٣٥ هـ/ ١٦٢٥ م

قال النابلسي[٨] عن نجم الدين الغزي: وفي يوم الأربعاء ثاني عشري ربيع الثاني سنة خمس وثلاثين وألف حصلت زلزلة لطيفة بدمشق. وبلغنا أنه وقع في هذا اليوم زلزال بحماة، وقع سوق الدهشة بها وقتل تحت الردم ناس فيهم كثيرة.

٥ ص ٥، Cf., *BEO,* 1982, p. 260.

٦ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ت ١٣١٥ هـ/ ١٨٩٧ م، الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى، القاهرة، ٤ ج، ١٨٩٤ م، وبالدار البيضاء، دار الكتب، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري، ٩ ج، بين ٥٤-١٩٥٦ م، ج ٦/ ١١٠، ١١١ الجزء الخاص بالدولة السعدية.

٧ ينقل السلاوي عن سيدي محمد الفاسي في كتابه «ممتع الأسماع» أنظر مقدمة كتاب كشف الصلصلة، وزارة الثقافة، المغرب، تحقيق عبد الطيف السعداني، الرباط؛ ويلاحظ الحاسة السادسة في توقع الكوارث على الإجمال ومنها الزلازل.

٨ ص ٥، Cf., *BEO,* 1982, p. 260.

١٠٣٧ هـ/ ١٦٢٧ م

قال النابلسي[٩] عن نجم الدين الغزي: وفي ليلة الأربعاء الخامس عشر شهر ربيع شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وألف زلزلت دمشق بعد العشاء بنحو خمس درج زلزلة شديدة ظاهرة إلا أنها لم تطل.

١٠٥٠ هـ/ ١٦٤٠ م

قال النابلسي[١٠]: وقد وجدت في بعض هوامش كتاب: إنه في سنة خمسين وألف زلزلت بلاد العجم سبعة أيام، بحيث انهدمت فيها بيوت كثيرة وجوامع ومنارات وأسواق، وهلك خلق كثير من الناس والدواب لا يمكن حصرهم.

١٠٦٧ هـ/ ١٦٥٦ م

ورد عند محمد راغب الطباخ[١١] عن المؤرخ التركي مصطفى نعيما: ومن الوقائع العجيبة إنه في الليلة التي قتل فيها حسن باشا وجماعته بحلب وذلك في ليلة السبت حصل في ذلك اليوم وقت العصر في الآستانة زلزلة عظيمة خرب بسببها بيوت كثيرة وسمعت تلك الزلزلة في كثير من البلدان وحصل لأهل البلاد منها خوف عظيم ثم قال: قال أرسطو في كتابه المسمى ب «أدوار وأكوار»: كل زمن يحصل فيه بين الناس فتن تسفك لأهلها الدماء وتزهق الأرواح بغير حق يعقب ذلك حصول حوادث سماوية من خسوف أو كسوف أو وقوع زلازل أرضية، وحوادث الأزمنة الغابرة أيدت ذلك حيث أنه كان يعقب كل ملحمة من الملاحم حصول أمر من الأمور السماوية أو بليـة.

١٠٧٣ هـ/ ١٦٦٢ م

قال محمد بن الطيب القادري[١٢]: ووقعت زلزلة في النصف من يُنْيَه.

[٩] ص ٥، Cf., *BEO*, 1982, p. 260.

[١٠] ص ٤، Cf., *BEO*, 1982, p. 259.

[١١] إعلام النبلاء بأعلام حلب الشهباء، ج ٣/ ٢٦٨. ويقصد المؤرخ خروج حسن باشا أبازه زاده على الدولة وتغلبه على كثير من البلاد العثمانية ومن جملتها حلب ومحاربة مرتضى باشا ثم قتله في حلب.

[١٢] نشر المثاني، ج ١/ ٢٤٦.

وقال البغدادي[١٣]: احترقت جزيرة في البحر ذلك أن أهل بعض السفن أتوا إلى جزيرة خالية في بحر الروم فصعدوا إليها وطبخوا طعامًا وكان في تلك الجزيرة معدن كبريت فعملت النار فيه وأخذت كل ما تنقطع من تلك الجزيرة قطعة تذهب في البحر، ويسمع وقت قطعها هدّة عظيمة حتى حكى لي رجل ثقة من أهل «وان» أنه سمع صوت الهدة من بلدة «وان» وبينها وبين تلك الجزيرة تقريبًا ثمانون مرحلة. وكانت الناس قبل علمهم باحتراق الجزيرة يقولون هذه طوبات من الغيب تنذر بأمر عظيم وبعد أن ظهر الأمر تركوا الوساوس، وأعقب احتراقها زلازل كثيرة في بلاد الروم.

١٠٧٥ هـ/ ١٦٦٤ م

قال السلاوي[١٤]: في عاشر رمضان منها وقعت زلزلة عظيمة بفاس وغيرها من بلاد المغرب؛ قال الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الهادي الشريف السجلماسي: وقعت الزلزلة ونحن في التاريخ المذكور بمجلس عند شيخ الجماعة الإمام أبي محمد عبد القادر الفاسي رحمه اللّٰه، فقام كل من بالمجلس حتى الشيخ ظنًا منّا أن السقف سيسقط علينا لأن خشبة صوتت وخرج الناس سراعًا يطلبون الخبر، فأخبر بها كل من كان راقدًا أو جالسًا حتى النائم انتبه، ومن كان ماشيًا لم يشعر بها، فسُئل الشيخ عن ذلك وهل هو كما تزعم العامة من أن الثور الذي هو عليه الدنيا أو الحوت يتحرك، فأجاب بأن ذلك باطل لا أصل له، وتلا قوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾[١٥] وقال أيضًا: ذكر بعض الحكماء: إن ذلك يقع من اختناق الريح في جوف الأرض.

وأضاف الكتاني[١٦]: وهذا البعض من الحكماء هو ابن سينا وقد ذكر ذلك في كتابه النجاة الذي اختصر به الشفاء وهو باطل أيضًا كما صرح به غير واحد مبني على تأثير الفلك في العناصر.

وقال محمد بن محمود[١٧]: [في مصر] في ثالث عشر جمادى الأولى ظهر نجم بالسماء وله ذنب طوله ذراعين أو أكثر وحصل زلازل ثلاث مرار.

١٣ أحمد بن عبد اللّٰه البغدادي، عاش في القرن الثاني عشر الهجري، عيون أخبار الأعيان ممن مضى من سالف العصر والأزمان، مخطوط في مجلدين برقم ٣٨١٠ تاريخ، دار الكتب المصرية، ج ٣/ ٥٧٥.

١٤ الأستقصا المرجع المشار إليه سابقا، ج ٧/ ١٠٥.

١٥ سورة الإسراء: آية ٥٩.

١٦ سلوة الأنفاس، ج ١/ ٣١٣. وأثار الكتاني جدلًا حول أسباب الزلزلة أخذ أغلبه من كتاب كشف الصلصلة للسيوطي وأشار إليه.

١٧ كتاب الصواعق في واقعة الصناجق (مخطوط بدار الكتب المصرية)، ورقة ٦٢٠، ٦٢١.

١٠٩٥ هـ/ ١٦٨٣ م

قال النابلسي[١٨]: وبلغنا أن في سنة خمس وتسعين وألف وقعت زلزلة فزحلت قرية في بلاد الشوف التي كانت في أعلى جبل هناك، فنزلت إلى أسفل الوادي بجميع بيوتها، وأهلها غيها نائمون ليلًا، فلما أصبحوا وجدوا أنفسهم في بيوتهم على حالها في أسفل الوادي، والقرية على حالها ببيوتها وأشجارها وهي الآن كذلك، واسم القرية سفينة.

١٠٩٩ هـ/ ١٦٨٧ م

قال كمال الدين الغزي[١٩]: وجدت بخط شيخ مشايخنا الشيخ المؤرخ مجد الدين محمد بن عيسى الكناني الخلوتي الصالحي ماصورته: وفي يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان المعظم قدره سنة تسع وتسعين وألف قبل صلاة الجمعة وقع في أيسكلة أزمير في بلاد الروم بقرب قسطنطينية المحمية زلزلة عظيمة انهدمت منها البيوت والدور والخانات والأسواق والجوامع والمساجد، وسقط بعضها على بعض وساخت البيوت والأماكن في الأرض، وظهر منها نار محرقة كبريتية وهلك جميع من فيها من المسلمين والإفرنج واليهود والعساكر والنساء والأولاد، وكانت عدة الهالكين تزيد علي خمسين ألف نفس ولم يسلم من أهلها إلا القليل ممن كان خارجا عنها في البر والبساتين، وقد جاء من سلم من أهلها قليلًا في غليون إفرنج إلى جزيرة قبرس، ثم إلى مدينة عكّا في يوم الثلاثاء سادس شوال من هذه السنة المذكورة أعلاه فحرر ذلك لأجل التوبة والإعتبار في التاريخ المزبور ونقل من خط العلامة علاء الدين علي خطيب عكا.

قال الكناني المزبور قلته وقد أخبرني من كان حاضرًا من أهل صالحية دمشق، وهو الحاج أحمد الجبلي وكان هناك في جبل أو قرية مرتفعة جالسًا في الشمس ينظر ويتفرج على إزمير المزبورة، فبينما هو كذلك إذ رأى رؤوس منائرها ظاهرة من خلال الماء ولم ير البلد وكان ذلك على خمس درج فلا قوة إلا باللّٰه.

[١٨] ص ٤، Cf., *BEO*, 1982, p. 259.

[١٩] التذكرة الكمالية، تحقيق مصطفى طاهر، *BEO*, 1974, XXVII, p. 76.

١١٠١ هـ/ ١٦٨٩ م

قال البغدادي[٢٠]: وقعت الزلزلة في بلدة كازرون فهلك خلق كثير تحت الردم، وفيها اهتزت الأرض هزة خفيفة وقت الأسحار.

١١٠٦ هـ/ ١٦٩٤ م

قال كمال الغزي[٢١]: وجدت بخط الشيخ الإمام محمد بن عبد الحي ابن.... الشهير بالداودي الدمشقي الشافعي ومنه نقلت ما صورته: وجدت بخط أستاذنا العلامة الشيخ إلياس بن إبراهيم الكوراني الشافعي حفظه اللّه تعالى ونفعنا اللّه ببركاته صورة مكتوب ورد عليه من بلاد كوران مذكور فيه هذه الواقعة العجيبة وكانت باللغة الفارسية فعربها ونصّها:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم، الحمد للّه رب العالمين والصّلاة والسلام على محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين: اعلموا أيها الإخوان أنه ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾[٢٢] في بلاد الكوران، في أول قوس حصلت البرودة الشديدة بقدرة اللّه تعالى حتى جمدت الأنهار والعيون والأودية والتلول والجبال وصارت تزداد البرودة يومًا فيومًا وتشتد، بحيث لم يبق نداوة ولا طراوة على وجه الأرض، والجمد صار بمثابة الحجر، وهكذا حتى دخل وقت الحمل وبرجه، وقد حصل للإنسان والطيور والوحوش الجبلي والإنسي ضعف عظيم وتفرقة كتيب، وتحير وعذاب أليم، ويقول الناس ما أحد رأى مثل هذا الأمر المهول، واستمرت مثل هذه الداهية العظمى والجهد واللأواء والضنك إلى ليلة سبع وعشرين المبارك سنة ست ومائة وألف، ونزلت البردة نبذة حتى وقت السحور، واشتغل الناس بعاداتهم، بعضهم في النوم، وبعضهم في الصلاة وبعضهم في السحور فإذا صوت هائل مثل صوت الرعد، بل مثل حوافر أفراس يركضون فوق سقف مسقف بالخشب، وزادت الأصوات الهائلة ففي تلك الحالة تحركت الأرض وتزلزلت واختلفت الحركة في كل ناحية، أولًا: مثل جناح الطيور بحركتها، ومثل رجفة الفرس كذلك، وثانيًا: على ما حكاه وأرسله الشيخ الفاضل الكامل الشيخ أحمد من مكتوب بأن سقوف البيوت تتوجه تارة قبلة وتتكشف السماء وتعود إلى الوراء وتنكشف كذلك والميمنة كذلك.

[٢٠] عيون الأخبار، مخطوط، ج ٢/ ٥٨٠.

[٢١] التذكرة الكمالية، تحقيق مصطفى طاهر، *BEO*, 1974, XXVII, p. 69-71.

[٢٢] سورة الواقعة: آية ١، ٢.

واشتدت الزلزلة وخرجت الطيور من أوكارها والحيوانات من اصطبلاتها بسبب انفتاح الأبواب من شدة الحركة، وارتفعت الأصوات من الإنسان والحيوان والطيور، وحشرت وحوش الجبال إلى السهل، وصار الحال كحال القيامة ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ * أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾[٢٣] وصار بعض الناس يستغفر اللّه وبعضهم يقول اللّه اللّه، وبعضهم سبحان اللّه، وبعضهم لا إله إلا اللّه، ووقعت الإستغاثة والبكاء والتضرع والذكر بالعربي والكردي والفارسي بمقدار قراءة جزء من القرآن العظيم، ثم تموّج بحر فضل اللّه ورحمته وكرمه بإسكان تلك الشدة والحركة بنحو الآية الكريمة ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[٢٤] فسكنت الأصوات والحركة بحيث يقدر الإنسان أن يتوضأ ويصلي وبعد ظهور النهار رأوا قرية تسمى «بنير» كانت في أسفل جبل عال – واللّه أعلم – ربما يجيء مقدار طوله ثلاثة أميال وأزيُد وانقلع ذلك الجبل ووقع على القرية فطمسها بأهلها من الإنس والحيوان والأشجار والأنهار ولم يظهر منها لغلظ، لا من الأشجار والبساتين ولا من غيرها. وقرية تسمى «بطاي» في تلك انهدمت مساجدها وبيوتها وهلك من أهلها مقدار ثلاثمائة وستين شخصًا ومن الحيوانات والأموال ما لا يأتي في الحساب، والذين كانوا في خارج القرية شرعوا في حفر التراب بأيديهم لكون الآلات كلها مطموسة تحت التراب، فصاروا يخرجون أمواتهم ويدفنوهم بكسوتهم التي عليهم لعدم وجود المال والقماش لتفتته تحت التراب، وغير هاتين القريتين هلك بعض الأهل نحو مائة ونحو ثمانين وسبعين ونحو خمسين ونحو أربعين ونحو ثلاثين ونحو عشرين ونحو عشرة على الأقل منها ستة أو سبعة.

ومقدار هذه القرى التي انهدمت بالزلزلة ثلاثة أيام وقيل خمسة أيام وعرضها أقل منها. وهذه الحركة استمرت كل يوم عشر مرات أو أكثر إلى نحو ستة أشهر، لكن الحركة الخفيفة مثل لوح رفيع فوق الماء إلا في وقت السحور الذي كان هلاك القرى والجبال والناس والدواب فيه كانت الحركة أشد من غيرها إلى أن مضى من شهر المحرم خمسة وعشرين يومًا في سنة ثمان ومائة وألف خففت تلك الحركة في كل يوم سبع مرات، والحركة الشديدة كل يوم ثلاث مرات، وبعد هذا كل سبع أيام مرة أو في كل يوم سبعة مرات، والحركة الشديدة كل يوم ثلاث مرات، وبعد هذا كل سبعة أيام مرة أو مرتين، وفي كل عشرين يومًا مرة أو مرتين وبقى هذا الأمر إلى نحو ثلاث سنين على ما حكي.

وأما الغنم الجبلي والبقر الوحشي ودوابه تنزل من الجبل إلى السهل من شدة الزلزلة مثل قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[٢٥] وأما قلع الأحجار من الجبل والنزول إلى أسفله كل يوم أربع مرات وثلاث

[٢٣] سورة عبس: آية ٣٤، ٣٥.
[٢٤] سورة النمل: آية ٦٢.
[٢٥] سورة التكوير: آية ٥.

وأقل مثل ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[٢٦] والحاصل بيان تلك الحركة لا يأتي في الوصف، لكن قال الفاضل ابن شيخنا الشيخ أحمد: يمكن وضعها بالمناسبات والمشابهات وذلك أن اللَّه جلّ جلاله وعظُم سلطانه جعل الأرض بوسعها وعظمها مع أوتادها وجبالها الراسيات وغلظها بمثابة لوح فوق البحر يحركها الموج بالسرعة تارة إلى اليمين، وتارة إلى الشمال، وإلى الخلف والأمام، والعلو، والسفل، كذلك تنحدر الأحجار العظام في تلك الحالة من فوق الجبل العالي إلى أسفله وتتولد منها النار، وتقع على الجبل تشقه، وعلى الأشجار كالجوز والحور والدلب وغيرها تحرقها في لحظة من النار والبروق تارة وتارة بمثابة ورق رفيع تحركه الريح وتارة تصوت بمثابة إناء نحاس يضرب عليه شيء، واستمرت نحو ستة أشهر، ثم في كل يوم وليلة تتحرك إثنى عشر مرة خصوصًا في وقت السحر تشتد الحركة بحيث أنه ارتفع النوم على الخلائق وتعطلت الأشغال العادية، ثم خففت شيئًا فشيئًا حتى صارت تتحرك كل يوم مرتين، ثم في كل ثلاثة أيام مرتين، ثم في كل أسبوع كذلك، ثم في كل شهر كذلك ثم في نحو ثلاثة أشهر كذلك.

وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب، حتى وصلت الزلزلة إلى غاية ينقلع بها بستان رجل من محله ويصل إلى بستان رجل آخر، وأرض رجل تصل إلى أرض رجل آخر ويقع بينهما النزاع الشديد، وانقلبت أرض من مكان طولها مقدار عشرين ذراعًا وعرضها نحو ثلاثين ذراعًا وعليها الأشجار كالجوز والتفاح وغيرهما والحشيش ووقفت في الهواء مسافة العلو مقدارثلاثين ذراعًا ولم تتغير الأشجار والحشيش أصلًا حتى حكى لي رجل أثق به أن في قرية اسمها دينور مدفون فيها ولي اللَّه المشهور بممشاد الدينوري – قدس سره – وكانت قبلة في مكان واسع فيه عين ماء وأشجار ومسجد وبعض الخلوات، وكانت عادة أهل تلك القرية أنهم يذبحون كل سنة شاتين ويطبخون ويطعمون الفقراء وكلما غفلوا من ذبح شاتين تتحرك القرية، فقدر اللَّه سبحانه وتعالى غفلتهم تلك السنة التي وقعت فيها الزلزلة فانقلعت تلك القبة والأرض مع عين الماء والأشجار والمسجد من أماكنها وبقربها تل عظيم، ووقفت فوق ذلك التل ولم يتغير شيء من القبة والأشجار والماء وغيره مما كان فيها أصلًا، وخسفت القرية في الأرض ولم ير أثرها والحاصل أن مقدار طول الأرض التي تغيرت بالزلزلة وبعض القرى ومن فيها خمسة أيام وعرضها ثلاثة، والزلزلة التي لم تتغير فيها القرى وأهلها طولها مسافة عشرة أيام وعرضها مقدار سبعة أيام واللَّه أعلم بحقائق الأشياء.

[٢٦] سورة البقرة : آية ٧٤.

١١١٧ هـ/ ١٧٠٥ م

قال النابلسي[٢٧]: ووقع بعد ذلك في سنين متعددة زلازل في دمشق الشام وغيرها من البلاد، وقد أدركنا بعض ذلك ولكن لم نتقيد بكتابة تاريخه، إلى أن رأينا في هذه السنة وهي سنة سبع عشرة ومائة وألف ما لم نره في غيرها من السنين من تتابع الزلازل في الليالي والأيام بدمشق الشام.

وكان ابتداء ذلك في ليلة الثلاثاء سابع شعبان من من السنة المذكورة، وكنا نحن وأولادنا تلك الليلة في بيتنا الذي في جبل قاسيون وسفح الصالحية، فلما مضى من الليل عشر ساعات حصلت الزلزلة الأولى فأيقظتنا من النوم رجفة الأرض وحركتها، فقمنا واستغفرنا اللّٰه تعالى وسبحانه وهلّلنا وكبّرنا، وبلغنا أن الناس من أهل دمشق لمّا رأوا السقوف تضطرب وتقعقع ظنوا أن فوق الأسطحة سراقًا يعدون فخرجوا بالأسلحة فلم يجدوا أحدًا حتى تحققوا أن ذلك زلزلة، وكان غالبهم يعلم ذلك.

ثم إنه في تلك الليلة بعد مضي ساعة حصلت زلزلة أخرى أقوى من الأولى وأشد منها كان الماضي من الليل إحدى عشرة ساعة بحيث اضطربت علينا السقوف ورجفت الأرض فخرجنا جميعًا إلى صحراء البيت، وسمعنا لأهل الشام في بيوتهم ضجيجًا وصياحًا، وكانت الزلزلة الثانية مقدار الدرجة أو الدرجتين، ثم سكنت الأرض فجلسنا في البيت الذي كنا فيه وعملنا هذه السبعة أبيات مع التاريخ وكتبها من كان معنا من الحاضرين وهي هذه:

أيهـــا النـــاس جانبـوا البـغضـــا	بينكم وأشـفـقـوا عـلـى الـمـرضـى
واتـقـوا اللّٰه واعــــبـدوه ولا	تهـمـلـوا سنـــة ولا فرضـــــا
واتــركــوا الـظـلـم بـيـنـكـم ودعــوا	غـيبــة صـــار شـرهـــا محضـــا
والربــــــا والريــــا بأجمعـــه	والـــزنــا وإحـفـظـوا لـكـم عـرضا
وبــــهـذا ونحــــــوه أبـــــــدا	لا تـظـنــوا إلـــــهنـا يـــرضى
فالرقيــب الرقيـــب مـــطلـــــــع	أمره ليــس يـــقبــل النقضـــا
إنمــــا اللّٰه كشــف شــــاء بنـــــا	أرخـــوه **يزلزل الأرضـــــا** = ١١١٧

[٢٧] ص ٦-٨.

Cf. *BEO*, 1982, p. 257-259.

ثم إنه حصل عقيب تلك الزلزلة بعد درجتين أو ثلاث زلزلة أخرى خفيفة ثم استمر الأمر بعد ذلك إلى أن دخل شهر رمضان يقع في كل يوم وكل ليلة زلزلة خفيفة يشعر بها بعض الناس والبعض لا يشعر فنظمنا في ذلك قولنا مع التاريخ أيضًا:

زلازل في جلق الشام قد تتابعت تعجز توصيفكا
واللَّه قد كررها آية يريد في التاريخ تخويفكا

وقد حصل من الزلزلة الثانية التي ذكرناها بأن وقعت بيوت وتهدمت جدران وتقلقلت سقوف وبنايات في دمشق وخارجها وفي القرى حتى إنه هلك تحت الردم في القرى خلق كثير، وانشق أعلى المنارة الشرقية في جامع بني أمية، وسقط حجران من أعلى المنارة الغربية، ولم يحصل من ذلك ضرر، وسقط في الصالحية أعلى منارة المرشدية ومنارة جامع الأفرم وحصل من البنيان في مغارة الدم أعلى جبل قاسيون. وبلغنا أن قلعة القسطل وقريتها انهدمت، وكذلك دير في يبرود، وبيوت كثيرة في القرى.

ثم إنه اتفق أنه وردت الزينة السلطانية في أثناء ذلك، وأمرت الناس بإظهار الفرح والسرور وعمل الناس العراضات ففعلوا ما لا مزيد عليه من أنواع الملاهي، والزلازل اللطيفة حاصلة مع ذلك، فمن الناس من يشعر بذلك فيخاف ويخشى، ومنهم من لا يشعر بذلك ويستغرقه اللهو، فبالغ الناس أولًا في الخوف والوهم حتى اعترى الوسواس كثيرًا من الناس، ثم بالغوا ثانيًا في أثناء ذلك في الأمن والراحة واللعب واللهو والسخرية والإستهزاء بعضهم بعضا فقلت في ذلك مؤرخًا ما هنالك:

قد أتت زلزلة ثم أتت زينة هذي بهذي وفت
ضجت الناس من الخوف بذي وعن اللهو بذي ما انكفت
واعترى الناس بذي وسوسة وبذي بعض العقول التفت
فكأن الناس جنوا بهما حيث أرخت بلاد خفت

ومن تأمل لفظ «زلزلة» ولفظ زينة وجد بين معناهما نسبة التضاد، لأن إحداهما تقتضي الحزن والأخرى تقتضي المرح، وبين لفظيهما مناسبة أيضًا، فإن الزاي والهاء مبدأ كل واحدة منهما وختامها، وفي العدد مناسبة أيضًا فإن اللامين بستين في «زلزلة» والياء والنون بستين في «زينة» غير أن الزاي مكرر في «زلزلة» والتكرار ساقط فهذه عين هذه، والأمر الإلهي واحد وقال تعالى: وإنه أضحك وأبكى. غير أن الصورتين القائمتين بالأمر الواحد مختلفتان. واللَّه يهدي من يشاء ويُضل من يشاء وهو الحكيم الخبير. وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير وصلَّى اللَّه على سيِّدنا محمّد وعلى آله وأصحابه أجمعين حرره لنفسه ولمن شاء اللَّه تعالى من بعده الفقير الحقير عبد الغني الشهير بإبن النابلسي في مجالس آخرها يوم الأحد عاشر رمضان المبارك من شهور سنة سبعة عشرة ومائة وألف من الهجرة النبوية.

قال العمادي[٢٨]: وقع سنة سبعة عشر ومائة وألف زلزلة عظيمة وتكررت فأرّخها شيخنا المرحوم العلّامة الهمام الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه اللّٰه تعالى.

١١٢٤ هـ/ ١٧١٢ م

قال عبد الغني النابلسي[٢٩]: وفي ليلة الأربعاء التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة أربع وعشرين ومائة وألف زلزلت الأرض بعد مضي تسع ساعات من الليل.

١١٢٩ هـ/ ١٧١٦ م

قال الغزي[٣٠]: ورأيت بخط الأستاذ الجد العارف أبي إسماعيل عبد الغني النابلسي قدس سره ما صورته: وقد نقل إلينا أنه في يوم السبت السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ومائة وألف (بتقديم التاء): أخبرني حضرة الشيخ إلياس بن إبراهيم الكوراني وقد شاع الخبر في دمشق الشام بين الخاص والعام أنه بالقرب من التاريخ المذكور في السنة المزبورة شوهدت زلزلة وقعت في بلاد قيسارية من أرض الروم فهدمت بها مسافة نصف مدينة قيسارية وأربع قرى من قراها.

١١٤٨ هـ/ ١٧٣٥ م

قال العمادي[٣١]: وقعت زلزلة عظيمة ليلة السبت حادي عشر رجب الفرد قبيل الفجر بساعة سنة ثمان وأربعين ومائة وألف فقلت في تأريخها:

أبناء هذا الزمان قد غفلوا   من المعاصي قلوبهم مرضى
قد جاء إيقاظا يخوفهم   أرخه **هولا زلزلة الأرضا = ١١٤٨**

[٢٨] الحوقلة في الزلزلة، BEO, XXVII, 1974, p. 61.
[٢٩] ص ٨، Cf. BEO, 1982, p. 257.
[٣٠] التذكرة الكمالية، BEO, XXVII,1974, p. 71.
[٣١] الحوقلة في الزلزلة، BEO, XXVII,1974, p. 61.

وورد عند الغزي[٣٢]: وفي الليلة الحادية عشرين شهر رجب الحرام سنة ثمان وأربعين وقت السحر صرت بدمشق زلزلة عظيمة.

١١٥٤ هـ/ ١٧٤١ م

قال البديري[٣٣]: جرى على لسان العامة أنه سيحدث بدمشق الشام زلازل عظيمة تتهدم بسببها أماكن كثيرة.

١١٥٩ هـ/ ١٧٤٥ م

قال المرادي[٣٤] في ترجمة فتحي الدفتري: وكان قتله يوم الأحد بعد العصر بساعة خامس عشر جمادى الثانية سنة تسع وخمسين ومائة وألف وساعة قتله[٣٥] صارت زلزلة جزئية وأخرى بعد الطواف بجثته.

١١٦٣ هـ/ ١٧٤٩ م

قال البديري[٣٦]: وفي تلك الأيام بشهر آذار الرومي ثار ريح شديد عاصف ما سمع بمثله، تزلزلت فيه أقطار الشام حتى ظن الناس أن القيامة قد قامت وأعقبه برد ومطر شديد متراسل إلى آخر الليل.

٣٢ التذكرة الكمالية، *BEO*, XXVII, 1974, p. 71.

٣٣ حوادث دمشق اليومية، ص ٤؛ *BEO*, XXVII, 1974, p. 98.

٣٤ سلك الدرر، ج ٣/ ٢٧٩.

٣٥ ربط المرادي الزلازل بالظلم والقتل والحوادث السياسية فقد كان بين طائفتي الينكرجية واليرلية صراع عنيف إلى أن أمر حسن باشا الوزير بقتل فتحي الدفتري الذي كان منتهيا إلى أوجاق اليرلية بسبب أحد أقربائه من البنكرجية. انظر *BEO*, XXVII, 1974, p. 102.

٣٦ حوادث دمشق اليومية، ص ١٤٥؛ *BEO*, XXVII, 1974, p. 98.

١١٦٧ هـ/ ١٧٥٣ م

قال البديري[٣٧]: وفي ليلة الخميس تاسع عشر صفر الخير لثلاثة أيام مضت بين كانون الأول ثالث ساعة من الليل صارت زلزلة خفيفة في دمشق، وقع بسببها بعض أماكن في سراية الحكم على جماعة فقتل رجل مُسلم ورجل نصراني وكان ذلك الشهر مطره غزير جدًا يعقبه إن شاء اللّه تعالى خير كثير.

١١٦٩ هـ/ ١٧٥٥ م

أورد محمد بن الطيب القادري[٣٨]: في ضحوة يوم السبت سادس وعشرين[٣٩] من المحرم سنة تسع وستين ومائة وألف وقعت زلزلة إرتجت الأرض بها ارتجاجًا فاهتزت أولًا ثم مالت مشرقًا ومغربًا وبقيت تضطرب وسمع نحو اسم صوت من الأرض يشبه صوت الرحى التي تدحرج بالأزقة وقدر ما بين اهتزازها وسكونها قريب من درج وسمعنا من يقول اضطرب الماء في الصهاريج حتى فاض على البيوت، وتغيرت العيون، ووقف الماء في الأودية عن المجرى، وسقط بعض الدور فمِن لُطف اللّه أن لم يمت بفاس إلا نفسان أو ثلاثة، وسقط التراب من غالب الدور وتصدعت الحيطان والسقوف وتعيبت وأخذ الناس في هدم ما عاب منها خوفًا من سقوطه عليهم وفزع الناس الفزع الشديد وفروا من الحوانيت وتركوا أمتعتهم بها وهي من غير غلق وعُطلت المكاتب والأطرزة والأسواق وتدارك اللّه تعالى خلقه بلطفه وعفوه.

ثم جاء الخبر من مدينة سلا أن البحر مال لأقصاه فخرج الناس ينظرونه فولى لناحية البر وخرج من الأرض نحو مسافة وغرق فيه جميع من وجد خارج المدينة فمات فيها خلائق، وصادف قافلة ذاهبة لمراكش فيها من الدواب والآدميين عدد كثير فمات الجميع ودفع ما في سواحله من الفلك والقوارب فوجد قارب أبعد من البحر بأكثر من مسافة، الملك للّه وحده.

ثم ورد خبر آخر أن بعض الجبال تصدع منها جبل صغير قرب سيدي أبو الشتاء من عمل ورغة تصدع بثلاث قطاع فصادفت قطعة منها دارًا فمات أهلها جميعًا وبقى الناس في وجل وهم يذكرون إنها عادت مرارًا ولكن لم يتحققها كل الناس ثم مضى نحو ستة وعشرين يومًا فوقعت زلزلة أخرى بعد صلاة العشاء

[٣٧] حوادث دمشق اليومية، ص ١٨٠؛ BEO, XXVII ,1974, p. 98-99.

[٣٨] نشر المثاني، ج ٢/ ٢٦٦.أورد هذا النص ليڤي پروڤنسال، نخب تاريخية، ص ١١٦-١١٨.

[٣٩] قال الأستاذ محمد الفاسي في مقدمته لكتاب كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة للسيوطي ص٧، إنه يوافق الفاتح من نوڤمبر ١٧٥٥ م، وذلك أن إبتداء هذه الهزة وقعت أولًا بالمغرب ثم حدثت هزة أعظم من الأولى بسلا وشواطئ النهر بعد هذه بنحو ستة وعشرين يومًا، ولهذا فإن الأولى لا تعرف عند الأوربيين وتعرف الثانية التي هدمت الأشبونة حتى سميت باسمها.

شديدة جدًا أشد من الأولى بكثير إلا أنها لم تطل بل هدنت بسرعة فسقط من دور فاس واشتد روعهم فورد الخبر بأن غالب دور مكناسة وقصورها إنهدمت، وانهدمت صومعة[٤٠] مسجدها الأعظم إلا أساسها وانهدم كثير من المساجد ومات بالهدم خلائق كثيرة بمكناسة أحصي منها نحو نحو عشرة آلاف ومن لم يحص لا يعلمه إلا اللّٰه ووقع أمر هائل وخرج من يقطن بها إلى الفضاء وضربوا الفساطيط ومن لم يقدر استتر بمطلق الثياب الخشن ولولا أن حاكمها منعهم من الخروج عنها عن أمر قاضيها حينئذ الفقيه أبي القاسم بن سعيد العميدي لخلت وبقيت براحًا، ثم طال الحال وتنوسي بعد ذلك زال روع الناس ورجعوا لها وأخذوا في تحميل التراب من الدور والبحث عن الأمتعة وتمول من ذلك قوم وافتقر آخرون، ثم أخذ الناس في البناء بعد ذلك وأصلح السلطان مولانا المنصور باللّٰه مسجدها الأعظم وبنى صومعتها كما كانت وأحسن.

وأما أهل فاس لما ورد عليه هذا الخبر اشتد روعهم وقصدوا أيضًا البراحات والمساجد خوفًا من عودتها مرة أخرى ثم بعد ذلك هدءوا وكان من لطف اللّٰه بفاس أن لم يتهدم الكثير من دورها ولم يمت بها إلا القليل ولكن تعيب كثير من جدرانها، ثم وردت أخبار بهلاك مدن من مدن النصارى بأمر هائل.

وقال السلاوي[٤١]: كانت الزلزلة العظيمة بالمغرب التي هدمت جل مكناسة وزرهون ومات فيها خلق كثير بحيث بحيث أحصي من العبيد[٤٢] وحدهم نحو خمسة آلاف. وتكلم لويز مارية على على هذه الزلزلة فقال إنها مكثت ربع ساعة وتشققت الأرض منها واضطرب البحر وفاض حتى ارتفع ماؤه على سور الجديدة وفرغ فيها، ولما رجع البحر إلى مقره ترك عددًا كثيرًا من السمك بالبلد وفاض على مسارحهم ومزارعهم وأشباراتهم فنسف ذلك كله نسفًا واضطربت المراكب والفلك بالمرسى فتكسرت كلها وفر نصارى البلد إلى الكنيسة وتركوا ديارهم منفتحة ومع ذلك لم يفقد منها شيء لاشتغال الناس بأنفسهم.

٤٠ قال الأستاذ محمد الفاسي: وقد وجدت في وصف بعض هذه الزلازل برهانا على أن صومعة حسان بالرباط – خلافًا لما عند بعض المؤرخين المتأخرين – إنما ينقصها أعلاها لأنه تهدم في زلزال أشبونة الهائل الذي وقع في شهر نوفمبر ١٧٧٥ م، لا لأنه لم يتم بناءه وذلك أن المؤرخين القدامى يتكلمون عن بناء مسجد أشبيلية ومئذنته بوصفها مشابهة لسابقتيها. أنظر مقدمة كتاب كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة للسيوطي ص III.

٤١ الإستقصا، ج ٨/ ٨٤.

٤٢ اعتنى بجمع العبيد وتربيتهم وتهذيبهم السلطان المولى إسماعيل إلى أن بلغ عددهم مائة وخمسين ألفا وبلغوا في أيامه من العز والرفاهية إلى دولة السلطان سيدي محمد بن عبد اللّٰه واتصلت بهم الفتن وتفرقوا بين القبائل ونسوا أمر الجندية حتى وقعت الزلزلة بمكناسة في الزلزلة المشار إليها أعلاه ولم تزل في تلاش واضمحلال بعد ذلك، انظر السلاوي، الإستقصا، ج ٧/ ١٩١، ١٩٢.

وقال أحمد أفندي ندى[٤٣]: وحيث أن الزلزلة عبارة عن تذبذب واضطراب في القشرة الأرضية فلا يكون الإرتجاج قاصرًا على محل واحد من كرة الأرض بل يمتد إلى مسافة عظيمة فقد يكون اتساع الأماكن المضطربة عظيمًا وذلك كالزلزلة التي حصلت في أشبونه فإنها امتدت إلى نحو نصف الكرة الأرضية وكانت مساحة البلاد التي حصلت فيها الرجات قدر الأوريسا أربع مرات أي أنه حصل اضطراب في أرض البرتغال وأسبانيا وأغلب الأوربا وشمال أفريقيا بل وصل هذا الإضطراب إلى أمريكا، وابتلعت جبال سيتوبال في جنوب أشبونة بعيدا عنها بعشرين فرسخًا، وارتفعت الأمواج سبعة أمتار في جزائر الأنتيلا وأغروانلندة إلى أفريقية وأمثال ذلك كثير.

وقال[٤٤] عن وصف الزلزال: حصل لغط يشبه صوت الرعد في مدينة أشبونه وكانت السماء مصحية ودرجة الحرارة ١٨° م، وعاقب هذا اللغط المفزع ثلاث درجات كانت الأولى منها قليلة الوضوح، وبعد نصف دقيقة حصل في الأرض تذبذب مكث نحو أربعين ثانية وكان قويًا حتى أن أغلب المنازل أخذ يتهدم وكان مقدار ما يذريه الهواء من أتربة المنازل عظيمًا حتى أنها صحبت أشعة الشمس في أثناء تساقط الأتربة الطائرة في الهواء، وحصلت رجّة ثالثة قوية فأحدثت اهتزازًا عظيمًا به سقطت المنازل التي لم تسقط وصارت السماء مظلمة، وكان الفزع يزداد من تذبذبات الأرض ومن ظلمة النهار وصياح الردمى والجرحى وصراع من تخلص من هذه المصيبة ثم زالت حركات الأرض بعد نحو ١٢ دقيقة، وقد تغيب نحو أربعين ألف شخص أمواتا وأحياء تحت الأبنية التي انهدمت وفي الرجّة الأولى تقهقر البحر ثم عاد إلى محله حالًا وارتفع ١٥ مترًا زيادة عن سطحه المعتاد فهجم على مدينة أشبونه ثم فارقها بعد مضي برهة ولولا ذلك لغرقت المدينة كلها بما فيها، والجبال المرتفعة ببلاد البرتغال حصل فيها اهتزاز قوي وانفتح بعضها نحو قمته بعد انشقاقها وتبددت وانفصلت منها كتل عظيمة من صخور وسقطت في الأودية وخرج من هذه الجبال دخان ولهب، وكان الفزع عظيمًا بحيث أن ذوي الجسارة كانوا لا يمكنهم أن يقفوا برهة ليدفعوا عن أحبائهم بعض أحجار منعتهم من استنشاق الهواء وينقذوهم من هذه المصيبة وكانت واسطة النجاة الظاهرة لهم الوصول إلى الأماكن المكشوفة أو الفرار إلى الصحراوات فكان عدد عظيم منهم يذهب إليها؛ ومن صعد إلى الطبقات العليا من المنازل كان أقل تأثرًا بالزلزلة ممن خرج إلى الأزقة والمشاة كانوا أكثر تأثرًا بها ممن كان بالعربات، وكان الأموات كثير جدًا تحت ردم الكنائس؛ ولكن هذه

[٤٣] يعتبر من أوائل الدارسين المصريين في علوم طبقات الأرض، وطبع كتابه عام ١٢٨٨ هـ، المطبعة الخديوية، وقد تكلم عن الزلازل وأرّخ بزلزال أشبونة ١١٦٩ هـ/ ١٧٥٥ م، المشار إليه أعلاه.

[٤٤] المرجع السابق، ص ٣٣، ٣٤؛
Voir aussi, Zurcher et Margollé, *Volcans et tremblements de terre*, p. 211-215.

الظاهرة المحزنة حصلت في يوم عيد أكبر كانت الكنائس مملوءة بالناس ولما حصلت الرجفة هرع كثير من الأشخاص إلى الكنائس ليحتموا بها فازداد بذلك عددهم فهلكوا جميعًا من سقوط المنارات المرتفعة والأحجار العظيمة؛ وبعد انهدام المنازل بساعتين حصل حريق في ثلاث مواضع من المدينة ومن تمام المصيبة هبوب ريح عاصف صيّر الحريق قويًا فصار عامًا وقد اجتمع في هذه الحادثة الماء والتراب والنار والهواء لإزالة هذه المدينة.

١١٧٠ هـ وما حولها/ ١٧٥٦ م

قال محمد الحافظ النجار[٤٥] عن ولاية حسين باشا مكي[٤٦]: وأعقب مجيء هذا الوالي إلى دمشق ضيق وشدائد وشرور وظلم وجور وعسف وتعد واحتقار لأهل دمشق من شدة فظاظتهم وغلظتهم، وكان فيهم من النصارى والرافضة ما لا يحصى عدده وخُتم ذلك بزلزال في دمشق ونواحيها ورجفات زعزعت الجبال وردمت الدور في غالب الأماكن وهدمت كثيرا من المساجد والمعابد والمنارات وعند كتابتي لهذا المحل كانت مكثت في دمشق خمسة وأربعين يومًا وقتل إذ ذاك تحت الردم خلق كثير وخرج غالب الناس من منازلهم وتركوها خالية وتوطنوا البساتين والجبانات.

وقال محمد الحافظ النجارفي مكان آخر: وقد تقدم في هذا الديوان ذكر بعض ما وقع في دمشق من الفتن والشرور والغلاء والظلم وغير ذلك مما مَرّ وتقدم وكل ذلك قبل تاريخ سنة ألف ومائة وسبعين وها أنا أذكر ما وقع واتفق لدمشق وأهلها في سنة سبعين وما بعدها من العظائم والحروب والأزمات والزلازل والرجفات، ما تأتى من ذلك من خراب الدور والمنارات والجوامع وما كان في تلك الأيام من ظلم وجور عسف إلى أن تداخلت الدواهي والبلايا بعضها في أثر بعض حتى كان آخر ذلك الطاعون الذى أنسى ما كان قبله مما كان يفسد الأديان ويهلك الأبدان ويشيب الولدان.

[٤٥] من أهل القرن الثاني عشر، ونشر له الأستاذ محمد كرد علي «ديوان النصائح والأنوار اللوائح» في مجلة المقتبس بدمشق ١٣٢٨ هـ/ ١٩١٠ م، ص ٤٨٩. وذلك من مخطوط بخط المؤلف كتبه في ذي القعدة سنة ١١٧٣ هـ، وموجود بخزانة غالب بك الزالق أحد الأعيان، ونشره بعنوان «ظلامات عصر الظلامات» لكونه من أشقى العصور خاصة في أيام سادت فيها حكومات الإقطاع وجيش الإنكشارية.

[٤٦] انظر أيضًا المرادي، سلك الدرر، ٢/ ٦١؛المقار، الباشات والقضاة، ص ٨١ فيها تفصيل عن هذا الوالي.

١١٧٠ هـ/ ١٧٥٦ م

قال البديري[٤٧]: وفي ليلة رابع عشر من ذي الحجة خسف القمر خسفًا مهولًا، وفي إثنتين وعشرين من ذي الحجة حصلت زلزلة في دمشق لم تعهد من مدة أعوام، وإستمرت عدة أيام بالليل والنهار، وذلك بعد ما كسفت الشمس حتى رؤيت النجوم نهارًا، ولا كانت هذه الأمة تعتبر اعتبارًا.

١١٧٣ هـ/ ١٧٥٩ م

قال البديري[٤٨]: ودخل ربيع الثاني الموافق تشرين الثاني ولم ينزل من السماء. وفي ليلة الثلاثاء ثامن ربيع الثاني من تشرين من هذه السنة في الثلث الأخير من الليل والمؤذنون في المآذن يشتغلون المراسلة، صارت زلزلة خفيفة، وتبعها ثانية ثم ثالثة زلزلت منها دمشق زلزالًا شديدًا، حسبت أهل دمشق أن القيامة قد قامت، فتهدمت رءوس غالب مآذن الشام ودور كثيرة وجوامع وأماكن لا تحصى، حتى قبة النصر التي بأعلى جبل قايسون زلزلتها وأرمت نصفها، وأما قرى الشام فكان فيها الهدم الكثير، والقتلى التي وجدت تحت الهدم لا تحصى عددًا. وفي الليلة الثانية زلزلت أيضًا في الوقت الذي زلزلت فيه الأولى. ثم حصلت في وقت الصبح وبالنهار أيضًا، ولا زالت تتكرر مرارًا لكنها كانت أخف من الأولين، وقد زاد الخوف والبلاء، وهجرت الناس بيوتهم ونامت في الأزقة والبساتين وفي المقابر والمرجة وفي صحن الجامع الأموي.

وفي هذه الزلزلة وقع خان القنيطرة على كل من فيه فلم يسلم من الدواب والناس إلا القليل وكذلك خان سعسع، وقد وردت الأخبار إلى دمشق الشام أن بعض البلاد والقرايا انهدمت على أهلها فلم يسلم منها ولا من دوابها أحد.

ثم في ليلة الثلاثاء الساعة العاشرة من الليل خامس ربيع الأول انشقت السماء وسمع منها صريخ ودمدمة ودوي وهول عظيم، حتى أن بعض أهل الكشف رأى أن السقوف ارتفعت وظهرت النجوم وعادت السقوف كما كانت. ووردت أخبار أن بعض البلاد انطبق جبلان على بعض القرى فذهبت القرى ولم يظهر لها أثر.

[٤٧] حوادث دمشق اليومية، ص ٢٠٢.

[٤٨] حوادث دمشق اليومية، ص ٢٢٢، ٢٢٣ ومثبت تاريخها في عام ١١٧٢ هـ، وواجب اثباته في عام ١١٧٣ هـ، حتى يتفق وجمهرة المؤرخين، انظر تعليق مصطفى طاهر،

BEO, XXVII ,1974, p. 95-97.

وفي ليلة الجمعة الثامن عشر من ربيع الأول في محل آذان العشاء خر نجم من السماء من جهة الغرب إلى جهة الشرق، فأضاءت منه الجبال والدور. ثم سقط فسمع له صوت عظيم أعلا من صوت المدافع والصواعق.

وفي الزلزلة الأولى وقعت صخرة عظيمة في نهرالقنوات فسدت النهر، وإنقطع الماء عن البلد أحد عشر يومًا وبقيت قطاع الأحجار يقطعون فيه أحد عشر يومًا، فصارت الناس في غمين: غم الزلزلة وغم قلة الماء.

وفي ليلة الإثنين سادس ربيع الثاني في الساعة الخامسة صارت زلزلة عظيمة أعظم من الأولى بدرجات وقد صارت معها رجّة مهولة أسقطت غالب بقية المآذن وأرمت قبة الجامع الأموي الكبيرة والرواق الشمالي جميعه مع مدرسة الكلاسة وباب البريد وأبراج القلعة وغالب دور دمشق، والذي سلم من الوقوع تناثر من بعضه البعض، وقتل خلق كثير خصوصا في القرايا ورحلت الخلائق للبساتين وللجبال والترب والمرجة، ونصبوا بالبراري الخيام وناموا بعيالهم وأولادهم، ومع ذلك فلم تبطل الزلزلة والرجفان لا ليلًا ولا نهارًا. ثم أمر عبد اللّه باشا الشتجي والي الشام وفقه اللّه تعالى مناديًا ينادي بالناس أن يصوموا ثلاثة أيام وأن يخرجوا في اليوم الرابع إلى جامع المصلّى، فإنه مشهور بإجابة الدعاء منه؛ فخرجت الناس من كل فج عميق إلى المصلى، وخرج حضرة الوزير معهم وجميع الأعيان والمفتي والقاضي، وخرجت العلماء وأهل الطرق الصوفية والنساء والأولاد، ولازموا الدعاء في المصلى ثلاثة أيام بضجيج وبكاء وخشوع كيوْم عرفات، بل كموقف يوم القيامة، فرحمهم أرحم الراحمين، وعاملهم باللطف والتخفيف، فصارت الأرض تختلج اختلاجًا خفيفًا ولم تزل الناس في البساتين والبراري خائفة حتى نزل عليهم الثلج المطر وصار الجليد إلى أن خفت الزلزلة ورجعت الناس خائفين.

وفي ليلة الإثنين الخامسة والعشرين من جمادى الثانية قبيل السحَر صارت في الشام أيضًا زلزلة خفيفة أخف من الزلازل المتقدمة ثم شاع الخبر بين الناس أنه سيحدث زلزلة عظيمة، ففزعت الناس فزعًا شديدًا، ورجعوا إلى ما كانوا عليه من الخوف والفزع والخروج للبساتين والمقابر، نسأله تعالى اللطف.

وفي نهار الاثنين غرة رجب المبارك من هذه السنة دخل والي الشام محمد باشا الشالك ابن بولاد باشا لدمشق بموكب عظيم ضحوة النهار. وفي نصف شهر رجب جاء ريح عظيم استمر أربعة أيام ولياليها، حتى هدم أماكن كثيرة ولم يبق من الأشجار إلا القليل؛ وارتجاج من الزلازل لم تبطل لا ليلًا ولا نهارًا، مع وقوع الغلاء حتى في الخضروات، فرطْل الخبز بخمسة مصاري، ورطْل الباذنجان بخمسة وعشرون مصرية ورطْل البصل بتسعة مصاري، ورطْل اللحم بقرش وربع ولم يوجد، ورطْل السمن بقرش ونصف وربع والبقية على نحو ما قدمنا.

قال المؤرخ البديري: والفقير لم يوجد معه ولا منقير والهدم واقع من الزلازل في كل وقت وحين، والناس رحلت إلى أرض الفلاحين واللّه تعالى هو المعين.

وفي نهار السبت الثاني والعشرين من رجب جاء قبجي من طرف الدولة العلية واسمه سبانخ زاده لأجل الكشف على الجامع الأموي وعمارة قبته وجهته الشمالية ومآذنه المهدومة في الزلازل ومعه باش معماري وفعلة ورجال لأجل مباشرة تعمير الجامع المذكور.

وقال عن الطاعون: ثم دخل شهر رمضان[٤٩] المبارك نهار الخميس وصار العيد يوم الجمعة، فصار عيدًا للأموات والأحياء، لكنه للأموات أكثر. فقبل عيد الفطر بيومين وبعده بيومين يخرج من كل باب دمشق ممن مات مطعونًا في كل يوم نحوًا من ألف جنازة والعياذ باللّٰه؛ وهذا شيء من عهد طاعون عمواس نسأله تعالى اللطف فيما جرت به المقادير.

وورد في تهذيب القاسمي لحوادث دمشق اليومية ص ٢٣٣ في حوادث عام ١١٧٣ هـ: وثالث ليلة منه [رمضان] والناس في صلاة التراويح صارت زلزلة مزعجة فقطعت الناس صلاة التراويح، وتهاربت الناس، وداست بعضها البعض، وانذهلت عقولهم وفقدت نراجيلهم وبعض ثيابهم. وثاني ليلة حصلت أيضًا.

وقال الغزي: ثم رأيت بخط الفاضل الكاتب شهاب الدين أحمد بن العجلوني الأصل والشهرة الدمشقي الجراحي الشافعي المتوفى في يوم الإثنين ثامن عشري ذي القعدة سنة ثمان وثمانين ومائة وألف ما صورته: وفي سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف ما صورته: وفي سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف بتقديم السين في العشر الأول من شهر ربيع الأول في نصف تشرين الأول جاءت زلزلة في الساعة العاشرة من الليل فرجفت الأرض رجفة قوية ثم سكنت مقدار درجة وتلتها رجفة ثانية مقلقة برياح عواصف ورعود قواصف فطاشت لها العقول وحصل والعياذ باللّٰه للناس من غاية الذهول، وتخلعت السقوف وتشققت الجدران، فلعظم ذلك صارت الأرواح أبدان، وهدم بيوت في الشام لا تحصى، وسقطت رءوس مآذن دمشق فمنها: المأذنة الغربية والشرقية في جامع بني أمية ووقع منها في تلك الساعة حصة، ومنارة العروس في ذلك الجامع في ذلك الجامع الذي هو نزهة النفوس ذهب منها شيء يسير بتقدير اللطيف الخبير وبقية منائر جوامع دمشق لم يسلم منها إلا النزر القليل.

وتلتها رجفات وزلازل وفي ثاني يوم من تلك الليلة ضحوة النهار رجفت الأرض وتزلزلت زلزلة شديدة، فسقط من منارة الجامع الشريف الأموي الشرقية جدران الشرقي والشمالي، وسمع لها صوت هائل وما من منارة بدمشق إلا وهَى بناؤها، حتى أن منارة السليمية المحيوية بصالحية دمشق المحمية طار منها حصة وافية وسقطت؛ والجامع المظفري بها أيضًا، ومنارة جامع سيباي، والجامع المعلق، وجامع حسان، وجامع الأمير منجك بمحلة مسجد الأقصاب، ومنائر الجوامع بمحلة الميدان، وبقية منائر جوامع

[٤٩] حوادث دمشق اليومية، ص ٢٢٧-٢٢٨ يتفق مع ما ورد عند محمد مختار في التوفيقات الإلهامية أن ثبوت هلال رمضان ١١٧٣ هـ في يوم الخميس، في حين ورد ثبوت هلال رمضان لعام ١١٧٤ هـ في يوم الإثنين. ولذلك من الأفضل اثبات حوادث زلزال ثالث رمضان في حوادث عام ١١٧٤ هـ. *BEO*, XXVII, 1974, p. 101.

دمشق تقصفت ولم يسلم منها إلا النزر القليل، وقبة النسر العظمى في الجامع الشريف الأموي تشققت ووَهَت، وتشقق الجدار الشرقي من الجامع المزبور ووَهَى، وخرب أكثر دور دمشق ووقع في تلك الليلة سقوف لا تحصى كثرة.

ووقعت شراريف الجامع المزبور، وكان طول كل شرافة مقدار قامة من سائر جهات الجامع الأربع - بحيث أن الشخص إذا وقف على سطح الجامع لا يرى شيئًا من الدور التي حوله - فسقطت تلك الشراريف وهدمت بعض الأماكن المجاورة للجامع كدار بني الغزي، وحجرة الخلوتية الطباخية بالخانقاه السيمسياتية ورمت قبو إيوانها، وهذه الأماكن شمالي الجامع. وفعلت ببقية جهاته كذلك، وفعلت أفعالا عنيفة في الأحجار، وانصدع في الجامع العمود تجاه باب المشهد المحيّا الشريف النبوي تجاه العضاضة الكبرى.

وبقيت الرجفات، والإهتزاز يتوالى ليلًا ونهارًا إلى آخر شهر ربيع الأول، والناس يدعون اللّٰه تعالى في اذهاب تلك الشدّة التي ما عهدوا مثلها، وقرأوا صحيح الإمام البخاري مرتين، والقرآن العظيم مرارًا، وتوسّلوا في رفع ذلك بكلام اللّٰه تعالى وكلام رسوله - صلّى اللّٰه عليه وسلم - وانهدم في تلك الليلة المتقدمة في بيت الشهاب أحمد بن علي المنيني مكانان أحدهما فوق الآخر فسقط الأعلى فوق الأسفل فقتل تحت الردم ستة أنفس من أولاده وعياله جهزهم صبيحة ذلك اليوم ودفنهم جملة واحدة بمرج الدحداح، وثلاثة أنفس أخر سقطت عليهم منارة في محلة الميدان، ورجل وقع عليه هلال منارة جامع حسان خرج من الفرن لئلا يقع عليه فصادف ذلك فقُتِل.

وفي تلك الليلة تزلزلت بلاد صفد فذهب أكثر أهلها قتلى وقتل بها من اليهود ألف وثلاثمائة نفس، وذهبت حصة عظيمة من بلاد نابلس وقتل بها خلق كثيرون، وتزلزلت عكا وذهب حصة من برجها في البحر، وطبريا، ودير حنا، وقلعة الجندل، وبلاد الشوف، وسائر بلاد الشام كصيدا وبيروت وطرابلس واللاذقية ويافا وحيفا وباقي تلك البلاد الشامية. ولم يبق في جبل الدروز قرية إلا وأصابها حادث عظيم وبلاء جسيم، وتهدمت الخانات على من بها من القفول.

وفي دمشق قتل ما لا يحصى من النساء والرجال، والذي أصاب مسجد دمشق ما عهد مثله وهذا الزمن الذي حصل فيه هذا البلاء في البلاد في أقل من درجة ونسأل اللّٰه السلامة من أهوال الحشر والقيامة.

ووافت الناس من سائر الأقطار من الوجه الغربي والساحل يقولون لأهل دمشق: احمدوا اللّٰه تعالى على ما حفكم به من اللطف فإن الخارجين عنكم لم يسلم منهم إلا القليل، وأغاث اللّٰه تعالى الجامع الشريف الأموي بكافل دمشق الدستور الأعظم الوزير عبد اللّٰه باشا بن إبراهيم الشهير بجته جي، ومتولي أوقاف الجامع المشار إليه شيخ الإسلام المولى علي بن بهاء الدين بن محمد مراد المرادي الحسيني النقشبندي مفتى السادة الحنفية بدمشق، فبذل الوزير المزبور الهمة في اصلاح المنارات ونقض المنارة الشرقية الهائلة التي أعجزت جميع البنّائين وأهل الصناعات أن يضعوا أيديهم فيها لما هي عليه من البناء الهاذل المتداعي للسقوط، وطلبت طائفة البنائين من النصارى أموالًا عظيمة

على نقضها، وأن يجعلوا لذلك السقائل الهائلة من الأخشاب حولها لأجل النقض، فأمر الوزير المزبور بقطع الأخشاب العظام ونقلها للجامع، فقطع شيء كثيرمن الغيضة الشهيرة الكائنة بالوادي الشرقي لدمشق ومن غيرها، ونقل إلى الجامع حتى امتلأ خشبًا، واجتمع جميع نشارين دمشق لنشره قطعًا ضخامًا كل قطعة سمكها مقدار ثلث ذراع أو ربع ذراع، وشرع البناءون في عمل السقائل لأجل النقض حول المنارة المزبورة واستعظم طائفة البنائين من النصارى نقضها فانتدب رجل من طائفة البنّائين المسلمين يُقال له..... الحبتلي لنقضها من غير سقالة، وطلع إلى رأس المنارة إلى أن انتهى إلى هلالها، ولم ينزع من ثيابه شيء بل خرج بقاووقه وشخشيره، وأخرج معه مطرقة وإزميلًا حديدًا صغيرًا، وصار يقلع بهما الأحجار ويلقيها إلى أسفل، والناس ينظرون إليه من صحن الجامع، ونقض في ذلك الوقت حصة من المنارة وكانت أعلى مما هي عليه الآن بخمسة وثلاثين ذراعًا وأغلظ بمقدار خمسة أذرع، وهلالها فوق شاش من الحجر الكبير، ولما نقضت خُذلت طائفة النصارى من البنائين، وبذل الوزير المزبور سابقًا - وكان حرًا لما صعد النجار المزبور إلى المنارة - له جائزة سنية، ووعده أنه إذا أتم العمل أن يقابله بالجوائز السنية. وأخذ البناءون في تهيئة أسباب البناء من عمل الدواليب وحفرالأساسات لها.

ثم استهل شهر ربيع الثاني بيوم الأربعاء ففي ليلة الإثنين سادس الشهر المذكور بعد صلاة العشاء بالجامع الشريف بنحو ثلث ساعة، رجفت الرجفة العظمى والزلزلة الكبرى، الذي لم يُر ولم يُعهد مثلها في سوالف العصور، فصارت الجبال تمور والأرض تفور والمياه تغور، وبقيت بعد سكونها تتوالى رجفات لطيفة إلى أن أصبح الصباح واستمرت نحو درجتين فانخلعت لها القلوب وصار الناس يبتهلون بالدعاء والتضرع لعلّام الغيوب، وحارت العقول، وطاشت الرجال الفحول، وثار من ذلك الوقت الغبار والقتام واشتد من ذلك الآن الظلام، وأدهش الناس ذلك الخطب المهم، والرعب المدلهم، الذي انعقدت له الألسنة وخرست، وغارت له العيون والشفاه يبست، وصارت الأرض تفور وتغلي مثل المرجل، وانكشفت تلك الساعة عن غالب منارات دمشق بالسقوط وبالقصف، والمأذنة الشرقية الزموية المتقدم ذكرًا وقعت إلى الأسفل ولم تحوج إلى فك، وسقطت قبة النسر في الجامع المرقوم مع عظمها، وسقط جميع الرواق الشمالي بأعمدته المحكمة وعضائضه، وكان مشتملًا على عضائض وأعمدة بين كل عمودين عضاضة مبنية بالرخام وأنواع الأحجار المثمنة من أسفلها إلى أعلاها، وسقطت المنارة الشرقية على جهة الجامع فهدمت مقدار ثلث المحارب الثلاث التي بقربها وتشققت غالب الجدران وآلت وأشرفت على السقوط فسبحان الفعّال لما يريد الحيّ القيّوم الذي لا يموت.

وما من قبة في دمشق إلا وأصابها عاهة وسقطت ولم يسلم منها النادر، وسقط جميع جامع يلبغا مع قبته الهائلة ومنارته مع أن بناءه كان في غاية الرصانة والمتانة؛ وسقط من الخان البديع الذي بناه الوزير

أسعد باشا والي دمشق ونائبها ثلاث قباب هائلة؛ وتهدّمت دور دمشق إلا القليل وكثرت القتلى في تلك الليلة.

وتهدّمت القرى التي حول دمشق وهلكت بسبب ذلك من الأنفس والمواشي ما لا يحصى كثرة، وكان من جملتها قرية التل قُتل بها تحت الردم ما ينوف على الخمسمائة ولم يسلم منها إلا القليل؛ وقرى الجبل كالهامة والزبداني ووادي بردى هلك فيهن تحت الهدم ما لا يعد.

ووقع سور مدينة دمشق في نهر عقربا أحد أنهار دمشق فسدّه؛ ووقع سور قلعة دمشق الغربي سقط جميعه وسد نهر بانياس، وسد الطرق بالتراب والأخشاب والصخور وصارت السماء مع الأرض تمور، وتلف من الأموال والأنفس ما لا يحيط به حد ولا يحصره عد، وذهب من الأثاث والأمتعة والأواني الصيني وغيرها الشيء العظيم فسبحان من قضى بذلك ليعلم العباد أن كل شيء هالك، فصار الناس لا يألفون الأوطان ولا يستقرون بمكان، وخرج أهل دمشق جميعًا بأموالهم وأنفسهم وعيالهم إلى خارجها ونصبوا الخيام وبقوا مقدار ثلاثة أشهر وهم في الخارج. انتهى.

وقد نظم في تلك الزلزلة الهائلة الفاضل العالم الأديب مصطفى بن أحمد بن محمد الدمياطي الأصل الدمشقي السكنى والوفاة الشهير باللقيمي الشافعي فقال:

إن تناست أوقات أنس تقضت ... لست أنس ليالي الزلزال
أذكرتنا كيف المنام بمهد ... وأرتنا بالعين رقص الجبال
أشهدتنا تمايلات قصور ... باهتزاز كحالة الأطفال

ولما عرض كافل دمشق الوزير عبد اللّٰه بن إبراهيم الشهير بالچتچي إلى الأبواب العالية السلطانية بقسطنطينية المحمية بحال الجامع الشريف الأموي المزبور وقلعة دمشق وما أصابها من الإنهدام، وسألوا الدولة في تعميرها، وكان التخت العثماني السلطان مصطفى ابن السلطان أحمد فلما وصل الخبر إليه صدر الأمر منه بتعميرها، وأرسل أمينًا على العمارة المزبورة أحد البوابين بالأبواب العالية مصطفى بن محمد الشهير باسباتحجي، فلما وصل إلى دمشق بالأوامر والأقوال وذلك في سنة أربع وسبعين ومائة وألف نزل كافل دمشق الوزير عبد اللّٰه باشا المذكور إلى الجامع وحضر معه قاضي قضاتها إذ ذاك المولى ساطع عليّ بن مصطفى ختن علمي أحمد أفندي، ومفتي الحنفية بدمشق ومتولي أوقاف الجامع المزبور المولى العلّامة شيخ الإسلام المولى عليّ بن محمد المرادي النقشبندي، وبقية أعيان دمشق من العلماء، وكشفوا عما يحتاج إليه الجامع المزبور وجمعوا المعمرين والمهندسين وأرباب الصنائع من كل حرفة تتعلق بالتعمير فأمرهم المتولي على العمارة أن يشرعوا في إعادة ما انهدم ومرمة الباقي.

وقال مؤرخ مجهول[٥٠]: وقعت زلزلة في ليلة السابع من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف[٥١] بعد مضي عشر ساعات ونصف من الليل ونحن في قرية من قرى دمشق تابع الغوطة يقال لها «برزة» بها مقام إبراهيم الخليل على نبيِّنا وعليه أفضل الصلاة والسلام وهذا المقام هو الذي رأى به ﴿القَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾[٥٢] على ما نقله الحافظ ابن عساكر[٥٣]، وبها داخل جامعها أبي برزة الصحابي وبه سميت القرية. شعر:

فأجلست ما كان من واقف وأيقظت ما كان من نائم
وارتجت الأرض بسكانها والتقى المظلوم بالظالم

فضجّت الأقوام والحريم والأطفال والدواب وسمعنا مغانٍ مختلفة، وأصواتًا منكرة كالهدير ولها دوي كهدير الماء، وتواترت حركاتها إلى الصباح فصلينا بجماعة وخرجنا صحبة أهالي القرية إلى جنينة مسامتة لذمية القرية لورثة المرحوم أغا الورنا، واستقمنا بها ثلاثة أيام بلياليها والزلازل متواترة ليلًا ونهارًا ويجيء من يخبرنا بواقع دمشق وصالحيتها فبعضهم يقول: وقع رأس المنارة الشرقية داخل جامع بني أمية بدمشق وهي المسماة بـ «منارة سيّدنا عيسى» بكونه وردت الأخبار أن سيدنا عيسى عليه السلام آخر الوقت ينزل على المنارة البيضاء شرق دمشق في زمن السيد محمد المهدي تحمله غمامة عن يمينه ملك وعن يساره ملك ووجهه يتهلل عرقًا ما اختلفوا بين المنارة المرقومة ومنارة محلة باب شرقي من جملة محلات دمشق. وبعضهم يقول: وقع رأس منارة العروس، ورأس منارة جامع دمشق الغربية، واختلت القبة المعروفة بقبة النسر تحتها تدريس خانة مشروطة لأعلم الموجودين بدمشق. وبعضهم يقول اختل الحائط الشمالى من باب اليمانية إلى أُودة مفتي السادات الشافعية، واختلت بعض جوامع وحمامات وخانات وأسواق وحارات وبعض قرى ووقع رأس منارة السليمية، وبعض قبب وقرادات.

ثم نزلنا إلى دارنا الكائنة بالصالحية بمحلة حمام المقدم واستقمنا من التاريخ المرقوم إلى ثالث يوم من ربيع الثاني من السنة المرقومة، فبعض الناس يرى زلزلة، وبعضهم يخبر برجفة صغيرة والبعض لم ير شيئًا ونسيت الناس ما كان، ثم في ليلة الرابع من ربيع الثاني بعض مضيّ ثلاث ساعات من الليل والناس بعضهم في الجوامع والبعض في الأسواق والبعض في داره وإذا بهدير وضجة وزلزلة صعبة ورجفة عظيمة وغبار علا وارتفع وقتام أطبق، فلم ير إنسان أين يذهب، ولم ير له من قضاء اللّه مهرب، بل يسمع سقوط

[٥٠] *BEO*, XXVII, 1974, p. 80-94.
[٥١] يتفق هذا التاريخ مع ما ورد في التذكرة الكمالية للغزي.
[٥٢] سورة الأنعام: آية ٧٧.
[٥٣] انظر ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق صلاح المنجد، ج ٢/ ١٠٠.

الحيطان والأطباق، والمآذن والأسواق، وقد انسدت الأبواب، وأسدل الليل والقتام أثقل حجاب، وذهلت العقول ولم يدر اللبيب ما يقول بل يصيح بجيرانه يا جار، والعابد يا اللّه، والمرأة ياولداه، خبرونا من مات ومن بقى، ومن سعد منهم ومن شقى، وخرجت السابلة بلا تغلب، والرجال بلا أسباب، وأطلقوا أبواب البيوت وتوكّلوا على الحيّ القيوم الذي لا يموت. شعر:

جاءت الراجفة وقد تبعتها   بعد ما هدت البيوت الروادف
فجميع الأنام طفل وكهل   ثم شيخ باك وناع وخائف

وخرجت الرجال بمن بقى من النساء والأطفال فالبعض إلى صحراء، والبعض إلى البساتين، والبعض إلى الترب، والبعض إلى الجبال وظنوها القيامة على كل حال:

زلزلت الأرض جلق فرأيا   كل فرد وقْع العمار أراعه
فعلمنا منذ قام سوق المنايا   كيف يا قومنا قيام الساعه

واستقام اختلاط النساء والأطفال والرجال، والصياح من السابلة على قتلاهم إلى الصباح، وصاح مؤذن الفجر حي على الصلاح، وكانت ليلة فريدة المثال، كثيرة الأهوال والأوجال، وبعد طلوع شمس ذلك النهار، وبان الخراب من العمار، وتفقّدوا من مات من النساء والرجال، وصار النساء [والرجال] يهنئ بعضهم بعضًا، وانطوَت أحشاؤهم على حجر القضاء، وأُخرج من مات تحت الرغام، وغُص سوق المنايا من الرخام، ودفنت الناس موتاهم من غير حنوط ولا أكفان بل يحمل الأب ابنه، والأخ أخاه، والجار جاره، وتجمع في القبر الواحد من الواحد والإثنين إلى الثمانية، والزلازل متتابعة فلم يحصل الأمان، واستقامت الخلائق في البساتين والجبال تحت الخيام، لم يطرق الكرى أجفانه ولا يعرفون المنام، ولا يحصي من مات تحت الردم إلا الواحد العلّام.

فأحببت أن أجمع ما خرب من الجوامع والمدارس والحمامات، إذ لم أقدر على جمع من مات، فنزلت إلى دمشق المحروسة من جهة باب البريد، لأرى ما خرب من جامعها الفريد الذي عمره الوليد الصالح من بني أمية وكان ملكًا عادلًا صالحًا، أنفق من نفائس الأموال ما لا يحصى وبذل فيه من الجهد والإهتمام، ما لا يُستقصى حتى عاد بحمد اللّه تعالى درةً بيضاء في جيد الأيام، وركنًا يأوي إليه أهل الإسلام، وجعل له سبعة أبواب:

أحدهما باب البريد وعن يمينه وشماله بابان صغيران ينتهي الخارج منها إلى سوق باب البريد يسكنه كبار التجار، ومن يتعاطى بيع الطيب من العنبر والمسك والعود والخلوقي وماء الورد وماء الزهر؛ الخارج منها إلى سوق يسمى باب جيرون شرقي الجامع وعن يمينه وشماله بابان صغيران، ينتهي الخارج منها إلى سوق يسمى بالذهبية كان أولًا تُشتغل فيه الشرابي من الذهب والفضة، ويومئذ يشتمل على قهوة لم يوجد

لها في الدنيا نظير، وبها فوّارة ماء يصعد منها الماء ويرتفع خمسة أذرع بالذراع الإسلانيولي تصب ماءها إلى بركة عظيمة، وتجاه القهوة حمّام يسمى بالذهبية يصعد إليه بعشر درجات وهو أحد أكبر المحاسن وبه مسجد نبيّ اللّه يَحيى.

وباب كبير شمالي بالقرب من الشيراباشية؛

وباب كبير آخر شمالي يسمى باب الساعات يُخرج منه إلى مدرسة الكلاسة؛

وبابان صغيران أظنهما محدثان بعد العمارة؛

وباب كبير قبلي يسمى بالعنبرانية؛

وكل من الأبواب مكفت بالنحاس الأصفر وبه أنواع الصناعات ومكتوب على كل باب اسم بانيه وصانعه.

وفي الجامع ثلاث مآذن احداهما تسمى بمأذنة الشرقية وهي المعروفة بعيسى بن مريم عليه السلام.

وبهذه المنارات خمسة وسبعون مؤذنًا ودعجيًا وريسين؛ وبه من التداريس سبع مدارس أعظمها تحت القبة المعروفة بقبة النسر؛ وبه من البقع مقدار الخمسة والعشرين مجلسًا، في كل بقعة منها مدرسها بعد صلاة الصبح إلى قبيل الظهر لإفادة الطالبين من كل نوع من أنواع العلوم.

وبخارج حرم الجامع قبتان احداهما على ثمانية أعمدة، والثانية على ستة أعمدة، وقبة بينهما صغيرة بكأس من الرخام يتفجر منه الماء.

وبالجامع المرقوم أربعة مشاهد: أحدهما شرقي بالقرب من منارة سيّدنا عيسى، وله شيخ على طريق الششتري يقام بها الذكر عقيْب صلاة كل جمعة؛

والثاني خارج حرم الجامع، له شيخ يقيم الذكر ليلًا في ليلة الجمعة وليلة الإثنين؛

والثالث غربي وله شيخ على طريق الششتري، يقام به الذكر عقيب عصر كل جمعة؛ والرابع غربي وله شباكان مطلان على حمام الجامع وبه بركة ماء يتوضأ منها.

وبه مقصورة عجيبة تقصر العبارات عن وصفها معدة لتلاوة القرآن، وبها من المصاحف ما يفوق عن المائة، و[بها] مصحف الإمام عثمان جامع القرآن - رضي اللّه عنه - الذي كتبه بيده وعليه آثار دمه ولا حول ولا قوة إلا باللّه العليّ العليم.

وبه - أعني الجامع - من النقوش والصناعات ما أعجز البلغاء عن وصفه حتى أنه قبل حرقِ «التيمور» له، كان إذا دخل الرجل المائة ودخله يرى به عجيبة لم يرها بالأمس.

وكان به رصد إذا دخله الجنب يأتي هواء يكشف ثوبه، ورصد للطير، ورصد للعصفور، ورصد بجدره إذا وضعت كناسة فيها كل يوم لم تمتلئ وهي باقية إلى الآن.

فلما قصدت سوق باب البريد ووصلت إليه، وتيقنت ما حل به من الزلازل، ووقعت عليه ورأيت سقفه المعمور خرّ إلى الأرض، ونامت أعمدته وعضائده طولًا وعرضًا، وحل به من الهوان، ما لا يقبله عقل ولا يخطر ببال إنسان، بكيت له وعليه وقلت ما من اللّٰه إلا المحنة، وأنشد لسان الحال على طريق الإرتجال:

على باب البريد بكيْت شوقًا واغلق باب جامعها الفريد
فأرجو اللّٰه أن يأتيه عونًا واسعافا على خيل البريد

ثم خططت بحسرة الأوجال، ومشيت كمن تمشي على قلل الجبال حتى انتهيت إلى باب الجامع الشريف، وأنا خائف من تتابع الأراجيف، فرأيت رواقه الشمالي من عند الباب الصغير من القرب من الجانبة إلى قرب أودة المفتي الشافعي قد سقط سقفه وعضائده وأعمدته إلى الأرض، ومئذنة العروس، ومئذنة سيّدنا عيسى، والمئذنة الغربية سقطوا على الأرض، وقبة النسر خرت إلى الأرض، وخرب غالب الجامع سقفه وحيطانه وبلاطه، فأذهلني ما رأيت، وناديت يا ليتني ما جئت، وطار عقلي من الجزع، وأضر بي بما لا يسع، وقلت:

فيبكي جامع الأموي حزنًا وكان لدى الجوامع كالرئيس
وما أوهى الخراب منارتيه فأتلفها سوى فقد العروس
وقبة نسره للأرض خرت تسلم بالخضوع على الدروس

ثم انتهيت إلى الباب الشرقي المعروف بـ «جيرون» تجر في الأعضاء وتذرف العيون وأنا أقول إنَّا للّٰه وإنَّا إليه راجعون، وشاهدت ما ناله من الخراب، وحار عقلي وأنا أحاول كتم حيري من أي باب، ورأيت أهله خلاء من الأهل والأصحاب، وقهوته تنادي أين ندمائي الذين كانوا بالأمس هل غابوا حقًا أم دخلوا الرمس؟ وبركة خلت منها الكراسي وبحر القتام سياحاتها المراسي وحمامه حمامًا وصفوه قتامًا، فزاد هيامي وولوعي ووقعت على عرصاته دموعي وقلت:

ألا يا باب جيرون المفدى سقيت من اللواقح بالغواد
ترى لي نظرة من بعد يأس أنال بها من الدنيا مرادي
وهل فوارة للماء فيه تزيد وماؤها يسقي الصوادي
وهل حمامها المعمور بات يدير الطهر منه لكل بادي
وهل قهوته كالمسك عرفًا وهل في أهل صدق الوداد
فعهدي فيه كأس الأنس يملي على الزمان من باد وغادي

فقبر بالزلازل منه إنسًا تقادم عهده من عهد عاد
فإني أندب الأطلال منه وأبكيها وشوقي في ازدياد
ولكني سأرجو اللّه عونا من السلطان مع سعي المرادي

ثم خرجت منه بقلب حزين، وليس لي في الشوق قرين، وشاهدت جهاته الأربع خراب.

وأما العمارة وجهاتها، وتحت القلعة، إلى خان الباشا، إلى حارة الغواني، إلى البحصة، إلى الحسودية، إلى الدرويشية، إلى الشاغور؛ فالبعض خرب وسقط وتعطل، والبعض إلى السقوط تبعًا للأول. فمن الجوامع والمآذن منها: جامع التوبة، وجامع المعلق، وجامع الشامية، وجامع ألبغا، وجامع السنجقدار، وجامع السباهية، والشامية، وبعض السليمانية، وجامع السفرجلاني، وجامع بمحلة الخراب، وجامع بمحلة النطاعين، وجامع بالشاغور.

وفي الصالحية: جامع السليمية، وجامع الحنابلة وجامع الجديد وجامع الأتابكية، وجامع عزيزة الدين الماردانية، وجامع المرشدية، وجامع الأفرم، وجامع الحاجب بالصالحية وهو من أحسن الجوامع وجميع حيطانه وأرضيته بالرخام الأبيض والمعذري حتى يقال إن اغلاق الشبابيك من العود الماوردي وقبة المنارة على ستة أعمدة من الرخام لم تفتتها الأيام، وقعت المنارة والجامع وبقيت الستة فيه. نسأل اللّه تعالى أن يلهم أهل الخير بتعميره وهو على ما يشاء قدير.

وفي القرايا: جامع برزة، وجامع التل، وجامع منين، وجامع القابون، وجامع حرستا، وجامع عربين والأشعري، وجامع الفريضة، وجامع العبادة؛ فبعض هذه الأماكن المشرفة وقع إلى الأرض والبعض آيل للسقوط، وأما المؤاذن فجميعها خراب سيء، أشرت إليه بقولي:

والمنارات في الجوامع خرّت سجداً بالرؤس والأقدام
فإنها طالما شاهدة السجود فأرينهم كيف يسجد الجلمود

وأما الحمامات: فمنها حمام القرماني بمحلة تحت القلعة، وحمام الناصري في المحلة المذكورة، وحمام البوابجية، وحمام السلسلة الكبير، وحمام السلسلة الصغير، وحمام منجك، وحمام السلطان، وحمام شامية، وحمام العقبة الكبرى، وحمام العيلاني وحمام النائب، وحمام المسك في طالع القبة.

وفي الصالحية: حمام المقدم، وحمام الحاجب.

وفي القرايا: حمام دوما، وحمام الهامة، وحمام قطنة، وحمام عربين، وحمام التل، وحمام منين، وحمام حلبون وقعت بقيتها وقوائمها.

وأما القبب المعقودة بالمؤن والآجر فمنها: قبة جامع دمشق المعروفة بالنسر وهي من أعظم القباب إذ هي راكبة على أربعة أعمدة أركان كل ركن منها مثال مائة ذراع من الرخام العادي والمعذري، وفيها من

أنواع الصناعات ما لا يوصف ومحيط بالقبة في الأعلى مقدار العشرين قمرية من البلور، كل قمرية منها إرتفاعها عشرة أذرع، وصَفٌّ آخر قماري تحت الصف الأول، وبها من الصناعات والنقوش ما لا يصفه الإنسان ولا يبلغه بيان وتحتها تدريس خانة يشير إليها قولي فيما تقدم:

وقـبـة نـسـره لـلأرض خـرّت   تـسـلـم بـالـخـضـوع عـلـى الـدروس

وقبة الملك الظاهر، وقبة الملك العادل، وقبة نور الدين الشهير، وقبة العصرونية، وقبة السادات، وخمس قبب في الخان الجديد عمارة المرحوم الحاج أسعد باشا، وقبة مدرسته، وقهوة الحمام، وقبة الذهبية في مرج الدحداح، وقبة الناصرية، وقبة دار الطرح قديمًا بمحلة مز القصب، وقبة جامع الحشر، وقبة جامع فتحي أفندي، وقبة مرج الدحداح، وقبة في أعلى قلعة دمشق تسمى بديوان الظاهر، وقبة الشيخ النحلاوي، وإثنى عشر في الدرويشية، وقبة جامع الياغوشية تحت القلعة.

وفي الصالحية: قبة الشيخ الأكبر محيي الدين العربي، وقبتان في التكية، وقبتا الشيخ أبي الحسن العمري، وقبتا مدرسة الجهاركسية، وقبتا المعظمية، وقبة الشيخ مع القبو، وقبة النصر، وقبة المارادانية وقبب كثيرة لا أعرف أسماءها.

وأما القلاع السلطانية فمنها: قلعة دمشق المحروسة وقع منها البدن القبلي، والصور إلى الخندق، والبرج من البراج خانة إلى المناخلية، وسقط بها دور كثيرة.

وقلعة بعلبك وهي أعجب قلاع الدنيا وهي التي أعطاها سيدنا سليمان بن داود عليه السلام مهرًا لبلقيس حين تزوج بها، إذ بها برج تمام عرضه ثلاثة أحجار، وفيها أحضر حجر خمسة أذرع في خمسة وقد دخلتها سابقًا، وبها قاعات كل قاعة ثلاثون ذراعًا طولًا وعشرون ذراعًا عرضًا، وجميع حيطانها من الحجر المنحوت ولسقفها، إسطوان من الحجر فيه الصناعات من النقوش من غير عمود، وبها قصر بلقيس على ستة عشر عمود طول كل عمود منها عشرون ذراعًا مكفت بالنحاس الأصفر وقعت عن آخرها. وقلعة طبريا، وقلعة الشقيف، وخان النباطية كأنه قلعة، وبعض قلاع صيدا.

وأما الخانات: فخان الباشا بدمشق، وخان أسعد باشا، وخان تحت القلعة، وخان الدالاتية، وخان العثمانية، وخان القصير، وخان السبيل، وخان ميسلون، وخان حاصبيا، وخان القابون، وخان سعسع، وخان الديماس وخان الحصرية، وخان الإفرنج ببيروت.

ومن الطواحين: طاحونة التربة، وطاحونة الشنان، وطاحونة حرستا، وطاحونة التل، وطاحونة منين.

ومن المعاصر: معصرة النشابية، ومعصرة زملكا.

وأما الصنائع والقرى: فقرية معرى، وقرية التل عن آخرها، وأُحصى من أخرج ميتا من تحت التراب أربعمائة وخمسًا وعشرين، والذي لم يخرج شيء لا يحصى، وقرية مشوت، وبعض من قرية حلبون، وقرية الدريج، وقرية صيدنايا، وحرستا، وعربين، ودوما وعذرا، ومزة، وحمورية، وبيت سوأ، وجسرين،

والأفتريس، وكفر بطنا، والمنيما، وزبدين، وبيت نايم عن آخرها، والأشعري، وصالحية المرج، والجربا، والفرضة، والبحارية، وميدعة، والميمونية، والصوامع، وتل الكردي، والريحان، و [كفر] مديرة، والشقونية، ودمّر، والهامة عن آخرها، وسقيا، والسوق، ومضايا، والزبداني عن آخرها، ودير ريا، والجديدة وعينطوز وكوكب، وقطنا، وسرغايا، وبعلبك، وإقليمها، والحولة ونواحيها، والبقاع ونواحيها، فالجميع مما ذكر وقع أكثره إلى الأرض وبقى القليل آيلًا للسقوط، فمن وقع عليه الردم ومات شيء لا يحصيه إلا اللّٰه تعالى، فبعض البيوت قتل فيها العشرة أنفس والبعض أكثر وأقل. وداخل الكرب والجلال على الرجال والنساء والأطفال، فالبعض من الناس في البراري تحت الخيام، والبعض بنوا بالطبق والدف ما يسعهم عند المنام، والبعض لا خيمة له ولا بيت ويقول يا ليتني مت ويا ليت، والفلاحون حفروا في الأرض أوكارًا واستغنوا عن الدف والنجار، وصامت الناس للّٰه ثلاثة أيام، وابتهلوا بالدعاء إلى الملك العلّام، هذا والزلازل متصلة ليلًا ونهارًا، والعوالم لا يقر لهم من الهرب قرارا.

وأما أنا فنظرت إلى الصالحية وهي محل بيتي، ومشرق شمسي، ومحط رحالي، وغاية آمالي، فدخلت داري فرأيتها منهدمة الأركان، مغيرة البنيان، أشجارها نائمة إلى الأرض وسقائل عنبها طولًا وعرضًا، فاختلط فكري وحرت في أمري فخرجت منها إلى جنينة لي فرأيتها خاوية على عروشها من وقوع الردم، وكانت بالأمس لجلب السرور، فصارت لجلب الهم، ونظرت إلى قصور خراب وبيوت بلا أصحاب، وجوامع مغلقة الأبواب.

وأما غرائب الواقع وأعجب الذرائع ما سمعناه من نقلة الأخبار، من جواب البلاد والديار، وما شاهدناه في العين من أسباب الحين:

منها أن حاكم دمشق الحاج عبد اللّٰه الشتجي - دام اللّٰه اجلاله، لما شاهد أحوال الزلازل قد طال ولم يصل إلى حال، نبّه في الحارات على أهل الشبهات فوقع التفتيش به، وكان في الصالحية دار تسكنها امرأة يأوي إليها أهل الفساد من أنجاس الأكراد ليلًا ونهارًا ولم تخش العار، وأهل المحلة ساكتون من الخوف على أنفسهم، فلما أمر محافظ دمشق بهذا الأمر التمس أهل المحلة من حاكم الشرع اخراجها، فأحضرها هذا إلى مجلسه، وأمرها بالخروج فخرجت من الدار، وجاء رجل من أهل العرض سكن مكانها في أهله وولده، ففي أول ليلة جاءت الزلزلة فهلكت الحرمة الصالحة وولدها تحت الردم وسلمت الفاجرة.

ومنها أن رجلًا بات في الديماس لم يأو إلى جدار ولا بيت بل نام في صحراء البلد، وبات من الخوف لم يثق بأحد، فلما طلع النهار ولاح الضحى خرج المسافرون على الرواحل يريدون الرحيل وكان الرجل ممن يشرب الدخان وقد قرب الأجل، وحينه حان، وجد بالقرب من الحائط جمرة نار فعبأ غليونه وقرب ليأخذها عند الجدار فسقط عليه الحائط فمات، وسافر من كان تحت ذلك الجدار في تلك الليلة بات.

ومنها أن ستة أنفار تعينوا إلى ابن باغي بقرية الزبداني، وباتوا عند المطلوب في داره يتحرشون على برئ وجاني، فجاءت الزلزلة وقت وقعتها فهرب خمسة أنفار وصاحب المنزلة إلى الخارج على ساعته

بالعجلة، وأما أحد الدالاية وكان مستندًا إلى حائط فانشق الحائط وانطبق على يده اليمين، وجلس بقرب الحائط لم يجد له على خلاص يده معين، فلما طلع النهار، وانكشف ذلك الغبار وجدوا من فرّ وهرب، حصل له اتلاف ووقع في العطب، وأما الذي باتت يده تحت الجدار أصبح سالمًا لم ينله إلا الغبار.

ومنها أن بستانيًا نزل بثوره إلى السوق فباعه ليأمن شر الإفلاس وتسكن منه أوجاعه، فشاهده بعض اللصوص وقد قبض المال وتبعه وهو لا يدري أنه معه سار، فدخل بستانه إلى الحوش ووضع المال تحت الوسادة وهذا ينظر إليه من بعد إليه، ويريد في نفسه كيف يسطو عليه، فلما جن الليل وأمكن المبيت، وثب اللص إليه وثب العفاريت، فوجد الرجل نائمًا مع زوجته، ويده اليمنى على وسادته، ولهما طفل صغير بائت في المهد بينهما فوثب اللص فتناول الغلام بالسرير إلى الخارج، وقرصه فصاح الغلام فانتبه أمه وأبوه من المنام، وخرجوا يتفقدون الولد والسرير، ولم يعلما كيف وقع المقادير، وظنوا أن ولدهم أخذه الذئب، فدخل اللص إلى الوسادة، فمد يده وتناول ثمن الثور وفوقه بعض زيادة، فجاءت الزلزلة فأرمت الحائط على اللص ويده في الصرة، ونجا الغلام وأمه وأبوه، وأخرجوا اللص من الدار [وقد] حل له البوار.

وأما من عزم تلك الليلة إلى دار أمه، ومن عزم إلى دار عمه، والقريب عند قريبه، والصاحب لعند سميه، ومن أصابه حجر فمات، ومن أُخرج بعد يوم أو يومين فشيء كثير.

ومن غرائب ما وقع في الصنائع والبلدان، فشيء لا يسعه إلا الإيمان:

فمنها قرية الشلف تابع اللاتيقة وأصل القرية أنها مبنيّة بأسفل واد وقاصدها ينزل إليها من الأعلى إلى الأسفل، فلما وقعت الزلزلة انطبق الوادي على أهله وصار الوادي سهلًا وزال وضعه الأول حتى أخبرني من رآه أنه فات في سهل فلم ير الوادي ولا الطريق، حتى قطع مقدار ميل فصادف راعيًا فسأله عن القرية، فأخبره أنها خسفت بأهلها فلم ينج منه أحد، ولا ينفعهم تمدد ولا عدد.

وأما قرية بيت جن فإنها كذلك في واد بين جبلين انطبق عليهم الوادي وغابوا عن العين ولم ينج منهم إلا من غائبًا عن الأهل في الأسفار، وعاد ولم ير السكان ولا تلك الدار.

ومنها قرية الهامة فإنهم جاءهم رجل كاره الشعنة وقد شاع خبره وأنه يريد اللعب في بعض المروج لكي يحمد سعيه ويروج، فنزلوا من أعلى دورهم إليه حتى صاروا كشبكة الصياد عليه، وجاءت الزلزلة فخربت دورهم وهم عنها غائبون وقد قامت عليها القيامة، وأما هم فسلكوا طريق السلامة.

وأما حسية فإن ماءها غاض في مجراه واستقامو أيامًا بلا ماء ثم عاد إليهم بتقدير اللّٰه.

ومنها أماكن سهلة وبقربها جبل، انتقل الجبل إلى السهل، والسهل إلى مكان الجبل.

ومنها حلف رجل أنه كان في قاعته فنظر إلى سقفها وهو يتكشف فرأى النجوم ثم يعود بمعونة الحيّ القيوم.

ومنها أن رجلًا حلف لي باللّٰه العظيم أن في داره بدمشق إيوانًا به فرس أبلق من الحجر المنحوت فرآه مرتين يهبط إلى الأرض ويعود.

والحاصل إنها شيء لا يقدر أن يعبر عنه اللسان، ولا يقدر بوصف بعضه الإنسان، فنسأل اللّٰه تعالى الأمان من زوال الإيمان، وأن يمنّ علينا بالصبر الجميل، وينجينا من زخارف الأباطيل، ويحشرنا في زمرة خاتم النبيّين وإمام المرسلين، وأن يجمعنا بأصحابه في مستقر الرحمة بلا محنة، آمين.

ثم بعد مضي المدة المسطورة أعلاه ليلة الأحد الرابع والعشرين من جمادى الثاني من النسخة المذكورة بعد عشر ساعات من الليل عادت الزلزلة مرتين، واستقام الزلزال يتفقد أولاد الحلال، فتارة تزور غِبًا، تزيد العوالم بقضاء الأحباء، وتارة تغيب، فيحظى من يُحدث ويصيب إلى صبيحة يوم الجمعة ليلة الثامن والعشرين من شهر رجب، وقد وقع من المطر والثلج والهواء غاية العجب، إذ جلست العوالم في دورها أربعة أيام وهم داخل بيوتهم يوحدون الملك العلّام، والأمطار متواترة وسكب الثلج والهواء معًا، فنادى من اتصله تخريف شعفه ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾[٥٤] فإذا بالأرض مرت كمر السحاب، وقد ابيض فود المطر والثلج منها شاب، وقد انقطع عند ذلك المطر ووقف الناس منها ومن دورها على خطر، والثلج ناشر برده في بطون الأودية وعلى رءوس الجبال، وينادي لسان حال بزْده لعساكر الهواء النزال النزال، ثم رشق سهام الغيم جسم الثلج بالنبال، فأدمى جسمه المعمور فخر عجزًا، وفار التنور واجتمعت الأنهار السبع على قلب واحد فأرغى وأزبد، وعتى وتمرد، ولم يكن له في سيْره منازل، ولا في منشوره مضادد، فولّى من وجهه من رأى الفرار، وعلم أنه لا يقدر على رده إلا الواحد القهّار، فجرى في حكمه من محلة تحت القلعة إلى خان الباشا إلى الخضيرية فلم يتّقي وكان إلا دارها وقلشها، ولا دار إلا من سكانها أوْحشها، ولا سوق إلا تلاطمت فيه الأمواج، ولا مُغلق إلا فتح من غير علاج، واستقام إلى صبيحة اليوم ثم راجعًا بلا كسل ولا توانٍ.

وهذا آخر ماقاله مصنف هذه الرسالة والحمد للّه تعالى على التمام والصلاة على سيّدنا محمّد وآله وصحبه الكرام.

وقال المرادي[٥٥] في ترجمة عبد اللّٰه باشا الشتجي: وحصل وهو بدمشق سنة ثلاث وسبعين وألف ليلة الثلاثاء ثامن ربيع الأول قبيل الفجر زلزلة واتصل بالقدس، وغزة وتلك النواحي وصيدا، وصفد، وجميع بلاد ساحل الشام، وحمص، وحماة، وشيزر، وحصن الأكراد، وأنطاكية، وحلب، واتصلت في كل أسبوع مرتين وثلاثًا إلى ليلة الإثنين سادس ربيع الثاني من السنة المذكورة فزلزلت بعد الفراغ من صلاة العشاء الأخيرة تلك المحال المذكورة بأسرها، واستقامت بدمشق ثلاث درج، وخرب غالب دمشق، وأنطاكية، وصيدا، وقلعةالبريج، وحسية، وانهدم الرواق الشمالي من مسجد بني أمية بدمشق وقبته العظمى والمنارة

٥٤ سورة النازعات: آية ١٢.

٥٥ سلك الدرر، ج٣/ ٨٢.

الشرقية، وانهدم سوق باب البريد وغالب دور دمشق ومساجدها، ولم تزل الزلازل متصلة إلى انتهاء السنة المذكورة وأعقب ذلك بدمشق قبل انتهاء السنة الطاعون الشديد وعمّ قراها وما والاها، وحصل لغالب مساجدها التعمير من وصايا الأموات، وعُمِّر جامع دمشق والقلعة والتكية السليمانية بأموال صرفت من كيس الدولة العثمانية.

وقال المرادي[٥٦] في ترجمة مصطفى العلواني صورة شعرية عن الزلازل قالها صاحب الترجمة مادحًا عليَّ المرادي مفتي الشام ووالد مؤلف سلك الدرر وذلك بمناسبة تعمير جامع دمشق بعد انهدامه بالزلازل ومطلع القصيدة:

لك لا لغيرك العلا استعداد ... فلذا برمتها إليك تقاد

ومنها أيضًا:

من قبلة الأموي ولي معشر ... ذهبوا فمنه وَهَى ودك عماد
لم تسم همة من تقدمة إلى ... ترميم شيء بل أبيد وأبادوا
فألم فيه وظل يصلح بعض ما ... فيه تبد طارق وتلاد
حتى وهى الزلزال فانهارت به ... سقف وأعمدة وطم فساد
فنمى الحديث إلى الخليفة من له ... خضع البرية كلهم وانقادوا
ظل الإله بأرضه من أصبحت ... للخوف منه تضاءل الآساد
فاهتم في تحرير ما قد جاء في ... فضل الشام بدا له الإسناد
وأشار في تأريخ تعمير لجا(م) معها الرفيع به الثنا يزداد
فأجابه فضلاؤها لمراده ... راجين منه قبولها وأجادوا
وبهم تشبه ذا الضعيف وإن يكن(م) عن شأو فضلهم له أبعاد
فأتى ببيت كامل تاريخ ما ... يحلو به للسامع الإنشاد
أموي جلق إن هوى بزلازل ... فبمصطفى الملك المجيد يُشاد
٥٧ + ١٣٣ + ٥١ +٢١ + ٧٧ ... + ٣١١ + ١٢١+ ٨٨ + ٣١٥ = ١١٧٤

٥٦ المصدر السابق، ج ٤/ ١٤٩، ١٥٠.

وأورد المرادي[٥٧] ما قاله الأديب الحلبي عمر اللبقي شعرًا لما أصاب حلب من الزلازل ما أصاب وذلك للصداقة الوطيدة بينهما وذلك في ترجمته له:

أيا مفزع الجاني وأكرم شافع ... وأعظم مبعوث وأشرف من مشا
إليك أنبنا وإلتجأنا فنجنا ... من الخطب والأهوال فالرعب قد غشا
فأمن يحق الحق قلبي لأنه ... من الخسف والزلزال قد خاف واختشى

وقال رسلان بن يحى القاري[٥٨] في ترجمة عبدي باشا الچته چي: ثم في العام الثاني[٥٩] [١١٧٣ هـ] في شهر ربيع الأول ليلة سبعة خلت منه، ثلث الليل الأخير جاءت زلزلة ربانية لم ير مثلها قصفت رءوس المؤاذن وهدمت بعض البيوت وقتلت من قد دنى أجله، وبعض المساجد، واستمرت في كل يوم وليلة تهتز هزة خفيفة إلى سبعة وعشرين ليلة، ثم ليلة الإثنين رابع يوم من ربيع الثاني بعد صلاة العشاء بنصف ساعة جاءت هزة عظيمة ما تركت مأذنةً ولا جامعًا ولا قبةً ولا بيتًا ولا حمامًا إلا انهدم والذي ثبت كان عادم ولا أحد يدخل تحته، وبعض الناس سقطت عليهم دورهم، وبعض منهم خرجوا من دورهم هاربين وسقط عليهم من الأزقة فهلكوا، والعواميد تكسرت والحائط الشرقي سقط إلى الأرض، والمنارة الشرقية هدمت ثلث الحرم؛ وخرج الناس إلى البر وبنوا بيوتًا من دف واستقاموا والبعض منهم أخرجوا خيامًا.

وأما الذي فقد من الشام فخلق لا يعد ولا يحصى من الرجال والنساء والأولاد رحمة اللّٰه عليهم وعلى أموات المسلمين. وأما القرى فإنه قتل منها خلق كثير، لطف اللّٰه بما قدّر وأراد. فلما وصل خبر الشام إلى الدولة العلية بأن الشام انهدمت وما بقى منها شيء إلا عادم النفع جهزوا قبجي باشي ومعمار باشي ومعهم بناءون لعمارة الجامع الأموي وعمارة القلعة ثم في تلك الأيام أرسلوا بعزل عبدي باشي في شهر جماد الثاني سنة ١١٧٣ هـ.

وورد في مجلة المشرق الآتي: ننشر في ما يلي نبذة تصور لنا زلزال سنة ١٧٥٩ م، وقد سمح لنا حضرة الأب المحترم الذي نشرها في «الرسالة المخلصية» ١٩٥٧ (٢٤) ص ٢٨٦-٢٨٧ أن ننقلها إلى قرائنا الكرام على صفحات مجلة المشرق. وهذه النبذة ليست إلا جزءًا من رسالة وجهها المطران باسيليوس جلقاق أسقف صيدا إلى ابنه الروحي القس اثناسيوس دباس وكيل الرهبانية المخلصية في روما، وهي محفوظة بين مخطوطات دير المخلص:

٥٧ المصدر السابق، ج ٣/ ١٧٣.
٥٨ الوزراء الذين حكموا دمشق، ص ٢٨، ٣٨.
٥٩ يعني من ولاية عبدي باشا.

قال أسقف صيدا: نخبركم إنه في اليوم ١٩ من شهر تشرين الأول قبل الشمس بساعتين ونصف حدثت زلزلة عظيمة دقيقتين وهدمت بيوتًا كثيرة وقتل منها خلق كثير في بلادنا وبلاد بشارة وصفد المدينة؛ وأخذت تتبعها زلازل صغيرة حتى تقطعت قلوب الناس من الخوف وهرب الناس من المدن والقرى ونصبوا لهم أكواخًا خارج القرى؛ وبعدها في اليوم الربع عشر من تشرين الثاني بعد ثالث ساعات غياب الشمس حدثت زلزلة أخرى كبرى استقامت أربع دقايق وكملت على هدم العمارات، وما كنت تسمع إلا صراخ وولولة وغبار خارج من الأرض لأجل نشوفتها وهدمت كنائسًا وجوامعًا وسرايات وبيوت وما بقى إلا ما قل؛ ومدينة صفد قد مات فيها من اليهود والمسلين نيف عن ألفين وما بقى من اليهود إلا ستة عشر عيلة وهربوا إلى صيدا وعكّا.

أما بلاد صفد فلم يتأذى منها أحد.

وأما إبرشيتنا فمات من رعيتنا ولدين ورجل بقيتولة والبقية منها موارنة الجملة أربعة عشر نفسًا؛ وكل الدروز لم يمت منهم مقدار سبعة أشخاص. وبحاصبيا مات كثيرون ونزلت على قرية بيت جن نارا هدمت بيوتًا وأحرقت كثيرين، في بلاد المتاولة قرايا كثيرة هدمت ومات خلق كثير وقرية تدعى كفرحنا كلها متاولة وهدمت وقتل بها مقدار خمسة وخمسين متاولة وكان بها عيلة نصارى سلمت. وغيرها كثيرون ولم يكن أكثر الموت إلا بالمتاولة.

وصيدا قتل بها مقدار خمسة أنفار وأقل، وبعلبك والراس قتل بهم كثيرون وهدمت قلعتها ووقع عامود الراهب القديم الزان.

والشام قتل بها من النصارى مقدار ثمانين حسب مكتوب الخوري نقولا مكحل ومن المسلمين كثير عدا الهدم المريع للبيوت والجوامع والمقاسير، وأما من كاثوليكيتها ثلاثة فقط إمرأتين وشاب.

ودير القمر قتل بنت وعطلت كل سراياتها؛ والمختارة عدمت سراية الشيخ وغيرها وانفسخ الجبل الذي فوقها والمعاصر غارت عينها فقط. ودير السيدة الجديد انفسخ وعدم؛ والتيق تشقق، ودير المخلص فسخت زاوية الكنيسة الشرقية قليلًا، ودارالبطرك انفسخ زاويتها الشمالية قليلًا. وجون انفسخت كنيستها قليلًا. وبرته هدم جانب من كنيستها وكذلك زادت فسوخات كنيسة ماري إلياس بدير القمر وغريقا، كثير بلاد كسروان لم يجر بها تفسيخا. وبأرض قانا قد نزلت بردة واحد مقدار جرة، صَفُوا منها إبريقين ماء، ولم تزل الزلازل لكن خفيفة لا نعلم النهاية ما تكون، الرب ينظر والبركة عليكم ثانيًا وثالثًا. تمام كانون أول ١٧٥٩ م.

فصل عن المكاتبات عند حدوث الآيات السماوية

قال القلقشندي[٦٠]: جرت العادة أن يكتب السلطان إلى الرعايا عند حدوث الآيات المهولة التي يريد اللّٰه تعالى بها ارشاد عباده إلى الإقلاع عن معصيته والإقبال على طاعته، كالرياح العواصف، والزلازل والصواعق، واحتباس القطر وخروجه في التسكاب عما جرت به العادة كتبا يضمنها من الوعظ الشافي الرقيق ما يأخذ بمجامع القلوب، ويشعرها التقوى والرهبة، ويبعث على المراقبة والنظر في العاقبة.

قال: وينبغي للمكاتب أن يتلطف في الموعظة ويبالغ في الذكرى التي تخطر الخواطر وتفتح الأنفس، وتحرك العزائم نحوالإخلاص، فإنه إذا أبرز هذا المعنى في صور تشعرالخيفة من غضب اللّٰه تعالى وعقابه، وترغب في عفوه وثوابه، نفع اللّٰه بذلك من رغب عن الهوى ورغب في التقوى بكتابه.

قال: والرسم فيها أن تفتتح بحمد اللّٰه تعالى على آلائه التي يفيضها ابتلاءًا واختبارًا، وآياته التي يرسلها تخويفا وإنذارًا، وموهبة في التوقيف بسابغ نعمته على طاعته، والتحذير بدافع نقمته من معصيته؛ والصلاة على رسوله الذي أنقذ بشفاعته، وعصم من نزول الوارع بنبوته، ثم يقدم مقدمة تتضمن أن اللّٰه تعالى يقدم الأعذار، أمام سخطه وعذابه وبدأ بالإنذار قبل غضبه وعقابه، فمن استيقظ من سِنَتِه، ونظر لعاقبته ونهض لطاعته وأقلع عن معصيته كشف الرَّيْن عن قلبه وضاعف أجره، ومن أضرب عن موعظته وتعامى عن تبصيره وتذكيره، أخذه على غربته وسلبه سربال نعمته.

ثم يأخذ في حث الأمّة على الفزع إلى الصلوات، والمسارعة إلى بيوت العبادات، والإكثارمن التضرع والخشوع والإستكانة والخنوع، بإذراف سحائب الدموع، وإخلاص التوبة عن محتقب الآثام ومخترع الأوزار، والتوسل إلى اللّٰه تعالى في قبول الإنابة بقلوب نقية وطوبات على الطهارة مطوية، وسراء صحيحة يصدقها الندم على الماضي، وعقد العزم على الإقلاع في الآتي، والرغبة إليه في رفع سخطه، وإنزال رحمته ومايجاري هذا.

قلت: وهذا الصنف من الصنف من المكاتبات قد ترك في زماننا فلا عناية لأحد به أصلًا، وإن كان مما يجب الإهتمام به وتقديمه.

[٦٠] صبح الأعشى، ج ٨، ص ٣١٠، ٣١١.

ويؤكد ذلك ما قاله القلقشندي[٦١] بهذا عنوان فأورد مكاتبة لابن أبي الخصال[٦٢] المعروف بذي الوزارتين الكاتب وذلك للإخبار عن زلزلة عظيمة وقعت بمدينة قرطبة من الأندلس:

الشيخ الأجلّ، الوليّ الأكرم الأفضل، أبوفلان الذي أطرفه اللّه تعالى بعجائب الأخبار، وأذهب به في مسلك الإتعاظ ومنهج الأذكار أبقاه اللّه آخذا في سنن الإنزعاج ونهج الإزدجار، المخلص له الناصح من الولاء، ومعرفة غريب الآثار وعجيب الأنباء، فلان، سلام اللّه عليكم ورحمة اللّه وبركاته،

أما بعد: أحمد اللّه الذي جعل عبره أنواعًا متلونة وصنوفًا، وأرسل الآيات ﴿وَمَانُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخويفًا﴾[٦٣] والصلاة على سيّدنا محمّد المصطفى صلاة طيبة تعبق تأريخًا وتضوع تعريفًا، وعلى آله وأصحابه الطاهرين الذين حضروا حروبًا وشهدوا زحوفًا، والدعاء لسيدنا الإمام أمير المؤمنين في نصر عزيز يؤنس مذعورًا ويؤمن مخوفًا، فإني كتبته كتب اللّه لكم دعة حافظة وأمانا، وتصديقا بآيات اللّه البيّنة وبرهانًا من موضع كذا، عندما طرأ علينا ما كحل العيون بقذاها، ومنعها لذيذ ذراها، وأخفق الضلوع الحانية وأقلق مصارين حشاها: وهو أن اللّه عزّ وجل ذكّر عباده ﴿إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾[٦٤] ونبّههم إن تنبهوا ولم يأمنوا منه كيدًا مبيرًا ولا مكرًا، وذلك بزلزال قضى به على قرطبة وبعض أعمالها، وملأ نفوس ساكنيها من روعاتها وأوجاها، وحات لذلك من الخوف والإرتياع أقبح حالها، حتى نحوا إلى الإستكانة والضراعة، وأطاع اللّه من لم يكن له قبل ذلك طاعة، وخشوا بل كانوا يوقنون إنها زلزلة الساعة، وكان من عظيم أثرها وكريه إيرادها وإصدارها، انهدام القبة العظمى في المسجد الجامع صانه اللّه، وكانت قبة أسس على التقوى صانه اللّه، وكانت قبة أُسس على التقوى بناؤها، وذهب في المشارق والمغارب ذكرها العاطر وثناؤها، وتهدمت بسبب ذلك الهدم ديار كثيرة، وحدث به حوادث مبيرة، وأما تلوكة من أعمالها، وكان فيها مبنى من مباني الروم، فإنه غادرها قاعًا صفصفًا وَقرًا نقنقًا، واضطر ذلك الخطب الفادح، والريح القادح، إلى أن خرج السيّد أبو اسحاق وكافة أهل قرطبة من ديارهم وفروا من الموت بأقواتهم وأصحابهم، ثم إن اللّه عزّ وجلّ تدارك بالرحمة كشف تلك الغمة، جعل اللّه ذلك صقلًا لقلوبنا، وتوبة عما سبق من ذنوبنا

[٦١] صبح الأعشى، ج ٩/ ٢٢٢، ٢٢٣.

[٦٢] هو ذو الوزارتين الماتب أبو عبد اللّه بن أبي الخصال، ورد عنه أنه كتب إلى أمير المسلمين عندما وصل إلى أشبيلية سنة ٥٠٣ هـ، وكتب إلى الوزير أبي بكر بن إبراهيم يهنئه بولاية خطة الإشراف سنة ٥١٥ هـ انظر الفتح بن خاقان، قلائد العقيان، ط. بولاق ١٢٨٣م، ص ١٧٥، ١٧٦، ١٨٠، والفتح بن خاقان هو أبوالنصر الفتح بن محمد بن عبد اللّه خاقان القيسي، يقال توفي قتيلًا، خمس وثلاثين وقيل تسع وعشرين وخمسمائة بمدينة مراكش في الفندق، يقال إن الذي أشار بقتله أمير المسلمين أبوالحسن علي بن يوسف بن تاشفين أخو أبي اسحق إبراهيم الذي ألّف له أبوالنصر كتاب قلائد العقيان، انظر خطبة الكتاب.

[٦٣] سورة الإسراء : آية ٥٩.

[٦٤] سورة الأعلى: آية ٩.

وعصمنا من جرمنا الموبق وحوبنا، وأولانا وإياكم أمنًا من الغير وازدجارًا بما ظهر من العِبَر وجعل كلانا جميل الحوادث طيب الخبر، بمنه، والسلام الطيب المبارك ورحمة اللّٰه وبركاته.

آثار أدبية عن الزلازل من القرن السابع الهجري من جمع شرف الدين أحمد بن يوسف التيفاشي[٦٥]:

تأثر التيفاشي (٥٨٠-٦٥١ هـ = ١١٨٤-١٢٥٣ م)[٦٦] بكتاب «الآثار العلوية» لأرسطو والذي يربط الزلازل بالمتيورلوچيا فخصص التيفاشي بابًا عن الرياح الأربع والنكت والإعصار وهي «الزوبعة والزلزلة وتغير الهواء».

قال التيفاشي عن الزلزلة: لما كان سبب الزلزلة إنما هو احتقان في الأرض التي تحتقن فيها ويزلزلها حتى يخرق منها موضعًا فتصعد منه الحقنة لسبب ذلك بالرياح.

قال أبوبكر الرباب:

إن الزلازل قد تفاقم أمرها ... والناس منها في اتصال هموم
والأرض في أقطارها مرتجة ... تحت الأنام كرعدة المحموم

وقال والدي جلال الدين المكرم [والد ابن منظور ناسخ كتاب التيفاشي]:

قلت إذا زلزلت الأرض وما ... فوقها للعهدالأناكض
وحمت الدنيا من العيض على ... ساكنيها فاعتراهاالناقض

وله:

وهزتكم الأرض بزلزالها ... لما اشغلتم باكتساب الحطام
كأنها قالت لقد طال ما ... غفلتم فانتبهوا يا نيام

وله:

يا أيها الناس افهموا ما قاله ... ملك الزلازل أو إليه أشارا
ما الأرض الأغربلت سكانها ... قصدا ليقبض منها الأخيارا

[٦٥] ظل الأسحار على الجلنار، مخطوط بدار الكتب المصرية، مصور في ميكروفيلم، رقم ١٧٩٣، ص ٣٦٧.

[٦٦] عن التيفاشي يمكن الرجوع إلى مقال عبد القادر زمامة، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق سنة ١٩٦٤؛ Mullet, Clément, 1868, *Minéralogie arabe, Journal asiatique.*، ومقدمة كتاب أزهار الأفكار في جواهر الأحجار، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٧ م.

وقال ابوالحسن بن سعيد وأجاد:

انـظـر إلـــى الأرض وقـــد زلـزلـت   غـــب انـــسـكــاب الـســحــب الـغـر
كأنها في فعلها طائــــــــــــــر   منتفـــض من بـلل القطــــــر

وله:

تقعقعت الآفـــاق رعـــدا واشتعلت   بـــروقـــا ونـــادى بـالـقـيـامـة داعـــي
فأقبلت الحيطان تـهـوي تعانقـا   مـخـافـة بـيـن قـبـل ضـــم وداع

وقال أبوالمعالي بن اسرائيل:

وزلـــزلـــة تـــروع كـــل شـــهـم   مخافتها وتـزعـج كـل ســـاكن
كـــأن الأرض مـنـهـا لـــج بـحـر   تـرقـص مـوجـهـا الـفـن الـمـسـاكـن

وله:

يا رب زلزلة تزلزل خيفـــــــــة   مـــن أن تـكـف بـعـيـبـهـا الأبـكـار
لما عدمت الأرض من صـوب الحيا   كـاســات راح بـالـريـاح تـــدار

وله:

ويـــوم قـــر قـــد عـــدا غيمـــه   يـلـف قـــرص الـشـمـس فـــي بـــرده
كـأنـمـا الأرض وقـــد زلـزلـت   تهتز للــــــــــرعدة من بـرده

وقال الزكي بن الأصبع:

شكى البخار ببطن الأرض محبسة   عساه يطلق فاهتزت لشــــكواه
ونفست عنه كربا عندما وجـــدت   خوفا من الخسف أن يقضي به اللّه
فكانت الأرض كالحبلى إذا اختلج.م. لجنين من جوفها يهتز أعــــلاه

وله:

مـا اهـتـزت الأرض زلــــــزالا   بساكنيها تبغي هلاكهم بذاالســـبب
وكيف وهـي لهم أم وبـــينهم   وبينها نسب ناهيك من نســـب
وإنـمـا ذكـرت ذاك الخـــطاب لها   من خالق الحق في الماضي من الحقب

وكونها امتثلت طوعا أوامرها — ولم تخالفه فاهتزت من الطرب
والمرء يذكر شيئًا كان يعجبه — فينثني عطفه من ذلك العجب
لأجل ذا جعلت طُهرا يدان به — ومسجدا لمصلي سيد العرب

وقال أبوالحسن بن عبد الكريم الأنصاري وأجاد:

وزلزال يهز الأرض هزًا — كما هز الكريم الإبتهاج
يبشر وجهها بقدوم غيث — كما قد بشر العين ابتهاج

وقال أبو اسحق بن كاتب قيصر:

زدت عجبا بقدرة اللّه لما — أن عدا الأرض طارق الزلزال
فرأيت الجدران قبلت.م.الأرض — وعادت لحالها في الحال

وله:

آذار شهر أشرس نزق — حميم عبوس وجهه حمق
والأرض قد مادت تزلزله — والغيث قد غصت به الطرق
وكأنها من فرط رعدتها — حُمت وأعقب هزها عرق

وللشيخ شرف الدين [التيفاشي] المصنف:

أما ترى الأرض في زلزالها عجبًا — تدعو إلى طاعةالرحمن كل تقي
أضحت كوالدة خرقاء مرضعة — أولادها در ثدي حافل غدق
قد مهدتهم مهادا غير مضطرب — وأفرشتهم فراشا غير ما قلق
حتى إذا أبصرت الذي كرهت — مما يشق على الأولاد من خلق
هزت بهم مهدهم تشأ تُنهنهم — ثم اسشاطت وآل الطبع للخرق
فصكت المهد غضبى فهي لافظة — بعضا على بعضهم من شدة البرق

وهذه المقتبسات من الشعر تعتبر دليلًا آخر على تجاوب بين الشاعر وهذه الظاهرة الطبيعية والتي لا تأتي إلا عن ترددها لمدة تؤثر وتجبر الشاعر على كتابة شعره.

خطابات دينية وكتابات أدبية ـ بعضها من القرن السابع الهجري ـ بمناسبة الزلزلة:

قال مؤرخ مجهول[٦٧] في ذكر حديث الزلزلة في أواخر هذه السنة: وهو إنه لما كان بتاريخ يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة تاريخه (٧٠٢ هـ/ ١٣٠٢ م) حدثت زلزلة عظيمة بكرة النهار بمصر والقاهرة وسائر أعمال الديار المصرية وكانت عظيمة جدًا حتى أن الجدر تساقطت والجبال تشققت والمباني تهدّمت والصخور تقطعت والمياه تفجرت ومادت الأرض بمن عليها وماجت المساكن بساكنيها وتشققت الأسوار والأركان وثار الصراخ بكل مكان وخرج النساء حاسرات إلى الطرقات وظنّ الناس أنها إماتة الأحياء وقيامة الأموات، وابتهلوا إلى رب السموات لما عراهم من المخافات، فأدركتهم رأفته، وأنقذتهم رحمته، بأن سكن زلزالها، لم يُبق على وجه الأرض دار ولا بيت به جدار فكأن قصر مسافتها، وتخفيف آفتها، لطفا من اللّه تعالى بعباده ومنه على ساكني بلاده.

قال العبد الفقير إلى اللّه تعالى مؤلف هذا التاريخ وجامعه: لمّا حدث أمر هذه الزلزلة كنت الليلة بايت على ساحل منية ابن خصيب فعندما بزغت الشمس وإذا بالأرض ترعد من تحتنا وتهتز وأنا أنظر إلى الجبل الشرقي، وهو يُقطع يقع يمينا وشمالا ثم نظرت إلى البحر وإذا به انشق نصفين وبان قراره إلى أن تراجع، وأما البلد التي هي المنية فإن موادن جامعها وغيرها وقع وكذلك بعض دورهم وأبنيتهم فلما تأملت هذه الكائنة عملت هذه الخطبة[٦٨]:

الحمد للّه الذي حكم علينا فعفا وسامحنا فغفر ما ظهر وما خفا، وجملنا بلطفه الجميل أن أشرفنا على شفاء.

أحمده على نِعمٍ[٦٩] لا يحصى عددها، ولا ينفذ مددها [٧٠]، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، إله أبلى فأحسن فيّ بلائه[٧١] وقدر وقضا فحكمه نافذ في أرضه وسمائه وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي بمولده ظهرت الدلائل [وببعثه أمنت الغوائل وبجاهه تشفعنا فسكنت الزلازل][٧٢] صلى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه [ما دام القمر موليًا وعازل][٧٣].

٦٧ حوليّات في التاريخ المملوكي، تحقيق زترستين، ط. ليدن ١٩١٩، ص ١٢٦، ١٢٧.
Zetterstéen: *Beiträge*. p. 120 *et seq.*

٦٨ قال ابن أيبك الدواداري في كتابه كنز الدرر المشار إليه سابقًا، ج ٩/ ١٠٢ «ولبعض الأصحاب في ذلك خطبة جيدة وهي»:

٦٩ (نعمه التي) في كنز الدرر، أيبك الدواداري.

٧٠ [ولا يعد] إضافة في كنز الدر.

٧١ (بلا فأحسن بلائه)، في كنز الدرر.

٧٢ ساقطة من كنز الدرر.

٧٣ (صلاة دائمة البواكر والأصائل)، في كنز الدرر.

أيها الناس إن المعاصي قد كثر عمالها (وإن النفوس قد ظهر وبالها فإن القلوب قد فسدت ورجع إلى الخسرات مآبها)[٧٤] ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٧٥] فلذلك ﴿زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾[٧٦]، ولولا رحمنا بلطفه (اللّٰه لأخرجت الأرض أثقالها فيالها من ساعة كانت - يالها، تاللّٰه لقد زهقت النفوس عندها وطاشت العقول إلا أن اللّٰه بلطفه ردّها)[٧٧] فعند ذلك ماجت الأرض بأسرها وظنّ الناس[٧٨] أن ذلك يوم حشرها فلولا ما سبق [٧٩] من آجالها لهلكت [٨٠] النفوس عند زلزالها. فالتوبة التوبة عباد اللّٰه في الأيام الباقية[٨١] واستحيوا (من اللّٰه حق الحياء فإنه يعلم ظاهر الأمر وخافيه)[٨٢] (واعتبروا عن فاجأة الموت وقد بات في عافية)[٨٣] (فنغص حياته وكدر عيشته الصافية)[٨٤] فأصبح منزله بعد العلوّ[٨٥] مهدومًا وماله بعد الوارث مقسومًا، ثم حمل إلى المقابر وأضحى[٨٦] التراب عليه مردومًا، ولم تغن عنه الدنيا بكمالها إذا زلزلت الأرض زلزالها فرحم اللّٰه امرءًا تاب عما جنى وتقرب من فعل الخير ودنا وتزود للآخرة فإن الدنيا ليست لحي وطنًا، ولبس للخير أثوابًا فلا يسد أن يلبس للقبر كفنا وسأل[٨٧] اللّٰه السلامة من النار إذا حميت سلاسلها وأغلالها ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَاعَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾[٨٨] ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾[٨٩] محررًا، يوم يفر الوالد من الولد والولد من والديه[٩٠]،

[٧٤] (حتى تناهيتم في أعمالها وفشت في سائر الأرض وأعمالها)، في كنز الدرر.

[٧٥] سورة محمّد: آية ٢٤.

[٧٦] سورة الزلزلة: آية ١، ٣.

[٧٧] في كنز الدرر.

[٧٨] ساقطة من كنز الدرر.

[٧٩] بقى، عند مؤرخ مجهول.

[٨٠] ما لهلكت، عند مؤرخ مجهول.

[٨١] الباقية الفانية، في كنز الدرر.

[٨٢] ممن لا تخفى عليه خافية، في كنز الدرر.

[٨٣] واعتبروا بمن هلك تحت ردمها فجأة وقد كان في تلك الساعة في عافية، في كنز الدرر.

[٨٤] ساقطة من كنز الدرر.

[٨٥] التشييد، في كنز الدرر.

[٨٦] فعاد، في كنز الدرر.

[٨٧] ونسأل، في كنز الدرر.

[٨٨] سورة آل عمران: آية ٣٠.

[٨٩] سورة النحل: آية ١١١.

[٩٠] الوالد، في كنز الدرر.

(ويده من البر مقترًا، فيقول ياولدي احمل عني ذنبًا واحدًا فقد أثقلني ذنوبي فيقول هيْهات يا أمّاه إذا حملت عنك فمن يحمل عني أوزاري وهو من اللبس قد عوى فعند ذلك تندم الأم وتنكر أعمالها، إذا زلزلت الأرض زلزالها أعاذنا اللّه وإيّاكم من النار وأحلّنا وإيّاكم دار القرى، إنه عزيز غفّار وصلى اللّه على سيدنا محمّد النبي المختار وعلى آله وأصحابه)[٩١] الأبرار.

وعمل «شافع بن عبد الظاهر»[٩٢] فيها مقامة سماها: «ما ظهر من الدلائل في الحوادث الأرضية» وهي هذه:

«الحمد لله اللطيف الخبير، السميع البصير المقدم، وكم أحسن بتدبيره التقدير»، ﴿رَفَعَ السَّمَـٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[٩٣] وباسط الأرض ومثبتها من الجبال بأوتاد متكفلة صونها. نحمده على لطف التدبير، ونسأله حسن العقبى والمصير، ونشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، شهادة تنجي من المهالك، وتوضح مسالك السلامة للسالك، ونشهد أن محمّدًا عبده ورسوله، نبي الرأفة والرحمة، والحامي بيمن نقيبته أمّته من كل نقمة، صلى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تمحو ليالي الخطوب المدلهمة، وبعد:

فإن قدرة اللّه - سبحانه وتعالى - ما زالت ترى عجيبًا وتبدي غريبًا، وتوقظ بزواجرها سالمًا ومريبًا، وتبدي شموس المواعظ السمائية والأرضية غير متوازية بحجاب، وتذكر بما يبدو منها ويصدر عنها ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[٩٤]، وما وقت ولا زمان إلا ويظهر من قدرة اللّه تعالى فيه ما يبهر العقول، ويخرج عن ما يقضيه المعقول والمنقول، فمن زلزلة مزلزلة كانت للجبال مقلقة، ومن صواعق مرسلة، وخسوف كم أضحت الأمة من سوء خطتها متوسلة، ومما أيقظ به عباده في هذا الزمان وابتلي به صبرهم في هذا الأوان، وهو يوم الخميس الثالث والعشرون من ذي الحجة سنة إثنتين وسبعمائة، عند طلوع الشمس، زلزلة قصمت العرى، ونبذت سكان المدن بالعراء، وأوهت قوى الجدران وأنهكتها، وسبت قاطنيها برفع حجبها برفع حجبها من الدروب وهتكها، وأخذتها أخذ عزيز مقتدر، وأتتها من مأمنها وكم أتى من مأمنه الحذر، وعمدت إلى عقود الحاكم بجامعه ففسختها، وإلى محكم آيات اتقان بنائه فنسختها، وانتصبت لكل

٩١ في كنز الدرر: يوم لا ينفع المال الصامت ولا الناطق ولا التالد يوم تنسف جبالها إذا زلزلت الأرض زلزالها أعاذنا اللّه وإيّاكم من عذاب النار وأسكنّا وإيّاكم دارالقرار فنعم عقبى الدار، وصلى اللّه على سيّدنا محمّد والشفيع يوم القيامة عند أهوالها إذا زلزلت الأرض زلزالها وحسبنا اللّه ونعم الوكيل.

٩٢ السيوطي، كشف الصلصلة، تحقيق د. محمد كمال الدين عز الدين، ط. عالم الكتب ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧ م، ص ٢٠٢-٢٠٥.

٩٣ سورة الرعد: آية ٢.

٩٤ سورة البقرة: آية ٢٦٩، سورة آل عمران: آية ٧.

ما بني على الرفع فكسرته، وإلى كل ما جمع جمع السلامة منها فكسرته، ولم تدع حصنًا حتى زلزلته، ولا شاهقًا حتى أنزلته، وأرت بقوة اللّه قوة واستظهارًا، وطرقت سحرًا والحوادث قد يطرقن أسحارًا، وعمت إلى أن ينجي منها، وطبقت الأرض فلا أرض تزوي عنها، وارتفعت الأصوات بالضجيج، وصارت الأمة في أمر مريج، ورقصت الحيطان على تصفيق السقوف، واستوى في ازعاجها القعود والوقوف، واهتزت الأرض ومادت، وطالت هزتها وتمادت، وزلزلت الأقدام وخفضت الأعلام، واستوت من هولها الأنوار والظلم، وأسمعت كلمات قعقعتها من به صمم، فيا لها ساعة أزالت ما شيّد في الدهور، ولحظة ظن بما أرته أن إسرافيل قد نفخ في الصور، وداهة أزالت ظلماتها الأنوار، وأذهب قتامها سراج النهار، كيف ولم يدع حادثها من منار، ولم تترك قد ركن إلا قصفته، ولا معتدل بناد حتى أمالته بالإعوجاج وعطفته، ولا موجودًا حتى أعدمته، ولا بيتًا قديمًا ولا حديثًا إلا هدمته، واستولت على الغابر والدائر، والباطن والظاهر، والبعيد والقريب، والبرئ والمريب، والصالح والطالح، والغادي والرائح، والجانح والجامح، والأمير والمأمور، والآهل والمهجور وآيست النفوس من الحياة، وأكبها الخوف على وجوهها فمرغت في التراب الجباه، وبلغت القلوب الحناجر، وفعلت المخافة بالقلوب ما لا تفعله الخناجر.

لهونا بالتكاثر أو رمينا بقارعة تشيب لها النواصي
وكان العاديات لها أساسًا فزلزلت الأداني بالأقاصي

ولم يكن لأهل مصر عهد بمثل هذه الزلزلة ولا أَلَف شيوخها المعمّرون مثلها، فلا جرم أن كانوا مستهولين.

وأما غيرها من الأقاليم، فإنه قد ورد التاريخ بما أن يكاد يتهم فيه المؤرخ في نقله، ويعرض السامع العلم به وإن كان العلم بالشيئ خير من جهله.

علي أنها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

ولما حصلت هذه الزلزلة المهولة، وهذه المتجددة التي غدت الأفكار بها مشغولة تتبعت كتب التواريخ لأقف علي ما اتفق منها، وأتصفح ما روي عنها، فوجدت منها العجائب السماوية ما عظم خطرًا وراع تأثيرًا وأثرًا، وأثبته في هذا الكتاب ليعلم أن عجائب الدهر متصلة الأسباب.

وذكر الكمال الإدفوي في الطالع السعيد[٩٥]: وقال في ذلك الشريف تقيّ الدين محمد بن الشيخ ضياء الدين جعفر بن محمد بن الشيخ عبد الرحيم القنائي قال في هذه الزلزلة:

مجاز حقيقتها فاعبروا ولا تعمروا هونوها تهن
وما حسن بيت له زخرف تراه إذا زلزلت لم يكن

أورده الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة، وقال: قال التاج البارنباري عنه أنه لما نظمها بقى في نفسه شيئ لكونه ذكر اسم سور من القرآن في النظم، قال فأتيت ابن دقيق العيد فأنشدتهما له فقال لو قلت: «وما حسن كهف» لكان أحسن. فقلت له أفديتني وأفتيتني.

ولقد ربط كُتّاب الدواوين بين الزلازل وعلامات حوادث أرضية معينة بحسب الشهر الذي يقع فورد في كتاب «ملحة الأدباء في صناعة الكتاب» لمؤرخ مجهول[٩٦] ما يلي:

الإستدلال بالزلزلة في الوضع الذي تكون فيه:

إذا كانت الزلزلة في ينير دلت على قتال وأمراض وشدائد،

وإذا كانت في فبرير كان في الناس خوف وجوع ويكثر الخلاف والنفقان ويطول الحزن والنحيب،

وإذا كانت في مارس دلت على هرج وقتال وفرار من بلد إلى بلد،

وإذا كانت في أبريل دلت على قتال شديد وموت جبار عنيد،

وإذا كانت في مايه دلت على موت يكون في الملوك وعظماء الناس،

وإذا كانت في يونيه دلت على سلامة من الطاعون وغيره،

وإذا كانت في يولية دلت على فساد وشر في الناس،

وإذا كانت في أغست دلت على موت العلماء والأخيار،

وإذا كانت في شنتبر دلت على قلة الثمار وفسادها،

وإذا كانت في أكتوبر وقع في الناس الوباء والطاعون،

وإذا كانت في نوبر دلت على أمن، وذكا وكثر الخير والخصب، وإذا كانت في دجنبر دلت على موت يقع في الغنم.

[٩٥] هو أبوالفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي، ت سنة ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧ م، مؤلف كتاب الطاع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، القاهرة ١٩٦٦ م.

[٩٦] مجموعة مؤرخين عديدين، مخطوط برقم ٤٤٤١، المكتبة الوطنية، باريس، ورقة ١٦٩، استخدم المدجنون في اسبانيا الشهور الغربية الجريجورية قرأت ذلك في مجاميعهم في المكتبة الوطنية بمدريد وغرناطة وغيرهم من مدن الأندلس وكذلك يستخدمها أهل الأندلس والمغاربة بشمال إفريقية.

أهم المصادر والمراجع

ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، ت ٦٣٠ هـ.

١. «الكامل في التاريخ»، ١٢ ج، تحقيق تورنبرج، ليون. ١٨٥١-١٨٧٦ م.

٢. «التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية»، تحقيق أ. عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة ١٩٦٣ م.

٣. «أُسد الغابة في معرفة الصحابة»، المطبعة الوهبية ١٢٨٥ هـ.

ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات محمد، ٥٤٤-٦٠٦ هـ.

- «النهاية في غريب الحديث والأثر»، تحقيق أ. محمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية.

الإربلي: الحسن بن أحمد.

- «مدارس دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها»، تحقيق محمد أحمد دهمان، دمشق، مكتب الدراسات الإسلامية، ١٩٤٧ م.

الإربلي: عبد الرحمن سنبط قنيتو، ت ٧١٧ هـ.

- «الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، تحقيق مكي السيد جاسم، بغداد مكتبة المثنى، تاريخ اقتصر فيه مصنفه على تدوين تاريخ الخلفاء العباسيين من يوم ظهور دعوتهم حتى انقراض دولتهم.

الإسحاقي: محمد بن عبد المعطي بن أبي الفتح بن أحمد بن عبد الغني المنوفي.

- «لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول» المعروف بتاريخ الإسحاقي، وبهامشه «تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة»، المطبعة الشرفية ١٣٠٠ هـ.

الأشعري: الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل، ت ٣٢٤ هـ.

- «كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»، الجزء الأول في «الجليل من الكلام»، عني بتصحيحه هـ. ريتر إستانبول، مطبعة الدولة، ١٩٢٩ م.

الإصطخري: أبو إسحق إبراهيم بن محمد المعروف بالكرخي، ت ٣٠٩ هـ.

- «المسالك والممالك»، تحقيق أ. محمد جابر عبد العال، القاهرة ١٩٦١ م.

الأصفهاني: حمزة بن الحسن.

- «تأريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم السلام»، تحقيق جوتفالدت، ط. ليبزج ١٨٤٤ م.

إبن أبي أصيبعة: موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم.

- «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، المطبعة الوهبية، ١٢٩٩ هـ/ ١٨٨٢ م.

أماري: ميخائيل.

- «المكتبة العربية الصقلية»، نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع، جمعها وحققها المستشرق الإيطالى المشار إليه، ط. ليبزج ١٨٥٧ م، وأعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى، بغداد.

ابن إياس: محمد بن أحمد الحنفي المصري، ت ٩٣٠ هـ/ ١٥٢٤ م.

- «بدائع الزهور في وقائع الدهور»، ط. بولاق، ١٨٩٦-١٨٩٨ م؛ وطبعة أخرى تحقيق محمد مصطفى في ٥ أجزاء، القاهرة ١٩٦٠-١٩٦٥ م.

ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، ت بعد ٧٣٦ هـ/ ١٣٣٥ م.

- «كنز الدرر وجامع الغرر»، مخطوط برقم ٢٥٧٨ تاريخ، دار الكتب المصرية، ومخطوط آخر برقم ٤٦٤٣ تاريخ، نفس الدار.

١. كنز الدرر وجامع الغرر، «الدرة العليا في أخبار بدء الدنيا»، تحقيق Bernd Radtke بيرند راتكه، القاهرة ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م، مصادر تاريخ مصر الإسلامية، ج ١/ ١.

٢. كنز الدرر وجامع الغرر، «الدرة اليتيمة في أخبار سيد المرسلين والخلفاء الراشدين»، تحقيق محمد السعيد جمال الدين، القاهرة ١٩٨١ م، مصادر تاريخ مصر الإسلامية، ج ١/ ٣.

٣. كنز الدرر وجامع الغرر «الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية»، مج ٥، تحقيق دوروتيا كراڤولسكي Dorothea Krawulsky، نشر بيروت ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م، مصادر تاريخ مصر الإسلامية، ج ١/ ٥.

٤. كنز الدرر وجامع الغرر «الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية»، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، القاهرة ١٩٦١ م، مصادر تاريخ مصر الإسلامية، ج ١/ ٦.

٥. كنز الدرر وجامع الغرر «الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب»، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٨٢ م، مصادر تاريخ مصر الإسلامية، ج ١/ ٧.

٦. كنز الدرر وجامع الغرر «الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية»، تحقيق Ulrich Haarmann، القاهرة ١٩٧١ م، مصادر تاريخ مصر الإسلامية، ج ١/ ٨.

٧. كنز الدرر وجامع الغرر «الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر»، تحقيق Hans Robert Roemer هانس روبرت رويمر، القاهرة ١٩٦٠ م، مصادر تاريخ مصر الإسلامية، ج ١/ ٩.

البديري الحلاق: الشيخ أحمد.

- «حوادث دمشق اليومية» من ١١٥٤-١١٧٥ هـ/ ١٤٧١-١٧٦٢ م، نقحها الشيخ محمد سعيد القاسمي، أحد علماء القرن التاسع عشر الميلادي، حققها و نشرها د. أحمد عزت عبد الكريم، مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٩ م.

ابن بطريق: افتيشوس المكني بسعيد: كان بطريركًا على مدينة الإسكندرية سنة ١٤٣ هـ وله من العمر ستون سنة قمرية.

- «التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق»، كتبه إلى أخيه عيسى في معرفة التواريخ الكلية من عهد آدم إلى سني الهجرة الإسلامية، ويليه «تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي»، وينتهي كتاب يحيى بخلافة الظاهر لإعزاز دين الله، ط. بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٩ م.

ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي، ت ٧٧٩ هـ.

- «تحفة النظارفي غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، المعروفة برحلة ابن بطوطة، الجمعية الآسيوية، باريس.

البغدادي: عبد اللطيف بن يوسف المعروف بإبن اللباد، ت ٦٢٩ هـ.

- «الإفادة والإعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر» المعروف بمختصر أخبار مصر، هوايت، لندن ١٨٠٠ م. ونشره مع ترجمة إنجليزية كمال حافظ زند، لندن ١٩٦٥ م.

البغدادي: إسماعيل باشا.

- «هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين»، ط. إستانبول ١٩٦٥ م.

البغدادي: أحمد بن عبد الله عاش في القرن الثاني عشر الهجري.

- «عيون أخبار الأعيان ممن مضى من سالف العصر والأزمان» مخطوط في مجلدين، رقم ٣٨١٠ تاريخ، دار الكتب المصرية.

البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود المعروف بالفراء، ت ٥١٦ هـ.

- «معالم التنزيل» صححها السيد محمد رشيد رضا، الطبعة الأولى، مطبعة المنار، مصر، ١٣٤٧ هـ.

البكري: أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٧ م.

- «كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب»، طبع دي سلان، باريس ١٩١١ م.

البلاذري: أبو العباس أحمد بن يحيى، ت ٢٧٩ هـ.

- «فتوح البلدان»، تحقيق دي خويه، ط. بريل ١٨٦٦ م.

البلخي: أبو زيد أحمد بن سهل، ت ٣٢٢ هـ.

- منسوب إليه «كتاب البدأ والتاريخ»، وهو لمطهر بن طاهر المقدسي، نشر في باريس ١٩٠١ م. باعتناء الخواجة إرنست لرو الصحاف.

بنيامين بن يونه التطيلي: انظر ابن يونه.

البلوي: أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمير بن محفوظ المديني، ت حوالى ٣٣٤ هـ.

- «سيرة أحمد بن طولون»، ط. دمشق ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩ م.

ابن بهادر: محمد بن محمد المؤمني عاش في القرن التاسع الهجري.

- «فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر»، مخطوط مصوّر رقم ٢٣٩٩ تاريخ، تيمور، دار الكتب المصرية.

البوريني: الحسن بن محمد بن محمد بن حسن، ٩٩٣ هـ/ ١٠٢٤ هـ.

- «تراجم الأعيان من أبناء الزمان»، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق ١٩٥٩ م.

البيروني: أبو الريحان محمد بن أحمد، ت ٤٤٠ هـ.

١. «الآثار الباقية عن القرون الخالية»، تحقيق د. سخاو، ليبزج ١٩٢٣ م.

٢. «تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن»، تحقيق د.ب. بولجاكوف، وراجعه د. إمام إبراهيم محمد، ونشر بمجلة معهد المخطوطات العربية خاص بالكتاب، مج ٨، ج ١ وج ٢، ذو القعدة ١٣٨١- ١٣٨٢ هـ/ مايو ونوفمبر ١٩٦٢ م.

٣. «الجماهر في معرفة الجواهر»، ط. الأولى، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، في سنة ١٣٥٥ هـ.

٤. «في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة»، المعروف بكتاب الهند، تحقيق د. سخاو، لندن ١٨٨٧ م.

البيهقـــي: أبو الفضل محمد بن حسن، ت ٤٧٠ هـ.
- «تاريخ البيهقي»، نقله إلى العربية الدكتور يحيى الخشاب والأستاذ صادق نشأت، مطبعة الأنجلو المصرية، ١٩٥٦ م.

البيهقـــي: أبو بكر، أحمد بن الحسين، ت ٤٥٨ هـ.
- «دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة»، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، بيروت، العلمية، ط. ١٩٨٥ م.

تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية:
- المعروف بـ«سير البيعـة المقدسة»، لساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين، وهو لموهوب بن منصور بن مفرج، قام على نشره يسى عبد المسيح، وعزيز سوريال عطية وأسولد برمستر، مطبوعات جمعية الآثار القبطية، القاهرة ١٩٤٣-١٩٤٨ م.

Den Heijer J., « Coptic Historiography in Fatimid, Ayyubid and Early Mamluk Periods », *Mawhub b. Mansur b. Muffarig et l'historiographie copto-arabe, Medieval Encounters,* 2/1 1996, p. 67-98; Louvain 1989.

الـتجـيـبي الـسـبـتـي: الـقـاسـم بـن يـوسـف، ت ٧٣٠ هـ/ ١٣٢٩ م.
- «رحلة التجيبي»، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس.

ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف، ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٦٩ م.
١. «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»، ١٢ ج، ط. دار الكتب المصرية، ١٩٣٩-١٩٦٠ م.
٢. «المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي» ٣ ج، مخطوط رقم ٢٣٥٥ تاريخ، دار الكتب المصرية.

التيفاشـــي: أحمد بن يوسف، ت ٦٥١ هـ.
١. «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار»، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٧ م.
٢. «سرور النفس بمدارك الحواس الخمس»، مخطوط رقم ٢٣٠١ أدب، وميكروفيلم رقم ١٧٩٤، دار الكتب المصرية.

تيمـــــور: أحمد باشا.
- «فهرست الخزانة التيمورية»، القاهرة، ط. دار الكتب المصرية ١٩٤٨ م.

الثعالـــبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ت ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧ م.
- «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب»، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. دار نهضة مصر، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٥ م.

الجاحـــظ: أبـو عـثـمـان عـمـرو بـن بحر، ت ٢٥٥ هـ/ ٨٦٩ م.
- «الحيوان»، ٤ ج، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٩ هـ/ ١٩٤٠ م.

جار الله الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، ولد بزمخشر في يوم الأربعاء ٢٧ رجب ٤٦٧ هـ، ت ٥٣٨ هـ، بجرجانية، خوارزم، بعد رجوعه من مكة.
- «ربيع الأبرار ونصوص الإخيار في المحاضرات»، مخطوط، رقم ١٥٥ أدب، دار الكتب المصرية.

الجبرتـــي: عبد الرحمن، ت ١٢٣٦ هـ.
- «عجائب الآثـار في التراجم والأخـبـار»، ط. بولاق ١٢٩٧ م.

ابن جبير: ت ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٢ م.
- «رحلة ابـن جبير»، نشر د. حسين نصار، مكتبة مصر ١٩٥٥ م.

الجـــزار: نور الدين أبو الحسن علي بن محمد الجـزار.
- «تحصين المنازل من هول الزلازل»، ألّفه بمناسبة وقوع زلزلة بمصر سنة ٩٨٤ هـ، مجلة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٧٤ م، تحقيق د. مصطفى أنور طاهر.

ابن جمعة: محمد المقار،
أدرك نهاية القرن الحادي عشر وتوفى بعد منتصف القرن الثاني عشر.
- «الباشات والقضاة»، رتبه حسب السنين، جمعها وحققها د. صلاح الدين المنجد بإسم «ولاة دمشق في العهد العثماني»، ط. دمشق ١٩٤٩ م.

ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي التيمي البكري، ت ٥٩٧ هـ.
١. «شذور العقود في أثر العهود»، مخطوط رقم ٩٩٤ تاريخ، دارالكتب المصرية.
٢. «المدهش في المحاضرات»، مخطوط رقم ب ٢٣٠٥٤، دار الكتب المصرية.
٣. «المنتظم» يبدأ بحوادث سنة ٢٥٧ هـ، بالقسم الثاني من ج ٥، ط. أولى، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بعاصمة حيدرآباد، الدكن، ١٣٥٧ هـ.

حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله.
- «كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون»، ط. ثالثة، طهران ١٣٧٨ هـ/ ١٩٤٧ م.

الحاكم اليسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد، ت ٤٠٥ هـ
- «المستدرك على الصحيحين في الحديث، بيروت، دار الفكر العربي، طبعة بالأوفست عن ط. الهند ١٩٧٨ م.

ابن الحبيب الحلبي: الحسن بن عمر ت ٧٧٩ هـ/ ١٣٧٧ م.
١. «تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه»، مخطوط رقم ٥٨٧٢ شرقيات، المتحف البريطاني.
٢. «درة الأسلاك في دولة الأتراك»، في تاريخ الدولة التركية من ٦٤٨-٧٧٨، مخطوط، دارالكتب المصرية.

ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ٧٧٣-٨٥٢ هـ.
١. «إنباء الغمر بأبناء العمر»، تحقيق د. حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٩-١٩٧٢ م، القاهرة.
٢. «بذل الماعون في فضل الطاعون»، مخطوط رقم ٢٣٥٣ تصوف وأخلاق، دار الكتب المصرية.
٣. «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»، ١٣٤٨-١٣٥٠ هـ.

ابن حجلة: شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي بكر، ت ٧٧٦ هـ.
- «سكردان السلطان»، مطبوع بهامش كتاب المخلاة لبهاء الدين محمد بن حسين العاملي،المطبعة اليمنية على نفقة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

ابن الحسن الديار بكري: حسين بن محمد، ت في قضاء مكة حول ٩٨٢ هـ.
- «الخميس في أحوال أنفس نفيس»، المطبعة الوهبية بباب الشعرية أواخر رجب ١٢٨٣ هـ.

ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي، ت أواخر القرن الرابع.
- «المسالك والممالك»، مجموعة المكتبة الجغرافية العربية، دي خويه، ليون ١٨٨٩ م.

الخزرجي: نور الدين علي بن الحسن.
- «العقود اللؤلؤلية في تاريخ الدولة الرسولية»، مطبعة الهلال بالفجالة مصر ١٣٢٩ هـ/ ١٩١١ م، على نفقة أوقاف ذكرى المغفور له مستر جب.

ابن الخطيب البغدادي: الحافظ أبو بكر بن أحمد بن علي المتوفى ٤٦٣ هـ/ ١٠٧١ م.
- «تاريخ بغداد» أو «مدينة السلام» ١٤ ج، ط. مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٣١ م.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، المتوفى ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م.

- «مقدمة كتاب العِبَر وديوان المبتدأ والخبر»، المعروف بمقدمة ابن خلدون، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، في ٤ ج، ط. لجنة البيان العربي، القاهرة ١٩٥٧-١٩٦٠ م.
- «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر» ٧ ج، ط. القاهرة ١٢٨٤ هـ/ ١٨٧٠ م.

ابن خلكان: أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر، ٦٠٨-٦٨١ هـ

- «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة ١٩٤٨ م.

ابن خرداذبة: عبيد الله بن أحمد، توفي نحو ٢٨٠ هـ/ ٨٩٣ م.

- «المسالك والممالك»، تحقيق دي خويه، ليدن ١٨٨٩ م، وأعاد نشره بالأوفست قاسم محمد الرجب.

الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، ت ٢٥٥ هـ.

- «سنن الدارمي»، روى عنه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل، وكتابه هذا هو سادس كتب السنة المعتبرة، طبع بعناية محمد بن أحمد دهمان، دمشق، مطبعة الإعتدال ١٣٤٩ هـ.

ابن دحية: عمر بن أبي علي حسن بن علي، ت ٦٣٣ هـ.

- «النبراس في تاريخ بني العباس»، بغداد ١٩٤٦ م.

ابن دقماق: صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلامي، ت ٨٠٩ هـ/ ١٤٠٧ م.

- «نزهة الأنام في تاريخ الأنام»، من سنة ٦٢٨-٦٥٩ هـ ٧٧٨-٨٠٤ هـ، مخطوط، رقم ١٧٤٠ تاريخ، دار الكتب المصرية.

ابن أبي الدم: أبو إسحق إبراهيم بن عبد الله بن عبد المؤمن الحموي، ت ٦٤٢ هـ.

- «التاريخ المظفري»، ضمنه تاريخ الإسلام مبتدئًا بسيرة النبيّ عليه الصلاة والسلام والخلفاء على سياق السنين الهجرية مترجمًا للعلماء والفضلاء والأعيان وقد ختم ذلك كله بذكر ولاية السلطان الملك المظفّر أبي الفتح محمود صاحب حماة وذكر دولته وتاريخ مملكته. نسخته بقلم معتاد كُتبت ١٩٠١ هـ في ٢٠٠ ورقة ومسطرتها ١٧ سطر ١٢ × ١٨ سم نسخة مصورة عن خدابخشي تنته برقم ٢٨٦٨، رقم ٣١٠٢، جامعة الدول العربية.

الدميري: محمد بن عيسى بن علي ٧٤٢-٨٠٨ هـ.

- «حياة الحيوان الكبرى»، مطبعة الإستقامة ١٩٦٣.

ابن الدواداري: انظر ابن أيبك الدواداري.

الديبع الشيباني الزبيدي: الإمام أبو الضيا عبد الرحمن بن علي الديبع، المتوفى سنة ٩٤٣ هـ

- «كتاب قرة العيون بأخبار اليمن الميمون»، تحقيق محمد بن علي الأكوع الجوالي، ط. المكتبة السلفية ومكتبتها بالروضة.

الذهبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، ت ٧٤٨ هـ.

١. «تاريخ الإسلام وطبقات مشاهير الإسلام»، مكتبة القدسي ١٣٦٩ هـ وطبعة أخرى الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.

٢. «دول الإسلام»، ط. حيدر آباد، الدكن ١٢٣٣ هـ.

٣. «العبر في خبر غبر»، تحقيق صلاح المنجد وآخرون، الكويت ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م.

الرازي: أحمد بن عبد الله

- «تاريخ مدينة صنعاء»، تحقيق ونشر حسين عبد الله العمري، دمشق ١٩٧٤ م.

الـــرازي: محمد عمر، ت ٦٠٦ هـ.

- «المباحث الشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات»، طهران، مكتبة الأسدي ١٩٦٦ م.

الـــرافعي: أحمد بن أبي الحسين، ت ٥٧٨ هـ.

- «البراكين»، نسخة في مجلد بقلم عادي، ٧٠٧ هـ، وبها نقص في أولها وهي من مقالات الإمام الرافعي، مكتبة البلدية، الإسكندرية، فهارس الإلهيات ٣٩٢٣ ج.

الـــرافعي: أبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزويني، ت ٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦ م.

- «التدوين في ذكر قزوين»، ويتضمن تاريخ قزوين وفضائلها وتراجم من دخلها من الصحابة والتابعين والعلماء والفقهاء والمحدثين ورتبه على حروف المعجم، مخطوط، رقم ٤٢٧٦، تاريخ، دار الكتب المصرية، وأخرى برقم ٦٢٥٤ ت، وهي مصورة عن نسخة محفوظة بمكتبة بلدية الإسكندرية وأخرى برقم ٧١٠٠ح.

ابن رسته: أحمد بن عمر، ألّف كتابه ٢٩٠ هـ/ ٩٠٣ م.

- «الأعـــــلاق الـنـفـيـســة»، ج ٧، تحقيق دي خويه، ليدن ١٨٩١ م وأعاد نشره بالأوفست قاسم محمد الرجب.

ابن رسول: عباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر.

- «نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون»، مخطوط رقم ٤٩٦٤ تاريخ، دارالكتب المصرية.

ابن رشد: أبو الوليد محمد بن أحمد محمد بن رشد القرطبي، كان شاهد عيان لزلزال قرطبة عام ٥٦٦ هـ، ت ٩ صفر ٥٩٥ هـ/ ديسمبر ١١٩٨ م.

١. C. Brockelmann, G.A.L. Weimar 1898, 1, 461.

«تلخيص كتب أرسطاطاليس في الحكمة»، مخطوط من وقف صرغتمش، خط قديم، وعدد أوراقه ٣٠٢ ورقة، ،رقم ٥، حكمة وفلسفة، دار الكتب المصرية، ومخطوط بالمكتبة الوطنية بمدريد.

٢. «كـــتـــاب الآثـــــار الـعـلـويـة»، تحقيق د. سهير فضل الله ابو وافية و د. زينب محمود الخضيري وتصدير أ.د. ابراهيم مدكور، المجلس الأعلى للثقافة، المكتبة العربية، القاهرة ١٩٩٤ م.

٣. «رســـائـــل ابـــن رشـــد الـطـبـيـة»، تحقيق الدكتور جورج شحاته قنواتي وسعيد زايد وتصدير الدكتور ابراهيم مدكور، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧ م/ ١٤٠٧ هـ.

الـزبـيـــــــدي: الـسـيـد مـحـمـد مـرتـضـى، ت ١٢٠٥ هـ/ ١٧٩٠ م.

- «تـاج الـعـروس مـن جـواهـر الـقـامـوس»، ١٠ ج، ط. مصر ١٣٠٦-١٣٠٧ هـ.

ابن أبي زرع: أبو الحسن علي الفاسي.

- «الأنـــيـــس الـــمـــطـــرب بـــروض الـقـرطـاس فـي أخـبـار مـلـوك فـاس»، يـتـنـاول تـاريـخ دولـة الأدارسـة، وينتهي بحوادث ٧٢٦ هـ، حرّره وعلّق عليه محمد الهاشمي الفيلالي ، المطبعة الوطنية، الرباط، المغرب.

زامبـــاور: إدوار فون.

- «معجم الأنـسـاب والأسـرات الحاكمة»، نقله إلى العربية الدكتور زكي حسن وحسن أحمد محمود.

ابن الساعي: أبو طالب علي بن أنجب البغدادي، ت ٦٧٤ هـ.

١. «الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السيَر»، ج ٩، ويبدأ ٥٩٥ هـ وينتهي ٦٠٦ هـ، وحقّقه الأب أنستاس الكرملي، ط. المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد.

٢. «مـخـتـصـر أخـبـار الـخـلـفـاء»، المطبعة الأميرية، ١٣٠٩ هـ.

سبط ابن الجوزي: أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قيزوغلي، ت ٦٥٢ هـ.

- «مرآة الزمان»، ج ٨، نشر جويت، ط. جامعة شيكاجو ١٩٠٧ م؛ وط. حيدر آباد، الدكن ١٩٥١-١٩٥٢ م؛ ومخطوط، رقم ٥٥١ تاريخ، دار الكتب المصرية.

السبكي: الحافظ عبد الوهاب بن تقيّ الدين، ت ٧٧١ هـ/ ١٣٧٠ م.

١. «طبقات الشافعية»، ط. على نفقة أحمد بن عبد الكريم القادري الحسيني في١٠ ج.
٢. «معيد النعم ومبيد النقم»، ط. القاهرة.

السخاوي: محمد بن عبد الرحمن بن محمد، ت ٩٠٢ هـ.

- «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»، نشره حسام الدين القدسي، القاهرة ١٣٥٣-١٣٥٥هـ.

سعاد ماهر:

١. «البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية»، القاهرة ١٩٦٧ م.
٢. «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون»، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٧١ م.

ابن سعد: محمد المعروف بكاتب الواقدي، ت ٢٣٠ هـ/ ٨٤٤ م.

- «كتاب الطبقات الكبرى»، تحقيق سخاو، ط. ليدن.

ابن سعيد: علي بن سعيد بن موسى المغربي، ت ٦٨٥ هـ./ ١٢٨٦ م.

١. «المغرب في حلى المغرب»، نشره تلكست Kunt L. Tallquist، ط. ليدن ١٨٩٨-١٨٩٩ م، وزكي محمد حسن وآخرين، القاهرة ١٩٥٣ م.
٢. «النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة»، حققه د. حسين نصار، القاهرة ١٩٧٢ م.

السمهودي: نور الدين علي بن أحمد المصري، ت ٩١١ هـ.

- «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى»، يسمي المؤلف هذا الكتاب في مطلع الكتاب الثاني «إقتفاء الوفا بأخبار دار المصطفى»، وسمّاه حاجي خليفة «الوفا لما يجب لحضرة المصطفى»، والمؤلف نفسه يسميه في ثنايا كتابه الثاني وفي مطلع الثالث الوفا ولم يظفر بالإتمام فضلًا عن الظهور والتداول لأن تركه فيما احترق من الكتب في حريق المسجد النبوي الثاني سنة ٨٨٦ هـ، ولهذا ترجع أهمية هذا الكتاب لنجاته ووصوله إلينا. انظر مقدمة محمد محيي عبد الحميد، القاهرة ١٣٧ هـ/ ١٩٥٥ م، وهناك طبعة أخرى بمطبعة الآداب والمؤيد، مصر ١٣٢٦ هـ.

السلاوي: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، ت ١٣١٥ هـ/ ١٨٩٧ م.

- «الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى»، نشر في ٤ ج، القاهرة ١٨٩٤ م، والدار البيضاء في ٩ ج، بتحقيق وتعليق ولدي المؤلف الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري في ٩ ج بين ١٩٥٤-١٩٥٦ م، الجزءالخاص بالدولة السعدية، ج ٦/ ١١٠، ١١١.

السهروردي: شهاب الدين يحيى بن حبش، ت ٥٨٧ هـ.

- «مجموعة في الحكمة الإلهية»، تحقيق كوربان، إستانبول، مطبعة المعارف ١٩٤٥ م.

سوسة: د. أحمد.

- «الفيضان وغرق بغداد في العصر العباسي»، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج ١/ ١٩٦٣، ص ٣٠-٦٨.

ابن سينا: الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين، ولد في بخارى ٣٧٣ هـ، وتوفى ٤٢٨ هـ/ ١٠٣٧ م، F. Sezgin G.A.S Band V/108.

١. «الشفاء»، تحقيق د. عبد الحليم منتصر، نشر المؤسسة المصرية والنشر ١٩٦٥ م.

٢. «النجاة»، مطبعة السعادة، مصر ١٣٣١ هـ.

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن، ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م.

١. «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة»، نشره في جزءين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط. الأولى ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م.

٢. «كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة»، تحقيق عبد اللطيف السعداني، نشر وزارة الثقافة، المغرب ١٩٧١ م، ترجمة فرنسية لكتاب «كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة»، قام بها سعيد النجار، الرباط ١٩٧٣- ١٩٧٤م، وطبعة أخرى بتحقيق د. محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

٣. «نظم العقيان في أعيان الأعيان»، حرّره د. فيليب حتي، المطبعةالسورية الأمريكية، نيويورك ١٩٢٧ م.

٤. «تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين»، وبهامشه «آثار الأول في ترتيب الدول» للعلامة الحسن بن عبد الله، مطبعة البابي الحلبي ١٣٠٥ هـ.

الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس

- «الأم»، وبهامشه «المختصر»، ط. بولاق ١٣٢١ هـ.

ابن شاكر الكتبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد، ت ٧٦٤ هـ.

١. «عيون التواريخ»، مرتب على السنين إلى سنة ٧٦٠، مخطوط، رقم ٩٤٩ تاريخ، دار الكتب المصرية.

٢. «فوات الوفيات»، ذيل على وفيات الأعيان، تحقيق محمد محيى عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر ١٩٥١ م.

أبو شامة: شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل، ت مقتولًا ٦٦٥ هـ.

١. «الذيل على الروضتين». نُشر باسم «تراجم القرنين السادس والسابع الهجريين»، وقف على تصحيحه وتعريفه الشيخ محمد زاهد الكوثري، وعُني بنشره السيد عزت العطار الحسني، ط. أولى، ١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٧ م.

- مخطوط «الذيل على الروضتين»، في خاتمته وافق الفراغ من نسخِه يوم الثلاثاء رابع عشر شهر جمادى الأولى من شهور سنة ٧٦٧ هـ، على يد محمد بن علي، وتبدأ حوادث الذيل بحوادث ٥٩٠ هـ، أي أن الروضتين تنتهي بوفاة صلاح الدين ٥٨٩ هـ، والمخطوط برقم ٥٣٨٨ تاريخ، دار الكتب المصرية.

٢. «الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية»، القاهرة، مطبعة وادي النيل ١٢٨٧-١٢٨٨ هـ جزءآن في مجلد واحد.

ابن الشحنة: محب الدين أبو الوليد محمد بن محمد بن محمد بن محمد الحلبي، المولود ٧٤٩ هـ والمتوفى ٨١٥ أو ٨١٧ هـ.

- «روض المناظر في علم الأوائل والأواخر»، مخطوط، رقم ١٥٣٧ هـ، عربي، المكتبة الوطنية، باريس.

ابن شـداد: عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي، ت ٦٨٤ هـ/ ١٢٨٥ م

- «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمر الشام والجزيرة»، الجزء الأول، القسم الأول، تحقيق دومنيك سورديل، دمشق ١٩٥٣ م، وسامي الدهان، دمشق ١٩٥٦ م. وقام بنشر وتحقيق الجزء الأول، القسم الثاني آن ماري إدّه. Anne-Marie EDDÉ : « La description de la Syrie du Nord », *Bulletin d'études orientales* XXXII-XXXIII, Damas 1982.

ابن شداد: بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم، ولد بالموصل ٥٣٩ هـ وتوفي بحلب ٦٣٢ هـ.

- «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية»، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٦٤ م، الشـــطي: محمد جميل.
- «روض البشر في أعيان القرن الثالث عشر»، مخطوط، رقم ١٤٧٦ تيمور، دار الكتب المصرية.

الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، ت ٥٤٨ هـ/ ١١٥٣ م،

- «الملل والنحل»، تحقيق محمد بن فتح الله بدران، مطبعة الأزهر.

شيخ الربوة: شمس الدين أبو عبد الله بن أبي طالب الأنصاري، ت ٧٢٧ هـ/ ١٣٢٧ م.

- «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر»، تحقيق مهرن بطرسبرج، ١٨٦٦ م.

ابن صاحب الصلاة: هو عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي المكنّى بأبي مروان وأبي محمد، ت ٥٩٤ هـ/ ١١٩٨ م.

- في كتابه «تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين»، السفر الثاني استخرجه من مخطوط اكسفورد وقدّمه لنيل دبلوم الدراسات العليا عبد الهادي التازي، ونشر بدار الأندلس للطباعة والنشر ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٤ م.

ابن الصيرفي: علي بن داود الجوهري من القرن التاسع الهجري.

- «نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان»، ٤ ج، تحقيق د. حسن حبشي، دار الكتب المصرية ١٩٧٣ م.

الطبـــاخ: محمد راغب بن محمد بن هاشم الحلبي

- «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء»، ٧ ج، المطبعة العلمية، حلب ١٣٤٣ هـ/ ١٩٢٥ م.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، ت ٣١٠ هـ.

- «تاريخ الرسل والملوك» المعروف بإسم «تاريخ الطبري»، ينتهي سنة ٣٠٢ هـ تحقيق دي خويه، لندن ١٨٨١-١٨٨٢ م.

ابن طولون: محمد بن علي الصالحي الدمشقي، ت ٩٥٣ هـ/ ١٥٤٦ م.

- «إعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى»، تحقيق د. عبد العظيم حامد خطاب، القاهرة ١٩٧٣ م.

ابن ظهيرة: أبو إسحق إبراهيم بن علي بن محمد، ت ٨٩١ هـ/ ١٤٨٦ م.

- «الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة»، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس، القاهرة ١٩٦٦ م.

العـــاملي: بهاء الدين محمد بن حسن، ت ١٠٠٣ هـ.

- «الكشكول»، ط. مصطفى البابي الحلبي ١٣١٧ هـ.

ابن عبد الظاهر: محيي الدين رئيس ديوان الإنشاء ولد بالقاهرة ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣ م-٦٩٢ هـ/ ١٢٩٢ م.

- «تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور»، وتتناول الحقبة ما بين سنتي ٦٧٨ هـ-٦٨٩ هـ حقّقه د. مراد كامل، وراجعه محمد علي النجار عن نسخة المكتبة الوطنية، باريس ١٧٠٤، عربي نشر سلسلة «تراثنا»، وزارة الثقافة والإرشاد، ط. أولى ١٩٦١ م.

ابن عبد الهادي: يوسف، ت ٩٠٩ هـ.
- «ثمار المقاصد في ذكر المساجد»، تحقيق محمد أسعد طلس، ط. المعهد الفرنسي، بيروت ١٩٤٣ م.

ابن العبري: أبو الفرج غريغوريوس بن هارون الملطي، ت ٦٨٤ هـ.
- «تاريخ مختصر الدول»، بيروت ١٨٩٠ م.

ابن العديم: كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله، ٥٨٨-٦٦٠ هـ.
١. «تذكرة ابن العديم»، مخطوط، رقم ٢٠٢٤، أدب، وميكروفيلم رقم ٣٣٢٣، دار الكتب المصرية.
٢. «زبدة الحلب من تاريخ حلب»، تحقيق سامي الدهان، نشر المعهد الفرنسي، دمشق ١٩٥١-١٩٦٨ م.

ابن عذاري: أبو العباس أحمد بن محمد.
«البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب»، اختصر فيها المؤلف أخبار المغرب:
- الجزء الأول في أخبار أفريقية من حين فتحت ثم أخبار أمرائها وولاة المروانيين ومن قام بأمر بني العباس من بني الأغلب، وأخبار بني عبيد الله الشيعة وأخبار صنهاجة وانتقالهم إلى المهدية وفتنة العرب إلى أن استولى الموحّدون وأخبار المدراريين السجلماسيين والأدارسة والبرغواطيين والزناتيين والمغراويين واللمتونيين.
- الجزء الثاني: في أخبار جزيرة الأندلس من حين فتحت، ومن وليها لبني أمية ثم من وليها منهم، وذكر الدولة العامرية إلى أن قامت الفتنة والطوائف.
- الجزء الثالث: في خبر لتونة ثم خبر الموحدين وذكر الحفصيين والدولة النصرية والمرينية ٦٦٧ هـ تحقيق دوزي، كولان وليڤي پروڤينسال، نسخة بالأوفست، بيروت ١٩٦٧ م.

ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله، ت ٥٧١ هـ.
- «تاريخ مدينة دمشق»، تحقيق د. صلاح الدين المنجد. مطبوعات المجمع العلمي، دمشق ١٩٥١ م.

علي: محمد كرد
١. «خطط الشام» ٦ ج، المطبعة الحديثة، دمشق، ١٩٢٥-١٩٢٨ م.
٢. «غوطة دمشق»، مطبوعات المجمع العلمي الدمشقي، مطبعة الترقي ١٣٧١ هـ/ ١٩٥٢ م.

العليمي: مجير الدين أبو اليمن عبد الرحمن بن محمد بن محيي الدين العمري الحنبلي المقدسي، المتوفى ٩٢٨ هـ/ ١٥٢٢ م.
- «كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل»، ٢ ج، ط. المطبعة الوهبية، القاهرة ١٢٨٣ هـ/ ١٨٦٩ م. وهذا الكتاب منقول معظمه عن كتاب «مثير الغرام إلى زيارة المقدس والشام»، لمؤلفه شهاب الدين المقدسي، المتوفى ٧٦٥ هـ/ ١٣٦٤ م.

ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي، ت ١٠٨٩ هـ.
- «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، عنيت بنشره مكتبة القدسي ١٣٥١ هـ.

العمادي: حامد أفندي، ت. ١١٧١ هـ.
- «الحوقلة في الزلزلة»، مخطوط، رقم ٣٤٤٤ ج، دار الكتب المصرية، ونشرها مصطفى أنور طاهر، مجلة المعهد الفرنسي، دمشق (*BEO*) سنة ١٩٧٥ م.

العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله، ت ٧٤٩ هـ.
- «مسالك الأبصار في مالك الأمصار»، مخطوط، رقم ٥٥٩ معارف عامة، دار الكتب المصرية، ومصور من مكتبة كوبريلي زادة عن نسخة من وقف الملك المؤيد شيخ.

ابــن الـعـمـيـد: الـشـيـخ الـمـكـيـن جـرجـس، ت ٦٧٢ هـ/ ١٢٧٣ م.

- «تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم محمد إلى الدولة الأتابكية»، المعروف باسم «تاريخ ابن العميد»، ليبزج ١٦٢٥ م.

العيدروس: محيي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله، ت ١٠٣٨ هـ/ ١٦٢٨ م.

- «النور السافر عن أخبار القرن العاشر»، تحقيق محمد سيد الصفار، بغداد ١٩٣٤ م.

العينـي: بـدر الـديـن مـحـمـود بـن أحـمـد، ت ٨٥٥ هـ/ ١٤٥١ م.

- «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان»، مخطوط مصور، رقم ١٥٨٤ تاريخ، ٢٣ ج، في ٦٩ مج، دار الكتب المصرية، ونسخة بخط المؤلف ومستوفاه بخط شمس الدين محمد السخاوي وعدد أوراقها ٢٤٩ ورقة من سنة ٧٩٩ هـ إلى ٨٥٠ هـ مصورة من مخطوط برقم ١٩/٢٩١٠ بمكتبة أحمد الثالث بإستانبول.

الغزال: أحمد بن المهدي الفاسي الأندلسي، ت ١١٩١ هـ.

- «نتيجة الإجتهاد في المهادنة والجهاد»، وهي المشهورة بـ «الرحلة الغزالية»، ضمنها ما شاهده في رحلته سنة ١١٧٩ هـ، من ذكر عدة وقائع حربية وحوادث تاريخية وأخبار عدة مدن من بلاد المغرب، مخطوط، رقم ٢٢٧٩ عربي، المكتبة الوطنية، باريس، ولم يستخدمه ألفريد البستاني ضمن ما نشره بمؤسسة فرانكو للأبحاث العربية.

الـغـزي: بـدر الـديـن مـحـمـد بـن محمد، ت بدمشق ٩٨٤ هـ/ ١٥٧٩ م.

- فقيه، مفسر، محدث، مشارك في علوم عديدة، نقل عنه الشيخ عبد الغني النابلسي زوائد عما سمعه وشاهده من الزلازل في زوائد على رسالة «كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة»، ودوّنها في مجموع بخطه في المكتبة الظاهرية برقم ٧١٣٦ عام. انظر لاحقاً مطيع الحافظ في بحثه المنشور بدمشق بمجلة المعهد الفرنسي *BEO* 1982.

الـغـزي: كـمـال الـديـن مـحـمـد بـن محمد، ت ١٢١٣ هـ.

- «الدر المكنون والجمان المصون من فوائد العلوم وفوائد الفنون»، المعروف «بالتذكرة الكمالية»، مخطوط، رقم ٧٨٥ أدب، تيمور، دار الكتب المصرية، ونشر مصطفى أنور طاهر الجزء الخاص بالزلازل، مجلة المعهد الفرنسي بدمشق (*BEO*) سنة ١٩٧٤ م.

الـغـزي: نـجـم الـديـن مـحـمـد بـن محمد، ت. بدمشق ١٠٦١ هـ/ ١٧٣١ م.

١. «الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة»، حققه وضبطه جبرائيل سليمان جبور، ط. المطبعة الأمريكانية، بيروت ١٩٤٥ م.

٢. «زوائد على رسالة كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة»، للسيوطي بخط عبد الغني النابلسي، انظر الغزي «بدر الدين»، وانظر مطيع الحافظ.

الفارقي: أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق، مولده سنة ٥١٠ هـ.

- «تاريخ ميافارقين» المعروف بـ«تاريخ الفارقي»، ويوهم اسم الكتاب أن المؤلف خصصه لتاريخ المدينة فحسب، ولكن الكتاب بالحقيقة معلمة واسعة، حققه وقدم له د. بدوي عبد اللطيف عوض، وراجعه محمد شفيق غربال، نشر وزارة الثقافة إدارة إحياء التراث، المطبعة الأميرية ١٣٧٩ هـ-١٩٥٩ م.
- والقسم الأول من الكتاب مخطوط بالمتحف البريطاني برقم ٥٩٠٣ ويوجد منه ميكروفيلم برقم ١٢٤٩ بالجامعة العربية بإسم «ملخص تاريخ ميافارقين».

أبو الفدا: الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل، ت ٧٣٢ هـ، وهو صاحب حماة من نسل صلاح الدين الأيوبي، وكان الملك الناصر قلاوون يناديه بأخي.

- «المختصر في أخبار البشر»، ط. أولى، المطبعة الحسينية المصرية، على نفقة محمد عبد اللطيف الخطيب وشركاه، وهو في ٤ ج، في ٢ مج، ويتلوه «تتمة المختصر في أخبار البشر» لإبن الوردي.

ابن الفوطي: أبو الفضل عبد الرازق بن أحمد بن محمد الصابوني، ت ٧٣٢ هـ.

- «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة»، تحقيق د. مصطفى جواد، مطبعة الفرات، بغداد ١٣٥١ هـ.

فولني: س. ف.

- «ثلاثة أعوام في مصر وبر الشام»، ترجمة إدوار البستاني، بيروت، ط. دارالمكشوف ١٩٤٩ م.

الفاسي: محمد بن أحمد بن علي المكي المالكي، أحد قضاة مكة، ٧٧٥-٨٣٢ هـ.

- «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام»، نشر ضمن مجموعة روائع التراث العربي عن أخبار مكة المشرفة ولا يوجد تاريخ للطبع.

القادري الحسني: أبو عبد الله محمد بن الطيب ابن عبد السلام، ولد ١١٢٤ هـ وتوفى ١١٧٨ هـ.

- «نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني»، تكلم فيه على تراجم ووفيات القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، وجعل كل عشر سنين طبقة ورتبه على الحروف الهجائية، وصدره بمقدمتين الأولى في «التعريف بابن قنفذ» والثانية في «الإلماع ببعض فوائد التاريخ وبعض الغرائب»، نسخة من جزئين في مجلد، طبع فاس ١٣١٥ هـ.

ابن القاري: رسلان بن يحيى.

- «الوزراء الذين حكموا دمشق»، يبدأ بذكر قائمة بأسماء الولاة حتى سنة ١١١٣ هـ ثم سار يفصل بين الولاة وحوادثهم بانتظام إلى سنة ١١٣٢ هـ، جمعها وحققها صلاح الدين المنجد باسم «ولاة دمشق في العهد العثماني»، ط. دمشق ١٩٤٩ م.

ابن القاسم: يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي، ولد ١٠٣٥ هـ/ ١٦٢٥ م وتوفى ١١٠٠ هـ/ ١٦٨٩ م.

١. «أنباء الزمن في تاريخ أبناء اليمن»، مخطوط، رقم ١٧٠٧٥ ح، دار الكتب المصرية.

٢. «غاية الأماني في أخبار القطر اليماني»، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م.

ابن قاضي شهبة: تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي ٧٧٩-٨٥١ هـ/ ١٣٧٧-١٤٤٨ م.

- «تاريخ ابن قاضي شهبة»، اختصره من تاريخه الكبير الذي ذيل به على كتب من تقدموه من مؤرخي الشام: الذهبي والبرزالي وابن كثير وغيرهم، تحقيق عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ١٩٩٤ م.

ابن قاضي شهبة: بدر الدين محمد الأسدي الشافعي

- «الدر الثمين في سيرة نور الدين» كتبه مؤلفه ٨٥٩ هـ واستنسخ منه أواخر شهر رجب سنة الألف، مخطوط من وقف السلطان محمود خان، برقم ٩٤٨٩ ح، دار الكتب المصرية.

القزويني: أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود القاضي، ت ٦٨١ هـ.

١. «آثار البلاد وأخبار العباد»، ط. جوتنجن ١٩٤٨ م.

٢. «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات»، تحقيق ڤوستنفيلد (Wüstenfeld)، جوتنجن ١٨٤٩ م، وطبعة أخرى بمصر بمطبعة المعاهد ١٩٦٨ م.

القفطـــي: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف.

- «تأريخ الحكماء»، ط. ليبزج ١٩٠٣ م.

ابن القلانسي: أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد، ت ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠ م.

- «ذيل تاريخ دمشق»، مع مقتطفات من تواريخ أخرى هي الفارقي وسبط ابن الجوزي والذهبي، تحقيق آمدروز، ط. ليدن ١٩٠٨ م.

القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي، ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م.

١. «صبح الأعشى في صناعة الإنشا»، ١٤ ج، سلسلة تراثنا، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.

٢. «مآثر الإنافة في معالم الخلافة»، ٢ ج، تحقيق عبد الستار فرج، الكويت ١٩٦٤ م.

القوصـــي: أحمد بن علي

- «البراكين والزلازل»، مخطوط، رقم ١١٤ طبيعة تيمور، دارالكتب المصرية.

الكتاني: محمد بن جعفر بن إدريس الطائع.

- «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس»، طبع فاس على القاعدة المغربية ١٣١٦ هـ.

ابن كثير: عماد الدين أبو الفدا إسماعيل القرشي الدمشقي، ت ٧٧٤ هـ.

١. «البداية والنهاية» ١٤ ج، طبع عن مخطوط المدرسة الأحمدية بمدينة حلب بعد مقارنتها على أمهات الكتب، ط. الأولى ١٩٦٦ م، دار المعارف، بيروت.

٢. «نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم»، تحقيق محمد فهيم أبو عبية، ط. أولى، مكتبة النصر الحديثة ١٩٦٨ م.

كيـــال: منير.

- «الحمامات الدمشقية وتقاليدها»، سلسلة بلادنا، ط. دمشق ١٩٦٦ م، مطبعة وزارة الإرشاد القومي السورية.

ليفي - پروڤنسال: إيڤاريست

- «نخب تأريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى»، باريس ١٩٤٨ م.

مبـــارك: علي، ت ١٣١١١ هـ/ ١٨٩٣ م.

- «الخطط الجديدة التوفيقية لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة»، ٢٠ ج، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٠٥-١٣٠٦ هـ/ ١٨٨٨-١٨٨٩ م.

مجهـــول.

- «حوليات في التاريخ المملوكي»، تحقيق زترستين. Zetteerstéen، ط. ليدن ١٩١٩.

مجهـــول.

- «سلسلة التواريخ»، ويحتوي على مساحة البلاد الجارية في حكم الملك العادل نور الدين، نشر مع ترجمة إلى اللغة الفرنسية في المطبعة الملكية، باريس١٨٤٥ م.

مجهـــول.

- «العيون والحدائق في أخبار الحقائق»، يؤرخ لفترة من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم ويليه مجلد من «تجارب الأمم» لإبن مسكويه من سنة ١٩٨-٢٥١ هـ، تحقيق دي خويه، يطلب من مكتبة المثنى، بغداد، والجزء الرابع ٢٥٦-٣٥٠ هـ/ ٨٧٠-٩٦١ م، عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه عمر السعيد، ط. دمشق ١٩٧٣ م.

ابن محمود: محمد.

- «واقعة محمد بك حاكم ولاية جرجا من بلاد الصعيد الأعلى»، والتي وقعت في اليوم الرابع عشر من جمادى الأولى سنة ١٠٦٩ هـ نسخة ضمن مجموعة، بخط المؤلف برقم ٢٢٦٩، مجاميع، دار الكتب المصرية.

مختـــار: محمد.

- «التوفيقات الإلهامية»، ط. بولاق ١٣١١ هـ.

أبو مخرمة: أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد، ت ٩٤٧ هـ/ ١٥٤٠ م.

- «تاريخ ثغر عدن» مع نخب من تواريخ ابن المجاور والجندي والأهدل، جزءآن، ط. بريل ليدن ١٩٣٦، تحيق أوسكار لوفكرين.

المـــــرادي: أبـــو الـفـضـل الـســيـد محمد خـلـيـل أفـنـدي الـنـقـشـبـنـدي الـدمـشـقـي، ت ١٢٠٦ هـ/ ١٧٩١ م.

- «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر»، ٤ ج، ط. بولاق ١٢٩١ هـ.

المـــراغي: الـزيـن أبـو بكر الحسين بـن عمر بـن مـحـمـد بـن يـونـس الـشـافـعـي الـمـصـري، ٧٢٨-٨١٦ هـ/ ١٣٢٨-١٤١٣ م.

- «تحقيق النصرة بتلخيص معالم الهجرة»، مخطوط، رقم ٥٩، تاريخ، دار الكتب المصرية.

مرعي بن يوسف: بن أبي بكر بن أحمد المقدسي الحنبلي، ت بمصر ١٠٣٣ هـ.

- «نزهة الناظرين فيمن ولي مصر من الخلفاء والسلاطين»، مخطوط. رقم ٢٠٧٦، تاريخ، دار الكتب المصرية.

المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، ت ٣٤٥ أو ٣٤٦ هـ يتصل نسبه إلى عبد الله بن مسعود الصحابي. قضى زهرة شبابه في بغداد وخرج سنة ٣٠١ هـ في رحلة استمرت ثلاثة أعوام في ربوع فارس وكرمان والهند وصيمور وقطن في مدينة بومباي سنة ٣٠٤ هـ ووصل إلى عمان، ويمكن أن نستنتج أنه ذهب إلى قناطر ماليسيه العجيبة وشارف الصين ولقد تعمق في دراسات الحدود الإسلامية واستعمان بالآلات العلمية. ولقد كان في فلسطين سنة ٣١٤ هـ، وفي أنطاكية ويبدو أنه قضى السنوات العشر التي بين رحلته الأولى واقامته هذه في فلسطين متنقلًا بين العراق وسوريا ومصر، ويحدثنا بأنه كان في سنة ٣٣٦ هـ قد أتم كتابه مروج الذهب في فسطاط مصر، وبوضع النسخة الأولى من «التنبيه والإشراف»، وعدل في الكتابين في عام ٣٤٥ هـ، ولقد ألمّ بالفارسية والهندية واليونانية والرومية والسريانية، ولم يبق من مؤلفاته:

١. «التنبيه والإشراف»، حققه عبد الله إسماعيل الصاوي، ونشر بدار الصاوي للطبع والنشر ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨ م.

٢. «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، ونشر ببغداد.

٣. «كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان»، يقرب من ثلاثين مجلدًا، لا يوجد منه سوى جزء في مكتبة ڤيينا وفي مكتبة جامعة القاهرة عن نسخة باريس.

ابـــن مـسـكـويـه: أبـــو عـلـي أحـمـد بـــن يعقوب، ت ٤٢١ هـ/ ١٠٣٠ م.

- «تجارب الأمم»، نشر آمدروز ١٩١٤ م.

المطري (٦٧١-٧٤١ هـ/ ١٢٧٢-١٣٤٠ م): الحافظ جمال الدين محمد بن أحمد بن خالد بن عيسى بن عامر بن يوسف بن بدر بن علي بن عمر الأنصاري السعدي المطري المدني، مؤرخ، مشارك في علوم الدين، ناب في الحكم وفي الخطابة، وكان أحد الرؤساء المؤذنين بالمسجد النبوي، وتوفى بالمدينة في ١٧ ربيع الآخر، من آثاره: إتحاف الزائر، والتعريف بما أسست الهجرة من معالم دار الهجرة في تاريخ المدينة المنورة، انظر ابن حجر «الدرر الكامنة» ٣/ ٣١٥ حاجي خليفة: كشف الظنون ٦/ ٢٩١ - ٣٠٢)، فهرست الخديوية ٥/ ٣٦ البغدادي، هدية العارفين، ٢/ ٩٥، لطفي عبد البديع، فهرس المخطوطات المصورة ٢/ ٩٥؛ البغدادي، إيضاح المكنون، ١/ ٢٩٦، كحالة، معجم المؤلفين، ٨/ ٢٥٧.

Brockelmann, g. II 171; s. II, 220.

- «التعريف بما أنست به الهجرة من معالم دار الهجرة»، مخطوط، رقم ٥٦٤ تاريخ، دار الكتب المصرية.

مطيع الحافظ: محمد

- «نصوص غير منشورة عن الزلازل من سنة ٩١٤ هـ، وحتى سنة ١١٢٤ هـ/١٥٠٨-١٧١٢ م»، زيادات تقع من الورقة ١٤٠-١٤٣، من مجموع من مؤلفات الشيخ عبد الغني النابلسي في المكتبة الظاهرية برقم ٧١٣٦ عام، وضمنه رسالة «كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة» للسيوطي، وبآخرها زوائد للإمام الداودي وشيخ الإسلام البدر الغزي، وابنه الحافظ النجم الغزي، ثم ما رآه الشيخ النابلسي في هامش بعض الكتب وجمعها بخطه وانتهى من كتابتها سنة ١١١٧ هـ، ثم أضاف بعد ذلك زلزلة حصلت سنة ١١٢٤ هـ، وبذلك تكمل الفترة التي تلي ما جمعه السيوطي.

Bulletin d'études orientales XXXII-XXXIII, Damas 1982, p. 256-264.

المقدسي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المعروف بالبشاري والمشهور بالمقدسي، ت ٣٧٥ هـ/ ٩٨٥ م.

- «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» ٢ ج، ط. ليدن ١٨٧٧ م.

المقدسي: مطهر بن طاهر، ت بعد ٣٥٥ هـ/ ٩٦٦ م.

- «البدأ والتاريخ»، المنسوب إلى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي، ت ٣٢٢ هـ، حققه كلمان هوار، باريس ١٨٩٩ م، ونشره أرنست لرو، باريس.

المقري: أحمد بن محمد، ت ١٠٤١ هـ/ ١٦٣٣ م.

- «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»، ٤ ج، ط. ١٨٦٢ م.

المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي، ت ٨٤٥ هـ.

١. «إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا»، ج ١، ٢، تحقيق د. جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م. ج ٣، ٤، تحقيق د. محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م.

٢. «السلوك لمعرفة دول الملوك»، ج ١، ٢، تحقيق د. محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٣٤-١٩٥٨ م، ج ٣، ٤، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، مركز تحقيق التراث، دار الكتب المصرية ١٩٧٠ م.

٣. «المواعظ والإعتبار في ذكر الخطط والآثار والقاهرة والنيل وما يتعلق بها من الأخبار»، المعروف باسم «الخطط»، ٢ ج، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٢٧٠ هـ/ ١٨٥٣ م.

المناوي: عبد الرءوف.

- «الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية»، مطبعة الأنوار، مصر ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨ م.

ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الأفريقي، ت ٧١١ هـ/ ١٣١١ م.

- «لسان العرب» ٢٠ ج، بولاق ١٣٠٠-١٣٠٧ هـ.

ابن منكلي: محمد.

- «الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية في فن القتال في البحر»، مخطوط، رقم ٢٣ تيمور، دار الكتب المصرية.

ابن منقذ: أسامة بن مرشد ٤٨٨-٥٨٤ هـ.

١. «الإعتبار»، تحقيق فيليب حتي، برنستون ١٩٣٠ م،

الإعتبار (كتاب السيرة الذاتية لأسامة):

traduction Sallér, Derenbourg, *Souvenirs historiques et récits de chasse par un émir ; autobiographie d'Oussama ibn Mounqidh*, 238 p., Paris, Leroux, 1895 ; voir aussi Ph. Hitti, *An Arab Syrian Gentleman and Warrior*, New York 1929 ; André Miquel, Usama Ibn Munqidh, *Souvenirs d'un gentilhomme syrien du temps des croisades, (Des enseignements de la vie), Kitab al-I'tibar*. Paris 1983.

٢. «ديوان أسامة»، تحقيق أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، المطبعة الأميرية ١٩٥٣ م.

٣. «المنازل والديار» تحقيق مصطفى حجازي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٨ م.

ابن ميسر: تاج الدين محمد بن يوسف، ت ٦٧٧ هـ/ ١٢٧٨ م.

- «أخبار مصر»، حققه هنري ماسيه، المعهد الفرنسي، القاهرة ١٩١٩ م.

النابلسي: الشيخ عبد الغني بن اسماعيل بن عبد الغني، الصوفي الأديب الفقيه الشاعر، توفي بدمشق ١١٤٣ هـ/ ١٧٩١ م.

١. «الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز»، رحلة قام بها ١١٠٥ هـ، مخطوط، ٢٤٤ جغرافيا، دار الكتب المصرية.

٢. نقل الشيخ عبد الغني النابلسي زوائد عما سمعه وشاهده من الزلازل في زوائد على رسالة «كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة»، ودونها في مجموع بخطه في المكتبة الظاهرية برقم ٧١٣٦ عام. انظر أيضًا مطيع الحافظ في بحثه المنشور بدمشق بمجلة الفرنسي. *BEO* 1982.

ناصر خسرو: المتوفى بعد سنة ٤٥٥ هـ/ ١١٩٦ م.

- «سفرنامة»، ترجمة وتحقيق د. يحيى الخشاب، بيروت، دار الكاتب الجديد.

ابن النجار: محب الدين محمد بن محمود، ت ٥٩٣ هـ/ ١١٩٦ م.

- «كتاب الدرة الثمينة في أخبار المدينة»، مخطوط، رقم ١٦٣٠ عربي، المكتبة الأهلية، باريس.

ندى: أحمد أفندي

- «الأقوال المرضية في علم الطبقات الأرضية»، ط. أواخر شعبان ١٢٨٨ هـ، المطبعة الخديوية.

ابن النديم: محمد بن اسحق، ت ٣٨٥ هـ.

- «الفهرست»، طبعة فلوجل.

النعيمي: عبد القادر بن محمد، ت ٩٢٧ هـ.

- «الدارس في تاريخ المدارس»، عني بنشره وتحقيقه جعفر الحسيني، مطبعة الترقي، دمشق ١٩٥١ م.

النووي: الحافظ أبو زكريا يحى بن شرف، ت ٦٧٦ هـ.

- «شروح على الجامع الصحيح لمسلم»، وزارة المعارف المصرية ١٣٣٣ هـ.

النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ٦٧٧-٧٣٣ هـ.

- «نهاية الأرب في فنون الأدب»، مخطوط، رقم ٥٤٩، معارف عامة، دار الكتب المصرية، والمطبوع ٢٣ ج، تحقيق أ. فهيم محمد علوي شلتوت، مراجعة د. عبد العزيز الأهواني، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م.

النويري: محمد بن القاسم بن محمد الإسكندراني، ت بعد سنة ٧٧٥ هـ/ ١٣٧٢ م.

- «كتاب الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة الإسكندرية»، تحقيق د. عزيز سوريال عطية، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠.

ابن وحيشة.

- «دعوة الزلزلة»، مخطوط رقم ٢٠١، أدعية وأوراد، مكتبة الأزهر.

ابن الوردي: أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن محمد، ت ٧٤٩ هـ.

- «تتمة المختصر في أخبار البشر»، والمعروف باسم «تاريخ ابن الوردي»، اختصر فيه «المختصر في تاريخ البشر»، وذيله المؤلف بداية من سنة ٧٠٩ هـ وهي السنة التي وقف عندها الملك المؤيد أبو الفدا.

الوطواط: جمال الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الوراق، ت ٧١٨ هـ.

- «مباهج الفكر ومناهج العبر»، ٤ مج، مخطوط مصور، رقم ٣٥٩ طبيعة، دار الكتب المصرية.

الوهراني: أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد، المتوفى بداريا وهي قرية قرب دمشق سنة ٥٧٥ هـ.

١. «رسائل الوهراني»، مخطوط عن نسخة أنجزت سنة ٧٣٠ هـ، رقم ٢٤٠ أدب تيمور، دار الكتب المصرية.

٢. «جليس كل ظريف»، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، ونشرها بمجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، كانون الثاني يناير ١٩٦٥، ج ١، مج ٤٠، من ص ٢٣٤-٢٥٦.

٣. «منامات الوهراني ومقاماته ورسائله»، تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نفس، دار الكاتب العربي ١٩٦٨ م.

الهمداني: الحسن بن أحمد المعروف بإبن الحائك، ت ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥ م.

- «الإكليل»، ج ٨، نشره الأب أنستاس ماري الكرملي، بغداد ١٩٣١ م.

اليافعي: أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان، ت ٧٦٨ هـ.

«مرآة الجنان وعبرة اليقظان»، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن ١٣٣٧-١٣٣٨ هـ.

ياقوت: شهاب الدين أبو عبد الله الرومي، ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م.

١. «معجم الأدباء» ٢٠ ج، نشره أحمد فريد رفاعي، القاهرة ١٩٣٦.

٢. «معجم البلدان» ٦ ج، بتحقيق ڤوستنفيلد (Wüstenfeld)، ليبزج ١٨٦٦-١٨٧٠ م.

يحيى بن سعيد الأنطاكي، ت ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٦ م.

- «تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي»، ينتهي بخلافة الظاهر لإعزاز دين الله ونشره لويس شيخو، بيروت ١٩٠٩ م.

اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، ت بعد ٢٩٢ هـ/ ٩٠٥ م.

- «تاريخ اليعقوبي»، صدر في مجلدين عن دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ١٣٧٩ هـ/ ١٩٦٠ م، وهو أقدم كتاب عربي يتضمن التاريخ على العموم من آدم فما بعده إلى ظهور الإسلام، منه إلى زمن المعتمد على الله العباسي سنة ٢٥٩ هـ، هناك نشرة أخرى من نشريات المكتبة المرتضوية في النجف، في ٣ ج، ط. مطبعة الغزي، النجف ١٣٥٨ هـ.

ابن يونه التطيلي: بنيامين الأندلسي.

- «رحلة بنيامين» ٥٦١-٥٦٩ هـ/ ١١٦٥-١١٧٣ م، ترجمة عزرا حداد، بغداد ١٣٦٤ هـ/ ١٩٤٥ م.

BIBLIOGRAPHIE

Abel A.: « Borà », *EI* ², I,1314.

Ambaseyes N.N., « A Note on the Chronology of Willis's List of Earthquakes in Palestine and Syria », *Bulletin of Seismological Society of America* », Jan. 1962, vol. 52, n. 1, 77-80.

Brockelmann C., « Geschichete der Arabischen Litteratur », 1re édit., Berlin 1898-1902; Suppl. Leyde, Brill, 1937-42; 2e éd. Leyde; Brill, 1943-1949.

Cahen Cl., *La Syrie du Nord à l'époque des croisades et la principauté des Francs d'Antioche*, Paris, Geuthner, 1940.

Combe Ét., Sauvaget J. et Wiet G., *Répertoire chronologique d'épigraphie arabe*, tome 13, p. 243-244, Ifao, le Caire 1944.

Dussaud R. « *Topographie historique de la Syrie antique et médiévale* », Paris, Geuthner, 1927.

Elisséef N., *Nûr ad-dîn*: *Un grand prince musulman de Syrie au temps des croisades*, 511-569 h./1118-1174, Damas 1967.

Galbis, José Rodrigues, *Catalogo sismico*, tome 1, Instituto Gégrafico y Castral; Madrid 1932; tome II Instituto Gégrafico y Castral; Madrid 1940.

Grümel V., *La chronologie* (Tremblements de terre); Bibliothèque byzantine, Traité d'études byzantines, Presses universitaires de France, 1958. p. 476-481.

Lévi-Provençal É., *Extrait des historiens arabes du Maroc*, Paris, imprimerie Larousse 1948.

Levret A., « Les effets du séisme de Lisbonne du 1er novembre 1755 sur le territoire marocain. Esquisse des intensités maximales observées dues aux grands séismes ibéro-maghrebins », *complément au rapport MA* 0352 réalisé par Sofratome pour l'Office national d'électricité du Maroc, juillet 1985.

Morsi Magali, *Le tremblement de terre de 1755 d'après des témoignages d'époque. Hesperis Tamuda* 1975.

Padre Lopez, « El Temblor de tierra en Marrueccos el año 1755 ». (De Nuestro Archivo Missional de Tanger) Mauritania Año. Num 159, Ier de Febrero 1941.

Perrey A., *Notes sur les tremblements de terre en Algérie et dans l'Afrique septentrionale. Et sur les tremblements de terre de la péninsule Ibérique*, Mémoire de l'Académie des sciences, Dijon, 1845-1846.

Recueil des historiens des croisades, publié par les soins de l'Académie des inscriptions et belles-lettres, *in* 16 vol., Paris, 1841-1906:

I- « Historiens occidentaux », 5 tomes, 1844-1895.

II- « Historiens orientaux » (arabes), 5 tomes, 1877-1906.

III- « Historiens grecs », 2 tomes, 1875-1881.

IV- « Documents arméniens », 2 tomes, 1869-1906.

V- « Lois », 2 tomes, 1841-1843.

Rolland F. A., « Notes de sismologie marocaine », Société des sciences naturelles du Maroc, tome 3, 1923.

Roux Georges, « Notes sur les tremblements de terre ressentis au Maroc avant 1933 », *Mémoires de la Société des sciences naturelles au Maroc*, n° XXXIX; juillet 1934.

Taher Mustafa,

1- *Corpus de textes arabes relatifs aux tremblements de terre et autres catastrophes naturelles de la conquête arabe au* XII^{e}-XVIII^{e} *apr. J.-C.*, thèse de doctorat d'État, université Paris I-Sorbonne.

2- « Historical Seismicity in the Near and the Middle East, North Africa, and Spain from Arabic Documents (VIIth - XVIIth Century) », *Bulletin of Seismological Society of America*, vol. 70, no. 6, p. 2185-2201, December 1980.

3- « Les grandes zones sismiques du monde musulman à travers l'histoire », *Annales islamologiques*, tome XXX, Ifao 1996.

4- « Les séismes à Alexandrie et la destruction du phare », *Alexandrie médiévale* 1 », p. 51-56, Ifao, 1998.

Vajda G., « Un recueil de textes historiques judéo-marocains ». *Hesperis Tamuda* XXXV, 1948, 3^{e} et 4^{e} trimestres, p. 311-358.

Vincent B., « Le tremblement de terre de Malaga de 1680 », IV^{es} rencontres internationales d'archéologie et d'histoire d'Antibes, 1983.

Willis B., « Earthquakes in the Holy Land », *Bulletin of the Seismological Society of America* 1928, vol. 18, no. 2, p. 77-88.

stère de l'Enseignement supérieur et de la Recherche, Paris – Publication de l'Institut français d'archéologie orientale.
Dépôt légal : 1er trimestre 2011 ; numéros d'éditeur et d'imprimeur 1012/0830

DIFFUSION

Ventes directes et par correspondance

Au Caire

à l'IFAO,
37 rue al-Cheikh Ali Youssef (Mounira)
[B.P. Qasr al-'Ayni n° 11562]
11441 Le Caire (R.A.E.)

Fax: (20.2) 27 94 46 35
Tél.: (20.2) 27 97 16 00
http://www.ifao.egnet.net

Section Diffusion Vente →

Tél.: (20.2) 27 97 16 22
e-mail: ventes@ifao.egnet.net

Leïla Books
39 Qasr al-Nil St. 2nd floor - office: 12
[P.O. Box 31 – Daher 11271]
Cairo (Egypt)

Fax: (20.2) 23 92 44 75
Tél.: (20.2) 23 93 44 02
23 95 97 47

e-mail: leilabks@link.net
http://www.leila-books.com

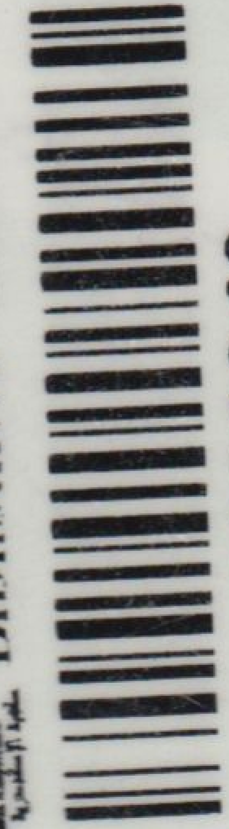
En France

Vente en librairies
Diffusion: AFPU
Distribution: SODIS

يقدِّم هذا الكتاب نصوصًا تاريخية عربية عن الهزّات الأرضية والظواهر البركانية في شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام، بالإضافة إلى مناطق تمتد من بلاد الأندلس وبلاد شمال أفريقية إلى أفغانستان وجنوب الصين ومن تركيا وبلاد القوقاز وأرمينيا شمالًا إلى اليمن وبلاد الخليج جنوبًا، وذلك في فترة زمنية تمتد من القرنين الأول إلى الثاني عشر الهجريين أي من السابع إلى الثامن عشر الميلاديين، وتتفق مع مؤلد الإسلام والهجرة إلى المدينة إلى زلزال لشبونة وما صاحبه من بعث للتفكير العلمي والعقلي.

ولقد تم جمع هذه المادة العلمية والنصوص التاريخية بمساعدة مؤسسات علمية فرنسية منها: المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ومعهد الدراسات الجيوفيزقية بباريس، وبعض الهيئات العلمية العالمية مثل اليونسكو ووكالة الطاقة النووية بڤيينا، وما كفلته هذه المؤسسات من تمويل للإطلاع على كنوز المخطوطات العربية بدور الكتب في أنحاء العالم من استنبول وأنقرة بتركيا إلى مدريد وغرناطة بأسبانية، مرورًا بالمكتبة الملكية بالرباط، وكذا تونس والقاهرة بالشمال الإفريقي، وذلك لفائدة هذه النصوص للدراسات الخاصة بالكوارث الطبيعية وتوقعها وتطوير الهندسة المعمارية لمقاومتها وتفادي آثارها المدمرة، بالإضافة لما تضيفه من نظريات عن نشوء الأرض وجرودها وانتقال الحضارات وما فعله الإنسان للإتّعاظ والتعلّم وعمل الحسابات اللازمة للإرتقاء ولتطبيع العقل والحكمة، وخاصة برؤية ما دمّرته من آثار معمارية خالدة مثل منار الإسكندرية، ويرتوي القارئ أيضا بآثارها الإجتماعية والأدبية من شعر ونثر يتضح في منامات مسرحية بدفاع المساجد والجوامع والمدارس والحصون والمعمار أمام القضاء الإسلامي لدفع الظلم عن التأخّر في الترميم وإعادة البناء لقصور مصادر التمويل والفساد الإداري والأخلاقي، وما قام به الحكّام والوُلاة لتدبير الأموال اللازمة بتشريع النظم الإقتصادية المناسبة.

وما أشبه اليوْم بالبارحة ما بقى عالمنا، فدروس الماضي تنفع المستقبل، وتتوّج جهود الهيئات والمؤسسات العلمية بالقيم الإنسانية النافعة.





IF 1012 - *TAEI* 46 - 211
ISSN 0257-4136
ISBN 978-2-7247-0531-7